الأنجم اللوامع في الخطب والمحاضرات الجوامع

تأليف

الشيخ/ محمد بسيوني

مقدمـــة الشيــــــخ
محمد بن عبد الملك الزغبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين ،

وأشهد أن محمدًا **عبده ورسوله .**

وبعـــــد :

فقد أطلعني أخي الحبيب الشيخ / محمد بن محمود بسيوني – حفظه الله تعالى- على كتابه المسمى : بـــ ((الأنجم اللوامع في الخطب والمحاضرات الجوامع)).

فألفيته كتابًا نافعًا للدعاة والوعَّاظ والخطباء؛ إذ حوى الكثير من الموضوعات التي تمس حاجة المسلمين إلى معرفتها، فضلاً عن أنه كُتب بأسلوب ســـهل ميســـور يفهمه المتخصص وغير المتخصص، لذا أحثُّ وأحضُّ الدعاة والوعاظ والخطباء على اقتنائه؛ لأنه يمثل إضافة حقيقية إلى مكتبتهم.

وأدعو الله جل وعلا أن يجعله في ميزان حسناته يوم القيامة.

كتبه/ أبو عمر

محمد بن عبد الملك

الزغبي

مقدمــة المؤلـف

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله مـــن شـــرور أنفسنا ، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران:102]

/ . - , + *) (' & % $ # " !)

(? > = < ; : 8 7 6 5 4 3 1 0

[النساء: 1].

لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ ~ } | { z y x w v u)

لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71].

أما بعد :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية التي وفقت إلى جمعها وأدائها، أقــدمها لإخواني الخطباء وأئمة المساجد في مشارق الأرض ومغاربها، سائلًا الله عزوجــل أن ينفعني وإياهم بها، وقد أسميت هذا الكتاب ((الأنجــم اللوامــع في الخطــب والمحاضرات الجوامع)).

وأعتذر عن كون بعض الخطب – بل كثير منها- قد طال عــن الحــد المطلوب، ولكن للخطيب أن ينتقي منها ما يشاء ويدع ما يشاء حســب مــا يتراءى له، أو قد يقسم الخطبة الواحدة على أكثر من لقاء.

وأسال الله تعالى أن يتقبل مني هــذا العمل بقبول حسن، وأن يتجــاوز عن زلاتي وهفواتي وتقصيري، وأن يغفر لي ولوالدي ولأهلي وذريتي والمسلمين والمسلمات.

وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وسلم، والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبــو عبــد الرحمــن

محمد بن محمود بسيوني

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين.

ليلة الثلاثاء 26من شوال لعام 1431هــ

الموافق 5من أكتوبر لعام 2010مــ

جمهورية مصر العربية، المنصورة، دقهلية.

الخطبة الأولى : هل رأيت الجنة ؟!

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم، وأخرجهم إلى دار الامتحان؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يقين لا شك فيه، وقول إخلاص بعيد عما يقوله الكافر والمنافق ويفتريه.

إلهـي :

هذي ذنوبي في الورى عظمت ... وليس لي عمل في الحشر ينجيني

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه ... حب النبي وهذا القدر يكفيني

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أرسله ربه ببوالغ الحكم، وأسبغ عليه من النعم،وأوطأه رقاب الأمم، فعاش الحبيب المصطفى r في كل أحواله ناصحاً، وعادى فاسد الشرائع عداءً واضحاً، ولقد صدق القائل إذ يقول :

ومما زادني شرفا وتيهاً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن أرسلت أحمد لي نبيا

فاللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته، واتبع نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

هل رأيت الجنة ؟! [1]

أخي في الله :

إن في الجنة فوق ما يخطر بالبال أويدور في الخيال، وإن موضع سوط منها خيرٌ من الدنيا وما فيها، وكما قال r : " قَالَ اللَّه ُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:

(x w v u t s r q p) [2]

ماذا عن قصور الجنة ؟

وعن طعامها ؟ وعن شرابها ؟ وعن أنهارها ؟

وعن ...

هذا ما سنحاول أن نعرفه في هذا اللقاء، إن يسر الله لنا ذلك وأعان.

1- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي- رحمه الله- في عقيدته التي جمعت جملةً من معتقد أهل السنة والجماعة، والتي سمَّاها بالعقيدة الطحاوية قال: والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق.... (انظر شرح العقيدة الطحاوية صـ 352، طبعة: دار الحديث، تحقيق: أحمد بن علي)

قلت: والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، من ذلك قوله تعالى عن الجنة: (+ ,) وقوله تعالى عن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

وقد أنكرت المعتزلة والقدرية وجود الجنة والنار الآن، وقالوا: إن الله سينشئهما، وقد رد عليهم ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية في كلامه عن هذا الجزء، وغيره .

2- البخاري (3005)، و مسلم (5050) .

أما قصور الجنة :

فعن سَمُرَة بن جندب قال: قال r : «أتاني آتيان فابتعثاني – أي: أيقظاني – فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبنة ذهب ولبنة فضة» (1)

أبـــــــواب الجنـــة :

أبواب الجنة ثمانية كما قال r : "فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَاب فِيهَا، بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّـــانَ لا يَدْخُلُهُ إلا الصَّائِمُونَ "(2) . وفي رواية مسلم:"فِي الجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ" (3)

عن أَبي هريرة t أن رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّــلاةِ، وَمَــنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَاب الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيام دُعِيَ مِنْ بَاب الرَّيَّـــانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، قال أَبُو بَكْرٍ t : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأبْوَابِ كُلِّهَـــا؟ قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"(4)

1- البخاري (3017) .

2- البخاري (3257) .

3 - مسلم (1947) .

4- البخاري (1764، 2629) ، مسلم (1705)

فأبواب الجنة ثمانية ، وصدق من قال :

أبوابهـــا حـــق ثمانيـــة أتـــت ... بـــالنص وهـــي لصـــاحب الإحســـان
بـــاب الجهـــاد وذاك أعلاهـــا ... وباب الصوم يـــدعى البـــاب بالريـــان
ولكـــل ســـعي صـــالح بـــاب ... ورب الســـعي منـــهم داخـــل بأمـــان
ولســـوف يـــدعى المـــرء مـــن ... أبوابهـــا جمعًـــا إذا وافى حلـــى الإيمـــان
منـــهم أبـــو بكـــر هـــو الصـــديق ... ذاك خليفـــة المبعـــوث بالقـــــرآن

قصور الجنة:

قال الله تعالى: (S T U V W X Y ژ ژ \ ] ک ک ک ک گ گ گ گ f g h i j k l m) [الواقعـــة 27: 33].

(السدر) [1] هوشجر النبق بكسر الباء وسكونها، و(المخضود) هو الذي قد خضر شوكه أي نزع وقطع فلا شوك فيه، والطلح هو شجر الموز،كما قال كثير من المفسرين، و(ماء مسكوب)أي: جارٍ لا ينقطع.

1- ذكر الماوردي أن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكيـــة، ولـــذلك روى البخاري (3013) عن أبي هُرَيْرَةَ t أنه r قال: "**وفي الجنة شجرة يسير الراكب فـــي ظلها مائة عام لا يقطعها، واقروا إن شئتم** M ` a L"

بعض القصور الخاصة في الجنة :

قصر خديجة: عن أبي هريرة t قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ r فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَــةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَــزَّ وَجَلَّ وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ" (1)

قصر عمر t :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّه عَنْهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ r : "رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالَ: هَذَا بِــلالٌ. وَرَأَيْــتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَــأَنْظُرَ إِلَيْــهِ فَــذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ.فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ" (2)

أنهـــــــار الجنـــــــــــة :

لقد تكرر كثيرا في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعـــالى: (تجـــري * + ,) (البقرة: 25)، وفي مواضع أخرى يقـــول تعـــالى: (t u v w) (يونس: 9)

1- البخاري (3536) ، مسلم (4460) ، ومعنى إدام: ما يؤكل مع الخبز من الطعام، فاقرأ عليهـا السلام: بلغها، قصب: اللؤلؤ المجوف الواســع ، صخــب: اختــلاط الأصــوات وارتفاعهــا، نصب: تعب.

2- البخاري (3403)، ومعنى خشفة: صوت وقع الأقدام .

وهذا يدل على ثلاثة أمور:

(1) وجود الأنهار حقيقة.

(2)أنها جارية لا واقفة.

(3) أنها تحت غرفهم وقصورهم.

وكما قال سبحانه: (V W X Y ژ ڑ \ [ک ک ک ک گ گ گ گ f
g h i j k l m n o p ﴿١٥﴾) [محمد:15]

فذكر سبحانه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن من طول المكث- أي تتغير رائحته، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شرابها، وآفة العسل عدم تصفيته، وكل هذا منفي عنها في الجنة ليكمل استمتاع أهلها بها.

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها إلى أسفلها كما قال r : «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ــ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ »(1)

وعَنْ أَنَسٍ t قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ r ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: (V W X Y ژ ڑ \ [ک ک ک ک گ) ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ

1- البخاري (2581)، ووسط الجنة: أفضلها وأحسنها، فالوسط هو العدل والأفضل من كل شيء.

فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ _ زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِي حَدِيثِهِ _ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ: مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ »[1]

درجات الجنة :

الجنة مائة درجة كما في الحديث قبل السابق، وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع والله أعلم .

وكان شيخ الإسلام يقول: وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك.

قال الخطابي: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة فيقال للقارىء: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. [2]

1- مسلم(607)

2- ذكره المنذري في الترغيب والترهيب عند تعليقه على حديث "يقال لصاحب القرآن اقرأ ... " حديث رقم (2199)، طبعة : دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

أبنيـــــة الجنـــــة:

قـــال تعـــالى: (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ f g h i j k l m n o p) [آل عمران: 198]

فأخبر سبحانه بأنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقيا؛ لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء

وكما قال r : «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[1]

طعام أهل الجنة :

قال تعالى: (2 3 4 5 6 7 8 9) [الواقعة:19، 20]

وأما الفاكهة فكما قال تعالى في وصـــفها: (. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ <) [البقرة:25]

قال ابن جرير- رحمه الله: (كلما رزقوا) من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا: هـــذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا. (أي : يشبه ثمر الدنيا في اللون أما في الطعم فشتان شتان) .

وقوله تعالى (وأتوا به متشابها) قال عكرمة: يشبه ثمر الدنيا ويباينه في جُل الصفات.

قال ابن عباس " رضي الله عنهما " : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء .

فليس العسل كالعسل، وليس الخمر كالخمر، وليس اللبن كاللبن .

1- البخاري(4501) ، مسلم (5071 - 5071).

وقال تعالى: (وفاكهـــة m l k j i h g) [الواقعـــة] أي لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها .

وكما في الصحيحين أنه قال r :"إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لا يَبُولُــونَ وَلا يَتَغَوَّطُــونَ وَلايَتْفِلُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُــوجُ عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِــيهِمْ آدَمَ سِــتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ"[1]

شرابهم :

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ " # $ % ﭖ ﭗ ﭘ ﴾ [الإنسان: 5- 6]

والكأس هنا هو كأس الخمر،قال r : وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَــاتَ وَهُــوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ»[2] ويضاف الكافور على الخمــر ليبردهــا ويكســر حدها.

(يشرب بها) أي عيناً يشرب منها[3]، (يفجرونها تفجيرا) هذا دليل على أن هـــذه العين دائمة يفجرونها أنى شاؤوا وأنى أرادوا.

1- البخاري (3080) ، مسلم (5063) ، والرشح: العرق، والألوة: عود يتبخــر بــه. والمجــامر: المباخر، والأنجوج: العود الذي يتبخر به .

2- البخاري (5147) ، مسلم (3733).

3 - الكوفيون يقولون بالنيابة في الحروف ، بيقولون : بها بمعنى : منها ، والبصريون يقولون بالتضمين في الأفعال ، فقالوا يشرب بمعنى : يرتوي .

وقال تعالى: ({ ~ كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ©)

[الإنسان:17،

18]

قال القرطبي (رحمه الله): (ويسقون فيها كأسا) وهي الخمر في الإناء، (كان مزاجها زنجبيلا) كانت العرب تستلذ من الشراب بما يمزج- أي يخلط- بالزبيب لطيب رائحته ،فرُغّبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب ،... (سلسبيلا)السلسبيل: الشراب اللذيذ.

وقال تعالى: (وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾)[الإنسان:21]

قال على: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم، ولا تتشعث أشعارهم أبدا، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم: (µ ¶ ﺩ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ)

[الزمر :7] (1)

والراجح والله أعلم أن : عينا بدل من الكافور ، وهذه العين يفجرها الأبرار تفجيرا وهم يمزجون الكأس بالكافور إذا الباء هنا تفيد المزج .
(وعينا يشرب بها) يشربون الكأس ممزوجة بها يفجرونها تفجيرا .

1- تفسير القرطبي (123/10)، طبعة: دار الحديث .

ثيـــابهـــــم :

قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ى ى وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣) [الحج:23]

قال القرطبي[1]: قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة، وليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أساور: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ.

(وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ) أي: وجميع ما يلبسونه من فرشهم ولباسهم وستورهم حرير، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير.

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : « مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ»[2]

وعَنْ أَبِي هريرة t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ» [3]

وقال r : «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلاثِينَ أَوْ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً»[4]

معنى جرداً أي: بدون شعر على أجسادهم، ومرداً: أي حليقوا اللحى[1]

1- السابق (6/ 349).
2- البخاري (5385) ومسلم (3866).
3- مسلم (5068).
4- صحيح : الترمذي (2468) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (8072).

آنيتهم:

قال تعالى: (n o p q r s t u v w x y z {

|) [الإنسان: 15، 16]

أي أوانيهم من الفضة وهي في صفاء االقوارير.

(قدروها تقديرا) أي : أتوا بها على قدر رِيهم ،بغير زيادة ولا نقصان

وقال r : « لا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلا الدِّيبَاجَ، وَلا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا؛ فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ » (2)

بناء الجنة وتربتها:

توجد على وجه هذه البسيطة أبنية فخمة وقصور مشيدة ومساكن وغرف..لكنها مهما علا قدرها وجمالها، ومهما تطاول بنيانها وعلوها.. لا تشبه ما في الجنة من مساكن وبنايات إلا في الاسم فقط.

ففي الجنة من سحر المساكن وجمال القصور وتعالي الغرف وتلألؤ الخيام, ما تقر به العين وتسكن إليه النفس، وكيف لا وخيامها من لؤلؤ, وقصورها من ذهب، وفيها من فاخر الأثاث وكواعب النساء وطيب الشراب ولذيذ الطعام مالا يخطر على بال؟!.

غرف الجنة :

1- وليس هذا دليلاً على جواز حلق اللحية ، فكما هو معلوم، أن إعفاء اللحية واجب وحلقها حرام، ويأثم من حلقها؛ لأن كل الأحاديث جاءت آمرةً بإعفائها، والأصل في الأمر الوجوب ما لم تأت قرينة تصرف الوجوب إلى الاستحباب، وكذلك الأصل في النهي التحريم ما لم تأت قرينة تصرف التحريم إلى الكراهة.

2- البخاري (5006) ومسلم (3850).

وأما غرف الجنة فلا تسل عن قوة بنائها وإحكام أركانها وبهاء منظرها وتلألؤ مظهرها. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِـــنْ فَـــوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَــالُوا: يَــا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُــوا بِاللَّـــهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)) [1]

فتأمل أخي الكريم: في مكان هذه الغرف.. إنها كالكواكب في علوهـــا وتلألؤهـــا.. وانسيابها في الفضاء, نعم إنها عالية شامخة.. أعدها الله للمؤمنين لما استعلوا عن الكفر والفجور والفسق.. لما خضعوا لله في الدنيا بفعل الأوامر وترك النواهي, رفع الله قدرهم وأســـكنهم في تلك الغرف المتعالية. واقرأ إن شئت قول الله جل وعلا: (¶ ﮊ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ)[الزمر:20]

ألا يا عين ويحك أسعديـــني
بغزر الدمع في ظلم الليـــالي
لعلك في القيامة أن تفوزي
بخير الدار في تلك العـــلالي

أدنى أهل الجنة منزلة :

عن عَبْدِاللَّهِ بن مسعود t قَالَ النَّبِيُّ r :"إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّــةَ، فَيَأْتِيهَــا

1- مسلم (5059) .

فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّــةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّــي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ. فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ t ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِــذُهُ وَكَــانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً"(1)

الحور العين :

قد وعد الله أهل الجنة بالحور العين، والحور جمع حورية، وهي المرأة الحسناء الجميلة .

هذا للرجال فما للنساء ؟

قال العلماء: إذا أطاعت المرأة ربها وزوجها في الدنيا وأرادت أن تتزوج به في الجنــة كان لها ذلك، ويرجعن في الجنة أبكاراً كما قــال تعــالى: (q r s t u v w)[الواقعة:35،36]

إذا لم يتزوج الرجل في الدنيا أو لم تتزوج البنت في الدنيا أو مات الشاب أو الفتــاة قبل سن الزواج. ماذا لهم في الجنة ؟

هذا الرجل الذي لم يتزوج في الدنيا قد يتزوج بامرأة لم تتزوج أيضــاً في الــدنيا أو يتزوج من الحور العين .

وقال العلماء: إن المرأة إذا أراد زوجها أن يتزوجها في الجنة، وكانت ممتثلة لأوامر الله في الدنيا، ومطيعة لزوجها فإنها تكون أجمل من الحور العين، والحور العين يكن عندها خوادم.

ورحم الله من قال:

يا خاطبَ الحُورِ في خِدْرها ... وطالبًا ذاك على قَدرِهــا
انْهضْ بجد ٍلا تَكُن وانيًــا ... وجاهدِ النفسَ على صَبرها

1- البخاري (6086) ومسلم (272) .

وقُمْ إذا الليلُ بَدَا وَجْهُـــه   وصم نهارًا فهو من مهرها

لمن تزف هذه الحور :

- تزف لمن صام في يوم شديد الحر:
- جاء في كتاب لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي :

قال الحسن: تقول الحوراء لولي الله، وهو متكيء معها على نهر العسل تعاطيه الكـــأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف شديد حره، وأنت في ظمأ الهواجر فباهى بك الملائكـــة، و قـــال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته و شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي؛ رغبة فيمـــا عنـــدي اشهدوا أني قد غفرت له، فغفر لك يومئذ وزوجنيك .

- تزف للذين هم في صلاتهم خاشعون.
- تزف للذين هم عن اللغو معرضون.
- تزف للذين هم لفروجهم حافظون.
- تزف للذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش.
- تزف لأهل التوبة والاستغفار .
- تزف لمن أفشى السلام وأطعم الطعام ووصل الأرحام وصلى بالليل والناس نيام.

فيا خاطب الحسناء إن كنت باغيا   فهذا أوان المهر فهو المقـــــدم

وكن مبغضاً للخائنات لحبهـــــا   فتحظى بها من دونهن وتنعـــم

وصم يومك الأدنى لعلك في غـــد تفوز بعيد الفطر والناس صوم [1]

قصة مؤثرة لمن طلب الحور العين بصدق فنالها:

أورد ابنُ الجوزي في صفة الصفوة وابنُ النحاس في مشارع الأشواق عن رجل مـــن الصالحين اسمه أبو قدامة الشامي ، وكان رجلاً قد حبب إليه الجهاد والغزو في سبيل الله، فـــلا يسمع بغزوة في سبيل الله ولا بقتال بين المسلمين والكفار إلا وسارع وقاتل مع المسلمين فيه، فجلس مرة في الحرم المدني فسأله سائل فقال: يا أبا قدامة أنت رجل قد حبب إليك الجهـــاد والغزو في سبيل الله فحدثنا بأعجب ما رأيت من أمر الجهاد والغزو

فقال أبو قدامة: إني محدثكم عن ذلك :

خرجت مرة مع أصحاب لي لقتال الصليبيين على بعض الثغور (والثغور هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها) فمررت في طريقي بمدينة الرقة (مدينةٍ في العراق على نهر الفرات) واشتريت منها جملاً أحمل عليه سلاحي، ووعظت الناس في مساجدها وحثثتهم على الجهاد والإنفاق في سبيل الله، فلما جن عليَّ الليل اشتريت مـــترلاً أبيت فيه، فلما ذهب بعض الليل فإذا بالباب يطرق عليّ، فلما فتحت البـــاب فـــإذا بـــامرأة متحصنة قد تلفعت بجلبابها

فقلت: ما تريدين ؟

قالت: أنت أبو قدامة ؟

قلت: نعم.

قالت: أنت الذي جمعت المال اليوم للثغور ؟

1- زفاف في الجنة، تأليف: الشيخ : إبراهيم فتحي ، صـــ 35، 36، دار الكوثر

قلت: نعم، فدفعت إليَّ رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية، فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها: إنك دعوتنا إلى الجهاد ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيَّ وهما ضفيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك؛ لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي[1].

قال أبو قدامة: فعجبت والله من حرصها وبذلها، وشدة شوقها إلى المغفرة والجنة.

فلما أصبحنا خرجت أنا وأصحابي من الرقة، فلما بلغنا حصن مسلمة بن عبد الملك فإذا بفارس يصيح وراءنا وينادي يقول: يا أبا قدامة يا أبا قدامة، قف عليَّ يرحمك الله،

قال أبو قدامة: فقلت لأصحابي: تقدموا عني وأنا أنظر خبر هذا الفارس، فلما رجعت إليه، بدأني بالكلام وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك و لم يردني خائباً.

فقلت له: ما تريد ؟

قال: أريد الخروج معكم للقتال .

فقلت له: أسفر عن وجهك أنظر إليك فإن كنت كبيراً يلزمك القتال قبلتك، وإن كنت صغيراً لا يلزمك الجهاد رددتك.

فقال: فكشف اللثام عن وجهه فإذا بوجه مثل القمر، وإذا هو غلام عمره سبع عشرة سنة.

فقلت له : يا بني عندك والد ؟

قال: أبي قد قتله الصليبيون، وأنا خارج أقاتل الذين قتلوا أبي.

قلت: أعندك والدة ؟

قال: نعم

1- وهذا الفعل – أي تتصدق المرأة بشعرها – غير جائز، ولكن لعلها لم تكن تعلم ذلك، فإن حلق المرأة لشعرها لا يجوز إلا بشروط بينها أهل العلم ليس هذا مجالها .

قلت: ارجع إلى أمك فأحسن صحبتها؛ فإن الجنة تحت قدمها[1]

فقال: أما تعرف أمي ؟

قلت: لا

قال: أمي هي صاحبة الوديعة

قلت: أي وديعة ؟

قال: هي صاحبة الشِّكَالُ

قلت: أيُّ شِّكَال ؟

قال: سبحان الله ما أسرع ما نسيت ! أما تذكر المرأة التي أتتك البارحة وأعطتك الكيس والشكال ؟

قلت : بلى.

قال : هي أمي، أمرتني أن أخرج إلى الجهاد، وأقسمت عليَّ أن لا أرجع، وإنها قالت لي: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهَب نفسك لله واطلب مجاورة الله، ومساكنة أبيك وأخوالك في الجنة، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيَّ.. ثم ضمتني إلى صدرها، ورفعت بصرها إلى السماء ، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانةُ قلبي، وثمرةُ فؤادي، سلمته إليك فقربه من أبيه وأخواله..

1- حديث " الجنة تحت أقدام الأمهات " قال عنه الشيخ الألباني في الضعيفة (593): "**الجنة تحت أقدام الأمهات، من شئن أدخلن، ومن شئن أخرجن " هكذا موضوع، ويغني عنه حديث معاوية ابن جاهمة أنه جاء النبي فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال: هل لك أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها؛ فإن الجنة تحت رجليها" رواه النسائي وغيره كالطبراني، وسنده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأقره المنذري.**

وأما لفظ: " الجنة تحت أقدام الأمهات" فهو ضعيف. انظر ضعيف الجامع (2666).

ثم قال: سألتك بالله ألا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، أنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد، فإني حافظ لكتاب الله، عارف بالفروسية والرمي، فلا تحقرَنِّي لصغر سني..

قال أبو قدامة: فلما سمعت ذلك منه أخذته معنا، فوالله ما رأينا أنشط منه، إن ركبنا فهو أسرعنا، وإن نزلنا فهو أنشطنا، وهو في كل أحواله لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى أبداً.

فنزلنا منزلاً..وكنا صائمين وأردنا أن نصنع فطورنا..فأقسم الغلام أن لا يصنع الفطور إلا هو..فأبينا وأبى..فذهب يصنع الفطور..وأبطأ علينا..فإذا أحد أصحابي يقول لي يا أبا قدامة اذهب وانظر ما أمر صاحبك..

فلما ذهبت فإذا الغلام قد أشعل النار بالحطب ووضع من فوقها القدر..ثم غلبه التعب والنوم ووضع رأسه على حجر ثم نام..

فكرهت أن أوقظه من منامه..وكرهت أن أرجع إلى أصحابي خالي اليدين..فقمت بصنع الفطور بنفسي، وكان الغلام على مرأى مني..

فبينما هو نائم لاحظته بدأ يتبسم .. ثم اشتد تبسمه فتعجبت ثم بدأ يضحك ثم اشتد ضحكه ثم استيقظ.. فلما رآني فزع الغلام وقال: ياعمي أبطأت عليكم دعني أصنع الطعام عنك..أنا خادمكم في الجهاد.

فقال أبو قدامة: لا والله لست بصانع لنا شيئاً حتى تخبرني ما رأيت في منامك وجعلك تضحك وتتبسم .

فقال: يا عمي هذه رؤيا رأيتها..

فقلت: أقسمت عليك أن تخبرني بها .

فقال: دعها.. بيني وبين الله تعالى

فقلت: أقسمت عليك أن تخبرني بها

قال: رأيت ياعمي في منامي أني دخلت إلى الجنة فهي بحسنها وجمالها كما أخبر الله في كتابه..فبينما أنا أمشي فيها وأنا بعجب شديد من حسنها وجمالها..إذ رأيت قصراً يتلألأ

أنواراً, لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وإذا شُرفاته من الدرّ والياقوت والجوهر، وأبوابه من ذهب، وإذا ستور مرخية على شرفاته، وإذا بجوارٍ يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار ..فلما رأيت حسنهن أخذت أنظر إليهن وأتعجب من حسنهن فإذا بجارية كأحسن ما أنت راءٍ من الجواري وإذ بها تشير إلي وتحدث صاحبتها وتقول: هذا زوج المرضية هذا زوج المرضية..فقلت لها أنتِ المرضية ؟

فقالت : أنا خادمة من خدم المرضية..تريد المرضية ؟ ادخل إلى القصر..تقدم يرحمك الله فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن الله ثبت علي بصري لذهب وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية ..

فلما رأتني الجارية قالت: مرحباً بولي الله وحبيبه .. أنا لك وأنت لي .. فلما سمعت كلامها اقتربت منها وكدت أن أضع يدي عليها قالت : يا خليلي يا حبيبي أبعد الله عنك الخناء قد بقي لك في الحياة شيء وموعدنا معك غدًا بعد صلاة الظهر.. فتبسمت من ذلك وفرحت منه يا عم.

فقلت له: رأيت خيرًا إن شاء الله.

ثم إننا أكلنا فطورنا ومضينا إلى أصحابنا المرابطين في الثغور ثم حضر عدونا..وصف الجيوش قائدنا..

وبينما أنا أتأمل في الناس..فإذ كل منهم يجمع حوله أقاربه وإخوانه..إلا الغلام..فبحثت عنه فوجدته في مقدمة الصفوف..فذهبت إليه وقلت: يا بني هل أنت خبير بأمور الجهاد؟ قال: لا يا عم هذه والله أول معركة لي مع الكفار.

فقلت: يا بني إن الأمر خلاف ما في بالك، إن الأمر قتال ودماء..فيا بني كن في آخر الجيش فإن انتصرنا فأنت معنا من المنتصرين وإن هُزمنا لم تكن أول القتلى..

فقال متعجبا: أنت تقول لي ذلك؟!

قلت: نعم أنا أقول لك ذلك .

قال: يا عم أتود أن أكون من أهل النار؟

قلت: أعوذ بالله.. لا والله .. والله ما جئنا إلى الجهاد إلا خوفًا منها..

فقال الغلام: فـإن الله تعـالى يقـول: (© ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ´ µ ¶ ¸ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦) (الأنفال 15-16)

هل تريدني أوليهم الأدبار فأكون من أهل النار؟!

فعجبت والله من حرصه وتمسكه بالآيات فقلت له: يا بني إن الآية مخرجها على غير كلامك..فأبى أن يرجع فأخذت بيده أُرجعه إلى آخر الصفوف وأخذ يسحب يده عني فبدأت الحرب وحالت بيني وبينه..

فجالت الأبطال، ورُميت النبال، وجُرِّدت السيوف، وتكسرت الجماجم، وتطايرت الأيدي والأرجل .. واشتد علينا القتال حتى اشتغل كلٌّ بنفسه ،

وقال كل خليل كنت آمله .. لا ألهينك إني عنك مشغول..

حتى دخل وقت صلاة الظهر فهزم الله جل وعلا الصليبين...فلما انتصـرنا جمعـت أصحابي وصلينا الظهر، وبعد ذلك ذهب كل منا يبحث عن أهله وأصحابه..إلا الغلام فليس هنالك من يسأل عنه فذهبت أبحث عنه..فبينما أنا أتفقده وإذا بصوت يقول: أيها الناس ابعثوا إلي عمي أبي قُدامة ابعثوا إلي عمي أبي قدامة.. فالتفت إلى مصدر الصوت فإذا الجسد جسـد

الغلام ..وإذا الرماح قد تسابقت إليه، والخيلُ قد وطئت عليه فمزقت اللحمان، وأدمت اللسان وفرقت الأعضاء، وكسرت العظام .. وإذا هو يتيم مُلقى في الصحراء .

قال أبو قدامة: فأقبلت إليه، وانطرحت بين يديه، وصرخت : ها أنا أبو قدامة .. ها أنا أبو قدامة ..

فقال: الحمد لله الذي أحياني إلى أن أوصي إليك، فاسمع وصيتي. قال أبو قدامة: فبكيت والله على محاسنه وجماله، ورحمةً بأمه التي فجعت عام أول بأبيه وأخواله وتفجع الآن به، أخذت طرف ثوبي أمسح الدم عن وجهه.

فقال: تمسح الدم عن وجهي بثوبك !! بل امسح الدم بثوبي لا بثوبك، فثوبي أحق بالوسخ من ثوبك ..

قال أبو قدامة: فبكيت والله و لم أحر جواباً ..

فقال: يا عم، أقسمت عليك إذا أنا مت أن ترجع إلى الرقة، ثم تبشر أمي بأن الله قد تقبل هديتها إليه، وأن ولدها قد قُتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر، وأن الله إن كتبني في الشهداء فإني سأوصل سلامها إلى أبي وأخوالي في الجنة ، ..

ثم قال: يا عم إني أخاف ألا تصدق أمي كلامك فخذ معك بعض ثيابي التي فيها الدم، فإن أمي إذا رأتها صدقت أني مقتول، وقل لها إن الموعد الجنة إن شاء الله ..

يا عم: إنك إذا أتيت إلى بيتنا ستجد أختاً لي صغيرة عمرها تسع سنوات .. ما دخلتُ المترل إلا استبشرتْ وفرحتْ ، ولا خرجتُ إلا بكتْ وحزنتْ ، وقد فجعت بمقتل أبي عام أول وتفجع بمقتلي اليوم، وإنها قالت لي عندما رأت عليَّ ثياب السفر: يا أخي لا تبطئ علينا وعجل الرجوع إلينا، فإذا رأيتها فطيب صدرها بكلمات ..وقل لها: يقول لك أخوكِ : الله خليفتي عليكِ.. ثم تحامل الغلام على نفسه وقال: يا عمّ صدقت الرؤيا ورب الكعبة ، والله إني لأرى المرضية الآن عند رأسي وأشم ريحها ..ثم انتفض وتصبب عرقه وشهق شهقات، ثم مات.

قال أبو قدامة: فأخذت بعض ثيابه فلما دفناه لم يكن عندي هم أعظم من أن أرجــعَ إلى الرقة وأبلغَ رسالته لأمه ..

فرجعت إلى الرقة وأنا لا أدري ما اسم أمه وأين تسكن..فبينما أنا أمشي وقفت عند مترل تقف على بابه فتاة صغيرة ما يمر أحد من عند باهم وعليه أثر السفر إلا سألته يا عمــي من أين أتيت فيقول: من الجهاد فتقول له: معكم أخي؟..

فيقول: ما أدري مَن أخوك ويمضي..وتكرر ذلك مرارًا مع المارة ويتكرر معها نفــس الرد..فبكت أخيرًا وقالت: ما لي أرى الناس يرجعون وأخي لا يرجع..

فلما رأيت حالها أقبلت عليها..فرأت عليَّ أثر السفر فقالت يا عم من أين أتيت قلت من الجهاد فقالت معكم أخي فقلت أين هي أمك؟

قالت: في الداخل ودخلت تناديها..فلما أتت الأم وسمعت صوتي عرفتني وقالت: يــا أبا قدامة أقبلت معزيًا أم مبشرًا؟

فقلت: كيف أكون معزيًا ومبشرًا؟

فقالت: إن كنت أقبلت تخبرني أن ولدي قُتل في سبيل الله مقبلا غير مــدبر فأنــت تبشرني بأن الله قد قبل هديتي التي أعددها من سبعة عشر عامًا. وإن كنت قد أقبلــت كــي تخبرني أن ابني رجع سالًما معه الغنيمة فإنك تعزيني؛ لأن الله لم يقبل هديتي إليه..

فقلت لها: بل أنا والله مبشر إن ولدك قد قتل مقبلا غير مدبر..فقالت: مــا أظنــك صادقًا وهي تنظر إلى الكيس ثم فتحت الكيس وإذ بالدماء تغطي الملابس ، فقلت لها: أليست هذه ثيابه التي ألبستيه إياها بيدك؟

فقالت: الله ! أكبر وفرحت.. أما الصغيرة شهقت ثم وقعت على الأرض ففزعــت أمها ودخلت تحضر لها ماءً تسكبها على وجهها.. أما أنا فجلست أقرأ القرآن عند رأسها..و والله مازالت تشهق وتنادي باسم أبيها وأخيها..

وما غادرها إلا ميتة..

فأخذها أمها وأدخلتها وأغلقت الباب وسمعتُها تقول: اللهم إني قد قـــدمت زوجـــي وإخواني وولدي في سبيلك اللهم أسألك أن ترضى عني وتجمعني وإياهم في جنتك[1]

سوق الجنة :

إن في الجنة سوقاً فيها ككثبان المسك, يأتونها كل جمعة, فإذا خرجوا إليهـــا هبـــت الريح فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالاً .فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ t أَنَّ رَسُـــولَ اللَّهِ r قَالَ:"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُـــوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْـــنًا وَجَمَالاً" [2]

وروى ابن المبارك عن أنس –رضي الله عنه- أنه قال: يقول أهل الجنة: انطلقـــوا إلى السوق, فينطلقون إلى كثبان المسك, فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا: إنا لنجد لكنّ ريحاً مـــا كانت لكم إذ خرجتم من عندنا"[3]

أول من يدخلون الجنة:

1- انظر زفاف في الجنة لإبراهيم فتحي صـــــ : 55 : 72

2- مسلم (5061).

3- الزهد لابن المبارك .

جاء في شعب الإيمان عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: " أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد، ورجل عفيف فقير وذو عيال، وعبد أحسن عبادة الله وأدى حق مواليه" (1)

غمسة واحدة في الجنة تنسي المؤمن بؤس الدنيا:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَيْ فُلَانُ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلَاءً فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً، فَيُقَالُ لَهُ: أَيْ فُلاَنُ هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أَوْ بَلاَءٌ فَيَقُولُ: مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ وَلاَ بَلاَءٌ " (2)

تزاورُ أهل الجنة فيما بينهم:

إن أهل الجنة يتزاورون فيما بينهم, ويتذاكرون ما كان بينهم في الدنيا ويتحدثون, ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوالٍ كانت لهم في الدنيا, حتى تصل بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائلٌ منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة, ثم يقول لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر إلى مترلته وما صار إليه؟

فيطّلع فإذا بقرينه في وسط الجحيم قال تعالى: (ﭞ ﭟ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﭣ قَالَ

ﭥ مِّنۡهُمۡ ﭧ كَانَ لِي ç è ٱ " # $ % پ ٻ ڀ ٺ * + ,

- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ڦ ڤ ڨ ڨ >

? @ A B C D E F G H I ڇ چ چ ڇ N

1- ضعيف : شعب الإيمان (3334) وأبو نعيم الأصبهاني (77)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (3702) .

2- صحيح : ابن ماجه (4312) وصححه السيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (4321) .

O P Q R S T U V W X Y ﮋ ﮊ) [الصافات:50-61]

النظر إلى وجه الله الكريم:

وهذا هو أعظم نعيم أهل الجنة،كما قال تعالى: (ﭙ * + , - . / 0) [القيامة22، 23]

وقال تعالى: (" # $ %)[يونس:25]

فقد فسر النبي e الحسنى بالجنة ، والزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى (رواه ابن جرير وابن أبي حاتم صريحا من حديث أبي موسى الأشعري وأبي بن كعب ، ورواه ابن جرير من حديث كعب بن عجرة) (أخرج أحاديثهم الطبري في تفسيره للآية الكريمة من سورة يونس) (552-549/6)

وعن صهيب بن سنان t عن النبي e في حديث قال فيه : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [مسلم 181]

وأخرج الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله r تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: (" # $ %) وقَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ. فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟! قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا أَقَرَّ بِأَعْيُنِهِم" (1)

1- صحيح : أحمد (18177) والترمذي (3030) والحديث أصله عند مسلم في كتاب الإيمان .

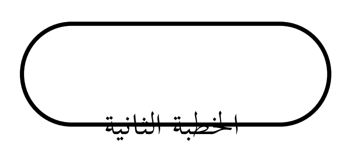
الفقراء يدخلون قبل الأغنياء:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رضي الله عنهما- قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ: « إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا»[1] وفي رواية : «فقراء أمتي »

وعند الترمذي عَنْ أَنَسٍ t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ أَحِبِّي الْمَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2]

قال ابن القيم معلقاً على الحديث:

ولكن هاهنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى مترلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول.[3]


الخطبة الثانية

1- مسلم (5291).

2- صحيح : الترمذي (2275) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3192) وقال : حسن لغيره .

3- حادي الأرواح (240، 241) .

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمـــين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

الطريق إلى الجنة :

اعلم يا عبد الله. أن الجنة لا تُنال بالعمل.. وإنما هي فضل من الله ورحمة قال رسول الله r :"لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة" (1)

وأما قول الله جل وعـــلا: (p q r s t u v w x y z { | }) [السجدة: 17] فإن الباء في قوله (بما كانوا يعملون) سببية. أي بسبب أعمالهم فالله سبحانه جعل أعمالهم سبباً لفضله ورحمته؛ حيث أدخلهم جنته.

ويكون التفاضل في الجنة بالأعمال.

فإذا عرفت -أخي الكريم- أن الجنة هي محض فضل الله ورحمته, وأن رحمته وفضـــله إنما يُنالان بفعل ما يرضاه ويريده .

فبادر إلى خير الأعمال وصالح الأفعال. واحفظ الله, واسلك سبيله القويم يفض عليك من الرحمات ما يدخلك به أعالي الجنات في تلك الغرفات.

فاسلك سبيل المتقيـــن وظن خيراً بالكريـــم
واذكر وقوفك خائفاً والناس في أمر عظيـــم
إما إلى دار الشقـــــا وة أوإلى العز المقيـــم
فاغنم حياتك واجتهد وتب إلى الرب الرحيم

1- مسلم (5043) .

وأما طريق الجنة: فهو كل ما يقربك من الله سبحانه من القربات والطاعات، فقد ذكـــر الله جل وعلا طاعات وعبادات في كتابه العزيز جازى عليها بالجنة من عمل بها مخلصاً فمن ذلك :

(1) الإيمان والعمل الصالح :

فقد ذكر الله سبحانه في سورة العصر أن الإنسان خاسر إلا من آمن وعمل صـــالحاً

فقال سبحانه: (ﭑ " # $ % ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ * + , -

. / 0 1) [العصر 1-3]

وقال ســـبحانه: (ﭑ " # $ % ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ * + ,

. / 0 1 2 3 5 6 7 8 9 ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ < >

@ A B C E F G H) [البقرة: 25] ونظير هذا في القرآن كثير.

وذلك لأن الإيمان يوجب معرفة الله وخشيته ومراقبته وتوقيره ومتابعـــة رســـول الله، والعمل الصالح يوجب فعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه من كبائر الإثم والفواحش.

(2) الصلاة: (1)

قـــــال تعـــــالى: (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ ´ µ ¶ ﮊ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ) [العنكبوت 45] فالصلاة ناهية عن الإثم والمنكر الموجب للحرمان مـــن الجنـــة. وهي الماحية للذنوب والخطايا كما قال رسول الله r :"أرأيتم لو أن نهـــراً ببـــاب أحـــدكم

1- ارجع إلى خطبة الصلاة الصلاة من هذا الكتاب

يغتسل منه كل يوم خمس مرات, هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنـــه شـــيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس, يمحو الله بهن الخطايا" [1]

(3) أداء النوافل:

فهي تقرب إلى الله بعد الفرائض, وتكسبك -أخي الكريم- حلة الولاية لله ســبحانه لأنها موجبة لحبه وحفظه, وهي علامة حبك لله وطاعتك وإخلاصك. قال رسول الله r : "ما من عبد يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة؛ تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة -أو- إلا بنى له بيت في الجنة" [2]

فدونك فاصنع ما تحب فإنما غداً تحصد الزرع الذي أنت زارع

(4) بر الوالدين [3]: قال رسول الله r :"رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنـــف مـــن أدرك أبويه عند الكبر، أو أحدهما، أو كليهما فلم يدخل الجنة" [4]

إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة التي حث عليها القرآن والسنة .

أبيات في وصف الجنة :

اعمل لدار غد رضوان خازنهـــــا والجار أحمد والرحمن ناشيــــها
أنهارها لبن مصفى ومن عســــــل والخمر يجري رحيقا في مجاريها
والطير تجري على الأغصان عاكفة تسبح الله جهرا في مغانيهـــــا
فمن يشتري الفردوس يعمرهـــــا بركعة في ظلام الليل يحييــــــها

وقال آخر :

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفــــــان

1- البخاري (497) ، ومسلم (1071) .
2- مسلم (1235).
3- ارجع إلى خطبة: مأساة العقوق من هذا الكتاب .
4- مسلم (6674) .

دار السـلام ومنزل المأوى   ومنزل عسكرالإيمان والقرآن

وقال آخر:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة   بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن ليس ينالـها   في الألف إلا واحـد لا اثنان
يا سلعة الرحمن ماذا كفؤهـا   إلا أولوا التقوى مـع الإيمان
يا سلعة الرحمن هل من خاطب   فالمهر قبل الموت ذو إمكـان
يا سلعة الرحمن كيف تصبـر   الخطاب عنك وهم ذوو إيمان
تالله لـو شاقتك جنات النعيم   طلبتهـا بنفائـس الأثمـان

الخطبة الثانية: هل رأيت النار ؟!

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره (1) ، ونعوذ بالله مـــن شـــرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

/ . - , + *) (' & % $ # " !)

(? > = < ; : 8 7 6 5 4 3 1 0

[النساء: 11].

(u v w x y z { | } ~ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ

لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١)

[الأحزاب : 70 - 71] (2).

1- زاد بعض الناس– هدانا الله وإياهم طريق الحق والصواب- كلمة: ((ونستهديه)) ولم ترد ضـــمن ألفاظ الحديث.

2- هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي **r** يبدأ بها، ويجوز البدء بغيرها، ولكن هذه الأفضل. وقد صححها الشيخ الألباني في صفة صلاة النبي **r** (13/1)، طبعة: مكتبة المعارف، الرياض.

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ" [1]

إن النار حرها شديد، وقعرها بعيد ومقامع أهلها حديد، يقذف فيها كل جبار عنيد، وهي تنادي هل من مزيد ؟!هل من مزيد ؟!

وقد حذر النبي r أمته من النار فعن عدي بن حاتم t أنه r قال: «لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، لَيس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ" [2]

عمق جهنم :

جاء في سنن الترمذي أنه r قَالَ: «إِنَّ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ لَتُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، وَمَا تُفْضِي إِلَى قَرَارِهَا » [3]

1- صحيح : النسائي (1560): عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ t قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ r يقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ فلا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ" .

والحديث أصله عند مسلم (1435) بلفظ:" أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"

وفي رواية: "مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ".

وهو عند أبي داود(3991) وابن ماجه(44) وأحمد (3815) وغيرهم.

2- البخاري (1324) من حديث عدي بن حاتم t

3- صحيح : الترمذي (2498) ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1612)، ومعنى الشفير: الحافة والجانب، والمقامع: سياط من حديد رووسها معوجة .

قَالَ الترمذي: وَكَانَ عُمَرُ t يَقُولُ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ النَّارِ؛ فَإِنَّ حَرَّهَا شَدِيدٌ، وَإِنَّ قَعْرَهَا بَعِيدٌ، وَإِنَّ مَقَامِعَهَا حَدِيدٌ"

وجاء عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ r إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيّ r :

« تَدْرُونَ مَا هَذَا؟" قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: "هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّار الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» (1)

طعام أهل النار:

قال تعالى: (I J K L M N O P Q R S T U V) [الغاشية:6، 7]

الضريع: نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخباثته.

وقال تعالى: (l m n o p q r s t u v)

[المزمل 13، 14]

عن ابن عباس – رضي الله عنهما- قال في قوله تعـــالى: (q r s) قـــال: شوك يقف في الحلق فلا يدخل ولا يخرج.

قال تعـــالى: (! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >)

[الواقعة52:55] والهيم هي الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها .

وقد وصف الله شجرة الزقوم فقال فيها: (< = > ? @ A B C D E F G H I J) [الدخان43:46]

1- مسلم (5078) ، والوجبة هو صوت سقوط الشيء من مكان عالٍ، والخريف هو العام .

قال القرطبي: وشجرة الزقوم التي خلقها الله في جهنم وسمَّاهـــا الشـــجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجأوا إليها، فأكلوا منها فغليت في بطونهم كما يغلي الماء الحار ، وشبه ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل، وهو النحاس المذاب[1] .

والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم، يذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم قال تعـــالى: (يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾) [الحج:20]

وقال تعالى عنهم: (') (* + ,) [الحاقة:36]

قال ابن عباس: الغِسْلينُ الدم والماء والصديد الذي يسيل مـــن لحـــومهم ، كيف نجمع بين هذه الآيات ؟ حيث بيَّن الله تعالى أن طعامهم الزقوم ، وبيَّن أنـــه الغسلين وبيَّن أنه الحميم ، وبيَّن أنه الضريع.

الجواب: التوفيق بين الأنواع السابقة من أنواع طعام أهل النار:

أن يكون طعامهم جميع ذلك، أو أن العذاب أنواع والمعـــذبين طبقـــات، فمنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة النار، ولكل منـــهم جـــزء مقسوم .

شرابهـــم :

قـــــال تعـــــالى: (y z } | { ~ صَكِدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن © مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ´) [إبراهيم:16،17]

1- القرطبي(60/6) .

قال القرطبي: قيل: هو ما يسيل من أجسام أهل النارمن القيح ومن الـــدم، ومعنى (يتجرعه) أي: يتحساه جُرَعاً لا مرة واحدة؛ لمرارته وحرارته، و(ولا يكـــاد يسيغه) أي يبتلعه، ومعناه: يسيغه بعد إبطاء [1].

ملابسهـــــم:

قال تعـــالى: ({ ~ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ © ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾) [إبراهيم:49،50]

(مقرنين في الأصفاد) أي: مشدودين في الأغلال والقيود.

(سرابيلهم) أي: قمصهم، (من قطران) أي: قطران الإبل، وذلك أبلغ لاشتعال النار فيهم ، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فهي مع نتن رائحته ووحشة لونه.

وقال تعالى: (t u v w x y z { | } ~ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾) [الحج:19]

أسرة أهل النار:

قال تعالى: (u v w x y z { | } ~ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾)

[الأعراف:41]

أي فرش من النار ويلتحفون بألحفة من النار.

وقال تعالى: (X Y Z [\ ] ^ _ `) [الزمر :16]

وقـــال تعـــالى: (S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ `)

[المرسلات:30،31]

1- السابق (5/ 318) .

ومعنى (ذي ثلاث شعب) أي الدخان الذي يرتفع ثمّ يتشعب إلى ثـــلاث شعب وكذلك شأن الدخان العظيم، فهم يأتون ليستظلوا به من شدة النـــار فـــلا يغنيهم بل يزيدهم لهباً .

سلاسل جهنم :

قال تعالى: (إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾) [الإنسان :4]

وقال تعالى: (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾) [الحاقة :32]

غلظ أجسام أهل النار وقبح مناظرهم:

قـــال تعـــالى: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾) [المؤمنون:103،104]

اللفح: هو الإحراق الشديد.

والكلوح: هو أن تتقلص الشفتان، وتتكشف الأسنان؛ لأن النار قد أحرقت الشفتين، كما تشاهد رأس الشاة المذبوحة بعد شويها .

عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ"(1).

أول من يدخلون النار:

1- مسلم (5090)

جاء في شعب الإيمان عن أبي هريرة t أن رسول اللهr قال: "أول ثلاثة يدخلون النار: أمير متسلط، وذو ثروة لا يؤدي حقه، وفقير فخور" (1)

وعن أبي هريرة t عن رسول الله r قال: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ؛ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)) (2)

الجمع بين الحديثين السابقين:

و قد يجمع بين هذا الحديث والذي قبله بأن هؤلاء الثلاثة- في الحديث الأخير- أول من تسعر بهم، وهذا أخص من دخولها؛ فإن تسعيرها يقتضي تلهبها وإيقادها، وهذا قدر زائد على مجرد الدخول، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر

1- ضعيف : شعب الإيمان (334) وأبو نعيم الأصبهاني (77) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (3702) .

2- مسلم (3527) .

العصاة؛ لأن الرياء هو الشرك الأصغر، و الذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره.

تفاوت درجات العذاب:

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ t أَنَّ النَّبِيَّ r قَالَ: " مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ "[1].

غمسة في النار تنسي نعيم الدنيا :

وقال تعالى: (. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9) [الأنبياء:46]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ. فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ" [2]

1- مسلم (5080).

2- مسلم (5021).

بكاء أهل النار وصراخهم:

قال تعالى عنـــهم: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ´
µ ¶ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾) [فاطر:37]

وعند الحاكم أنه r قال: "إن أهل النار ليبكون، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم يعني مكان الدمع" (1)

كلام النار يوم القيامة :

(يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾) [ق:30]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ: "افْتَخَرَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ يَدْخُلُنِي الْجَبَابِرَةُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَالْمُلُوكُ وَالأَشْرَافُ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: أَيْ رَبِّ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَيُلْقَى فِي النَّارِ أَهْلُهَا فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ قَالَ: وَيُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ وَيُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَأْتِيَهَا تَبَارَكَ

1- صحيح : الحاكم (7791) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (1679): صحيح ، وله شاهد عن أنس بن مالك مرفوعا بلفظ: "يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيه السفن لجرت" والحديث بمجموع طرقه حسن .

وَتَعَالَى فَيَضَعَ قَدَمَهُ [1]عَلَيْهَا، فَتُزْوَى فَتَقُولُ: قَدْنِي قَدْنِي، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَيَبْقَى فِيهَا أَهْلُهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَى فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا مَا يَشَاءُ"[2]

أهون أهل النار عذاباً :

عن النُّعْمَانَ " رضي الله عنهما " قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ r يَقُولُ: "إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ " [3]

عظم جهنم :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا "[4]

بعض صور العذاب المعنوي التي يتعرض لها أهل النار:

وهذه كثيرة جداً منها:

1- أَنهم يلعن بعضهم بعضاً ويسبُّ بعضهم بعضاً: (/ 0 1 2 3)

2- ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون : (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ)

1- اعلم أخي في الله أن من عقيدة أهل السنة إثبات صفة القَدَمِ لله تعالى، كما نثبت غيرها من الصفات كاليد والوجه والسمع والبصر، وغير ذلك على الوجه اللائق به سبحانه، وارجع إلى خطبة تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب.

2- البخاري (6895) ومسلم (5084) وأحمد واللفظ له (7393) .

3- البخاري (6076) ومسلم (313) .

4- مسلم (5076) وعبد الله هنا هو ابن مسعود .

3- أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم من أهل الإيمان في الجنة فيقولـــون:

0 / . - , + *) (' & %$#" !)

[ص:62،63]) 2 1

وغير ذلك من صور العذاب المعنوي كطلبهم المـــوت ولا يُمكنـــون منـــه وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ورؤيتهم أهل الجنة وغير ذلك .

فاللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تباعد بيننا وبين النار كما باعدت بين المشرق والمغرب آمين آمين آمين .

أبواب جهنم :

لجهنم سبعة أبواب كما قـــال تعـــالى: (v w x y z }

| { ~ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾)

[الحجر:43، 44]

كل باب منها أسفل من الآخر،وقيل: الأبواب هي الأطباق طبق فوق طبق كما قال القرطبي [(1)]

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات الجنة تذهب علوا و درجـــات النار تذهب سفولا. [(2)]

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عكرمة في قوله تعالى: ({ | }) قال: لها سبعة أطباق. [(3)]

1- تفسير القرطبي (5/ 391) .

2- التخويف من النار لابن رجب الحنبلي صـــ 59 .

3- السابق.

و عن قتادة: (~ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾) قال: هي و الله منـــازل بأعمالهم[1].

وعن يزيد بن أبي مالك الهمذاني قال: لجهنم سبعة نيران تأتلق، ليس منـــها نار إلا وهي تنتظر إلى التي تحتها؛ مخافة أن تأكلها. [2]

و عن ابن جريج في قوله: (} | {) قال: أولها جهنم ثم لظـــى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية و فيها أبو جهل. [3]

و قد وصف الله أبوابها بأنها مغلقة على أهلها فقال: (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾) [4]

قال مجاهد: هي بلغة قريش: أصَد الباب أغلقه يعني قوله (مُّؤْصَدَةٌ) [5]

وقال مقاتل: يعني أبوابها مطبقة عليهم، فلا يفتح لها باب، و لا يخرج منها غم، و لا يدخل فيها روح آخر الأبد. [6]

وصدق من قال :

النار موعد أهل الكفر كلهـــــم   طباقها سبعة مسودة الحفـــــر
جهنم ولظى من بعدها حطمـــــة   ثم السعير وكل الهول في سقـــر
لها إذا ما غلت فور يقلبهـــــــم   ما بين مرتفع منها ومنحـــــدر

1- السابق.
2- السابق .
3- السابق.
4- التخويف من النار صـــ 60 .
5- السابق.
6- السابق.

سوداء مظلمة شعثاء موحشـــــة   دهماء محرقة لواحة البشـــــــر
فيها غلاظ شداد من ملائكـــــة   قلوبهم شدة أقسى من الحجـــر
يا ويلهم تحرق النيران أعظمهـــم   بالموت شهوتهم من شدة الضجر
ضجوا وصاحوا زماناً ليس ينفعهم   دعاء داع ولا تسليم مصطبـــر
وكل يوم لهـــم في طول مدتهـــم   نزع شديد من التعذيب والسعر

شدة حرها وزمهريرها:

قال تعالى: (Q R S T U W X Y Z) [التوبة:81]

قال ابن مسعود t : الزمهرير لون من العذاب، وقال عكرمة: البردالشديد.

و عن أبي هريرة t قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَــى رَبِّهَــا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَــسٍ فِــي الصَّيْفِ، فَهْوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ" (1)

وعَنْ أَبِي هريرة t أَنَّ النَّبِيَّ r قَالَ: "نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُــزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ". قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا" (2)

تغيظها و زفيرها:

قال الله تعالى: (إِنَّ ´ µ ¶ ¸ ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ! "
% & ' ( ) * +) (الأنبياء 101-102)

1- البخاري (3020) ومسلم (977) .

2- مسلم (5077) .

وقال تعـــالى: (وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ! " # $ % & ') (*) (الفرقان)

وقال تعـــالى: (f g h i j l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾) (الملك)

والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة، كصوت الحمار.

قال الربيع بن أنس: الشهيق في الصدر. وقال مجاهد في قوله [u v] قال: تغلي بهم كما يغلي القدر.

وقال ابن عباس: تميز : تفرق.

وعنه قال: يكاد يفارق بعضها بعضا وتتفطر.

وعن الضحاك تميز: تفطر .

وقال ابن زيد : التميز : التفرق من شدة الغيظ على أهل معاصي الله عز وجـــل؛ غضبا له عز وجل و انتقاما له [1]

و من عذاب أهل النار: سحبهم على وجوههم.

و من أنواع عذابهم سحبهم في النار على وجوههم قال الله تعالى: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾) (القمر 47-48)

و قال تعالى O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e f g h i

1- التخويف من النارصــ 105، 106، طبعة: دار البيان بدمشق.

x w v u t s r q p o n m l k j

73-69 غافر: N { z y

قال قتادة: يسجرون في النار مرة، و في الحميم مرة.

و قال تعالى: (P O N M L K J I H G F E)

(الأحزاب 66) (1)

عقاب العالم الذي لا يعمل بعلمه(2) :

عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قِيلَ لأسَامَةَ: لَوْ أَتَيْتَ فُلانًا فَكَلَّمْتَهُ. قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لا أُكَلِّمُهُ إِلا أُسْمِعُكُمْ إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا؛ لا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ

1- السابق .

2- قال العلامة ابن كثيرعند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة (t u v w x y z { | } ~ ﴿٤٤﴾): وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له؛ فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم، ولكن الواجب الأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام:] قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن ´ µ ¶ ¸ حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ Z [هود: 88]. فَكُلٌّ من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف.

قال العلامة السعدي في تفسيره لهذه الآية (أتأمرون الناس ....): وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة. (تفسير السعدي ، ص: 29 ، المكتبة التوفيقية) .

وَلا أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ r . قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ:" يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)) [1]

قال الله تعالى: (وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن © مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ´) (إبراهيم 17)

قال إبراهيم التيمي: يأتيه من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره، للآلام التي في كل مكان من جسده.

وقال الضحاك: إنه ليأتيه الموت من كل ناحية ومكان حتى من إبهام رجليه.

وقال الأخفش: يعني البلايا التي تصيب الكافر في النار سماها موتا، وهي من أعظم الموت.

قال الضحاك: لا يموت فيستريح.

وقيل: يخلق الله في جسده آلاما كل واحد منها كألم الموت.

وقيل: [وما هو بميت] لتطاول شدائد الموت به، وامتداد سكراته عليه، ليكون ذلك زيادة في عذابه. [2]

قال الأوزاعي عن بلال بن سعد: تنادي النار يوم القيامة: يا نار أحرقي يا نار اكتفي يا نار انضجي كلي و لا تقتلي! [1]

---

1 _ البخاري (3027) .

2- كل هذه الآثار من أول قال إبراهيم، من تفسير القرطبي (9/ 352) .

فيما يتحف به أهل النار عند دخولهم إليها ـــ أجارنا الله منها:

قال الله عز و جل: (! " # $ % & ' ( ) * + , - .
/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >)

(الواقعة 51-56).

والنزل: هو ما يُعَدُّ للضيف عند قدومه .

فدلت هذه الآيات على أن أهل النار يتحفون عند دخولها بالأكل من شجرة الزقـــوم و الشرب من الحميم، و هم إنما يساقون إلى جهنم عطاشا كما قال تعالى : (n o p q r s) (مريم 86)

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن أهل النار يبعثون عطاشا، ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشا ثم قرأ: (n o p q r s)

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: متقطعة أعناقهم عطشا.

و قال مطر الوراق: عطاشا ظماء.

وجاء عن النبي r في حديث الشفاعة الطويل أنه يقال لليهود و النصارى: " ماذا تبغون؟" فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا! فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب، يحطم بعضها بعضا، يتساقطون في النار "[2]

وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة و لم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت

1- التخويف من النار ، صـــ 102 .

2- مسلم (472) .

أجوافهم جوعا، ثم انصرف بهم إلى النار، فيسقون من عين آنية قد آن حرها و اشتد نضجها؟

وروى ابن المبارك بإسناده عن كعب قال: إن الله ينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان فيقول: خذوه فيأخذه مائة ألف ملك أو يزيدون فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضبا لغضب الله؛ فيسحبونه على وجهه إلى النار قال: فالنار أشد عليه غضبا من غضبهم سبعين ضعفا قال: فيستغيث بشربة فيسقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه، ثم يركس في النار أو يدكس في النار، فويل له من النار ! !

قال ابن المبارك: حدثت عن بعض أهل المدينة أنه يتفتت في أيديهم إذا أخذوه فيقول: ألا ترحموني فيقولون: كيف نرحمك و لم يرحمك أرحم الراحمين ؟! [1]

غمسة واحد في جهنم تنسي كل نعيم الدنيا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ " [2]

1- التخويف من النار صـــ 102.

2- مسلم (5021) .

أهل النار لا يزالون في رجاء حتى يذبح الموت:

عَنْ أَبي سَعِيدٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه r : "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّـةِ الْجَنَّـةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يُجَاءُ بِالْمَوْتِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَـوْتُ. قَالَ: فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ا قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ. قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لا مَوْتَ وَيَـا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لا مَوْتَ. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّـهِ r : (! " # $ % & ') (* + , -) "[1]

في ضرب الصراط على متن جهنم ـ و هو جسر جهنم و مرور الموحدين عليه :

عن أبي هريرة t أن رسول الله r ذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه:

((فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُـلِ بِأُمَّتِهِ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَـالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُـدُ اللَّـهَ، فَيُخْرِجُـونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ)) [2]

معاني الحديث:

1- مسلم(5087) ، أحمد (10644) .

2- البخاري (764) ، مسلم (267) .

كلاليب: جمع كلوب، وهو الحديدة المعوجة الرأس، ينزع بها اللحم من القدر.

شوك السعدان: شوك حاد.

حميل السيل: ما يحمله السيل من طين ونحوه .

يوبق: يهلك ويسقط .

يخردل: يجرح ويقطع من لحمه .

إذا وقف العبد بين يدي الله تستقبله النار:

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)) (1)

وجوب الاستعاذة من عذاب جهنم :

وذلك لما رواه الترمذي وغيره عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ" (2)

وأخيراً :

هل من مدَّكر ؟!

هل من متعظ؟!

هل .....

الخطبة الثانية

1 _ البخاري (6958) ، مسلم (1688) .

2 _ صحيح : الترمذي (3528) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(943) .

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأخي الحبيب:

تصور لو قيل لأحد من الناس: نتوجك ملكاً عشرين سنة تنعم بما يحلو وتتمتع بما لذ وطاب، ثم بعد تمام العشرين سنة نسلب منك هذا الملك، ولا نبقي لك درهماً واحداً، ونسجنك مقيداً لوحدك في غرفة مظلمة لا تستطيع فيها الجلوس ولا النوم، ونقدم لك طعاماً وشراباً الجوع والعطش خير منهما، ونجلدك بالسوط كل يوم ألف مرة، وذلك باقِي عمرك حتى الممات.

هل تتصور بأن هناك عاقلاً سوف يرضى هذا المصير؟!

فوالله من أول يوم سوف ينسى ما مر به من النعيم.

فما بال بعض الناس في هذه الدنيا يعيشون حياة كدر وهم، ومع ذلك يؤثرون حياة الكدر والمشقة على النعيم المقيم ؟!!

هل تعلم أخي الحبيب:

لماذا لا تكون السعادة بمعصية الله ؟

لماذا لا يسعد الإنسان بأغنية ومشاهدة حرام أو بأكل حرام ؟

لماذا تلوم الإنسانَ نفسُه وتوبخه ويشعر بالضجر ؟

ذلك؛ لأن الله قال: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾) (طه 124) وفي المقابل يعيش المؤمن الحق حياة نعيم في الدنيا والآخرة قال تعالى: (Y Z [\ ] ^ _ ` a b
c d f g h i j k l) (النحل 97)

قال المفسرون: حياة طيبة في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة .

الخطبة الثالثة: الابتلاء سنة الله في خلقه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

! 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

[النساء:1] (? > = < ; : ! 8 7 6 5 4 3

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَـــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إلى من ابتلاهم الله بالشدائد والكروب، إلى من أراد الله تمحيصهم بالأسقام والعيوب، فذاك مريض فقد صحته، وآخر حار في معرفة سقمه وفهم علته، وثالث خارت قواه وزالت بشاشته، وهم مع ذلك ذاكرون شاكرون وصابرون محتسبون.

فكم من نعمة لو أعطيها العبد كانت داءه، وكم من محروم من نعمـــة حرمانــه شفاؤه؛ قال تعالى: ( ) (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 / 8 9 : ; < =) (البقرة 216)

إخوة الإيمـان :

البلاء لغة: قال صاحب اللسان: بَلَوْتُ الرجلَ بَلْواً وبَلاءً وابْتَلَيْته: اخْتَبَرْته وبَـــلاهُ يَبْلُوه بَلْواً إذا جَرَّبَه واخْتَبَره.

والبَلاء: الإنعام قال الله تعالى: (وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَـٰتِ مَا © بَلَـٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾) أَي: إنعام بَيِّن (1)

وحديثنا عن المعنى الأول للبلاء، وهوالاختبار والامتحان.

فوائد البلاء:

إن للبلاء فوائد كثيرة:

(1) منها أنه جعل لتمييز الصف المسلم من الدخلاء والمنافقين:

كما قال تعالى: (حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ) [آل عمران: 179]

وقال تعـــالى: (0 1 2 3 4 5 6 7 8) [محمـد: 26]

قال ابن عباس: (حتى نعلم) أي: حتى نميز.

1- لسان العرب مادة (بلا) طبعة: صادر، بيروت.

(2) ومنها أن البلاء للعباد لرفع درجاهم وتكفير سيئاهم:

كما في صحيح البخاري أنه r قال:«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْـــهُ» [1] أي يبتليه بالمصائب والمحن والشدائد والفتن ؛ ليرفع درجاته ويكفر من سيئاته على ما يكون منه من الصبر والاحتساب.

وعن أبي سعيد الخدري t قَالَ: رسول الله r : «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِـــنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » [2]

وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: "مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْـــزِفِينَ؟ قَالَتِ: الْحُمَّى لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. فَقَالَ: "لا تَسُبِّي الْحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ »[3]

فلعل لك عند الله مترلة لا تبلغها بعملك، فما يزال الله تعالى يبتليك بحكمته حتى تبلغ تلك المترلة .

(3) وقد يكون البلاء دليلا على محبة الله للعبد:

فعن أنس t أن النبي r قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّـــهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[4]

1- البخاري (5213) .

2- البخاري (5210) ومسلم (4667) .

3- مسلم (4672)، ومعنى تزفزفين: تتحركين حركة شديدة أي ترعدين.

4- صحيح: الترمذي(2320) وابن ماجه (4021) ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (146).

وقال r : "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا[1]، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2]

وعن سعد بن أبي وقاص t قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: "الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ " [3]

(4) البلاء سبب لدخول الجنة:

قال تعـــالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ © يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ ´ ¸ ¶ µ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾) [البقرة :214]

وقال تعـــالى: (0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S)

[البقرة:155، 156]

1- وليس معنى ذلك أن الإنسان يتمنى البلاء بل لقد نهى النبي r الرجل الذي كان يقول: اللهـم إن كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال النبي r : "سُـبْحَانَ اللَّـهِ لا تُطِيقُـهُ أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ! أَفَلا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " انظر الحديث عند مسلم (485).

2- صحيح : الترمذي(2319)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (143) .

3- صحيح : الترمذي (2322) وابن ماجه في (4013)، وصححه الشيخ الألبـاني فـي الصـحيحة (143).

الله أكبر ......أي فضل بعد صلوات الرب ورحمته وهداه.

ومعنى صلاة الله على العبد: أي الثناء الحسن عليه والغفران، كما قال أبو العالية : صلاة الله على العبد : ثناؤه عليه في الملأ الأعلى .

وعن عَطَاء بْن أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ r فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: "إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ" فَقَالَتْ: أَصْبِرُ فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ! فَدَعَا لَهَا"[1]

وعن أنس t قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ r يَقُولُ:"إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ" [2] والحبيبتان: هما العينان.

وورد عنه r أنه قال: "إذا مات ولد الرجل يقول الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم . فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم . فيقول: فماذا قال عبدي ؟ قال: حمدك و استرجع . فيقول : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة و سموه بيت الحمد" [3].

(5) تحقيق العبودية لله رب العالمين:

فإن كثيراً من الناس عبدٌ لهواه وليس عبداً لله، يعلن أنه عبد لله، ولكن إذا ابتلي نكص على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين, قال تعالى:

1- البخاري (5220) ، ومسلم (4672).

2- البخاري (5221).

3- صحيح : حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1408).

x w v u t r q p o n l k j i h g f)

y z { | ~ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾) (الحج/11).

(6) الابتلاء إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض:

قيل للإمام الشافعي رحمه الله: أَيّهما أَفضل: الصَّبر أو المِحنة أو الـتَّمكين ؟ فقال: التَّمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التَّمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صـبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السـلام ثم مكنـه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عـز وجل: (وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا ´ µ ¶)، وأيوب عليه السلام بعد المحنـة العظيمـة مكنه قال الله تعالى: (C D E F G H I) (الأنبياء) [1]

(7) الابتلاء فرصة للتفكير في العيوب:

عيوب النفس وأخطاء المرحلة الماضية؛ لأنه إن كان عقوبة فأين الخطأ؟

(8) البلاء درسٌ من دروس التوحيد والإيمان والتوكل:

يطلعك عمليّاً على حقيقة نفسك؛ لتعلم أنك عبد ضعيف، لا حول لك ولا قوة إلا بربك، فتتوكل عليه حق التوكل، وتلجأ إليه حق اللجوء، حينـها يسـقط الجاه والخيلاء، والعجب والغرور ، وتفهم أنك مسكين يلوذ بمولاه، وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه.

1- إحياء علوم الدين (53/1).

قال ابن القيم:

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتـــوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حالـــه، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه: أهَّله لأشرف مراتـــب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه. انتهى [(1)].

(9) الابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله:

قال ابن حجر: قَوْله : (u v x y z) رَوَى يُونُس بْـــن بُكَيْر فِي زِيَادَات الْمَغَازِي عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس قَالَ: قَالَ رَجُل يَوْم حُنَيْنٍ: لَنْ نُغْلَب الْيَوْم مِنْ قِلَّة, فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيّ r فَكَانَتْ الْهَزِيمَة .." [(2)]

قلت: أي الهزيمة في أول الأمر.

قال ابن القيم:

واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوة شوكتهم؛ ليضع رؤوسا رفعت بالفتح و لم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعا رأسه منحنيا على فرسه؛ حتى إن ذقنه تكـــاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته"[(3)] .

(10) إظهار حقائق الناس ومعادنهم:

فهناك ناس لا يعرف فضلهم إلا في المحن.

1- زاد المعاد (4 / 195).

2- فتح الباري (8/ 27)، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب، دار الفكر .

3- زاد المعاد (3/ 477) .

قال الفضيل بن عياض: الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه[1].

ورَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي "الدَّلائِل" عَنْ أَبِي سَلَمَة قَالَ: اُفْتُتِنَ نَاس كَثِير - يَعْنِي عَقِب الإِسْرَاء - فَجَاءَ نَاس إِلَى أَبِي بَكْر فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: أَشْهَد أَنَّهُ صَادِق . فَقَالُوا: وَتُصَدِّقهُ بِأَنَّهُ أَتَى الشَّام فِي لَيْلَة وَاحِدَة ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّة ؟ قَالَ: نَعَمْ, إِنِّي أُصَدِّقهُ بِأَبْعَد مِنْ ذَلِكَ, أُصَدِّقهُ بِخَبَرِ السَّمَاء, قَالَ: فَسُمِّيَ بِذَلِكَ الصِّدِّيق [2].

(11) الابتلاء يربي الرجال ويعدهم:

لقد اختار الله لنبيه r العيش الشديد الذي تتخلله الشدائد منذ صغره؛ ليعده للمهمة العظمى التي تنتظره، والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلا أشداء الرجال، الذين عركتهم الشدائد فصمدوا لها، وابتلوا بالمصائب فصبروا عليها.

نشأ النبي r يتيماً ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى ماتت أمه أيضاً.

والله سبحانه وتعالى يُذكّر النبي r بهذا فيقول (Y Z [\ ]) .

فكأن الله تعالى أرد إعداد النبي r على تحمل المسئولية ومعاناة الشدائد من صغره.

(12) ومن حكم هذه الابتلاءات والشدائد: أن الإنسان يميز بين الأصدقاء الحقيقيين وأصدقاء المصلحة:

كما قال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير وإن كانت تغصصني بريقي
وما شكري لها إلا لأني عرفت بها عدوي من صديقي

1- موسوعة فقه الابتلاء لـ : علي بن نايف .

2- صحيح : صححه الشيخ الألباني في الصحيحه(306) .

(13) الابتلاء يذكرك بذنوبك لتتوب منها:

والله عز وجل يقـــول: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ à سَيِّئَةٍ â نَّفْسِكَ﴾ (النســاء:79)، ويقـــول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الشورى:30).

فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر يوم القيامة؛ فإنَّ الله تعالى يقول:

(*) (' & % $ # " !)

[السجدة/21]

والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها، وما يصيب الإنسان من سوء وشر.

وإذا استمرت الحياة هانئة، فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكبر ، ويظن نفسه مستغنياً عن الله، فمن رحمته سبحانه أن يبتلي الإنسان حتى يعود إليه.

(14) الابتلاء يكشف لك حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور:

وأن الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا، في حياة لا مرض فيها ولا تعب قال تعـــالى: (! " # $ % & ') * + , - . / 0 1 2) (العنكبوت:64)، والحيوان جمع حياة؛ لأن حياة تجمـــع علـــى حيوات وعلى حيوان، ومعناها الحياة الحقيقية، أما هذه الدنيا فنكد وتعب وهـــمٌّ ، قال تعالى : (P Q R S T U) (البلد:4) .

15- الابتلاء يذكرك بفضل نعمة الله عليك بالصحة والعافية:

فإنَّ هذه المصيبة تشرح لك بأبلغ بيان معنى الصحة والعافية الـــتي كنـــت تمتعت بهما سنين طويلة، و لم تتذوق حلاوتهما، و لم تقدِّرهما حق قدرهما.

وقد ورد عن النبي r أنه قال: "لم يؤت بعد اليقين خير من المعافاة" [1]

المصائب تذكرك بالمنعِم والنعم، فتكون سبباً في شكر الله سبحانه على نعمته وحمده وصدق من قال:

إذا كنت في نعمة فارعها فــإن المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد فــرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت فظلم العباد شديد الوخم

16 - الشوق إلى الجنة:

لن تشتاق إلى الجنة إلا إذا ذقت مرارة الدنيا, فكيف تشتاق للجنة وأنت هانئ في الدنيا؟

فهذه بعض الحكم والمصالح المترتبة على حصول الابتلاء وحكمة الله تعــالى أعظم وأجل.

البلاء لا ينجو منه أحد حتى الأنبياء:

فالابتلاء ليس قاصراً على أحدٍ بعينه من الناس، ولا ينجو منه برٌ ولا فاجرٌ، وإن تباينت الصور وتفاوتت المراتب على حسب الناس، قال تعالى: (t s u v w x y z { | }) [العنكبوت:2]

فلو نجى أحد من البلاء لنجى منه الأنبياء والمرسلون، ومن تــابعهم مــن الأولياء والصالحين. فالأنبياء جميعا اَبتلوا، فمنهم من ابتُلي بالمرض،ومنهم مــن ابتُلــي بالأذى من قومه.

1- صحيح : صحه الشيخ الألباني في الأدب المفرد (724) .

إذا كان البلاء يزيد المؤمن إيماناً فلماذا يبتلى الكفار؟

ما يصيب الإنسان من مصائب وأحزان قد يكون عقوبة من الله له بسبب سوء عمله قال تعالى: (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾) [سورة الشورى : آية 30]

فمثلاً ظهور الإيدز في أوربا بسبب الزنا، فهذا بسبب سوء صنيعهم، وأمثال ذلك كثير،

أما إذا إذا علم من هذا الشخص المبتلى أنه ذو صلاح وتقى فهذا ابتلاء من الله له لتمحيصه وزيادة حسناته.

نماذج في الصبر على البلاء:

(1) قصة نبي الله أيوب عليه السلام مع المرض:

قال تعالى: (/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :

; < = >?@ A C D E F G H I

J K L) [الأنبياء 83:84]

وقد قص علينا رسول الله r طرفا من صبره فقال:"إن نبي الله أيوب u لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه: وما ذاك ؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما؛ كراهية أن يذكر الله إلا في حق

قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحي إلى أيـــوب أن (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ à مُغۡتَسَلُۢ â وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾) فاستبطأته فتلقته تنظر وقد أقبل عليها، قد أذهب الله ما به من البلاء وهـــو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك ! هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحا ! فقال: فإني أنا هو، وكان له أندران [1] (أي بيدران): أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلمـــا كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخــرى في أندر الشعير الورق حتى فاض" [2].

وقد كثرت الأقوال في الضر الذي أصاب أيوب عليه السلام، حتى ذكـــر القرطبي في تفسيره ستة عشر قولا. [3]

ومن قصة أيوب عليه السلام نتعلم أنه إذا أصاب العبد مصيبة، وطلب مـــن الله كشفها فهذا لا ينافي الصبر، قال بعض السلف: سبحان من ابتلى عباده بالبلاء؛

1- معني الأندر: البيدر بلغة أهل الشام، وهو المكان الذي يُداس فيه الطعام.

2- صحيح : ابن حبان (2898)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة(17).

3- تفسير القرطبي (6/ 290-293) ط: دار الحديث.

قال الشيخ محمد حجازي في التفسير الواضح:

وذلك لأن الناس يوردون في مرض أيوب أقوالا تدل على أنه كان مرضا منفرا للنـــاس، وهـــذا يتنافى مع منصب النبوة؛ إذ الأنبياء منزهون عن الأمراض المنفرة، وهم في هذا يعتمدون علـــى ما جاء عند أهل الكتاب في السفر المسمى بسفر أيوب، وقد اختلف في واضع هذا السفر هل هم اليهود أو غيرهم ؟ ...ولو صح هذا الكلام فيكون الابتلاء بهذا الشكل إنما كان قبل النبوة .

ثم قال : أما القول الحق فهو أن أيوب عبد صالح امتحنه الله في ماله وأهله وولده وبدنه ثم منّ الله عليه بالعافية، وأعطاه أكثر مما فقد، وأثنى عليه ثناء جميلا في القرآن وجعله نبيا ولم يكن عنـــده المرض المنفر انظر في ذلك التفسير الواضح للشيخ: محمد محمود حجازي(28/2) باختصـــار وتصرف

ليسمع منهم الدعاء قال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾) [الأعراف:94]

وإنما ينافي الصبرَ شكوى الله للعباد، وإظهار الجزع والتأفف من قضاء الله عز وجل.

وبهذا يتبين مدى خطأ وضلال قول القائلين: سؤالك الله ، اتهام لله تعالى الله عما يقولوه الجاهلون علوا كبيرا.

(2) نبي الله يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام:

لقد امتحن الله يعقوب بفقد ابنه يوسف عليهما السلام وهو أحب أبنائه إليه، وكان فراقه بعد مؤامرة مدبرة له، وهي مؤامرة من قبل القربى وهذا مما يزيد من هولها وصعوبتها على نفس يعقوب عليه السلام، وفي ذلك يقول المتنبي:

وجرح ذوي القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

وصبر يعقوب عليه السلام صبر الآمل الراجي فضل الله، حتى رد الله عليه ولده بعد طول غياب.

وها هو يوسف ولده يُلقى في الجب، وتراوده امرأة العزيز ذات المنصب والجمال في غيبة عن أعين الناس جميعا إلا عين علام الغيوب فقال: (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)، ثم يبتلى عليه السلام بالعز والتمكين بعد الضيق والشدة، وقد يكون الابتلاء بالخير أشد من الابتلاء بالشر.

(3) قصة نبي الله نوح عليه السلام مع البلاء:

لقد مكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين سنة، فلم يجد منهم إلا الاستكبار والعناد، ومع ذلك يمضي نوح عليه السلام عبر هذه السنوات المتواليه والأجيال المتلاحقة دون كلل أو ملل، وكلما أعرضوا بدل وغيّر في أسلوب الدعوة.

ولم يكن بلاء نوح عليه السلام قاصرا على قومه فقط، بل تعداه إلى أهل بيته، وهذا من أعظم الشدائد والمحن التي يبتلى بها الأنبياء.

فقد عصاه ولده وزوجته قال تعالى : (_ ` a b c d
e f g i j k l m n o p q r
s t u v w x y z {) [التحريم :10]

والخيانة المذكورة في الآية هي خيانة الدين والعقيدة؛ حيث إن هاتين المرأتين المذكورتين في الآية كانتا على دين قومهما ولم تسلما، وليس المقصود خيانة الفراش؛ لأنه لا توجد امراة نبي قط خائنة في الفراش.

(4) نبي الله إبراهيم عليه السلام مع البلاء:

وكما أن نوحا عليه السلام ابتُلي بكفر ولده وزوجه ، فقد ابتلي إبراهيم عليه السلام بكفر أبيه أزر فقال له: (v w x y z { | } ~تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾) [مريم :46]

وابتلي عليه السلام بإلقائه في النار فما جذع ولا لجأ إلا إلى الله فقال: "حسبي الله ونعم الوكيل"[1] فكانت النار عليه كما أراد الله وليس كما أراد أعداء الله

1- البخاري (4198).

وابتلي عليه السلام كذلك بالهجرة وترك البلاد، وتركه ولده وزوجه في واد لا زرع فيه ولا ماء.[1]

(5) موسى عليه السلام مع البلاء:

وقد أرسله الله ليواجه طاغوت فرعون وجبروت هامان وكبرياء قارون.

فما أن بلّغ موسى رسالة ربه حتى طفق فرعون يهدده ويتوعـــده تـــارة بالقتـــل:

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0

1 2 3 4) [غافر:26]، وتـــارة بالســـــجن: (m n o p q

r s t u) [الشعراء:29]

ومع كل ذلك يصبر موسى عليه السلام ويوجه قومه إلى معين الصبر (x

y z { | } إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ

© لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾) [الأعراف: 128]

حتى تحقق نصر موسى ومن معه [2]،وغرق جند الباطل.

1- وانظر تفصيل ذلك في خطبة تأملات في الحج وقصة الذبيح من نفس الكتاب .

2- وهذا دائما مصير كل داع أخلص لله في دعوته، يكتب الله له النصر والتمكين، حتى لو لـــم يـــر ثمرة دعوته.

(6) روح الله [1]عيسى عليه السلام مع البلاء:

وقد بعثه الله إلى بني إسرائيل فلم يجد من أحبارهم إلا التكذيب والعصـــيان والمؤامرات التي كانت ثمرتها أنهم قرروا قتله وصلبه، ولكن الله أحبط سعيهم وخيب ظنهم قال تعالى: (@ A B C D E F G H I J K L M N O Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e) [النساء 156:158]

1- قولـــه تعـــالى:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ^ Z [النساء171] المقصود بقوله تعالى (كلمته) أي: كن فيكون، وقوله تعالى(وروح منه) لا يفهم منه أن عيسى ابن الله كما زعم النصارى، والرد عليهم أن حرف الجر (من) يستعمل في الابتداء كما في قوله تعـــالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + Z أي ابتـــداء الرحلة كان من المسجد الحرام، كما قال ابن مالك في ألفيته:

بيِّن وبعض وابتدِ في الأمكنة   بمن وقد تأتي لبدء الأزمنة .

وأنا أقول لشخص ما: أنا أعطيتك المال مني أي من مالي الخاص فهل هذا المـــال جـــزء مـــن الشخص؟ لا إنما بداية الإعطاء كانت منه، كذلك الحال هنا، فبداية خلق هذه الروح من الله فهـــي روح عادية كبقية الأرواح:

أعباد المسيـــح لنـــا ســـؤال   نريـــد جوابـــه ممـــن وعـــاه
إذا مات الإله بصنـــع قـــوم   أماتـــــوه فهـــل هـــذا إلــــه
فيا عجباً لقبر ضـــــم ربـــا   وأعجـــب منـــه بطن قد حواه
أقام هناك تسعـــــا من شهور   لدى الظلمات من حيض غذاه
وشـــق الفـــــرج مولـــــودا   صغيـــرا فاتحـــا للثـــدي فـــاه
فيأكـــل ثم يشرب ثم يأتـــــي   بـــلازم ذاك فهـــل هـــذا إلاه
تعالـــى الله عن إفك النصارى   سيســـأل جمعهـــم عمَّا افتراه

(7)خاتم الأنبياء وسيد المرسلين مع البلاء:

لقد وضع الله هذه النماذج أمام المصطفى r ؛ لكي تكون زاداً له لتحمل أعباء الدعوة العالمية، فقال له في سورة هود بعد أن قص عليه قصص السابقين من الأنبياء وما لاقوه من أذى قومهم: (? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q) [هود :120]

وقال له الله أيضا: (فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ) [الأحقاف:35]

وقد تعرض كغيره من الأنبياء للأذى، ويتمثل أذاه r فيما يلي:

(أ) أذى كفار قريش له:

فمن ذلك أن عقبة بن أبي معيط – عليه لعنة الله ــ خنقه بطرف ردائه، وألقى على ظهره الشريف سلى الجزور وهو ساجد r أمام الكعبة ، وكذلك قولهم عليه مرة أنه ساحر، ومرة كاهن ، ومرة شاعر.

ولما استقر r في المدينة لم ينقطع أذاهم له، ففي غزوة أحد كما في صحيح مسلم من حديث أنس" جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ r وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ r تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، لَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ"(1)

1- مسلم (3345) ، والبيضة:الخوذة أو ما يغطي به المحارب رأسه، والمجن: الدرع الواقي للمقاتل، والرباعية: السن بين مقدم الأسنان والناب.

وعن ابن مسعود t : "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ r يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ:"رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" [1]

نعم صدق من سماه الرؤوف الرحيم

(ب) تعرضه r لمحاولات القتل:

وكذلك ما كان من جانب اليهود – عليهم لعنة الله – ومن ذلك محاولة قتله بوضع السم في شاة أهدتها له يهودية كما في الصحيحين من حديث أنس.

(ج) ما لاقاه r من الأذى من المنافقين:

ومن ذلك ما قال عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول عنه r حين مر عليهم راكبا حماراً له قال: غبَّر علينا ابن أبي كبشة. (أراد النبي r) [2]

ولعل أعظمها ماكان من حديث الإفك – أي الكذب- الذي زلزل كيان البيت النبوي، واتهمت فيه أمنا عائشة (رضي الله عنها) بالبهتان وهي الحصان الرزان، وقد نزلت في براءتها آياتها من سورة النور.

(د) ما لاقاه r من أذى بعض أتباعه من ضعاف الإيمان من الأعراب وغيرهم:

من هذا مثلا ما في الصحيحين أن رجلاً من بني تميم (ذو الخويصرة) جاءه وهو يقسم سبيكة ذهبية فقال له: اعدل يا محمد [3]. ويأتيه الأعراب فيغلظون له

1- البخاري (3218، 6417)

2- أبو كبشة : زوج حليمة السعدية مرضعة النبي r فنسب بن سلول النبي r إلى أبى كبشة من باب التنقيص .

3- البخاري (6163).

في القول. وكان **r** يقابل هذا بالصبر وسعة الصدر ويقول: "رحم الله موسى !قد أوذي بأكثر من هذا فصبر " (1)

غير الأنبياء مع البلاء :

(1) أصحاب الأخدود:

قال تعـــالى: (! " # $ % & ' ( ) * + ,
- . / 0 1 2 34 5 6 7 8 9 : ; < = > ?
@ A B C D E F G H I J K L M O P
Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a
b c d e f g h i j k l m n p q
r s) [البروج:1-12].

عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **r** قَالَ: "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُـــلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَـــالَ: الْيَـــوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُـــمَّ إِنْ كَـــانَ أَمْـــرُ

1- البخاري (3405) .

الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ؛ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ.

فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ فَجِيءَ بِالْغُلامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ.

فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِنشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ! فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ.

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ! فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلامِ. ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِد الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ.

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ ففَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلامُ: يَا أُمَّهِ اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ" (1)

قال القرطبي: ذكر النبي r لأمته قصة الغلام ؛ ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها؛ ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره.

وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نُشر بالمنشار.

1- مسلم (5327)، والقرقور: بضم القافيه (السفينة الصغيرة).

وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الايمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم.[1]

(2) أصحاب النبي r مع البلاء:

وما أكثر المعاناة التي عاناها أصحاب النبي r من أذى قريش، وقد ضـــرب الصحابة أروع الأمثلة في الصبر والتحمل.

ومن ذلك على سبيل المثال ما قاله ابن مسعود t كما عند ابن ماجه بسند حسن قال عن الصحابة: فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس"[2].

وبالرغم من شدة صبرهم وشدة تحملهم إلا أن النبي r كان يغضب عندما يرى منهم من يستعجل النصر والتمكين.

فعن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ r وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَـــهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِـــيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَـــقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِـــنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ "[3]

(3) شيخ الإسلام- ابن تيمية- رحمه الله مع البلاء:

1- تفسير القرطبي (19/ 293) .

2- صحيح: ابن ماجه(174)، وأحمد(3640)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح بن ماجه (147).

3- البخاري (6430).

قال الشوكاني ــ رحمه الله : وقع للشيخ ــ رحمه الله ــ من أهل عصره قلاقل وزلازل، وامتحن مرة بعد أخرى في حياته، والناس قسمان في شأنه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم، وبعض منهم يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه، وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسنة فإنه لابد وأن يستنكر المقصرون، ويقع له معهم محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظ ولا يكون لغيره ، وهكذا حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره ، واتفقت الألسن بالثناء عليه، إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته، واشتهرت مقالاته.

فقد تعرض شيخ الإسلام -رحمه الله - لمحن كثيرة متتابعة، فلا يكاد تمر عليه فترة من الزمن حتى يتعرض لمحنة أو يشارك في معركة، أو تقع بينه وبين بعضهم مخاصمة، أو مناظرة حتى ختمت حياته بقلعة دمشق وهو صابر محتسب ، وقد حيل بينه وبين الكتابة والإفادة، فعكف على تلاوة القرآن، فختمه إحدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة عند قوله تعالى: (: ; < = > ? @ A B C D E F) (القمر:54، 55).

ومن المحن التي تعرض لها شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ أن أهل حماة كانوا قد وجهوا للشيخ سؤالا سنة 698هـ فأجابهم بما عرف بالفتوى الحموية الكبرى التزم فيها قانون السلف في الأسماء والصفات والبعد عن التأويل والتعطيل[1] وكان

1- وهذا هو منهج أهل الكلام في الأسماء والصفات ،وقد فصلنا ذلك في خطبة تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب .

الحسد قد استقر في قلوب كثير من الفقهاء، فألبوا عليه بعض الولاة، ولكن التتـــار كانوا مستمرين في زحفهم، ففر الولاة والفقهاء، وصمد لها الشيخ -رحمه الله- فلما منّ الله بالنصر على التتار، واستقرت أمور العباد، وعاد الشيخ إلى الإفادة والتصنيف تحرك الحسد من جديد في قلوب الحاقدين؛ لعلو كعب الشيخ وارتفاع مقامه عنـــد العامة والولاة على السواء.

ومن ذلك ما حدث له بسبب الطائفة الأحمدية الرفاعية سنة 705هـــــ، وكانوا يلبسون أطواق الحديد في أعناقهم ويدهنون بدهن خاص، ثم يدخلون النار لا يحترقون، يمخرقون بذلك على العامة من أهل الإسلام، فاشتد نكير الشيخ عليهم حتى شكوه إلى نائب السلطنة، يطلبون أن يكف الشيخ عنهم وأن يتركهم وحالهم فقال الشيخ: هذا لا يمكن ولابد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والســـنة قـــولا وفعلا، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد منهم أن يـــدخل النـــار فليدخل أولا الحمام، ويغسل جسده جيدا، ثم يدخل إلى النار بعد ذلك إن كـــان صادقا، ولو فرض أن أحدا من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل، فإن ذلـــك لا يدل على صلاحه، ولا على كرامته، بل حاله من أحوال المخالفين للشريعة إذا كان صاحبها على السنة فما الظن بخلاف ذلك؟

وانتهى الحال على أن خلعوا أطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه.

ثم ورد في السنة نفسها كتاب من السلطان يحمل الشيخ إلى القاهرة، فتوجه إليها ، وخرجت جموع المسلمين باكية حزينة لوداعه، وهو واثق يرجو ويأمل فلما وصل إلى القاهرة عقد له مجلس في القلعة، اجتمع فيه القادة وكبار رجال الدولـــة والقضاة والفقهاء، فلم يمكنوه من الكلام وتولى الادعاء عليه زين الدين بن مخلوف

قاضي المالكية، فأخذ الشيخ في كلامه فحمد الله وأثنى عليه، فقيل له: أجب ولا تخطب، فعلم أنها المحاكمة لا المجادلة، فقال: من الحاكم فيَّ ؟ فقيل له: القاضي المالكي. فقال له الشيخ: كيف تحكم فيَّ وأنت خصمي؟ وآل أمر الشيخ إلى الحبس في برج أياما، نقل بعدها ليلة عيد الفطر إلى السجن المعروف بالحب، وحبس معه أخواه شرف الدين وزين.

لبث في السجن نحو ثمانية عشر شهرا حتى إذا كان شهر ربيع الأول سنة 707 هـ حضر حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب إلى مصر، ودخل السجن، وأخرج الشيخ بنفسه بعد أن استأذن في ذلك.

وخرج الشيخ فأقام بالقاهرة يعلم الخير، وينشر العلم ويجتمع عليه الناس، حتى تقدم الصوفية بشكاية ضده إلى القاضي، وذكروا أنه يتناول ابن عربي وغيره من أعلام التصوف في الكلام، وهؤلاء عند الصوفية حريم مقدس لا يمس، فخير الشيخ بين أشياء: أن يقيم بدمشق أو يقيم بالإسكندرية بشروط أو يحبس، فكان أن اختار الحبس مؤثراً له على قبول تلك الشروط، ودخل السجن في العام الذي خرج فيه.

ورغب أصحاب الشيخ إليه أن يجيب في السفر إلى دمشق ملتزما ما شرطوه عليه، فأجاب وركب متوجها إليها فأبى خصومه إلا يكون في قبضتهم وتحت أعينهم، فصدر الأمر برده إلى القاهرة، فرد من الغد إليها، وأرسل إلى حبس القضاة، وأذن بأن يكون عنده من يخدمه، وكان السلطان الناصر بن قلاوون عارفا قدر الشيخ، محبا له، إلا أنه في تلك الفترة كان قد عزل نفسه، وتولى السلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، وكان تلميذاً لنصر المنبجي الصوفي الذي يصدر عن شرب ابن عربي في آرائه وأقواله، فأصبح شيخ الإسلام عدواً سياسياً على نحو ما، إذ ينظر

إليه على أنه من أنصار الناصر بن قلاوون، ويقول في أمور الاعتقاد بغير ما يقول به السلطان بيبرس والشيخ المنبجي الصوفي .

وتقرر نفي الشيخ إلى الإسكندرية في الليلة الأخيرة من شهر صفر سنة 709هـ، ومكث بها نحو ثمانية أشهر مقيدا ببرج مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر، يدخل إليه من شاء، ويتردد عليه الأكابر والفقهاء والأعيان يبحثون معه ويتعلمون منه.

قال الألوسي ـ رحمه الله ـ : ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بها عما هم فيه كالشطرنج والنرد، مع تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك، حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتليء منهم.

وظل الشيخ بالإسكندرية حتى عاد السلطان الناصر إلى عرش مصر في يوم عيد الفطر سنة 709هـ فأمر بإطلاق سراح الشيخ وحمله إلى القاهرة مكرماً فخرج الشيخ منها متوجهاً إلى القاهرة، ومعه خلق من أهلها يودعونه ويسألون الله أن يرده إليهم، وكان وقتا مشهوداً ، ووصل إلى القاهرة في الثامن عشر من شوال، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه.

واستمر الشيخ بالقاهرة ينشر العلم، ويحارب البدع، حتى توجه الجيش المصري قاصداً غزو التتار، فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس،

ومنه إلى دمشق، وجعل طريقه على " عجلون " ووصل دمشق أول يوم مـــن ذي القعدة سنة 712هـــ وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع.

عاد الشيخ إلى الشام فعاد إلى نشر العلم، وتصنيف الكتب، والإفتاء كلاما وكتابه يدور مع الكتاب والسنة حيث دارا.

وأفتى الشيخ ـــ رحمه الله ـــ في مسائل كثيرة من مسائل الفقه على حسب ما أدى إليه اجتهاده، فكان أن أفتي في الحلف بالطلاق بعدم الإلزام، وأنه لا يقع به طلاق، وفرق بين الطلاق المعلق وبينه، وخالف بذلك ما عليـــه الأئمـــة الأربعـــة أصحاب المذاهب، واستنكر الفقهاء من أتباع المذاهب فتوى الشـــيخ، وجـــاهروا باستنكارهم، وكان ذلك في سنة 718 هـــ، وأشار قاضي قضاة الشام على الشيخ بالكف عن الإفتاء في هذه المسألة ـــ مسألة الحلف بالطلاق ـــ فقبل ـــ رحمـــه الله ـــ ووردت إشارة من السلطان بمنع الشيخ من الإفتاء بهذه المسألة، ونودي بـــذلك في البلد، ولكن الشيخ امتنع قليلاً ثم عاد إلى الإفتاء حتى لا يقع في إثم كتم العلم.

وانعقد مجلس بدار الحكم بحضرة نائب السلطنة حضره القضاة والفقهـــاء، والمفتون من المذاهب الأربعة، وعاتبوا الشيخ دون جداله، وتكرر العتاب والرجاء، ولم يفد كل ذلك شيئا فتقرر حبسه بأمر نائب السلطنة واستمر محبوسا خمسة أشهر وثمانية عشر يوما، تبدأ من اليوم الثاني والعشرين من رجب سنة 720هـــ، وأفرج عنه بأمر السلطان في اليوم العاشر من محرم سنة 721هـــ.

وعاد الشيخ إلى دروسه من جديد، إلا أن الأعين المتربصة بـــه، والقلـــوب الناقمة عليه، كانت له بالمرصاد، واجتمع المتآمرون عليه، وكاتبوا السلطان فجـــاء الأمر إلى دمشق في السابع من شعبان سنة 726 هـــ بحبس الشيخ في القلعة قلعـــة دمشق.

وفرح الشيخ بالحبس هذه المرة، وأخذ يطالع في سجنه ويصنف التصانيف ويرسلها خارج سجنه، حتى ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده من كتب وأوراق ومحابر وأقلام ومنع منعا باتا من المطالعة، وكان ذلك في اليوم التاسع من جمادي الآخرة سنة 728هـ.

و لم يطل الأمر بالشيخ ــ رحمه الله ــ فقد مرض في محبسه، وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما، واستأذن الوزير شمس الدين في الدخول عليه لعيادته فأذن له الشيخ في ذلك، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحله مما كان منه، فأجابه الشيخ أنه قد أحله مما كان منه لكونه فعل ذلك مقلداً غير معذور و لم يفعله لحظ نفسه، وقال: قد أحللت كل أحد مما بيني وبينه إلا من كان عدواً لله ورسوله r .

ثم توفي الشيخ رحمه الله ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وكان بعد إخراج كتبه قد عكف على كتاب الله عز وجل، فكان يختم كل عشرة أيام ختمه. (1)

البلاء أولا ثم التمكين والنصر:

لما صبر صحابة النبي r على أذى المشركين، دانت لهم الدنيا بعد ذلك ، وخضعت لهم رقاب العالمين، فصار كل واحد منهم بعد ذلك أميراً على قطر من الأقطار كما قال بلال.

وسئل الإمام مالك (رحمه الله): أَيُمَكَّن للرجل أولاً ؟فقال: يبتلى الرجلُ أولاً ثم يُمَكَّن لَهُ. وقد مر معنا قول الشافعي السابق.

1- من أعلام السلف للشيخ أحمد فريد ، ط (دار العقيدة) ص(657- 663) .

كما قال تعالى: (< = > ? @ A B C D

E F G H I J K L M N O P Q

R S T U W X Y Z [ ] ^ _ ` a b

c d) [النور: 55]

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

كرامات الصابرين :

(1) البشرى من الله لهم: قال تعالى: (; < = > ? @ A
B C D E F G H I J K L M N O P Q
R S) [البقرة : 155] ومعنى صلاة الله عليهم: ثناؤه عليهم .

(2) نيل الغرف: قال تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾) [الفرقان : 75] ، والغرفة هي الجنة .

(3) الأجر الجزيل: قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى ç è é ê ë) [الزمر : 10]، قال العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر لا يحصر أجره إلا الله .

(4) تسليم الملائكة عليهم : قال تعالى: (g h i j k l m n
o p q r s t u v) [الرعد : 23-24]

(5) الجزاء بأحسن العمل: قال تعالى: (P Q R S T U
V W X) [النحل : 96] .

(6) معية الله لهم: قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾) [البقرة : 153] .
والمعية هنا هي معية النصر والتأييد، كما فصلنا ذلك في تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب.

(7) محبة الله لهم: قال تعالى: (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ´ µ) [آل عمران : 146] .

الخطبة الرابعة: عوامل الثبات عند الابتلاء

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فـــلا هـــادي لـــه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

l 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

[النساء:1]) ? > = < ; : l 8 7 6 5 4 3

(u v w x y z { | } ~ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ

ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

فإذا ابتليت أخي بمصيبة كمرض، أو عقوق أحد أبنائك، أو فقد أحـــب الناس إليك، أو أي نوع من أنواع الابتلاءات التي لا حصر لها فعليك بالآتي:

أولا: الإيمان بالقدر:

أن تؤمن أن الله قدّر كل شيء يكون إلى ما لا نهاية له ، وأنه سبحانه قدَّره عن علم [1] . قال تعالى :] وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ Z الأنعام: ٥٩

والقدر معناه: تقدير الله تعالى في الأزل.

أما القضاء فهو حكم الله بالشيء عند وقوعه.

قال الإمام ابن الأثير (رحمه الله) : وهما - أي القضاء والقدر- أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمترلة الأساس، والآخر بمترلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

وينبغي عليك – أخي الحبيب – أن ترضى بما قدره الله لك وأن تطمئن إليه ، وأن تعلم أن ما قدَّره الله لك قدَّره لحكمة عظيمة ، وغاية محمودة ، يستحق عليها الحمد فما عليك دوماً ودائماً إلا أن تقول الحمد لله على كل حال ، كما ورد في سنن الترمذي من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي r قال : " **إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي ، " قالوا : نعم ، قبضتم ثمرة فؤاده قالوا : نعم ، فيقول تعالى لملائكته ماذا قال عبدي ؟ ، فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول جل وعلا لملائكته : ابنو لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ".** [2]

1- والقدر له أربع مراتب: العلم، والكتابة والخلق والمشيئة .

2- صحيح : حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (1408).

والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان الذي جاء في حديث جبريل المعروف.

وكما في سنن أبي داوود عن ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْـنَ كَعْـبٍ t فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِـنْ قَلْبِي! قَالَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِـي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَـابَكَ لَـمْ يَكُـنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّـارَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُود t فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْـنَ الْيَمَانِ t فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ t فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِـيِّ r مِثْلَ ذَلِكَ" (1)

فإذا أصيب العبد بمصيبة فليقل: قَدرُ الله وما شاء فعل؛ وذلك لمـا ورد في كتاب القدر من صحيح مسلم من حديث أبي هريرة t قال رسول r :**"الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَـانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"** (2)

1- صحيح : أبو داوود (4077) ، أحمد (20607) ، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصـابيح (115) .

2- مسلم (4816).

هل الدعاء يغير في قضاء الله ؟

لا شك أن للدعاء تأثيراً في التغيير، لكن هذا التغيير الذي سببه الدعاء هـــو مكتوب أيضا، والدعاء مكتوب أيضا (1) .

ثانيا:الصبر على البلاء:

الصبر لغة: الحبس والمنع ، ومنه قولهم: فلان قُتل صبراً أي محبوساً مأسوراً.

ومعناه في الاصطلاح: هو حبس النفس على أشياء وعن أشياء.

وقيل : هو حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي وحـــبس الجوارح عن المعاصي .

وهو ثلاثة أشياء:

صبر على المأمور، وصبر على المحظور، وصبر على المكروه.

فالأول: هو الصبر على طاعة الله كما قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ © نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾) [طـه:132] وقال تعالى: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ à وَلَا â مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ç) [الإنسان :23، 24]

والثاني: الصبر عن معصية الله، كصبر يوسف عليه السلام عن إجابة امرأة العزيز

والثالث: الصبر على المكروه، وهو الصبر على أقدار الله، قال تعـــالى: (O P Q) [الإنســـان:24] ، ومنه قوله تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ) [الأحقاف: 35]

1- وانظر تفصيل ذلك في خطبة الدعاء من هذا الكتاب.

أولا: الصبر على المأمور ويشتمل على الآتي:

(1) الصبر على أوامر الله:

إن الطريق إلى الله مليء بالعوائق؛ لأن النفس بطبيعتها تنفــر مــن القيــود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس، ولذلك فإن الأمر يحتاج إلى ترويض واصطبار، وقد أمر الله بالصبر على طاعته في كثير من سور القرآن، وعلى لسان خير الأنام r فقــال تعــالى: (! " # $ % & ' ( ) * + , - . [مريم:65]

والصبر على طاعة الله يتكون من ثلاث شعب:

الأولى: صبر قبل الطاعة، ويكون ذلك بتصحيح النية والإخلاص، والتــبرؤ مــن شوائب الرياء؛ قال تعــالى: (© ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ´) [هود :11] فقدّم سبحانه وتعالى الصبر على العمل.

الثانية: الصبر على الطاعة أثناء تأديتها، دون تغافل أو تكاســل، قــال تعــالى: (V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c e f g h i j k l m n) [العنكبوت: 58، 59]

الثالثة: الصبر بعد العمل : فلا ينظر لنفسه بعين العجب ، فيتظاهر بما قدم سمعــةً ورياءً ، بل عليه أن يحمد الله على أن وفقه لهذا العمل ، ولا يكون له همٌ إلا هــل قبل الله العمل أم رده ؟

فللأسف الشديد نسمع من بعض الناس من يقول : أنا الصائم النهار أنــا القائم الليل ، أنا الحافظ لكتاب الله ، ويضيع الثواب بكلامه هذا ، فينبغي عليه أن يقوم بالعمل دون إعجاب أو رياء .

(2) الصبر في الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله هي رسالة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وهي من أعظم القربات إلى الله؛ لأن العمل المتعدي نفعه يكون دائما أعظم أجراً من المقصور نفعه على الشخص، ولذا فطريق الدعوة محفوف بالمتاعب والآلام، لكن على قدر التعب والآلام يكون الأجر عند الله، وتكون الثمرة لدعوته، لذا يعترض الداعية إلى الله بعض المعوقات ،

ومن هذه المعوقات ما يلي:

(أ) إعراض الناس عن الدعوة:

وهذا من أصعب الأشياء على النفس، أن يصيح الإنسان بأعلى صوته وينادي بملء فيه فلا يجد إلا آذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، كما حدث مع نوح وغيره من الأنبياء حتى خاتم الأنبياء، والإعراض هو سبيل المجرمين دائما: (/ 0 2 3 4 5 6) [الطور:32]

وعلى الداعية في ذلك أن يصبر ويعلم أن العاقبة له بقدر إخلاصه وهمته في الدعوة، ولا يضعف من أول وهلة، وليتأس في ذلك بسيد المرسلين r بعد أن لاقى الأذى من أهل الطائف، وقبلهم أهل مكة ، فعن عَائِشَةَ (رَضِي اللَّه عنها) زَوْجَ النَّبِيِّ r حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ r هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ:**"لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِيَالِيلَ بْنِ عَبْدِكُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي.**

فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَـــادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِـــئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ r : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[1]

وبالفعل تحقق كلامه r فأسلم خالد t وهو ابن الوليد بن المغيرة، الـــذي نزل في شأنه قوله تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾) الآيات (من11إلى 29) مـــن سورة المدثر ، وعمرو بن العاص فاتح مصر، وعكرمة، وغيرهم ممن خدموا دين الله عز وجل.

(ب) الأذى من الناس قولاً وعملاً:

الداعي دائماً يُتهم بما ليس فيه، فيردون الحلم بالجهل ، والإحسان بالإساءة، وعليه هنا أيضا التأسي بالأنبياء، كما حدث مع لوط عليه السلام حين نهى قومـــه عن العادة السيئة قالوا عنه وعن أتباعـــه: (" # $ % & ') (* + , - . / 0 1 2) [النمل:56] وكما حدث مع النبي محمد r حين قالوا عنه: ساحر وكاهن، وأذاقوه ألوان العذاب، فما كان منـــه إلا الصبر والصفح الجميل.

فعلى الداعي هنا أن يعفوَ ويصفح ويصـــبر كما قـــال تعـــالى : (Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l) [فصلت :34]

1- البخاري (2992) ، مسلم (3252).

(3) الصبر على الزوجة والأولاد:

لا تستقيم الحياة الزوجية بين الزوجين إلا إذا كان الزوجان واقعيِّيْن يصبر كل منهما على الآخر ؛ لأنه لا يوجد إنسان يخلو من العيوب، فعلى الزوج أن يصبر على زوجته ، كما جاء عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : **"لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ أَوْ قَالَ غَيْرَهُ "**[1]

وقد أمر الله الرجال بحسن العشرة مع النساء فقال تعالى: **(وَعَاشِرُوهُنَّ ´ ¶ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩)** [النساء:19]

وكذلك يصبر الإنسان على أمر زوجته وولده بأوامر الله كما قال تعالى: **(وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ © نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢)** [طه:130]

وقال تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ´ µ ¶ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦)** [التحريم:6]

(4) الصبر على الإخوة في الله:

قد حث الرسول r على الأخوة في الله وحبب فيها وفي ثوابها كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هريرة t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ:**"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ**

1- مسلم (2672)، ومعنى يفرك: فرك ، فركاً : كره أو بغض ، كثر ما يستعمل في بغض الزوجين، فهو وهي فارك .

ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "[1]، فـذكر منهم الأخوة في الله تعالى .

فإذا رأى الإنسان من أخيه فعلاً يكرهه فليصبر عليه؛ حتى لا يكون عوناً للشيطان عليه، ويدرء السيئة بالحسنة كما أمر الله، ويلتمس له الأعذار كما كـان يفعل صحابة النبي r ، كذلك إذا رأى من أخيه جفوة وانقطاعاً فليصلْ هو عمـلاً بقوله r : **"عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ "**[2]

وقوله r :**"إنما يأكلُ الذئبُ منَ الغنمِ القاصيةَ"**[3]أي البعيدة المنفردة

وكذلك أنك لو تركت أخاك أخذه أهل الباطل من شياطين الإنس والجن وهم كثرٌ - لا كثَّرهم الله- فتكون بذلك أعنت الشيطان على أخيك، وقد نهـى النبي r عن ذلك فقال: **"لا تكونوا عوناً للشيطانِ على أخيْكُم"** [4]

(5)الصبر على طلب العلم:

العلم ميراث الأنبياء، فمن سلك سبيله فقد أخذ بحظ وافر، ولذا يجب على طالب العلم أن يتحلى بما يلي:

1- البخاري (1334) ومسلم (1712) .
2- صحيح : الترمذي (2091) وأحمد (173) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (431).
3- صحيح : النسائي (838) وأبو داود(460) وأحمد (26242)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (427) .
4- صحيح : أحمد (3955) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (7442).

(أ) الإخلاص : فقد أدّب الله موسى، وهو نبيه لما قال: لا أعلم أحداً على الأرض أعلم مني[1] . فكان يجب أن يرد العلم إلى الله ، ولكن نسبه إليه فأدبه ربه .

وكذلك ما روي عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :**"مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ؛ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ"** [2]

(ب) يجب أن يصبر ويصابر: لأن من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

(ج) أن يلتزم مع شيخه بما عقد معه من شرط ؛فالمؤمنون عند شروطهم.

(د) يجب على الشيخ أن يراعي ضعف تلميذه، فلا يؤاخذه من أول عثرة بل عليه أن يذكره ويتعهده بالإرشاد، وكان **عمر يقول:** تَوَاضَعُوا لِمَنْ عَلَّمَكُمْ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ جَبَّارِي الْعُلَمَاءِ[3].

ثانيا: الصبر على المحظور:

وهو الصبر على شهوات النفس الأمارة بالسوء من نساء وأموال يجمعها من أي طريق ومن غيبة ونميمة، ومن غير ذلك من المحظورات التي نهى الله عنها.

فعلى العبد الصالح أن يجمح نفسه، وأن لا يترك لها العنان فتهلكه، ويعلم أن معصية واحدة قد تكون سبباً في شقائه في الدارين.

كما جاء عن حُذَيْفَةُ t قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ:" **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ**

1- صحيح : أحمد (20200) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (134).

2- صحيح : ابن ماجه (256)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (260) .

3- الموسوعة الفقهية الكويتية (9/13)، دار السلاسل بالكويت، الطبعة الثانية .

قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ" [1]

وعليه أن لا يستصغر معصية من المعاصي؛ فالصغيرة تأتي بالكبيرة وفي الحديث: "لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار" [2]

يقول ابن المعتز – رحمه الله:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرةً إن الجبال من الحصى .

يقول صاحب البردة:

والنفس كالطفل إن تتركه شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

ثالثا: الصبر على المكروه:

وهذا هو ما فصلناه في الخطبة السابقة، وهو كما قلنا لا يخلو منه بر ولا فاجر، وعلى الإنسان أن يصبر ويصابر ولا يتسخط بقضاء الله بل يصبر ويحتسب.

1- مسلم (207) ، ومعنى مربادا: شيء من بياض يسير يخالطه السواد، مجخيا:منكوثا مائلا .
2- ضعيف : ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (6308).

اصبر لكـــل مصـــيبة وتجلـــــد واعلم بأن المرء غـــير مخلـــــــد

اصبر كمـــا صـــبر الكـــــرام فإنها نوب تنوب اليوم تكشف في غدٍ

وإذا أتتك مصـــيبة يرثـــى لهـــا فاذكر مصابك بالنبي محمـــــــد

وصدق من قال:

إذا أصابتك نكبة فاصبر لهـــــــا وارع الأمانة والخيانة فاجتنب

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتـــي من ذا رأيت مسلما لا ينكـــب

اعدل ولا تظلم يطب لك مكسب والنصح أغلى ما يباع ويوهـــب

أيها المبتلى: إياك والتفريط في الصلاة:

أنصحك -أيها المبتلى- وأنصح نفسي بعدم التفريط في الصلاة مهما كـــان الأمر، فأثناء زيارتي لأحد المرضى الأقارب سألت أخاه: هل يصلي؟ فقال بصراحة: لا، فسألت عن السبب، فقال: لأن حالته النفسية سيئة للغاية، فقلت لأخيـــه: ألا تعلم أنه لو مات الآن يموت على خطر عظيم؟! ألا يعلم هذا الرجـــل أن الصـــلاة تفرج عنه ما هو فيه؟! فقد كان رسول الله **r** إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، بـــل كان يقول **r** لبلال: «**يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها**»(1) فالصلاة عماد الدين، ولن يقوم دين بلا عماد، أليس كذلك؟! بلى..

فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، وعليـــك بقـــراءة القرآن؛ فإن الله ربط بين القرآن والصلاة، فقـــال: (ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ

1- صحيح : أبو داود (4333) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (7892).

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ ´ ¶ µ ، ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ) [العنكبوت45] فاقرأ القرآن ولا تغفل عنه، وَصَلِّ؛ فالصلاة صلة عظيمة بينك وبين رب الأنام، وللأسف ما أكثر تاركي الصلاة اليوم من المرضى!

وعلينا أن نُذَكِّر هذا المريض بخطئه العظيم، فالصلاة عمود الإسلام، فالرجل المصلي الصابر في معية الله- كما أسلفنا القول- قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾) [البقرة: 153]

وواجبنا نحوه وجوب مناصحته ودعوته الدائمة إلى الحق، فإن أصر على تركها فيجب تركه وهجره وعدم إجابة دعوته؛ حتى يتوب إلى مولاه؛ فيتوب الله عليه برحمته وفضله.

ونبشره بحديث النبي«**ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا نصبٍ ولا سقم ولا حزن، حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته**» (1)

ولكن انظر مرة ثانية إلى قول النبي r : **ما يصيب المؤمن**، وهل يتخيل أن هناك مؤمنا لا يصلي لله العلي الكبير؟!

إن الله يريد أن يطهرك؛ حتى تمشي على الأرض ما عليك خطيئة، فهل أنت على الدرب سائر إلى ربك.. ملتزم بسنة نبيك؟!.

واجبنا نحو أهل البلاء :

وأهيب بإخواننا أن يحرصوا على زيارة إخوانهم المرضى قدر استطاعتهم، فسيجدون عندهم رب العالمين بفضله وكرمه؛ حتى لا يعاتبهم ربهم، كما ورد في الحديث القدسي الطويل، وشاهدنا فيه قول ربنا عز وجل يوم القيامة: « **إِنَّ اللَّهَ**

1- مسلم (4670) .

عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ.

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي» (1)

انظر إلى معية الله عند المريض؛ فالمريض منكسر، فأراد ربك أن يجبر انكساره بهذه المعية بلا تمثيل أو تشبيه أو تعطيل.

وقال رسول r :**"خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضا، وشهد جنازة، وصام يوماً، وراح إلي الجمعة، وأعتق رقبة"** (2)

وقال أيضا r : **"من عاد مريضا ناداه منادٍ من السماء: طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة مترلا"** (3).

وقَالَ أيضاً r : **« عَائِدُ الْمَرِيضِ فِى مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ »** (4)

1- مسلم (4661) .

2- صحيح : صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (1023) .

3- صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3474).

4- مسلم (4657)، وأحمد (21409) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1929).

مخرفة الجنة :أي جناها وهو ما يجتنى من نخلها

وقال أيضاً r : « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِىَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِى الْجَنَّةِ**» [1]

وعلينا أن نذكره بعظيم ثواب الله الذي أعده للصابرين المحتسبين، كما مر معنا في الأحاديث السابقة، ونؤمله في الفرج، ونقول له:

يا صاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بقرب فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه	لا تيأسن فإن الكافي الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تجزعن فإن القادر الله
إذا بليت فثق بالله وارض به	إن الذي يكشف البلوى هو الله

شروط الصبر:

أي لكي يؤجر الإنسان على هذا الصبر لا بد من شروط ومنها :

أولا: الإخلاص:

وهو شرط لقبول أي عمل قال تعالى: (â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ î ï) [الكهف :110] العمل الصالح هو الموافق للكتاب والسنة

1- صحيح : الترمذي (891) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3476) .

وقوله تعالى: (ë ê بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ î) أي يخلص أعماله من الرياء، فتكون خالصة لله تعالى، فالصبر المحمود في الكتاب والسنة الذي يؤجر عليه صاحبه، هو ما كان لله تعالى؛حيث يقول تعالى: (وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾) [المدثر:7]

ولا ينافي الإخلاصَ دمعُ العين، ولا حزنُ القلب؛ فقد قَـالَ r : **"تَـدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّـا بِـكَ لَمَحْزُونُونَ".** [1]

ثانيا: عدم شكوى الله:

أي الشكوى للعباد مع التسخط على قضاء الله، لكنه لو كان يوضح شدة ألمه مع الرضا بقضاء الله وقدره فلا بأس؛ وكذلك أيضا لو اشتكى إلى الله حاله كما فعل أيوب عليه السـلام (0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :) [الأنبياء :83] لكي يعافيه الله من هذا البلاء الذي حل به، وكما قال موسى عليه السلام (R S T U V W X Y Z [ ]) [القصص:24] حيث كان موسى r جوعان فاشتكى إلى الله الجوع؛ ليطعمه فهذا كله جائز طالما ليس فيه تسـخط على قدر الله.[2]

ثالثا: أن يكون الصبر في أوانه:

أن يكون في أوانه : فالصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما كان في أوانه ، أما إذا فات أوانه فلا جدوى منه ، لأنه صبر في غير محله وبعد انتهاء أمده وزمانه ، قال

1- مسلم (4379) .

2- كأن يقول مثلاً: يا رب ليس هناك إلا أنا كي تبتليني بهذا المرض، أو ما شابه ذلك من الأقـوال التي فيها تسخط على قدر الله عزوجل .

تعالى عن صبر أهل النار :] 7 8 9 : ; < = > ?

@ A B C D E F G H I J | L M N O P |

R S T U V W X Y Z [Z [إبراهيم: ٢١]

وقال تعالى :]) (* + , - . | 0 1 2 3

4 5 Z [الطور: 16]

وكما جاء في الصحيحين من حديث أنس t قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ r بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: **"اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي"** قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ r فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ r فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ:**"إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"**[1]

أي عند وقوع المصيبة مباشرة، وليس بعد أن نشق الجيوب ونلطم الخدود وندعو بدعوى الجاهلية نتذكر حمد الله والاسترجاع والصبر .

1- البخاري (1303) ، مسلم (1535) .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

عقبات في طريق الصبر:

(1) الاستعجال:

الإنسان مولع بالعجلة؛ لأنه خلق من عجل، والله تعالى لا يعجـل بعجلـة أحد، وعلى العبد أن يعلم أن لكل ثمرة أواناً لقطفها ونضجها، وقديما قالوا: مـن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وقد أمر الله رسوله r أن يصبر فقال تعالى: (فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ) [الأحقاف:35]

والاستعجال دائما من سنن المشركين، فقد كانوا يستعجلون العذاب، فـرد الله عليهم بما يقطع دابرهم فقال تعالى: (! " ¦ $ % & '
) (* + , - .) [العنكبوت:53]

(2) الغضب:

على المسلم أن يصبر على أذى الناس وإعراضهم عن دعوته، ويعاودهم المرة بعد المرة؛ عسى الله أن يهدي بك رجلاً واحداً ، فهذا خير لك من حمر الـنعم – الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب – كما قال r .

وعَنْ أَبِي هريرة t أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ r أَوْصِنِي قَالَ:**"لا تَغْضَبْ فَــرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ لا تَغْضَبْ "**[1]

وكلمــا صبــر الإنسان وتحمل كلما عظم أجــره، وعظمــت دعوتــه، وعظمت ثمرتها.

(3) الضيق:

قال تعالى لرسوله الكريم: (وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾) [النحل : 127]

وقال تعالى : (µ ¶ ¸ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾) [هود :12]

فعلى الإنسان أن ينصح ويذكر فقط، وليست عليه هداية الناس إنما الذي يهديهم حقيقة هو الله [2]

(4) اليأس :

وهو آفة الصبر الكبرى؛ لأنها تطفيء سراج الأمل، فيترك العبد العمل ويخلد إلى الكسل، ولهذا حرص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على غــرس بــذور

1- البخاري (5651).

2- **الهداية نوعان: هداية الدلالة والتوضيح** وهو أن يدل الناس على طريق الله، وهذا معنــى قولــه تعالى لنبيه:] 9 : ; > = < Z [الشورى:52] .

والنوع الثاني :وهي هداية التوفيق والإرشاد وهذه لا يملكها إلا الله قال تعالى لنبيــه:] _ ` a b c d e f g h i j k l m Z [القصص:56]

الأمل في نفوس المؤمنين، قال تعــالى: (} | { ~ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩) [آل عمران: 139]

وعلى منهج القرآن في إضاءة شعلة الأمل أمام المؤمنين درج النبي الأمــين عليه أفضل الصلاة والتسليم عندما جاءه خباب بن الأرت t كما مر معنا.

أمور لا تنافي الصبر:

(1) الشكوى إلى الله:

التضرع إلى الله والالتجاء إليه ودعاؤه في أوقات الشدة عبادة عظيمة؛ لأن العبد يظهر عبوديته لله، وحاجته لربه، ومسكنته بين يديه.

وقد تحل بالإنسان المصيبة فيشكو همه ويبث حزنه إلى الله، وهذا المقــام لا ينافي الصبر ولا يخدشه .

فإن يعقوب – عليه السلام – وعد بالصبر الجميل فيما أخبر الله عنه فقــال تعالى: (Z [ ] ^ _ ` a b) [يوســف] وقــال أيضــا: (قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ)

وأيوب – عليه السلام – أخبر الله سبحانه وتعالى أنه من الصابرين، ومع ذلك فقد شكا مصيبته إلى الله حين نــاداه: (0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :) [الأنبياء] ، فإذا أصاب العبد مصيبة فشكا إلى الله وطلب منه كشفها، فهذا لا ينافي الصبر .

(2) الحزن ودمع العين:

كما مر معنا من حزن النبي r وبكائه على ولده إبراهيم.

الخطبة الخامسة: سماحة الإسلام وإرهاب الغرب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

l 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

[النساء:1] (? > = < ; : l 8 7 6 5 4 3

لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ~ } | { z y x w v u)

ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **r** ، وَشَــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إن من المصطلحات التي أطلقها الكفــار في هــذه الســنوات الأخــيرة واستحدثوها مصطلح الإرهاب، وهو اصطلاح شاع وذاع في الأمــة الإســلامية بواسطة وسائل الإعلام في العالم العربي والإسلامي التي تردد في أغلبها مــا يقولــه اليهود والنصارى في وسائل إعلامهم.

وقد راج هذا المصطلح وأصبح يردد على ألسنة العوام؛ بسبب التكرار الإعلامي، والتركيز الشديد الماكر على هذا المصطلح الغامض الذي تلتبس فيه الحقائق، وتضيع فيه الحقوق، ولا يفرق فيه بين الحق والباطل.

فكان من الواجب علينا أن نبين للأمة حقيقة الإرهاب ومعناه عند اليهود والنصارى، والأهداف التي ينشدونها من وراء هذه الكلمة، وكذلك معنى الإرهاب في الشريعة الإسلامية وحدوده التي لا يتعداها؛ كي تكون الأمة على بينة من هذا المصطلح، ويتضح لها بجلاء الفرق الكبير بين الإرهاب في الشريعة الإسلامية والإرهاب الذي تردده وسائل الإعلام الغربية وتروج له بين المسلمين .

تعريف الإرهاب:

لغة: قال صاحب اللسان: رَهِبَ بالكسر يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضم ورَهَباً بالتحريك أَي: خافَ، ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً خافَه [1] .

قلت: ومنه قوله تعالى: (كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾) [الأنبياء: 90]

أما في الاصطلاح:

الإرهاب في الشريعة الإسلامية قسمان:

الأول: وهو المذموم المحرم، وهو الاعتداء على المدنيين الأبرياء بدون ذنب ارتكبوه، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

1- لسان العرب، مادة: رهب طبعة (دار: صادر ببيروت) .

ويدل على ذلك ما ورد في السنه أنه r قال: "مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ أُعْطِيَ لِوَاءَ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(1)

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أنه r قال: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ؛ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا" (2)

وقال r : "أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (3)

والمعاهد: هو كل من أخذ أماناً على نفسه وماله، سواء كان من قبل السلطان أو أي واحد من المسلمين، حتى لو كانت امرأة .

الثاني: وهو الإرهاب المشروع، وهو إعداد القوة والتأهب لمقاومة أعداء الله ورسوله

قال تعالى: (وَأَعِدُّواْ © مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ ´ µ ¶) [الأنفال :60]

أما الإرهاب عند اليهود وأعوانهم اليوم فهو أن يحتلوا بلاد المسلمين ، ومقدساتهم وينهبوا خيراتهم ، ويزيلوا شريعتهم ، ويستبدلوها بقوانين وضعية.

فإذا تصدى المسلمون للدفاع عن الأرض فهم عندئذ إرهابيون - في نظر اليهود - ويجب أن يتكاتف العالم كله للتخلص من هؤلاء الإرهابيين.

1 - صحيح : ابن ماجه (2678) ، أحمد (20942)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (2177) .

2 - البخاري (2930) .

3 - صحيح : أبو داوود (2654)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (445) .

صور من سماحة الإسلام:

(1) وصية الإسلام للمجاهدين:

قال الله تعالى: (وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠) [البقرة :190]

وكما جاء في صحيح مسلم عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ r إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ:"اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلا تَغُلُّوا وَلا تَغْدِرُوا وَلا تَمْثُلُوا وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلالٍ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ"[1]

وقال r كما عند أبي داوود: "وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلاً وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً، وَلا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا، وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"

وفي رواية "ولا تمثلوا بالبهائم" [2]

وهذه هي نفس الوصايا التي كان يوصي بها الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) .

1- مسلم (3261) .

2- ضعيف : أبو داوود (2274)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود (561) .

(2) مع الأسرى في الحرب[1]:

قد عامل النبي r الأسرى أحسن معاملة، وأمر أصحابه أن يحسنوا إليهم فكانوا يفضلوهم على أنفسهم في كل شيء، وأشير عليه r أن يمثل بسهيل بن عمرو أحد المحرضين على محاربة الإسلام والمسلمين بأن يترع ثنيتيه السفليتين فلا يستطيع الخطابة فرفض النبي r وقال: " لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا"[2]، وكذلك الحال مع أسرى بني المصطلق .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة t قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ r خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ r فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ:"مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: "أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ".

فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ r وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ

1- انظر في الصفحات القادمة الرد على شبهة وجود الرق في النظام الإسلامي .

2- صحيح : مصنف ابن أبي شيبة (37894).

قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟ قَالَ: لا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ r. وَلا وَاللَّهِ لا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيّ r."[1]

وعند البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: "فُكُّوا الْعَانِيَ -يَعْنِي الْأَسِيرَ - وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ" [2]

(3) الرحمة بالعبيد والضعفاء:

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ:

" يَا أُمَّ فُلانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ" فَخَلا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا"[3]

انظر كيف يسير مع المرأة المجنونة حيث شاءت فيقضي لها حاجتها وهو من هو في المكانة والعظمة ؟!

وكان يحث على رحمة من لا راعي له من الأرامل والمساكين فيقول أبو هريرة t قَالَ النَّبِيُّ r: "السَّاعِي عَلَى الأرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ" [4]

وعَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ r: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ

1- البخاري (4024)، ومسلم (3310) .

2- البخاري (2819).

3- مسلم (4293) .

4- البخاري (4934) .

أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ" (1)

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ r تِسْعَ سِنِينَ فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ" (2)

(4) رحمته بالصبيان والنساء والوصية بهن حتى لا يظلمن عند الأزواج:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ r فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً فَقَالَ:" أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً، أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ" (3) وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ يَعْنِي أَسْرَى فِي أَيْدِيكُمْ .

1- البخاري (29) ، مسلم (3140) .

2- مسلم (4271).

3- صحيح : الترمذي (1083) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (1163) وقد فصلنا ذلك في خطبة الحقوق الزوجية من هذا الكتاب.

ويخبرهم أن خير الرجال أرحمهم بنسائه فيقول كما جاء عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا)) (1)

وعن عائشة زوج النَّبِيِّ r حَدَّثَتْهُ قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ r فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: "مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ"(2)

ومن ذلك رحمته بالأطفال الصغار:

فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ r يَؤُمُّ النَّاسَ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ r عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا)) (3)

(5) بل تجاوزت ذلك إلى رحمته بأعدائه:

عن عُرْوَةَ بن الزبير t ال أَنَّ عَائِشَةَ (رَضِي اللَّه عَنْهَا) زَوْجَ النَّبِيِّ r حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ r : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِيَالِيلَ بْنِ عَبْدِكُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا

1- صحيح : الترمذي ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (284) .

2- البخاري (5536) .

3- مسلم (845) .

عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ r: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" [1]

عَنْ أَنَسٍ t قَالَ: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ r فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ r يَعُودُهُ[2] فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ:"أَسْلِمْ" فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ r فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ r وَهُوَ يَقُولُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ" [3]

وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِي اللَّه عَنْهَا) قَالَتِ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ r فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ". قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ: "قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ" [4] والسام هو الموت.

(5) ومن رحمته مراعاته لأحوال المصلين والمقتدين به :

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّه r إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ r فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ؛ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي. قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا

1- البخاري (2992) ، مسلم (3353).

2- وهذه من المواضع التي يجوز فيها عيادة أهل الكتاب ومشاركتهم في أحزانهم بشرط أن ندعوهم إلى الإسلام، وانظر الكلام الآتي ذكره .

3- البخاري (1268) .

4- البخاري (6415) .

يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ" أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ: "فَلا تَأْتِهِمْ". قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ. قَالَ: "ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلا يَصُدَّنَّهُمْ" قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ: "كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ". قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ r فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: "ائْتِنِي بِهَا" فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: "أَيْنَ اللَّهُ؟" قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ [1] قَالَ: "مَنْ أَنَا؟" قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: "أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ" [2]

وعَنْ أَبِي هريرة t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ:"إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ"[3]

---

1 - وقد أجمعت الأمة على إثبات علو الله (بذاته) على عرشه علواً يليق بكماله وجلاله.

2 - مسلم (836) .

3 - البخاري (662) ، مسلم (716) .

(6) ومن رحمته كذلك الرفق بالجاهل مهما عظم جهله:

عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ r جَالِسٌ فَصَلَّى، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيّ r فَقَالَ: "لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا". فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ r : "أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ دَلْوًا مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ". [1]

واعلم أن هذا المبدأ مهم جداً وهو مبدأ الرفق بالجاهل والحلم معه، بسببه ترتقي الدعوة إلى آفاق بعيدة، وبعدمه تتعطل الدعوة أعواماً مديدة، ولنا الأسوة في رسول الله r حيث يقول كما تحكي لنا أمنا عَائِشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ r قَالَ:"مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا زَانَهُ وَلا عُزِلَ عَنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ ". [2]

(7) رحمة الإسلام العامة حتى مع الحيوان:

لم تكتف شريعة الإسلام بالنهي عن إيذاء الإنسان أو تعذيبه بأية صورة كانت، بل تعدى ذلك إلى أحاسيس الحيوان الأعجم، وأشار النبي r إلى أن هذا الحيوان يحس ويتألم، ولذا ينبغي الإحسان إليه ، فعند البخاري عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ " رضي الله عنهما " أَنَّ رَسُولَ اللَّه r قَالَ:" عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ فَقَالَ: لا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ" [3]

---

1 - صحيح : الترمذي (137) ، والحديث أصله في الصحيحين .

2 - صحيح : أحمد (24527) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (10591) .

3- البخاري (2192) .

وعن شداد بن أوس t أَنَّ النَّبِيّ r قَالَ:"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحسان عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"(1)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ r خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ r لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ r حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ r فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فقَالَ: "مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ- أي صاحبه - لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فقَالَ: "أَفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؛ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ" (2)

ومعنى ذفراه: أي الموقع الذي يعرق من قفا رأسه، ومعنى تدئبه: تتعبه في العمل

وعَن ابن مسعود t قَالَ" كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ r فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ r فقَالَ: "مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا. وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ قَالَ" إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلا رَبُّ النَّارِ" (3)

(8) الإسلام يفي بالعهود حتى لو كانت للكفار:

1- صحيح : أبو داوود (2432) والنسائي (4225) والترمذي (1329) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1089) .

2- صحيح : أبو داوود (2551) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (2269) .

3 - صحيح : أبو داوود (3275) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (25) ومعنى حمرة بتشديد الميم المفتوحة نوع من الطير الصغار، وتفرش: أي تبسط جناحها حول النبي.

كما في صحيح مسلم من حديث حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ t قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلا الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلا نُقَاتِلُ مَعَهُ فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ r فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: "انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ"[1]

(9) موقف الإسلام من الديانات الأخرى:

إن الإسلام لا يُكْرِهُ أحداً على الدخول فيه، وأمر أتباعه أن يكون موقفهم مع غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل وقسط قال تعالى: (I J K L M N O P Q R S T U V W X Y [\ ] ^ _)

[الممتحنة: 8]

وقد أكدت السنة هذا الموقف بالأحاديث السابقة .

إذ كان r يحضر ولائِمَ أهلِ الكتاب، ويغشى مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم، ويعامِلُهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد، فقد كان يقترض منهم نقوداً ويرهنهم متاعاً، و لم يكن ذلك عجزاً من أصحابه عن إقراضه، بل كان يفعل ذلك تعليماً للأمة وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم[2].

1 - مسلم (3342) .

2 - ولكن لا يفهم من هذا أننا نشاركهم في أعيادهم ونذهب إليهم في كنائسهم أو دورهم فنهنئهم على أعيادهم، أو أننا نحن المسلمين نحتفل في نفس اليوم الذي يكون لهم عيداً كيوم شم النسيم أو ما

الجمع بين آية الممتحنة السابقة، وبين آية المائدة (" # $ % &
' ( ) + , - . / 0 1 2 3 5 6 7 8 9 :
;) :

نقول: إن فعل المعروف إلى الشخص لا يعني أني أحبه، فالمحبة والإخاء والموالاة لا تكون إلا للمسلم، ولكن فعل المعروف يكون للمسلم وغيره، وهو أوكد في حق المسلم.

مواقف للخلفاء وغيرهم تدل على سماحة الإسلام:

ها هو عمر بن الخطاب t مع أهل إيلياء (القدس) كتب إليهم :

هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلباهم وسائر ملتهم، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من شيء منها، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود. (1)

شابه ذلك؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك فقال تعالى:] " # $ % & ' ( ) (+ , - . / 0 1 2 3 5 6 7 8 9 : ; Z [المائدة:51]

قال الذهبي في كتاب تحذير الخسيس من الاحتفال بأعياد أهل الخميس قال: إن الاحتفال بأعيادهم من الموالاة التي نهى الله عنها وذكر الآية .

وكان r يذهب يزور مريضهم لكنه r كان إذا فعل ذلك دعاهم إلى الإسلام كما في القصة المعروفة عندما ذهب لعيادة غلام يهودي فعرض عليه الإسلام فأسلم.

1 - تاريخ الأمم والملوك للطبري (449/2).

ولما فتح الله على المسلمين (بلبيس)[1] وجدوا فيها ابنة المقـوقس واسمهـا (أرمانوسة) وكانت مقربة من أبيها، وكانت في زيارة لمدينة بلبيس مع خادمتـها (بربارة) هرباً من زواجها من قسطنطين ابن هرقل (وهو فيما بعد والد قنسـطتز) صاحب موقعة ذات الصواري وكانت غير راغبة في الزواج منـه، ولمـا تمكنـت مجموعة من الجيش الإسلامي من أسر أرمانوسة جمع عمرو بن العـاص الصـحابة وذكرهم بقوله تعالى: (هَلۡ جَـزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ´ µ) [الرحمن:60].

ثم قال: لقد أرسل المقوقس هدية إلى نبينا r وأرى أن نبعث إليه بابنته وجميع من أسرناهم من جواريها وأتباعها، وما أخذنا من أموالهم، فاستصوبوا رأيه، فأرسـلها عمرو إلى أبيها معززة مكرمة ومعها كل مجوهراتها وجواريها ومماليكها، وقالـت لهـا خادمتها (بربارة) أثناء سفرهما: يا مولاتي إن العرب يحيطون بنا من كل جانب.

فقالت : إني آمن على نفسي وعرضي في خيمة العربي، ولا آمن على نفسي وعرضي في قصر أبي.[2]

وقد أعطى صلاح االدين الأمان للصليبيين في بيت المقدس، بل قد أرسل صـلاح الدين طبيبه الخاص إلى خصمه ريتشارد الملقب بقلب الأسد[3].

ولما دخل التتار بلاد الإسلام وأسروا من الناس الكثير، ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى كبير التتار يكلمه في إطلاق الأسرى، فأطلق له الأسرى المسـلمين، وقال: لكن معنا نصارى أخذناهم من بيت المقدس، فهؤلاء لا يطلقون.

---

1 - هي إحدى المدن التي مر عليها عمرو بن العاص عندما فتح مصر، فقد مر برفح ثم العريش ثم بلبيس، وهي إحدى مدن محافظة الشرقية بمصر.

2- فتح مصر ، صبحي ندا صـ24.

3- السابق.

فقال ابن تيمة: بل جميع من اليهود والنصارى من أهل ذمتنا فإنا نفكهم، ولا ندع أسيرًا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة، فكان ما أراده الشيخ رحمه الله[1].

بل حتى مع الوثنية - التي هي أبعد الديانات عن الإسلام، ولا يربطنا بها شيء من أواصر الوحي السماوي- قد أوصانا الإسلام بها خيرا، فلا نكتفي معهم أن ندلهم على الحق ونجيرهم فقط، بل نبلغهم إلى المكان الذي يأمنون فيه من كل غائلة قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾) [التوبة :6]

ويقف رسول الله r لجنازة رجل يهودي فيقول الصحابة: يا رسول الله إنها جنازة يهودي .فيقول "أو ليست نفسا" [2]

ويمر عمر بن الخطاب على قوم من النصارى قد أُصيبوا بمرض الجذام فأمر لهم بعطاء من بيت مال المسلمين.

ويحتكم علي بن أبي طالب t - وهو أمير المؤمنين – إلى القاضي شريح قاضي المسلمين في شأن درع سرقها يهودي، ويجتمع الخصمان علي واليهودي ويجلسان أمام القاضي، والقاضي يعدل وعلي يمتثل، مما جعل اليهودي ينبهر بأفعال المسلمين ويسلم.

(10) موقف الإسلام من أعمال التفجير والتخريب والغدر والخيانة:

أجابت عن هذا السؤال اللجنة الدائمة للإفتاء فقالت:

1- الفتاوى (617/28).

2- البخاري (1312).

ولا يختلف المسلمون في تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة في دين الإسلام، إما أن تكون مسلمة فلا يجوز بحال الاعتداء على النفس المسلمة وقتلها بغير حق، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب العظام؛ يقول الله تعالى: (c d e f g h i j k l m n o p q r s) [النساء 93]

ومن الأنفس المعصومة في الإسلام أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين، فعن عبد الله بن عمرو " رضي الله عنهما " عن النبي r قال: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ...".[1]

وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة، يقول النبي t : "المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم"[2]

ولما أجارت أم هانيء (رضي الله عنها) رجلاً مشركاً عام الفتح، وأراد علي ابن أبي طالب أن يقتله، ذهبت للنبي r فأخبرته فقال: "قد أجرنا من أجارت أم هانيء". [3]

والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر؛ لمصلحة رآها فلا يجوز التعرض له، ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله[4] .

(11) وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين وعدم جواز الخروج عليهم :

1- سبق تخريجه.

2 - صحيح : أبو داود (4530)، والنسائي (4653) ، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (3475).

3 - البخاري (357) ، مسلم (1702) .

4 - الانتصار للنبي المختار، للشيخ سعد العتري ، صـــ : 98 ، 99 باختصار.

استفاضت النصوص الشرعية وأقوال السلف في السمع والطاعة لأئمَّة المسلمين ولزوم جماعتهم وتحريم الخروج على الولاة ومفارقة الجماعة، ومن ذلك قوله r : " مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ" [1]

وقوله r : ((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره ما لم يُؤمَر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) [2]

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : «عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك »[3]. والأثرة: هم الظلمة .

وقال الإمام أحمد في اعتقاده كما في السنة للالكائي: ((ومَن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقرُّوا له بالخلافة بأيِّ وجه كان بالرِّضا أو بالغلبة؛ فقد شقَّ هذا الخارجُ عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله r ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحلُّ قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمَن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنَّة والطريق)). [4]

وقال الإمام الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة: ((ولا نرى الخروج على أئمَّتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم،

---

1 - مسلم (3436) .

2 - البخاري (7144) ، مسلم (4860) .

3 - مسلم (4892) .

4 - اعتقاد أهل السنة للالكائي (168/1).

ونرى طاعتَهم من طاعة الله فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة)). [1]

(12) الحكمة من الجهاد في سبيل الله:

ما فرض الله تعالى شيئاً إلا وفيه مصلحة للعباد ، ومن ذلك فريضة الجهاد؛ فإن لها حكماً كثيرة وفوائد عظيمة منها:

(1) إخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن طريق الشيطان إلى سبيل الرحمن وعبادته، فقد أنقذ الله بهذه الأمة وجهادها من شاء من الأمم الهالكين وفى هذا المعنى قول أبي هريرة t فى قول الله تعالى: (. / 0 1 2) [آل عمران :110] قال: خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام [2] .

(2) ومنها ابتلاء الله عباده واختبارهم بتكليفهم بالقتال وبذلهم فى طاعته النفوس والأموال كما قال تعالى: (R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p r s t u v w x y z) [محمد:4] وقال: (0 1 2 3 4 5 6 7 8) [محمد :31]، وقال: (! " # $ % & ' ( )

1 - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : أحمد بن علي ، دار الحديث صـ312.
2 - البخاري (4191) .

7 6 5 4 3 2 1 0 / . - + *

8 9 : ; < = > ?) [الحديد: 25]

(3) ومنها إصلاح الأرض بالإيمان بعد فسادها بالكفر والضلال والمعصية، وقد أصلح الله الأرض ببعثة محمد وجهاده للكفار، فانتشر العدل والتوحيد والطاعة، وارتفع الظلم والشرك والمعصية، وأعز الله أهل الإيمان وخذل أهل الشرك والطغيان، ثم حذر من ضد ذلك فقال: (وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا © خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) [الأعراف:56]

(4) دفع الفساد عن الأرض ورفعه منها، وقد نبه الله تعالى على ذلك لما ذكر خبر حرب بني إسرائيل بقيادة الملك طالوت ضد القوم المجرمين بقيادة جالوت قال في آخرها :

) r s t u v w x y z {

| { ~ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ

© ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾) [البقرة:251]

(5) ومنها دفع الناس بعضهم عن بعض ورد الظالم عن المظلوم قال تعالى : (

إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ! "

$ % ' ( ) * + , - . / 0

1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = > ? @

A B C D E F G H J K L

M O P Q R S T U V W X Y Z

(f e d c a ` _ ^] \ [

[الحج : 38: 42] [1]

ولا يخفى عليك أخي ما كانت مصر تعانيه من ظلم الرومان قبل الفتح الإسلامي لها على يد عمرو بن العاص ، وأمثال ذلك كثيرة مما لا نستطيع حصرها هنا.

وبهذا يتبين أن المقصود من الجهاد هو رحمة الناس وهدايتهم للإسلام وفسح السبيل أمامهم لمعرفة الحق ودفع الظلم عنهم، وليس المقصود هو القتل والسلب والإرهاب كما يزعم أعداء الأنبياء [2]

(13) الأضرار التي نتجت عن قتل السياح المعاهدين من قبل الشباب المفتونين مقارنة بما يفعله الدعاة المصلحون:

1- الشباب المفتونون يقتلون الكافر على كفره، فيُسرعون به إلى النار، ويُخرجونه من ظلام إلى ظلام وعذاب دائم، والدعاة المصلحون يَعملون على إخراج الكافر من الظلمات إلى النور، فيظفر بسعادة الدنيا والآخرة.

2- الشباب المفتونون في قتلهم الكافر يصل إلى أهله في تابوت، فيمتلئون حقداً على الإسلام والمسلمين، وينسبون إلى الإسلام ما هو براء منه بسبب عمل هؤلاء المفتونين، والدعاة المصلحون بدعوتهم غيرهم إلى الإسلام يرجع الإنسان إلى أهله مسلماً قد أصبح من أهل الإسلام، فيدعو أهله وغيرَهم إلى الإسلام.

1 - الانتصار للنبي المختار للشيخ : سعد العتري من ص: 46 إلى ص: 48 .

2 - السابق .

3- الشباب المفتونون أهلوهم وذووهم في همٍّ وغمٍّ وحزن وأسى لحال أبنائهم السيِّئة، والدعاة المصلحون أهلوهم وذووهم في فرح وسرور وغِبطة وبهجة لحال أبنائهم الحسنة.

4- الشباب المفتونون لم يُوفَّقوا لجهاد أنفسهم، فأساؤوا إليها وإلى غيرهم، بأن وقعوا في إفسادٍ سمَّوه جهاداً، والدعاة المصلحون وُفِّقوا لجهـــاد أنفســـهم، فسعوا إلى جهاد غيرهم بدعوته إلى الإسلام.

5- الشباب المفتونون بأعمالهم الشنيعة مفاتيح شرٍّ مغـــاليق خـــير، والـــدعاة المصلحون بأعمالهم الحسنة مفاتيح خير مغاليق شرٍّ، كما ورد في سنن ابن ماجه عن أنس قال t : قال رسول الله r : ((إنَّ منَ النَّاسِ مفاتيحَ للخير مغاليقَ للشرِّ، وإنَّ من الناس مفاتيح للشرِّ مغاليق للخير، فطوبى لِمَن جعل اللهُ مفاتيح الخير على يديه، وويل لِمَن جعل الله مفاتيح الشرِّ على يديـــه)) (1)

(14) اعتراف غير المسلمين بسماحة تعاليم الإسلام:

يقول المفكر الفرنسي الشهيرغوستاف لوبن: لقد سار عمرو بن العاص في مصر على غرار عمر بن الخطاب في القدس، فشمل الديانة النصرانية بحمايته، وسمح للأقباط بأن يستمروا على اختيار باطريارك لهم كما في الماضي.

ويقول إدوين: احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة في البلاد التي فتحوها بحقوقهم الدينية، ويقول: في القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمـــة يعرفهـــا المسلمون جميعا ويجب أن يعرفها غيرهم وهي: (لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ

1 - صحيح : ابن ماجه (237)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1332) .

ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ à فَقَدِ â بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ ç
é ê ë ﴿٢٥٦﴾) [البقرة:256] فلقد ارتقت حضارة الإسلام بالإنسان في عموم شخصه فكونت منه إنسانا بكل معاني الإنسانية، يتعاون مع الآخرين، ويرحم الآخرين، ويعمل بصدق ويخلص بحق، له أخلاق كريمة نابعة من عقيدة قويمة.

وصدق من قال:

إسلامنا دين التسامح فاعلموا ... سحقاً لقوم عن سماحته عموا
دين من الله الرحيم بخلقه ... يهدي البرية للتي هي أقوم
وكتابنا القرآن منحة ربنا ... للعالمين هو الكتاب المحكم
آياته فيض الإله على الدنا ... وعطاؤه *الأوفى* يد يتكرم
إسلامنا يا قوم ليس تنطعا ... كلا ولا فكرا سقيما يهدم
إسلامنا ليس الخناجر والمدى ... كلا ولا القتل المروع والدم
يا ويح قوم قد أساؤوا فهمه ... فتمردوا وتآمروا وتشرذموا
ضلوا سبيل الرشد فالشيطان قد ... *أغواهموا وغداً سيبرأ منهموا*
يا ليتهم يتداركون أمورهم ... فالله يقبل من أناب ويرحم

الرد على شبهة وجود الرق في النظام الإسلامي:

طعن بعض أعداء الإسلام في النظام الإسلامي بأنه أباح الرق، وزعموا بذلك أنه اضطهد طائفة من الناس بما لا يتناسب مع دعوته بالمساواة في أصل الخلقة "كلكم لآدم وآدم من تراب"

والرد على هذه الشبهة كما يلي:

أولاً: تقدير الوضع الاجتماعي السائد:

إن الإسلام جاء إلى البشرية ونظام الرق سائد في حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية، فلو أنه فرض عليهم إطلاق الرقيق فجأة وحتم عليهم ذلك لكان ذلك الأمر يبوء بالفشل، ولعرَّض أوامره للمخالفة والامتهان وعدم القبول، فإقرار الإسلام للرق كان تحت هذه الظروف؛ لحكمة سامية وهي عدم تعرض الحياة الاجتماعية لهزة عنيفة تؤدي إلى أضرار بالغة [1].

---

1 - **ولعل أبلغ رد على من يتوهمون إمكانية إلغاء الرق بضربة واحدة حاسمة هو ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية .فقد حاول الرئيس المصلح "أبراهام لنكولن" القضاء على الرق هناك بقانون حاسم فماذا كانت النتيجة ؟ اندلعت حرب أهلية طاحنة بين ولايات الشمال المطالبة بإلغاء الرق، والولايات الجنوبية داعمة الاستعباد، استمرت سنوات، وهلك فيها الملايين من الفريقين، وتعرضت البلاد لخراب شامل. بل لقي لنكولن نفسه مصرعه بسبب محاولته إلغاء الرق، فقد اغتاله أحد المجرمين البيض الذين يرفضون السماح بتحرير السود ومساواتهم بالسادة !! وبقيت التفرقة العنصرية بعده قروناً عديدة بل مازالت العبودية هناك في صور أخرى كما رأينا !! ونشير أيضاً إلى مئات الثورات الدموية الرهيبة التي اندلعت من جانب العبيد على مر العصور، احتجاجاً على القهر والإذلال وإهدار الآدمية، وتطلب قمع هذه الثورات - من جانب السادة - أنهاراً من الدماء، وخسائر اقتصادية فادحة . فهل هذا الهلاك للحرث والنسل والخراب الشامل مما يُلام الإسلام على تجنبه ؟! إن هذه الجزئية في حد ذاتها هي من دلائل عظمة الإسلام، وأنه بالفعل من عند الله الحكيم العليم بما يصلح خلقه وما يناسبهم من تشريعات تحقق العدل والمساواة بين الجميع، وفي ذات الوقت تضمن الأمن والاستقرار في المجتمع..**

ثانياً: تشريع الوسائل التي تساعد على العتق تدريجياً:

ويتلخص ذلك في طريقين:

أحدهما: تضييق منافذ الرق:

بأن وضع قيوداً على بعض مناهج الرق التي كانت سائدة فحرمها الإسلام ولم يجعلها وسيلة للرق، بل جعل بعض صورها للعتق، فمن هذه النظم التي كانت سائدة وأبطلها الإسلام:

(1) تحريم رق الحر:

كان الحر إذا اختطف يباع ويكون رقيقاً قال النبي r :"قال الله: ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ

وهناك عبارة موجزة خالدة لعمر بن عبد العزيز تلخص بالضبط التصرف السليم تجاه مشكلة كالرق. فقد كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنهما) شاباً صالحاً يحث أباه العظيم على الإسراع بالقضاء على كافة المظالم التي وقعت قبل توليه الخلافة . فقال الخليفة العظيم: "يا بنى .. لو حملناهم على الحق جملة لتركوه جملة" .. والمعنى الواضح هو أن أغلب الناس لا يتحملون التغيير المفاجئ، وخاصة إذا كان تغييراً اجتماعياً واقتصادياً هائلاً مثل إلغاء الرق وتحرير العبيد الذين كانوا أكثر من الأحرار عدداً في كل المجتمعات . عليها . ونشير هنا مرة أخرى إلى أن من شأن التشريع الذي يفعل هذا بخطوة واحدة متسرعة أن يفشل فشلاً ذريعاً، وبالتالي يتسبب في تثبيت دعائم المظالم وليس القضاء على المعاهدات الدولية والقوانين المحلية في كل الدول قد فشلت حتى الآن في القضاء على الرق - كما رأينا - وما زال عشرات الملايين من الفقراء - خاصة النساء والأطفال - ينضمون سنوياً - إلى جيوش الضحايا المستضعفين في الأرض .. المسألة ليست نصوصاً تصدر فينتهي الرق؛ إذ لا جدوى من تغيير النصوص إذا لم تصلح النفوس. وإصلاح الأنفس هو بالضبط ما فعله الإسلام أولا. وبدون إصلاح القلوب والعقول تتحول النصوص إلى مجرد "حبر على ورق" لا يسمن ولا يغني من جوع (الإسلام محرر العبيد: حمدي شقيق) وانظر كذلك شبهات حول الإسلام محمد قطب.

غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ" [1]

(2) تحريم رق من ارتكب بعض الجرائم: وكان هذا أيضاً من النظام السائد أن من سرق أو قتل يجعلونه رقيقاً لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجني عليه.

(3) تحريم رق أولاد الجواري [2]:

وهذا من أعظم ما يفخر به الإسلام؛ لأنه بذلك فتح باباً واسعاً للعتق، فالمرأة إذا حملت من سيدها كان ولدها عبداً في النظم القديمة، ولا شك أن هذا كان يدفع في المجتمع بالآلاف من الرقيق فحرم الإسلام ذلك، وجعل أولاد الجواري أحراراً، بل تصير الجارية نفسها حرة إذا مات سيدها؛ لأن ولدها حر ويقال لها: أم الولد .

(4) هناك أشياء أخرى حرمها الإسلام في نظام الرق كرق المدين إذا عجز عن دفع دينه، وهذا كان النظام واقعاً قبل الإسلام.

(5)ومن ذلك أن يبيع الإنسان نفسه ويتنازل عن حريته إذا دفعه العوز إلى ذلك .

(6) ومنها تحريم استغلال الوالد سلطته في بيع بعض أولاده الذكور أو الإناث .

وعلى هذا فالإسلام لم يقر إلا نوعين فقط من الرق وهما: ما كان نتيجة البيع والشراء للعبيد والجواري الأصليين أو ما كان من أسرى الحرب، ومع ذلك فقد فتح الأبواب ورغب في عتق هذين النوعين على ما يأتي:

أنه أيضاً لم يجعل رق الحرب نتيجة حتمية لا بد منها، بل يبيح المن بدون مقابل أو الفداء بإطلاق سراحهم مقابل مال أو نظير تبادل الأسرى.

1- البخاري (2075).

2- وكذلك أولاد الحرة من العبد هم أيضاً أحرار .

ثانيهما: فتح منافذ العتق:

كان نظام الرق في النظم القديمة يضيق المنافذ على نيل الحرية للرقيق، بل إنه لم يبح العتق إلا في حالة واحدة فقط، وهو إذا رغب السيد في عتق عبده، وذلك في ظل شروط قاسية ومعقدة، بل إنهم في بعض المجتمعات كانوا يفرضون غرامة مالية كبيرة يدفعها السيد للدولة إذا أعتق عبده، وأما الإسلام.

وأما الإسلام فقد وسع المنافذ للعتق فمن ذلك:

(1) العتق بمجرد صدور كلمة العتق من السيد:

ولو كان هازلاً: قال r : "ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والعتق"[1]

(2) الوصية بالعتق: كأن يقول لعبده أنت حر بعد موتى، ويسمى هذا العبد "المدبر" ولا يجوز للسيد إذا صدر منه هذا اللفظ الرجوع فيه، ولا يجوز له أن يبيعه أو يرهنه أو يهبه أى أنه يمنع حق التصرف فيه.

(3) العتق بسبب أن تحمل منه الجارية وتسمى" أم الولد"، وقد حرم الإسلام بيع أمهات الأولاد فقد أعتقها ولدها، وهذا الولد أيضا حر، وقد تقدم أنه كان فى النظم القديمة يصير عبداً.

(4) نظام المكاتبة: قال تعالى: (! @ A B C D E F
G H I J ! L M N O P Q i) [النور :33]

1- صحيح : أخرجه الخمسة إلا النسائي بلفظ " الرجعة " وليس " العتق" ، وبهذا اللفظ حسنه الشيخ الألباني في الإرواء (2061)، وأما لفظ "العتق" فقد ورد عند مالك.

وذلك أن يتفق السيد مع عبده بأن يدفع له مبلغاً من المال فينال بذلك الحرية، وحثت الآية على مســاعدهم والتصـــدق علـــيهم: (L M N O P Q i) وظاهر الآية أنه يجب على السيد قبول المكاتبة مع العبد إذا رغـــب العبد في ذلك؛ لأن الله أمرهم بذلك .

(5) العتق كفارة عن المعاصي:

فبينما كانت الجرائم في النظم السابقة سبباً للرق صارت في نظام الإســـلام للعتق، فتحرير العبد قربة يكفر بها العاصي عن جرمه ومعصيته، فجعله كفـــارة في القتل الخطأ، وفي كفارة من جامع في نهار رمضان.

(6) العتق في كفارة الأيمان: فتحرير الرقبة كفارة في يمين الظهار، وكفارة في الحنث في يمين الحلف.

(7) حبب الإســـلام العتق تطوعا: قال تعـــالى: (s t u v w x y z }) [البلد]، وقال r :"مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْـــوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ"[1]

(8) خصص الإسلام في سهم الزكاة سهما لتحرير الأرقاء، أي أنه جعل في ميزانية الدولة جزءًا لتحرير الرقيق، عكس ما كان سائداً أن من حرر عبداً أخذت منه غرامة مالية.

وبهذا يعلم أن الإسلام ساهم مساهمة كبيرة في تحرير الأرقاء، ومن الملاحظ أنك لا تجد في كتب الفقه الإسلامي أبوابا تسمى أبواب الرق، وإنما تجدهم يسمونها

1 - البخاري(2333) ، مسلم (2776).

أبواب العتق، وذلك يدل على مدى الرغبة الشديدة المتوفرة في نصوص الشـــريعة الإسلامية إلى عتق الأرقاء ونيلهم الحرية، حتى صار الأمر إلى ما هو معلوم اليـــوم، حيث لا ترى رقيقاً واحداً ، وليس هذا بفضل قوانين الأمم المتحدة، فـــإلى عهـــد قريب كان الرقيق في بلاد أمريكا. وتسلطهم على بلاد أفريقيا، ولا يســـمح هـــذا المختصر لبيان ظلمهم الذي كانوا يفرضونه على الرقيق . (1)

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأحبتي في الله : المستقبل لهذا الدين :

المستقبل لهذا الدين مهما تكتلت قوى الشر عليه؛ لأن الذي يـــزرع لهـــذا الدين هو الله قال تعالى: (k l m o p q r) [الأنفال30]

فلا تحسب ما يقع لهذه الأمة هو شرٌ لها بل هو خير لها، فلعلها تكون سببا في دخول غير المسلمين الإسلام (2)

قـــال تعـــالى: (~ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ © جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾) [الصافات 171 - 173]

1- تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة للشيخ العزازي صـــ 428: 431 ، وانظر في هـــذا كتاب شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ، الإسلام محرر العبيد لحمدي شفيق.

2- كما حدث لما نشرت صحف الدنمارك لرسول الله r هذه التصاوير المسيئة له r نفدت طبعـــات القرآن باللغتين الفرنسية والإنجلزية، ودخل غير المسلمين الإسلام.

وعن تَمِيمٍ الدَّارِىِّ t قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ يُعِزُّ بِهِ الإِسْلاَمَ، أَوْ ذُلٍّ ذَلِيلٍ يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ »(1).

فالخلافة ستنزل بيت المقدس بإذن الله كما جاء عند أحمد من حـــديث أبي حوالة أن رسول الله r وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ أَوْ هَامَتِهِ فَقَالَ: "يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلازِلُ وَالْبَلايَا وَالأمُـــورُ الْعِظَـــامُ ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ" (2)

رسالة إلى شباب الأمة:

إليكم يا شباب الأمة يا من تعقد الأمة آمالها عليكم بعد الله عزوجل، فأنتم عدة المستقبل، عليكم أن تكونوا شباب علم ودعوة وجهاد؛ حتى يحصل النصر، يا شباب الأمة كيف ننصر وفينا من يقلد الأعداء في الثياب والعادات؟!

أقول لكم: أقبلوا على ربكم وانصروا دينكم بتطبيق شرائعه؛ حتى تـــأتيكم العزة كما وعـــد ســـبحانه بـــذلك: (< = > ? @ A B

C D E F G H I J K L M N

O P Q R S T U W X Y Z [ ] ^ _

` a b c d) [النور:55]

وقال شيخ الإسلام: من رام السعادة الأبدية فليلزم تمام العبودية.

1- صحيح : أحمد (23814) من حديث المقداد بن الأسود، والطبراني فـــي المعجـــم الكبيـــر(601) والبيهقي في السنن الكبرى (19090) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (7/1).

2 - صحيح : أحمد (21449) من حديث أبي عوانة ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجـــامع (7838).

رسالة إلى الدعاة وطلبة العلم:

يا من تبذلون أوقاتكم وأموالكم وجهدكم لله ، أقول لكم: لا تستعجلوا النصر، وصبّروا الأمة، ولا يسيطرنّ عليكم اليأس: (') (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6) [يوسف]

واعلموا أن النصر قادم، لكن علينا أن نزرع لهذا النصر، كما روى عنه r :
" نحن معاشر الأنبياء نبتلى ثم تكون النصرة لنا"

فأنتم تسيرون في طريق الأنبياء، فلكم كما للأنبياء من النصرة والتمكين بقدر إخلاصكم وهمتكم:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر أهل الكرام المكارم

وصدق من قال:

من جدّ وجد ومن زرع حصد، ومن نام ليس كمن سهر، وإن الفضائل تحتاج إلى وثبة أسد.

رسالة إلى المجاهدين:

يا من رفعتم العار والذلة والصغار عن جبين الأمة، يا من تركتم لذيذ العيش لنصرة دينكم والمسارعة إلى نيل الشهادة من ربكم ، إلى المجاهدين في أرض الإسراء إلى المجاهدين في الشيشان في العراق في كل مكان أسأل الله لكم الإخلاص والثبات، اعلموا أن هذا هو سبيل النصر، فوالله ثم والله لن تنصر هذه الأمة إلا بالجهاد، كما في مسند أحمد من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ:" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"[1]

1- صحيح : أبو داوود في البيوع (3003) وأحمد (4765) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (423).

فيا أيها المسلمون :

أعلنوهـــا أبنـــاء دينـــي مـــرارا أطلقوهـــا ورددوهـــا شـــعارا
أيهـــا المســـلمون هيـــا اســـتفيقوا نحـــن مســـتهدفون دينـــا ودارا
أصـــبح المســـلمون فـــي الأرض صيدا يحكم المعتدي عليـه الحصـــارا
والحـــروب التـــي توالـــت علينـــا خلفـــت فـــوق أرضـــنا اســـتعمارا
فأشـــبع المســـلمين ذلاً وقهـــرا واحـــتلالا واســـتعبد الأحـــرارا
فـــي فلســـطين ذبحـــوهم والعـــراق والضـــحايا فـــي كـــل أرض تـــوارى
كـــم صـــرخنا فـــي كـــل واد هبـــاء واســـتغثنا فلـــم نجـــد أنصـــارا
مجلـــس الأمـــن إن أتينـــاه نشـــكوا غـــض عنـــا أبصـــاره واســـتدارا
عصـــبة بيتـــت لنـــا كـــل شـــر لا تـــداري أو تـــدعي الإنكـــارا
إن فـــي فلســـطين الجريحـــة شـــعبا وحّـــد الله مـــا اعتـــدى أو جـــارا
مســـلم طيـــب عريـــق نبيـــل لـــم يكـــن ظالمـــا ولا جهـــارا
عصـــبة الكفـــر هاجمتـــه وراحـــت تســـقط المـــوت فوقـــه والـــدمارا
ذبّحـــوا جرّحـــوا أبادوا اســـتباحوا شوهوا شـــردوا قـــوة واقتـــدارا
والعـــذارى قـــد اغتصـــبن اغتصـــابا لهف نفسي علـــى اغتصـــاب العـــذارا
والثكـــالى المولـــولات البـــواكي يحتســـبن الأحبـــة الأبـــرارا
والصـــغار الـــذين يبكـــون جوعـــا يا لوحشـــة الجـــوع يفنـــي الصـــغارا
يصـــرخ الطفـــل أطعمينـــي أطعمـــي ني فتسقي طفلها الأمُ دمعهـــا المـــدرارا
الجهـــادَ الجهـــادَ يـــا قـــوم هبـــوا قـــد أطلـــتم يـــا قومنـــا الانتظـــارا
كيـــف ماتـــت أخـــوة الـــدين فينـــا أصـــبح الحـــب بيننـــا مســـتعارا
ثـــم عشـــنا فـــي فرقـــة واختلفنـــا وافتقـــدنا الوفـــاء والإيثـــارا
لـــم يعـــد بعضـــنا لـــبعض ظهيـــرا كالجـــدار الـــذي يشـــد الجـــدارا
وابتعـــدنا عـــن ديننـــا وافترقنـــا فابتلينـــا هزائمـــاً وانحـــدارا
ربنـــا إليـــك التجئنـــا كـــن مغيثـــا لمـــن دعـــا واســـتجارا
وانصـــر المســـلمين نصـــرا قريبـــا يـــا مجيبـــا يـــا واحـــدا قهـــارا

الخطبة السادسة: الحقوق المتبادلة بين الزوجين

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

ا 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

[النساء:1] (? > = < ; : ا 8 7 6 5 4 3

لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ~ } | { z y x w v u)

ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **r** ، وَشَـــرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان:

إن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله؛ لذا أولى الإسلام الأسرة عناية كبيرة، وكفل لها ما يضمن سعادتها وسلامتها.

واعتبر الإسلام الأسرة مؤسسة تقوم على شركة بين اثنين، المسؤول الأول فيها هو الرجل قال تعـــالى: (! " # $ % & ' ( ) (* + O ! " # $ % & ' ( ) * + , - . N النساء: ٣٤)

وجعل الإسلام هذه الشركة تقوم على حقوق متبادلة بين الزوجين كما بين ربنا في كتابه فقال سبحانه: (h i j k l) [البقرة :228]

وكذلك قال r : " ألا إن لنسائكم عليكم حقاً " [1]

أولاً: حقوق الزوجة على الزوج

الحق الأول: أن يطعمها إذا طعم وأن يكسوها إذا اكتسى:

جاء عند مسلم أنه r قال: "وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ" [2]

وورد عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ r : مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ:"أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى وَلا يَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلا يُقَبِّحْ وَلا يَهْجُرْ إِلا فِي الْبَيْتِ" [3]

الحق الثاني: أن يحافظ لها على دينها:

قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ´ µ ¶ ¸ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾) [التحريم:6]

1- صحيح : حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (7880).

2 - مسلم(2137) .

3 - صحيح : ابن ماجه (1840)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (3149) .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِي اللَّه عَنْهمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قــال: " كُلُّكُــمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ...... " (1)

وكان عمر t يصلي من الليل ثم يوقظ أهله ويتلو قولــه تعــالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ © نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾)

(طه132)

لذلك يجب على الرجل في أسرته أن يأمرهم بالصلاة والصيام، ويأمر نسائه وبناته بالحجاب وسائر أوامر الدين .

فعلى الرجل أن يُعَّلِّمَ المرأةَ الضروري من دينها، أو أن يأذن لها في حضــور مجالس العلم أو أن يأتي لها بالكتب النافعة والأشرطة المفيدة التي تعلمها دينها؛ فإن حاجتها لإصلاح دينها ليس بأقل من حاجتها إلى الطعام والشراب الواجب بذلهما لها؛ وذلك لقوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) والمرأة من الأهل .

الحق الثالث: الصبر على ما يراه من سوء منها:

قال الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ ´ ¶ ، فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾) [النساء:19]

1 - البخاري (844) ، مسلم (3408) .

روى البخاري ومسلم عَن أَبِي هريرة t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: "وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا " [1]

أي أن الرجل إذا أراد أن يقيم المرأة على الجادة وعدم الاعوجاج أدى به ذلك إلى الشقاق والفراق وهو الكسر، كما جاء ذلك صريحاً في لفظ مسلم لهذا الحديث.

وإذا صبر على سوء حالها وضعف معقولها دام الأمر واستمرت العشرة؛ لذلك قال r :"استوصوا بهن خيرا " أي بالصبر على ما يقع منهن، وفيه رمز إلى التقويم برفق حيث لا يبالغ فيه فيكسر ، ولا يترك فيستمر على عوجه كما جاء عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ:"إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَيَّنَه وجَمَّلَه ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ" [2] أي وبخه وقبحه .

قال بعض السلف : ليس حسنُ الخلق مع المرأة كفَّ الأذى عنها، بل تحملُ الأذى منها، والحلم على طيشها وغضبها؛ اقتداءً برسول الله r فقد كان نساؤه يراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل . [3]

وليعلم الإنسان أنه ليس هناك شخص كامل أبداً، فلا بد من الزلل، ولكن هذا الزلل يقدر بقدر، ويختلف من ذلل لآخر؛ فهناك ما يتغاضى عنه، وهنالك ما لا

---

1 - البخاري (4787) ، مسلم (2670).

2 - مسلم (4698) .

3 - الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز ص302 ، نقلاً من مختصر منهاج القاصدين ص:78، 79، دار: ابن رجب .

يتغاضى عنه فمثلاً: لا يتغافل عن ترك الصلاة أو كلامها مع الرجال الأجانب، أو ما أشبه هذا .

فالزوج يتغافل عن بعض الأشياء البسيطة التي من الممكن أن تزول فيما بعد أو بموقف بسيط .

فيتغافل مثلاً عن رداءة الطعام مع محاولة إصلاحه بأن يثني لها على طعامها- وهذا من الكذب الجائز- ويأتي لها بمجلة تحتوي على أجمل الأطعمة أو غير ذلك من وسائل الإصلاح غير المباشرة، فهي بنفسها ستحاول ذلك إذا وجدت ثناءً من الشخص عليها.

فالتغافل في أمور الدنيا وليس أمور الدين التي هي حق الله عزوجل، فلو فعل ذلك لتحسنت هي بنفسها في أمور الدنيا

قال بعض الحكماء: العاقل هو الحكيم المتغافل .

وقيل لبعض العارفين: ما المروءة ؟ قال: التغافل عن زلة الإخوان.

وقال الإمام أحمد: العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل .

وقال كثير:

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَطَلَّبْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْهَا وَلا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ. [1]

---

1 - كل هذه الآثار من كتاب " غذاء الألباب شرح منظومة الآداب " للسفاريني، طبعة: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية .

وعليه إذا رأى ما يسوؤه من العشرة أن يتذكر ما يسره؛ وذلك لما ورد عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ _ أَوْ قَالَ : غَيْرَهُ "[1] ومعنى لا يفرك أي: لا يبغض .

الحق الرابع:التبسم في وجهها وإدخال السرور عليها:

قال النبي r : "تبسمك في وجه أخيك صدقة" [2]

وقال الحسن البصري: حسن الخلق هو بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه .

وقال بعض العلماء: هو التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

فدائما يختار لها أطايب الكلام ويبتعد عن أقبحه، ولا يجعل حياته تهديداً لها بالطلاق في كل وقت، فإن هذا يعكر صفو الحياة الزوجية فالكلمة الطيبة صدقة

وكذلك مما يدخل السرور عليها التلطف معها والمداعبة معها؛ اقتداءً برسول الله r فقد كان يتلطف مع عائشة ويسابقها حتى قالت :"سَابَقَنِي النَّبِيُّ r فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا، حَتَّى إِذَا رَهِقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي فَقَالَ:"هَذِهِ بِتِيكِ"[3]

ومن هذا الباب جواز الكذب من الزوجين على بعضهما لمصلحة الحياة الزوجية أي بتظاهر الحب ولو لم يوجد، كأن يقول لها مثلاً: أنت أحب الناس إليَّ أو يأتي لها بأبيات في الحب فيقول مثلاً كما قال علي بن أبي طالب t لفاطمة (رضي الله عنها) حين رآها تساك فقال :

---

1 -مسلم (2672) .

2 - صحيح : الترمذي (1879)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2908) .

3 - صحيح : ابن ماجه (1969) وأحمد (32989)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (131)، ولكن بلفظ "سابقني النبي فسبقته".

قد فزت يا عود الأراك بثغرها أما خفت يا عود الأراك أراكَ؟!

لو كنتَ من أهل القتال قتلتــكَ ما فاز مني يا سِواكُ ســـواكَ

وذلك لما ورد عن أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه r يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَذِبِ إلا فِي ثَلاث: الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ الْقَوْلَ وَلا يُرِيدُ بِهِ إِلا الإصْلاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا "[1]

ومن هذا الباب أيضاً أن يخاطبها بأحب الأسماء إليها أو يترخم في اسمهـــا، كما كان يفعل النبي r مع عائشة حيث كان ينادي كان يقول: يا عائش. وذلـــك لإدخال السرور على قلبها، وأحياناً كان يقول لها: يا حميراء .

ومن هذا الباب أيضاً الاستماع إلى حديثها، حتى لو لم يكن مفيـــداً كمـــا كان من هديه r كما هو واضح في حديث أم زرع الطويل.

ويدخل في هذا أيضاً إكرام أهلها ، فكما أن من حق الزوج على زوجته أن تكـــرم أهله فإن من حق الزوجة على زوجها أن يكرم أهلها.

ويا حبَّذا لو ساعدها في بعض أمور المترل ،

1 -مسلم (4717) .

فعن عروة قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين أي شيء كان يصنع رسول الله r إذا كان عندك ؟ قالت: ما يفعل أحدكم في مهنة أهله يخصف نعله ويخيط ثوبه ويرقع دلوه[1] .

الحق الخامس : عدم الغضب في وجهها:

إن الغضب دائماً مذموم، وقد وصى النبي r الرجل الذي جاءه فقال: أوصني فقال له: "لا تغضب" ثلاثاً ، والغضب دائماً لا يأتي بخير.

فعلى الإنسان دائما أن يتحلى بالحلم، فبه سوف يحقق كل ما يريد

وقد ساد الأحنف ابن قيس قومه أربعين سنة بالحلم.

قال عنترة:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلا مَنْ طبعُه الغضبُ [2]

قلت: لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله كما كان يفعل النبي r

من كان رحيمًا فليقسُ أحيانًا على من يرحم

الحق السادس : أن يتجمل لها ويعطيها حقها في الفراش:

قال الله تعالى: (h i j k l) [البقرة :228]

1 - صحيح : أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه(5676)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (539) باب ما يعمل الرجل في بيته، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد عند كلامه عن هذا الحديث، وأصل الحديث في صحيح البخاري (5579) في كتاب الأدب من صحيحة ولفظه: "كان رسول الله في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة " والمهنة هي الخدمة .

2 -نضرة النعيم من أخلاق النبي الكريم (4439/10)، دار: الوسيلة .

كما قال ابن عباس: إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي .

وقد رد النبي r على عثمان بن مظعون التبتل[1]، وكذلك زجر عبد الله بن عمرو الذي كان يقوم الليل ولا ينام وقال له: "إن لأهلك عليك حقاً"

ومن الخطأ الشائع أن الرجل يعمل اليوم كله ثم يأتي آخر الليل وهو متعب فلا يقرب زوجته، أو أن يسافر مدة طويلة تزيد على أربعة أشهر؛ فإن كثرة غياب الزوج عن زوجته يؤدي إلى الشقاق وتفكك المجتمع؛ وهذا كله ينافي المعاشرة بالمعروف.

الحق السادس: أن يأذن لها في الخروج من البيت إذا احتاجت إلى ذلك [2]:

كأن تخرج للصلاة أو درس علم أو إلى زيارة الأهل أو الجيران أو غيرهم بشرط أن تخرج ملتزمة الزي الإسلامي، وأن لا تصافح أو تخالط الرجال الأجانب، وأن لا تخرج متعطرة لقوله r : "لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلاتٌ " [3]

الحق السابع: أن لا يفشي سرها وأن لا يذكر عيبها:

إذ هو الأمين عليها، ومن أخطر الأسرار أسرار الفراش؛ ولذا حذَّر النبي r من إذاعتها فقال عن الذي يفشي سرَّ زوجته أو العكس قال r :"إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانَةٍ لَقِيَتْ شَيْطَانًا فِي السِّكَّةِ فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ" [4]

1- البخاري (4685) ، مسلم (2488) ، والتبتل: الانقطاع للعبادة وترك النكاح.

2- قال الإمام ابن حجر تعليقا على قول الإمام البخاري : باب جواز خروج النساء قال: يفهم من ذلك أن الأصل عدم جواز خروج النساء.

3- صحيح : أبو داود (478) وأحمد (5467) والدارمي(1248)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (574).

4- صحيح : أبو داود (1859) وأحمد (26301) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (7037)

الحق الثامن: أن يستشيرها في الأمور:

لاسيما الأمور التي تخصهما وأولادهما؛ اقتداءً برسول الله r ، ومن ذلك ما كان منه يوم الحديبية حين فرغ من كتابة الصلح ثم قال لأصحابه: "قوموا فانحروا ثم احلقوا " فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، ثم دخـــل علـــى أم سلمة (رضي الله عنها) فقص عليها ذلك فقالت له: يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ...[1]

وقد لا يأخذ برأيها - وقد يكون رأيها هو الصواب - ولكن يفعل هـــذا؛ تطييباً لخاطرها.

الحق التاسع: العدل بين الزوجات لو عنده أكثر من واحدة:

العدل في المطعم والملبس والمسكن والفراش بالقدر المستطاع؛ لقوله r : "من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل"[2]

1 - البخاري (2529) .

2 - أبو داود (2119) وغيره، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء(2017).

ثانياً: حقوق الرجال على النساء.

الحق الأول: أن تطيعه طاعة مطلقة في غير معصية الله:

كما جاء عند الترمذي من حديث أم سلمة (رضي الله عنها) أنه r قال: "أيما امرأة ماتت وزوجها عليها راض دخلت الجنة"[1]

و قوله r : "إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ"[2]

وعند الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: "لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا"[3]

وعند أحمد عَنِ الْحُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ r فِي حَاجَةٍ فَفَرغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ r : "أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟" قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: "كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟" قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ. قَالَ: "فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ" [4]

فعلى المرأة أن تطيع زوجها طاعة مطلقة لكن تحذر أن تطيعه في معصية الله:

1 - ضعيف : الترمذي (1081) وابن ماجه (1844)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع(2227)

2 - صحيح : أحمد (1573)، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (3254) .

3 - صحيح : الترمذي (1094)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (173) .

4 - صحيح : أحمد (18233) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (1933) ، ومعنى آلوه: أقصر في خدمته.

وذلك كأن تطيعه في النمص؛ وقد لعن رسول الله r النامصة والمتنمصة [1]

وكأن تنـــزع حجابها من أجله عند الخروج من المترل، وقد روي عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُـــمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَـــا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا" [2]

أو تطيعه في الظهور على الرجال الأجانب ، والاختلاط بهم ، ومصافحتهم وليسوا لها بمحارم

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ: " إِيَّاكُمْ وَالــدُّخُولَ عَلَــى النِّسَاءِ". فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَـــالَ: "الْحَمْـــوُ الْمَوْتُ" [3]

أو أن تطيعه في الوطء في المحيض أو الدبر أو يجامعها في نهار رمضـــان ، إلى غير ذلك مما فيه معصية لله تعالى؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة في المعروف .

---

1 - مسلم (5013)، ومعنى النمص: الأخذ من الحواجب.

2 - مسلم (3971) .

3 - البخاري (4831) ، مسلم (4037) والحمو المذكور في الحديث: هم أقارب الزوج كالأخ وابن العم ونحوهما، ومعنى الموت: الهلاك.

الحق الثاني: أن تتجمل له :

فالزوجة الذكية هي التي تعرف كيف تكسب قلب زوجها، وكيف تكون دائما زوجة جديدة في حياته كل يوم ؛ فالكلمة الحلوة زينة، والبسمة المشرقة جمال، والرائحة الطيبة بهجة ، والفستان الأنيق ، واللمسات الجميلة للشعر، كل ذلك وغيره يؤدي إلى زيادة الحب من الزوج للزوجة؛ وذلك لقوله r عن خير النساء:"الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ" وسيأتي قريباً.

أما إذا وجدها لا تبالي بمنظرها فإنه قد يهجر البيت ويفر منه بسبب هذا الصنيع ، لذا أقول لكِ يا أخيه : إذا وجدت حال زوجكِ قد بدأ يتغير فاسأل نفسك أولاً. فعلى المرأة دائما أن تبحث عن الأشياء التي يحبها زوجها، كما قالت المرأة حين أوصت ابنتها ليلة الزفاف فقالت لها:كوني له أمة يكن لك عبدا ...ولا يشم منك إلا أطيب ريح(سيأتي) .

الحق الثالث: أن لا تصوم إلا بإذنه:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "لا تَصُمِ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَنْ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاهِدٌ إِلا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ كَسْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّ نِصْفَ أَجْرِهِ لَهُ "[1]

وعلى هذا يجوز لها أن تصوم وهو غائب، قال أبو زرعة: وفي معنى غيبته كونه لا يمكن التمتع بها لنحو مرض [2]

1 - البخاري (4739) ، مسلم (1704) .

2 - تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (116/3) للعزازي ، دار: قرطبة .

الحق الرابع: أن لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه:

والمراد بيت الزوجية سواء كان الزوج حاضراً أو غائباً،

وذلك لحديث مسلم والترمذي أنه r قال: "فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ "[1]

قال النووي: فلا يحل للمرأة أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غـــيره في دخول مترل الزوج، إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول مترل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه ، أو ممن أذن لـــه في الإذن في ذلك ، أو عرف رضاه باطراد العرف بذلك، ومتى حصل الشـــك في الرضـــا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحل الدخول ولا الإذن [2].

الحق الخامس: أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه:

قال ابن قدامة: وللزوج منعها من الخروج من مترله إلى ما لها منه بد سواء أرادت زيارة والديها أو عيادهما أو حضور جنازة أحدهما.

قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة قال: طاعة زوجها أوجب عليها من أمها، إلا أن يأذن زوجها .

هذا ما قال ابن قدامة لكنه قال بعد ذلك تنبيهاً للأزواج الظلمـــة الـــذين يستغلون قوامتهم في منع أزواجهم عن آبائهن وأمهاهن فقال: لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارهما؛ لأن في ذلك قطيعة لهما وحملاً على مخالفته، وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة، وليس هذا من المعاشرة بالمعروف [3]..

1 - مسلم (2137) .

2 - المصدر قبل السابق نفس الصفحة نقلاً من شرح النووي على صحيح مسلم .

3 - السابق نفس الصفحة والتي تليها بتصرف بسيط .

الحق السادس: أن تحفظ ماله:

وذلك لما وردِ عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ r : أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: "الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ"[1]

فلا يحل لها أن تتصرف في ماله بغير رضاه؛ لأنها راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها.

كذلك لا تتصرف في ماله إلا بإذنه، إلا أن يكون من قوتها أو مما جرت العادة به بشرط عدم الإفساد .

قال النووي: ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ولا معروف من العرف فلا أجر لها بل عليها وزر.

قلت: فمثلاً إذا أعطاها مبلغاً من المال وقال: هذا قوتك هذا الشهر ولم يكف وهو عنده ما يكفيها لكنه بخيل، فلها أن تأخذ دون إذنه بشرط عدم الإسراف.

الحق السابع: أن تحفظه في دينه وعرضه:

وذلك بأن لا تتبرج أمام الأجانب [2]ولا تخرج سافرة في الطرقات أو في الشرفات، ولا تخلو برجل أجنبي (ومن ذلك لا تخلو بأخي زوجها)، ولا تفشي أسرار زوجها، ونحو ذلك [3]

---

1 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (1838).

2 - المقصود بالأجانب هنا هم كل من يحل للمرأة الزواج منهم إذا افترقت عن زوجها الحالي بطلاق أو موت أو نحوهما.

3 - راجع الحق السابع من حقوق الزوجة على زوجها.

الحق الثامن: أن تكرم أهله:

وأن تكون هي سبباً في صلته بأهله، وأن تكرم والديه فما أحسنت إلى زوجها من أساءت إلى والديه وأقاربه.

قلت: وليس هذا بواجب عليها، ولكن بالقدر المستطاع؛ فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

الحق التاسع: عدم امتناعها عن فراشه:

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ r :"إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ"[1]

حتى لو لم يكن لها الرغبة في ذلك إلا إذا كان هناك عذر يمنعها ، ولو امتنعت ورضي الزوج بذلك فلا إثم عليها؛ لأن شرط اللعنة في الحديث عدم رضي الزوج؛ وذلك لورود الحديث بلفظ: "إيما امرأة باتت وزوجها عليها غضبان "

وننصح الأخت المسلمة بالاطلاع على كتاب جيد في هذا المجال بعنوان" هديتي لابنتي عند زفافها" للشيخ: محمد بن رزق هرموني ، وهو موجود على الشاملة، ولا يجوز الاطلاع عليه لغير المتزوجين، وفيه حلول لكل المشاكل الزوجية، ومنها مشاكل الجماع (للزوج والزوجة).

1 - البخاري (2998) ، مسلم (2594) .

الحق العاشر: أن لا تطلب الطلاق من غير سبب:

وذلك لما ورد عن ثوبان عن النَّبِيِّ r قَالَ: "الْمُخْتَلِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ" [(1)]

روي عنه أَنَّهُ r قَالَ:"أَيُّمَا امْرَأَةٍ اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ غَيْـــرِ بَـــأْسٍ [(2)] لَمْ تَرِحْ رائحة الجنة " [(3)] .

الحق الحادي عشر: أن لا تكْفرَه وعليها بالقناعة:

فإذا جاء لها بشراب أو طعام أو كسوة فيجب عليها أن تقابل هذا بالشكر له والدعاء له بالبركة والنماء في ماله وصحته؛ لقوله r : "من أدى إليكم معروفـــاً فكافئوه، فإذا لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له بالخير" [4] وقوله r :" من لم يشـــكر الناس لم يشكر الله" [5]

وعليها بالقناعة وأن لا تنظر إلى غيرها من النساء؛ فإن الله تعـــالى يقـــول:

ZY X W V U S R Q P O N M L J I H G F)

[الطلاق:7](b a ` _ ^] [

ولتتأس بأمهات المؤمنين فعن عائشة (رضي الله عنها): ما شبع آل محمد r من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبضه الله" [(6)]

---

1 - صحيح: الترمذي(1107) والنسائي(3407) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (1938).

2 - والبأس كأن يكون في الإبقاء مع هذا الرجل إضرار على المرأة في دنياها أو دينها، كأن يأمرها بترك الصلاة أو نزع الحجاب أو الإفطار في رمضان أو يكون هو تاركا للصلاة، وغير ذلك مما فيه إضرار بدين المرأة، أو دنياها، كأن يضربها ضربا يكسر لها عظما أو يتلف لها عضـــوا أو غير ذلك .

3 - صحيح : الترمذي (1186) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (633).

4- صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6021)

5- صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6541).

6 - البخاري (5973) ، مسلم (5276) .

الحق الثاني عشر: الابتسامة في وجهه:

ولو بالتصنع والتكلف فيها، فهو دائماً بحاجة إلى العاطفة التي أنت مصدرها، إنه دائماً يريد أن يسمع كلمة الشوق والشكر والحب والرغبة في الإنس به واللقاء.....،

رددي بين الفينة والفينة عبارات الإعجاب بمزاياه، واذكري له اعتزازك بالزواج منه وأنك ذات حظ عظيم؛ فإن ذلك يرضي رجولته - ولو كان ذلك كله كذباً للحديث السابق- قابليه ساعة دخوله بالكلمة الحلوة العذبة، وتناولي منه ما يحمل بيديه وأنت تلهجين بذكره وانتظارك إياه.

أختي المسلمة: هذه حقوق زوجك أو أغلبها وأهمها، فعليك أن تجتهدي في القيام بها حق القيام، وأن تَغُضِّي الطرفَ عن تقصير زوجك في حققك؛ فإنه بذلك تدوم المودة والرحمة، وتصلح البيوت، ويصلح المجتمع بصلاحها

ومن أراد المزيد في ذلك فليرجع إلى كتاب عودة الحجاب (المجلد الثاني) للشيخ: محمد إسماعيل المقدم – حفظه الله تعالى – طبعة (دار الإيمان بالإسكندرية).

لكن ماذا يفعل الإنسان إذا رأى نشوزاً أو عصياناً من زوجته؟

لا أظنك أيها الزوج أنك لو طبقت كل ما سبق أو معظمه أنه سيكون هنالك نشوز أو إعراض؛ لأن الزوجة إذن ستلين لك بإحسانك إليها وصدق من قال:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان

قـــال تعـــالى: (8 9 : ; < = >

? A B C D E F H I J K L

M) [النساء:35].

فعليه بإتباع الآتي :

[1] الموعظة الحسنة:

وذلك أن يذكرها بالله ورسوله r وبما أعده الله تعالى للمرأة لو أحسنت إلى زوجها، ويذكرها بأحاديث النبي r كقوله r : "إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَــهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ"(1) وغيره

[2] إن فشلت الموعظة فعليه بالهجر:

وهذا الهجر إما في الفراش أو في حجرة النوم، كأن تعطي لها ظهرك أو تنـــام على سرير آخر، لكن في نفس الغرفة، أو قد يكون الهجر بالكلام،على حسب ما يصلح مع المرأة .

وسواء كان الهجر في الكلام أو الفراش يجب أن لا يـــراه الأولاد، ولا يكـــون الهجر إلا في المترل فقط؛ لقوله r : "وَلا يَهْجُرْ إِلا فِي الْبَيْتِ "(2)

وليس لهذا الهجر مدة محددة، بل حسب ما يصلح المرأة .

---

1 - صحيح : أحمد (1573) .

2 - صحيح : ابن ماجه (1840)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (3149) .

[3] إن فشلت الموعظة والهجر فعليك بالضرب:

لكن هذا الضرب يكون بحيث لا يكسر عظماً [1] أو يترك عاهة للمرأة ؛لقوله r : "فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ"[2]

وكذلك لا يكون هذا الضرب على الوجه.

وكان النبي r يضرب بالسواك، وقال r : "لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم"[3] وفي رواية : " يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلـــد العبد فلعله يضاجعها في آخر يومه "

فإذا أطاعت المرأة زوجها فلا يجوز له أن يضربها من غير سبب

قال العلماء في تفسير قوله تعالى: (H I J K L) :إن هـــذا تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب ؛ فإن الله العلي الكبير هو ولـــيهن وسينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن .

فإياك أخي الحبيب وظلم النساء ، فالظلم ظلمات يوم القيامة .

لا تظلمن إذا كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

1 - فقه السنة للشيخ سيد سابق(234/2).

2 - مسلم (2137) .

3 - البخاري (4561) .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأحبتي في الله : رسائل هامة :

رسالة إلى الآباء و الأمهات:

عليكم أن تعلموا بناتكم حقوق أزواجهن قبل الزفاف كما كانت هي عادة نساء السلف (رضي الله عنهن).

قال أنس: كان أصحاب رسول الله r إذا زفوا امرأة على زوجها، يأمروها بخدمة الزوج ورعاية حقه[1].

وصية الأب ابنته عند الزواج[2]: وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال: "إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب؛ فإنه يورث البغضاء، وعليكِ بالكحل؛ فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماءُ" .

وصية الزوج زوجته[3]: وقال أبو الدرداء لامرأته: "إذا رأيتني غضبت فرضني. وإذا رأيتك غضبى رضيتك، وإلا لم نصطحب".

---

1 - فقه السنه للشيخ سيد سابق(233/2) .

2 - السابق.

3 - السابق .

وقال أحد الازواج لزوجته[1]:

خذي العفوَ منـــي تستديـــمي مودَّتي ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضب

ولا تنفريني نقرَك الـــــدف مـــــرة فإنك لا تدريــــــن كيف المُغيــَّـبُ

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى ويأباك قلبي، والقلــوب تقلَّـــــب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهـــب

وصية أم لابنتها ليلة الزفاف:

فقد خطب عمرو بن حجر ملك كندة أم إياس بنت عوف الشيباني، فلمـــا حان زفافها إليه خلت بها أمها أمامة بنت الحارث، فأوصتها وصية بينت فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة، وما يجب عليها لزوجها فقالت:

أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك؛ لكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغـــنى أبويهـــا وشـــدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهـــن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجوَّ الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن بك عبداً وشيكاً .

واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة .

---

1 - السابق .

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه؛ فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهموماً، والكآبة بين يديه إن كان مسروراً[1]

قلت: وليس هذا قاصرًا على وصية البنات فحسب، بل للشباب أيضًا.

رسالة إلى الشباب:

عليكم أن تعجلوا بالزواج ؛ لقوله r : "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"[2]

ومن عجز عن الزواج فعليه أن يستعفف، وأن يكثر من الصيام، ويكثر كذلك من دعاء الله تعالى أن يمن عليه بالزواج.

فلا تسهتن – أخي الكريم - بالدعاء كما قال الشافعي:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ... ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

1 - الوجيز ص:310، دار ابن رجب .
2 - البخاري (4677) ، مسلم (2485) .

وعليك أن تتقي الله في سرك وعلانيتك؛ قال تعالى: (p o n m l k j)

فإذا قدمت على أمر الزواج:

فعليك بأن تختار المرأة ذات الدين؛ لما ورد عَنْ أَبِي هريرة t عَنِ النَّبِيّ r قَالَ: "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الــدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ " [1]

رسالة إلى الآباء الفضلاء:

عليكم أن تيسروا على الشباب كي تحفظوا المجتمع من الزنا والفــواحش ؛ فقد روي عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ" [2]

وقال r كما عند أحمد: "إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة"[3] أي تكلفة .

مثال من حياة السلف في التيسير في الزواج :

جاء في السير أن مجلس سعيد بن المسيب كان يحضره عشرات بل مئات من طلاب العلم، وكان منهم طالب اسمه أبو وداعة . ونتركه يحكي لنا قصة زواجــه بابنة سعيد بن المسيب:

قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلمــا جئتــه قال: أين كنت ؟

1 - البخاري (4700) ، مسلم (2661).

2 - صحيح : ابن ماجه (1957) ، وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة (3090) .

3 - ضعيف : أحمد (23388) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (962).

قلت: توفيت زوجتي وانشغلت بدفنها وعزائها ، فقال: هلا أخبرتنا حتى نعزيك ونواسيك .

قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها ؟!

فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟!

فقال: إن أنا فعلت تفعل ؟

قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي r وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة .

قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح؟ فصرت إلى مترلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائماً، فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا ؟

قال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له،

فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إليَّ فآتيك. قال: لا، أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمرني قال: رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب،

ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاءوني وقالوا: ما شأنك فقلت: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فترلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت ،وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن

أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله r وأعرفهم بحق الزوج؛ قال: فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى مترلي.

وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصب عليه الماء. (1)

فليتنا نعتبر بهذا !!!!

1 - وفيات الأعيان لابن خلكان (4439/10)، دار صادر ،ببيروت .

الخطبة السابعة: رسالة عاجلة إلى المرابين

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @) [آل عمران:102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 !

3 4 5 6 7 8 ! : ; < = > ?) [النساء: 11].

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71]

أما بعد :

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَـــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

ونتناول هذا الموضوع في عدة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الربا:

لغة:الزيادة؛ وربا الشيء يَرْبُو رُبُوّاً ورباءً : أي زاد ونما ، وأرْبَيْتُهُ ، وفي التنـــــزيل العزيز (W X) أي: يضاعفها ويزيدها ، والربوة : ما ارتفع عن الأرض وربا ، والرَّبوُ : (النَّفَسُ العالي).

اصطلاحا: قال ابن قدامة (رحمه الله تعالى) : الربا : من الزيادة في أشياء مخصوصة. وقال ابن العربي (رحمة الله تعالى) الربا : كل زيادة لم يقابلها عوض ومن التعريفات الشاملة للربا تعريف " معجم لغة الفقهاء " حيث قال فيه : الربا : كل زيادة مشروطة في العقد خالية عن عوضٍ مشروع .

وأما الربا عند الغربيين: فهو ولادة المال للمال لعنصر الزمن ليس إلا.

المسألة الثانية: أنواع الربا :

(1) ربا الفضل: وهو أن يبيع الرجل صاعاً من تمر جيد بصاعين من تمر رديء، أو يبيع مائة جرامٍ من ذهب جيد بمائة وخمسين من ذهب قديم مثلاً.

وقد نص الحديث على تحريم الربا في ستة أعيان وهي: الذهب والفضة والقمح والشعير والتمر والملح [1].

كما ورد في صحيح البخاري ومسلم عن عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ قَالَ: (إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحِ بِالْمِلْحِ، إِلا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، عَيْنًا بِعَيْنٍ، فَمَنْ زَادَ أَوِ ازْدَادَ فَقَدْ أَرْبَى) [2] والبر هو القمح

والقاعدة في التعامل بهذه الأشياء هي: إذا اتحد الجنسان حرم الزيادة والنساء (أي التأجيل)، وإذا اختلف الجنسان حلَّ التفاضل دون النساء.

1 - واتفق العلماء على أنه يلحق بهذه الأشياء الستة الأوراق النقدية والعملات (مثل الجنية والريال والدينار .....) بجميع أشكالها، .فينطبق عليها ما ينطبق على هذه الأشياء الستة من المثلية والتقابض في المجلس.

2 -البخاري (2028) ، مسلم (2969) .

فمثلاً:

ذهب بذهب يجوز لكن بشرط المماثلة (أي الشيء الذي يعطيه مثل الشـــيء الذي يأخذه)، والتقابض في المجلس (أي يعطي ثمن المبيع في نفس الوقــت الــذي اشترى فيه) فلو خلّ شرط منهما لا يجوز.

ولو باع ذهباً بفضة يجوز ولا يشترط المماثلة فتجوز الزيـــادة، لكـــن بشـــرط التقابض في المجلس وهكذا .

(2) ربا النسيئة:

وهو أن يقرض الرجل رجلاً آخر قرضاً على أن يرده مع زيادة.

وربا النسيئة هو ربا القروض، وسماه ابن القيم: الربا الجلي، وسماه بعض العلماء أيضاً ربا الجاهلية؛ لأن تعامل الجاهليين كان به .

قال شيخ الإسلام: كان أصل الربا في الجاهلية أن الرجل يكون له على الرجـــل المال المؤجل، فإذا حل الأجل قال له: أتقضي أم تربي، فإن وفاه وإلا زاد هـــذا في الأجل وزاد هذا في المال، فيضاعف المال والأصل واحد [1] .

سوال : هل تعامل البنوك اليوم يعد من الربا المحرم ؟ وإذا كان كذلك فتحـــت أي نوع من نوعي الربا يندرج ؟

قال الدكتور فضل إلهى: إن انتشار ربا القروض لم يكن في الجاهليين فحسب، بل هو النوع المنتشر الآن ، والمستعمل في البنوك والمصارف، وهو السبب الرئيسي لكثير من المشاكل الاقتصادية العالمية اليوم .

1 - الفتاوى (20/ 349) ، طبعة: دار الوفاء، تحقيق: أنور الباز .

المسألة الرابعة: تحريم الربا في الكتاب والسنة والإجماع:

أولاً: ما ورد من الوعيد الشديد لآكلي الربا في القرآن الكريم:

(1) قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾) [آل عمران 130]

مضاعفة: فيه إشارة إلى تكرر التضعيف عاما بعد عام، كما كانوا يصنعون، فدلت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه؛ ولـــذلك ذكـــرت حالـــة التضعيف خاصة.

(2) وقـــال تعـــالى : (! " # $ % & ' ( ) *
+ , - / 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ;
= > ? @ A B C D E F G H J K L
M N P Q R S T U V W X Z [\
] ^ _ ` a b c d e f g h i
j k l m n o p q r s s t u
v w x y z { | } ~ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ
بِحَرۡبٖ © ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا ´ µ
¶ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا
كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾) [سورة البقرة 275 – 281]

قال ابن كثير: شرع جل ثناؤه في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطـــل وأنـــواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم، وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقــــــال: (! " # $ % & ' ( ) * + , -) أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً ، قال ابن عباس: آكل الربا يبعـــث يوم القيامة مجنوناً يُخْنَق .

وقوله تعالى: (. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ;)

أي: إنما جوزوا بذلك ؛ لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه .

وقوله (= > ? @ A B C D E F G H) أي: من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه، فله ما سلف من المعاملة .

قال سعيد بن جبير والسدي: فله ما سلف أي ما كان أكل من الربا قبـــل التحريم .

ثم قال تعالى: (J K) أي: إلى الربا ، ففعله بعد أن بلغه نهي الله عنه فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة .

قوله تعالى: (T U V W X) يخبر تعالى أنه يمحق الربـــا ، أي يذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله ، فلا ينتفع به ، بل يعذبه به في الدنيا (1) ، ويعاقبه عليه يوم القيامة .

---

1 - وذلك مشاهد في واقعنا المعاصر كما يحدث لأي رجل يتعامل بالربا، وما حدث في دولة أمريكا حيث تكاثرت عليها الديون مما اضطرها إلى أن جعلت الفائدة التي يأخذها البنك صفراً

قوله : (ويربي الصدقات) من ربا الشيء يربو، وأرباه يُربيه أي كثّره ونمّاه

ثم يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه ناهياً لهم عما يقربهم إلى سخطه ويبعـــدهم عن رضاه فقال: (u v w x y z { | } ~ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)
أي: اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الإنذار، (إن كنتم مؤمنين) بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك.

(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ ©ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ) أي إن لم تنتهوا فأنتم حـــرب لله ورسوله أي أعداءً [1] ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار ، ثم قـــال تعـــالى] فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ ©ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا ´ µ ¶ ¸ Z [البقرة: ٢٧٩] أي : بوضـــع رؤوس الأموال أيضاً ، بل لكم ما بذلتم من غير زيادة عليه ولا نقص منه.

ثانياً: ما ورد من السنة في عقوبة الربا:

لقد حذر النبيُّ r من الربا تحذيراً شديداً، ورهَّب منــه ترهيبـــاً عظيمـــاً، واستفاضت أحاديثه في التحذير والترهيب، وبيان الوعيد الشديد والمـــآل الفظيـــع للمرابين في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

1- ما روي عَنْ أَبِي هريرة t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

1 - تفسير ابن كثير (708/1)، باختصار، دار : طيبة .

إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَــوْمَ الزَّحْــفِ وَقَــذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ)) (1)

قال ابن حجر العسقلاني: ومعنى الموبقات أي: المهلكات ، والمراد بالموبقة هنا: الكبيرة.

2- عَنْ جَابِرٍ t قَالَ: " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ r آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ" وَقَالَ: "هُمْ سَوَاءٌ" (2)

3- عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"الرِّبَا سَبْعُونَ حُوبًا، أَيْسَــرُهَا أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ "(3)

قال السندي في تعليقه على هذا الحديث في حاشيته على ابن ماجه قــال: والحوب بضم الحاء: الإثم، والمراد أنه سبعون نوعاً من الإثم، والمراد التكــثير دون التحديد، (أيسرها) أي أخف تلك الآثام إثم نكاح الرجل أمَّه، والمراد به العقد أو النكاح، فالحديث يدل على أن الربا أشد من الزنا .

4 - عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُب t قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ r مِمَّــا يُكْثِــرُ أَنْ يَقُــولَ لأَصْحَابِهِ: "هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟" قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّــهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: "إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَــرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْــبَحُ

1 - البخاري(2560) ومسلم (129) .

2 - مسلم (2995).

3 - صحيح : ابن ماجه (2265)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (5854) .

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا قَالَ: قُلْتُ لَهُمَـــا: مَـــا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ .....- وقد أول ذلك للنبي r - فقيل له: وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا" [1]

قال ابن حجر العسقلاني : يفغر: يفتح وزناً ومعنىً .

قال اِبْن هُبَيْرَة : إِنَّمَا عُوقِبَ آكِل الرِّبَا بِسِبَاحَتِهِ فِي النَّهَر الْأَحْمَر وَإِلْقَامـــه الْحِجَارَة؛ لأنَّ أَصْل الرِّبَا يَجْرِي فِي الذَّهَب وَالذَّهَب أَحْمَر، وَأَمَّا إِلْقَام الْمَلَك لَـــهُ الْحَجَر فَإِنَّهُ إِشَارَة إِلَى أَنَّهُ لا يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ الرِّبَا فَإِنَّ صَاحِبه يَتَخَيَّـــل أَنَّ مَاله يَزْدَاد وَاَللَّه مِنْ وَرَائِهِ مَحَقَهُ[2].

5- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: "مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلا كَانَ عَاقِبَـــةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ " [3] أي: إلى نقص ومحق فما تعامل رجل بالربا إلا أفقـــره الله، وهذا يتضح جليًا في دولة أمريكا وغيرها .

6- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ t غَسِيلِ الْمَلائِكَةِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "دِرْهَـــمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتٍّ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً" [4]

7- روى البزار من حديث ابن مسعود t قال: قال رسول الله r :"الربا سبعونَ باباً، والشركُ مثلُ ذلك" [5]

1 - البخاري (6525) .
2 - الفتح (12| 462،465) ، دار الريان.
3 - صحيح : ابن ماجه (2279) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (2270) .
4 - صحيح : أحمد (209511) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1033) .
5 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (3540) .

8- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "[1] وسيأتي معنى العينة قريبا إن شاء الله.

ثالثاً: الإجماع على تحريم الربا:

قال ابن المنذر: أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستلف زيادةً أو هديةً فأسلف على ذلك أنَّ أخذَ الزيادةِ على ذلك رباً.

إجماع العلماء المعاصرين وفتوى مجمع البحوث الإسلامية [2]:

هناك شبه إجماع من العلماءِ المعاصرين على أن هذه النسبة المحددة سلفاً رباً محرم .

وفي سنة (1385)هجريا (1965) ميلاديا انعقد المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، وشارك فيه علماء وفقهاء من خمس وثلاثين دولة إسلامية، وضم المؤتمر بالإضافة إلى علماء الإسلام علماء الاقتصاد، لتتضح الرؤية أمام علماء الشريعة، ليقولوا كلمتهم على بصيرة تامة، وتصور كامل لأعمال البنوك، وقرر المؤتمر بالإجماع أن فوائد البنوك من الربا المحرم الذي حرمه الله ورسوله.

---

1 - صحيح : أبو داود (3462) وصححه الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة (11) .

2 - المبتكرات في الخطب والمحاضرات للشيخ وحيد بن عبد السلام بالي ص: 537، 538، بتصرف بسيط، دار: ابن رجب .

فتوى مجمع الفقه الإسلامي بمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة [1] :

قرر الآتي:

(1) أن كل زيادة أو فائدة على الدين الذي حل أجله وعجز المدين عن الوفاء بـــه مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة أو الفائدة على القرض منذ بداية العقد هاتـــان الصورتان رباً محرم شرعا .

(2) أن البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة على النشـــاط الاقتصـــادي حسب الصورة التي يرتضيها الإسلام هو التعامل وفقا للأحكام الشرعية .

(3) التأكيد على دعوة الحكومات الإسلامية إلى تشجيع المصـــارف الإســـلامية القائمة (لعقد التأسيس ، وهيئة الرقابة الشرعية) ، والتمكين لإقامتها في كـــل بلد إسلامي؛ لتغطي حاجة المسلمين كي لا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه ومقتضيات عقيدته، والله أعلم .

****

المسألة الخامسة: شبهه والرد عليها :

الشبهة الأولى: قالوا: إن الذي يحدث اليوم هو في صالح صاحب المال الضعيف !!

الجواب عليهم:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: إنَّ النصوصَ القرآنيةَ الواردةَ بالتحريم تدلُّ على أمـــرين ثابتين لا مجال للشك فيهما:

1 - وكان هذا القرار في ربيع الثاني 1406هـــ ، ديسمبر 1985م ، وانظر المصدر السابق .

الأمر الأول: أن كلمة الربا لها مدلول لُغوي عند العـرب كـانوا يتعـاملون بـه ويعرفونه، وأنَّ هذا المدلول هو زيادة الدين نظير أجل، وأن النص القـرآني كـان واضحا في تحريم ذلك النوع، وقد فسره النبي r بأنه الربا الجـاهلي. لأي إنسـان فليس لإنسان فقيهٍ أو غير فقيه أن يدَّعي إبهاماً في هذا المعنى اللغوي أو عدم تعـيين المعنى تعيينا صادقا؛ فإن اللغة قد عينته والنص القرآني قد عينه بقولـه: ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا ´ µ ¶ ¸) [البقرة :279]

الأمر الثاني: هو إجماع العلماءِ على أن الزيادة في الدين نظير الأجل هو ربا محـرم ينطبق عليه النص القرآني، وأن من ينكره أو يماري فيه فإنما ينكر أمراً قد علم مـن الدين بالضرورة.

الشبهة الثانية:

قال بعض المنتسبين إلى العلم: إن هـذه الآيـة: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾) تدل على جواز أكل الربـا ضعفا واحدا بناءً على مفهوم المخالفة[1]

الرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول:

ما قاله الشيخ أحمد شاكر (رحمه الله) : والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا وأوليائهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي - بل التشريع اليهـودي في الربـا – يلعبون بالقرآن، ويزعمون أن هذه الآية تدل على أن الربا المحرم هـو الأضـعاف

1 - وهذا مصطلح في الأصول معناه المفهوم العكسي للكلام، فمثلاً: يقول النبي r : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " فيفهم منه أن من لم يرد الله به خيراً لم يفقهه في الدين .

المضاعفة؛ ليجيزوا ما بقي من أنواع الربا على ما ترضاه أهوائهم وأهواء سادقم، ويتركـــوا الآيـــة الصـــريحة: (وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا µ ´ ¶)

فكانوا في تلاعبهم بتأويل هذه الآيات الصريحة أسوأ حالاً ممن يتبعون مـــا تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم.

الوجه الثاني:

أن قوله تعالى: (أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً) خرج مخرج الغالب، وما **خرج مخرج** الغالب لا مفهوم له – أي لا مفهوم مخالفة له - كقوله تعالى في سورة النور:

(S T U V W X Y Z [\ ] ^) [النور:32]

فهل معنى هذه الآية أنها إذا طلبت ذلك هل نسمح لها به؟!

نقول: لا ، فهذا خرج مخرج الغالب؛ حيث كان الغالب على العرب أنهـــم كانوا يُكرهون ملك اليمين على الزنا.

وكذلك قوله r :"أيما رجل دعا امراته إلى فراشه فأبـــت باتـــت تلعنـــها الملائكة حتى تصبح" فهل لو دعاها في النهار هل يجوز لها أن تعصيه ؟

الجواب: أيضا هو نفس الجواب السابق(1).

1 - وهذا ما قاله الشيخ محمود شلتوت رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية من سورة آل عمران .

المسألة السادسة: صور من الربا المحرم التي يقع فيها مجتمعنا المعاصر:

(1) دفتر توفير البريد والسندات وشهادات الاستثمار:

السند هو صك بمبلغ لشخص أقرضه لشركة مساهمة أو هيئـــة حكوميـــة بفائدة عادة تقدر بنسبة مئوية ثابتة من هذا المبلغ .

وكل هذه الثلاثة - دفتر توفير البريد والسندات وشهادات الاســـتثمار -لا تجوز، لأنها فيها فائدة، والفائدة ربا، وهذا ما ذهب الشيخ محمود شلتوت – شيخ الأزهر الأسبق – عند تفسيره؛ لقوله تعالى: : ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ إلى تحريم القروض الربوية بصفة عامة، وذكر ثلاث صور منها: فوائد المصـــارف ودفتر التوفير والسندات الحكومية .

وهذه أيضاً هي نفس فتوى الشيخ عبدالمجيد سليم – رحمه الله – وعلمـــاء كثيرين غيرهما .

وهذا أيضاً رأي لجنة الفتوى بالأزهر حيث بينت أن الشهادات حرام؛ لأن القانون رقم (8) لسنة 1965 ينص على أن الشهادات: أ ، ب قـــرض بفائـــدة، والفائدة من الربا والربا محرم [1]

---

1 - موسوعـــة القضايـــا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي للشيخ الســـالوس فـــي الصـــفحات (144، 145) باختصار وتصرف.

(2) التأمين:

ينقسم التأمين من حيث الشكل والهدف إلى نوعين [1]:

النوع الأول: تأمين يهدف إلى الربح وهو التأمين التجاري أو التأمين ذو القسـط الثابت.

النوع الثاني: التأمين التعاوني أو التبادلي أو الإسلامي:

وهو يهدف إلى الربح بل إلى التعاون في تحمل الأضـرار، كـأن يشـترك مجموعة من الأشخاص فيدفع كل منهم مبلغاً معيناً، ومن هذه المبالغ يتم مسـاعدة من يصيبه ضرر ، فكل واحد منهم يعتبر مؤمنًا ومؤمنًا عليه.

وهذا النوع الثاني جائز، ولا حرج فيه بل هو من التعاون على البر والتقوى، وهذا ما أفتى به الشيخ حسنين مخلوف في فتاوى الأزهر [2]

وأما النوع الأول وهو التأمين التجاري ويدخل فيه التأمين ضد الحريـق أو السيارات، أو التأمين على الحياة فهذا النوع من التأمين حرام .

وقد أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بحرمة هذا التأمين قالت: هذا التأمين حرام، ويدخل فيه التأمين على السيارات؛ لما فيه من الغرر والجهالة وغير ذلك من مبررات التحريم، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، قال تعالى: (j k l m n o) [الطلاق:2] [3]

1 -السابق ص: 371.

2 - فتاوى الأزهر بتاريخ 16/ 3 / 1953.

3 -اللجنة الدائمة الفتوى رقم (19406) والفتوى رقم(2759) .

وجاء في فتاوي الأزهر: أن التأمين على الحياة غير جائز، وكذلك التــأمين ضد الحريق ، والتأمين على العقارات ضد هلاكها بالحرق أو الغرق أو الإتــلاف مقابل مبلغ معين يدفع للشركة المؤمنة في مدة معينة غير جائز شرعاً؛ لعدم تحقــق الكفالة بشروطها [1].

(3) في محلات الذهب:

يحدث في محلات الذهب بعض المخالفات منها:

أ - بيع الذهب بالتقسيط:

وهذا لا يجوز؛ لأننا كما وضحنا في البداية أن بيع هذه الأشياء الربوية الستة يشترط فيه المثلية والتقابض في مجلس العقد إذا اتفقت الأجناس كبيــع ذهــب بذهب، ولو اختلفت فيجوز التفاضل (أي الزيادة في أحدهما عن الآخر) ولكن لا بد من التقابض (أي تقابض الثمن) في مجلس العقد، وذلك كبيــع الــذهب بالأوراق المالية(الجنيهات أو الريالات أو نحوهما) أو بالفضة أو بالشعير. [2]

ب- أن يشتري ذهباً ويتبقى عليه جزء من المال:

وهذه كالتي قبلها تماماً.

****

1 - فتاوى الأزهر رقم جمادى الثانية(1344)

2 - ويدخل في هذا بيع القمح بالمال أو التمر أو الملح، فكل ذلك يندرج تحت هذه القاعدة.

المسألة السابعة: ما لا يعد من الربا:

1- بيع الحيوان بالحيوان: فهذا لا يدخل فيه الربا

2- إبدال المحمول بالمحمول ، أو الساعة بالساعة ، أو السـيارة بالسـيارة ، أو المترل بالمترل، أو الدواء بالدواء ، وغير ذلك فكل ما يقبـل الإجـارة أو الإعارة لا يدخل فيه الربا .

3- تغير العملة: كأن يغير ريالاً سعودياً بجنيه ونصف مصري وما أشبه ذلـك، فهذا لا بأس به، قال الشيخ عبد الرحمن الشثري: شراء العملات من البنوك وغيرها جائز ولكن بشرط أن يكون التقابض قبل التفرق؛ لأن العمـلات يجري فيها ربا النسيئة(1) .

4- بيع التقسيط:

أما بيع التقسيط فقال عنه الشيخ ابن عثيمين: والإنسان إذا اشترى شيئاً بـثمن مؤجل أكثر من ثمنه في الوقت الحاضر فلا بأس به، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع المسلمين على جواز ذلك؛ لأنه تقتضيه المصلحة للبائع والمشـتري، البـائع بزيادة الثمن له والمشتري بتأجيل الدفع وليس هذا من الربا؛ لأن الربـا مخصـوص بأشياء معينة وردت في حديث عبادة بن الصامت t أن النبي r قال: "الـذهب بالذهب..." (2)

****

1 - انظر كتيبه في ذلك بعنوان فتاوى الأسهم والبنوك.

2 - انظر كتاب: المداينة وفقه وفتاوى البيوع ص:85.

المسألة الثامنة: آثار الربا في الأمة:

اعلم أخي – بارك الله فيك – أن الله تعالى لم يحرم شيئاً عبثاً، وإنما حرمه لما يترتب عليه من مفاسد تلحق بالناس؛ لأنه سبحانه أعلم بما يصلح الناس **من** أنفسهم ، قال تعالى: (, - . / 0 1 2 3) [الملك :14]

وهذه بعض آثار الربا في الأمة:

(1) الربا سبب حرب الله ورسوله: قال تعـــالى: (u v w x y z { | } ~ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ © اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا ´ µ ¶ ¸) [البقرة 278]

وقد نكَّر الله كلمة(حرب) للتفخيم والتهويل، وقد زادها فخامـــة وهـــولاً نسبتها إلى اسم الله الأعظم وإلى رسوله **r** الذي هو أشرف خليقتـــه أي: أيقنـــوا بنوعٍ من الحربِ عظيم لا يُقَادرُ قدرهُ كائن من عند الله ورسولِهِ ، ومن حاربه الله ورسوله لا يفلحُ أبداً، وفيه إيماء إلى سوء الخاتمة إن دام على أكل الربا.

يقول صاحب الظلال – رحمه الله- عن هذه الحرب: وقد أعلنها الله علـــى المتعاملين بالربا وهي مسعرة الآن؛ تأكل الأخضر واليابس في حياة البشرية الضـــالة؛ هذه الحرب في صورها الشاملة الداهمة الغامرة ، وهي حـــرب علـــى الأعصـــاب والقلوب ، حرب على البركة والرخاء ، حرب على السعادة والطمأنينـــة ، حـــرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض ، حرب المشاكسة والمطاردة،

حرب القلق والخوف ، وأخيراً حرب السلام بين الأمم والجيوش والدول ، والحرب الساحقة الماحقة التي تقوم وتنشأ من جراء النظام الربوي المقيت. [1]

وهذه بعض صور الحرب من الله سبحانه علينا[2]:

[1] ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة؛حربٌ من الله سبحانه.

[2] انهيار المصانع؛ حربٌ من الله سبحانه.

[3] الزلازل المتلاحقة؛ حربٌ من الله سبحاته.

[4] الآفات الزراعية المدمرة؛ حربٌ من الله سبحانه.

[5] انتشار الأمراض؛ حربٌ من الله سبحانه.

[6] انتشار الجرائم؛ حربٌ من الله سبحانه.

[7] انخفاض المياه في السد العالي؛ حربٌ من الله سبحانه.

[8] الفيضانات والسيول المدمرة؛ حربٌ من الله سبحانه .

قلت: ومن ذلك التفكك الأسري والشقاق الحادث مع أبناء الأسرة الواحدة، ومع الزوجين، ومع الأب والأم وأولادهما، وما يقع من عقوق مـــن الأبنـــاء للأبـــاء، وغيرذلك مما لا حصر له.

(2) الربا سبب محق البركة من الأموال والأرزاق:

ويدل على ذلك قوله تعالى: (T U V W X) لمَّا كـــان الربا في ظاهره زيادةً في المال، وإخراج الصـــدقات – في ظـــاهره نقصـــاناً في

---

1 - ظلال القرآن لسيد قطب ، المجلد الأول صـــ331 ، ط. دار الشروق.

2 - المبتكرات ،ص:542،543 544 بتصرف بسيط .

الأموال، أخبر الكبير المتعال أن البركة التي ينزعها من الأموال الربوية تمحق الربا – الذي هو زيادة في الظاهر – محقاً، وأن الصدقة تقع في يد الله عزوجل فيربيها كما يربي الرجل مُهره؛ بركةً من الله وفضلاً، وقال تعالى: (| { ~ رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

µ [الروم:39].

(3) الربا سبب لجلب لعنة الله:

وذلك للحديث السابق: "لعن الله آكل الربا....".

قال ابن القيم: ضد البركة اللعنة، فأرض لعنها الله أو شخص لعنـــه الله، أو عمل لعنه الله أبعدُ شيءِ من الخير والبركة، وكل ما اتصل بذلك وارتبط به وكـــان منه بسبيلٍ فلا بركة فيه البتةَ .

وقد لعن الله إبليس وجعله أبعد خلقه منه، فكل ما كان من جهته فله مـــن لعنة الله بقدر قربه منه واتصاله به، وأصل اللعن إذا كان من الله فهو الطرد والإبعاد، وإذا كان من الخلق فهو السبُّ والدعاء.

(4) الربا من أسباب تسليط الذل على الأمة:

وذلك للحديث السابق " إذا تبايعتم بالعينة ..."

والعينة: أن يكون الشخص محتاجاً لدراهم فلا يجد من يقرضه ، فيشتري من شخص سلعةً بثمن مؤجل، ثم يبيعها على صاحبها الذي اشتراها منه بثمن أقلَّ منه نقداً، وهي حيلة ظاهرة للربا، فإنها في الحقيقة بيع دراهم حاضرة بدراهم موجَّلـــة أكثر منها دخلت بينهما سلعة.

وإذا كان النبي r قد أنذر بأن الأخذ بهذه الحيلة الربوية سـبب لتسـليط الذل ، فكيف بصريح الربا وعينه ورأسه وقفاه ؟!

وقد كان الأخذ بهذه الحيلة حين كان الحكم في بلاد الإسلام للإسلام فكان من يريد العصيان والخروج يحتال بمظهر العمل الصحيح.

أما الآن وأكثر البلاد التي تنتسب إلى الإسلام وتسمي نفسها بلاداً إسلامية ثم تحكم بتشريع آخر غير الإسلام، تشريع مقتبس من القوانين الوثنية والنصـرانية والأمم الملحدة، بل هم يكتبون العقود ظاهرة صريحة بالربا وبالعقود الباطلة في دين الإسلام؛ لأنهم اتخذوا ديناً غيره، بخضوعهم ورضاهم بتشريع غير شـرعته، فـإن الإسلام قول وعمل، وسمع وطاعة، فلن يقبل من أحد أن يقول كلمة الإسـلام ثم يخضع نفسه وأمته لشرع أعدائه، ويضمر في قلبه أنه بذلك يصنع الصواب، أو يختار ما فيه المصلحة، أو يلزم ما يناسب عصره ! فيهدم ما يقوله بلسانه:

(قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ´ ¶ µ ¸ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾) [الحجرات 16]

(5) الربا سبب لحلول عذاب الله:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "إِذَا ظَهَـرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عذاب اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (1)

1 - صحيح: الطبراني في المعجم الكبير (463) ، وصححه الشيخ الألباني في غاية المرام (344).

(6) الربا سبب غلاء الأسعار:

يشكو العالم اليوم من غلاء الأسعار، وسببه يرجع إلى حد كـــبير إلى النظـــام الربوي السائد اليوم، فصاحب المال لا يرضى إذا استثمر ماله في صناعة أو زراعة أو شراء سلعة أن يبيع سلعته أو الشيء الذي أنتجه إلا بربح أكثر من نســـبة الربـــا ؛ وذلك لأنه يفكر بأنه استثمر المال وبذل الجهد واستعد لتحمل الخسارة، فلا بد أن تكون نسبة الربح أكثر من نسبة الربا، وكلما زادت نسبة الربا غلت الأسعار أكثر منها بكثير، هذا إذا كان المنتج أو التاجر صاحب المال، وأما إذا كـــان المنـــتج أو التاجر ممن يقترض بالربا، فرفعه أسعار منتجاته وسلعته أمر بديهي، حيث سيضيف إلى نفقاته ما يدفعه رباً [1].

1 - ويوضح لنا الشيح وحيد بن بالي كيف أدّى الربا إلى ارتفاع الأسعار بصورة عملية ؟
يقول الشيخ وحيد بالي: تأمل هذا الثوب الذي على جسدك، فإنه قد مرّ بالخطوات الآتية:

1- جمع المادة الخام.
2- حمل هذه المادة ونقلها إلى المصنع.
3- غزل هذه المادة حتى تصير خيوطاً.
4- تصنيع هذا الغزل نسيجاً.
5- تصنيع هذا النسيج ملابس.
6- ثم بيع هذه الملابس الجاهزة للمستهلك.

فهذه ست مراحل في كل مرحلة منها يتعامل القائم عليها مع بنك ربوي فتكون النتيجة كالآتي:
التكلفة الحقيقية + الفائدة الربوية = سعر المادة الخام.
فلو أن صاحب المواد الخام اقترض من البنك (100،000) لينشيء تجارة لجمع المواد الخـــام، والبنك أقرضه بفائدة 17% فسوف يكون الحساب كالآتي:
التكلفة الحقيقية + الفائدة الربوية + مكسبه = السعر 100،000 +17،000 +10،000= 127،000
تلاحظ معي أن السلعة زادت عن ثمنها الحقيقي بـــــ (17%) في المرحلة الأولى فقط وهكذا في كل مرحلة يزداد سعر السلعة فيها 17% !!
ويصبح السعر النهائي هو 256 جنيه للسلعة التي كان ثمنها الحقيقي 100 جنيه، وهذا كله بسبب الربا.

(7) الربا من أسباب البطالة:

وذلك لأن أصحاب الأموال يفِضِّلون إقراض أموالهم بالربا على استثمارها في إقامة مشروعات صناعية أو زراعية أو تجارية .. وهذا بالتالي يقلل فرص العمل، فتنتشر البطالة في المجتمعات التي يسود فيها التعامل الربوي، ويؤكد هذا ما نشاهده من معاناة الدول الغربية من مشكلة البطالة، رغم تقدمها فنياً، وتطورها صناعياً .

(8) الربا سبب قطع روابط الناس وسبب لعداوتهم :

فالربا يولد في الإنسان حب الذات، فلا يعرف إلا نفسه ولا يهمه إلا مصلحته ومنفعته، وبذلك تنعدم روح التضحية والإيثار، وتنعدم معاني حب الخير للأفـــراد والجماعات، وتحل محلها روح حبِّ الذات والأنانية والأثرة، وتتلاشى الروابط بين الإنسان وأخيه الإنسان، فيغدو المرابي وحشًا مفترسًا لا يهمـــه إلا جمـــع المـــال، وامتصاص دماء الناس، واستلاب ما في أيديهم، وهكذا تنعدم معاني الخير في نفوس الناس، ويحل محلها الجشع والطمع.

وأيضاً فإن الربا يولد العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، ويدعو إلى تفكيك الروابط الإنسانية والاجتماعية بين طبقات الناس، ويقضي على كل مظاهر الشفقة والحنان والتعاون والإحسان في نفوس البشر.

وكفى المرابي أن يدمر قواعد المحبة والإخاء ، ويزرع في القلـــوب الحقـــد والبغضاء .

لفتة جميلة:

والعجيب أن هـــذه الآيـــة: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾) [آل عمران 130] قد وردت في سياق الكلام عن

غزوة أحد [1] التي انهزم فيها المسلمون؛ حيث قد نزلت سورة آل عمران في غزوة أحد، ونزلت في شأن الغزوة ستون آية، من الآية [121] إلى الآية [180] وذلك لأن من أسباب النصر على الأعداء الترابط وتحقيق الإخوة الإيمانية ، كما قال تعالى: ($ % & ' ( )) [الأنفال 46] والربا من شأنه تقطيـــع العلاقـــات والروابط بين أفراد المجتمع مما يؤدي إلى الهزيمة.

(9) الله تعالى توعد أصحاب الربا باللقاء المحتوم معه جل وعلا:

قال تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾) [البقرة 281]

وهذا تذكير من الله تعالى لأهل الربا أن يخافوا يوم القيامة الذي يرجع الناس فيه إلى ربهم فيحاسبهم على أعمالهم .

(10) الله تعالى توعد أصحاب الربا بالنار:

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾) [آل عمران 130-131]

****

1 - والراجح أن سورة آل عمران نزلت في غزوة أحد، بينما نزلت سورة الأنفال في بدر، وهذا مـــا رجحه ابن القيم في زاد المعاد .

المسألة التاسعة: بعض المسائل الخاصة بالعمل في البنوك:

(1) هل يجوز العمل في مؤسسة ربوية كسائق أو حارث ؟

أجاب على ذلك الشيخ العثيمين – رحمه الله – قال: لا يجوز العمل بالمؤسسات الربوية، ولو كان الإنسان سائقاً أو حارثاً؛ وذلك لأن دخولـــه في وظيفـــة عنـــد مؤسسات ربوية يستلزم الرضا بها؛ لأن من ينكر الشيء لا يمكن أن يعمل لمصلحته، فإذا عمل لمصلحته فإنه يكون راضياً به، والراضي بالشيء المحرم يناله منه إثمه، أمـــا من كان يباشر القيد والكتابة والإرسال والإيداع وما أشبه ذلك فهو لا شك أنـــه مباشر للحرام، وقد ثبت عن النبي r من حديث جابر t أنه r "لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبيه وقال: "هم سواء"

قلت: ويؤكد ذلك القاعدة التي تقول: إن الأحكام بالمقاصد.

وقد قال رسول الله r :"إذا حرم الله أكل شيء حرم ثمنَه" [1]

(2) من يؤجر دكاناً أو عمارةً ليقام عليها بنك ربوي:

عرض هذا السؤال على اللجنة الدائمة فقالت في الفتوى (4327): لا يجـــوز هذا لكون البنك المذكور سيجعلها مقرًا للربا والله تعالى يقول: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ) [المائدة :2]

قلت: ويدخل تحت هذا أيضًا كل من يؤجرون الدكاكين أو العمارات أو غيرهما لمن يقيمون عليها شيئاً محرماً كمصانع الدخان أو الملاهي الليلية أو ما شابه ذلـــك،

1 - صحيح : أحمد (2546) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (5107)

فكل ما توصل به إلى الحرام فهو حرام، وقد ورد عن النبي أنه قال: "إن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه " [1]

(1) من يأخذون مرتباهم من البنوك الربوية:

قالت اللجنة الدائمة في الفتوى(16501): لا بأس بذلك بشرط أنه لا يتركها في البنك بعد الأمر بصرفها له من أجل الاستثمار الربوي.

(2) رجل كان يتعامل بالربا وتاب الله عليه ماذا يفعل بالفائدة الربوية؟

قالت اللجنة في الفتوى (6760): يحتفظ بأصل المبلغ، وينفق ما زاد في وجوه البر العامة، ويتوب إلى الله.

قلت: لكن لا يحج بهذا المال أو يضعه في مسجد؛ لأن الله طيب لا يقبـــل إلا طيبا ، ولكن لا حرج في وضعه في إنشاء حمامات مسجد أو تجديـــدها أو أي أعمال دُنِّية ، والله أعلم .

****

1 - صحيح : صحححه الشيخ الألباني في غاية المرام (318) .

المسألة العاشرة: ملح متناثرة:

أولاً: دعوة الإسلام إلى تحري المال الحلال والبعد عن الحرام:

فقد جاءت النصوص تحث على الورع والبعد عن الشبهات ومن ذلك:

1- عن النعمان بن بشير t قال: قال النبي r: «الحلال بين والحـــرام بـــين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شُبِّه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يَشُكُ فيه من الإثم أوشك أن يواقـــع مـــا اســـتبان، والمعاصي حمى الله، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه» [1]

2- عن أبي هريرة t عن النبي r قال: «إني لأنقلب إلى أهلـــي، فأجـــد الثمرة ساقطة على فراشي، فأرفعها لآكُلَها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها» [2]

3- وقال حسان بن أبي سنان: ما رأيت شيئاً أهون من الورع : «دع مـــا يريبك إلى ما لا يريبك» [3]

وفي هذا تنبيه للمسلم أن يبتعد عن المجالات الاستثمارية المحرمـــة، كيـــف وهناك آلاف الاستثمارات المباحة التي لا لبس فيها ولا غش ولا شبهة فيها ولا ريبة ولا خطر.

وكان الحجاج بن دينار قد بعث طعاماً إلى البصرة مع رجل، وأمره أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه، فأتاه كتابه: إني قدمت البصرة، فوجدت الطعـــام منغصـــاً

---

1 - صحيح : صحح هذا اللفظ الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (1731) ، والحديث أصله فـــي الصحيحين .

2 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة (3457) .

3 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (12) .

فحبسته، فزاد الطعام، فازددت فيه كذا وكذا، فكتب إليه الحجاج: إنك قد خنتنا، وعملت بخلاف ما أمرناك به، فإذا أتاك كتابي، فتصدق بجميع ثمن ذلك الطعام على فقراء البصرة، فليتني أسلم إذا فعلت ذلك

فانظر إلى هؤلاء الذين اجتنبوا ما فيه شبهة أترى هذا كرهاً وعـــدم حـــب للمال؟ لا وربي بل هو الخوف ممن قال في كتابه: (l m n o p q r s t u v) [المزمل 12-13]، ورجاء ثواب من مـــدحهم إذا اجتنبـــوا الهـــوى ووعـــدهم جنتـــه (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾) [النازعات 40-41].

ثانيًا: القناعة كنز لا يفنى:

عليك دائماً بالقناعة بما قسمه الله لك، وقد قال النبي r لأبي هريرة: "مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟" فَقَالَ أَبُو هُرَيْــرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: "اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَــدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ"[1]

---

1 - صحيح : الترمذي (2227) وغيره، وحسنه السيخ الألباني في الصحيحة (930) .

وصدق من قال:

هي القناعة فالزمها تعش ملكا لو لم يك لك منها إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

وعليك أيضاً بحسن التدبير والتصرف في مالك الحلال، وابتعد عن الحاجـــات غير الضرورية، وأقنع الزوجة والأولاد بذلك؛ حتى تنتهي من سداد ديونك، وحاول أن تعيش حياتك على قدر ما أعطاك الله؛ قال تعـــالى: (F G H I J L M N O P Q R S U V W X Y Z [ ] ^ _ ` a b) [الطلاق : 7]

وقد صح عن النبي r أنه قال:" إن المعونة تأتي من الله على قـــدر المؤنـــة، والصبر يأتي من الله على قدر البلاء" [1] والمؤنة ويقال: المؤونة: القوت، والجمـــع مؤن.

ثالثًا: دعوة الإسلام إلى إقراض الناس وإنظارهم والعفو عنهم:

قال تعـــالى: (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة 280] أي إن وجد [2]صاحب عســـرة فعلـــى الدائن إنظاره؛ وذلك للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي مَسْـــعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :" حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ

1 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1664).

2 - تستعمل كان إما تامة أي لا تحتاج إلى المنصوب ويكون معناها وجد كما في هـــذا المثـــال، أو بمعنى: يحدث كقوله تعالى [F G H I J Z وقد تستعمل ناقصة أي لا بـــد مـــن ذكـــر المرفوع والمنصوب وهو غالب استعمالها، نحو: كان الرسول كريمًا.

شَيْءٌ، إلا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ "(1)

وجاء في صحيح الجامع أنه r قال: "من أقرض ورقاً مرتين كان كعـــدل صدقة مرة"(2)

وكذلك قوله r : "من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحـــل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة" (3)

رابعًا: الإحسان في أداء القرض:

ماذا تفعل إذا اقترضت من أخيك مالاً :

عليك أن تكتب هذا الدين؛ حتى لا تضيع أموال الناس؛ لأن من مقاصـــد الشريعة الإسلامية الخمسة: الحفاظ على المال، وهذا على سبيل الاستحباب قـــال تعـــالى: (! " # $ % & ' ( ) *) [البقـــرة 2 8 2].

أخرج البخاري عَنْ أَبِي هريرة t عَنْ رَسُولِ اللَّهِ r أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِـــنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّـــهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ! قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِـــيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَـــهُ، ثُـــمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَـــذَ خَشَـــبَةً

1 - مسلم(2921) .

2 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6080) .

3 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6108) .

فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَــأَلَنِي كَفِيلاً فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَـى بِاللَّــهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَــاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَــالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَــلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ. فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا"[1]

أخرج مالك t في موطأه قال:

"بلغني أن رجلاً أتى ابْنَ عمرَ " رضي الله عنهما " ، فقــال: إني أســلفت رجلاً سلفاً، واشترطت عليه أفضل مما أسلفته، فقال عبدالله بن عمر: فذلك الربــا، قال: فكيف تأمرني يا أبا عبدالرحمن؟ قال عبدالله بن عمر: السلف علــى ثلاثــة وجوه: سلف تسلفه تريد به وجه الله، فلك وجه الله، وسلف تسلفه تريد به وجه صاحبك، فلك وجه صاحبك، وسلف تسلفه لتأخذ خبيثاً بطيب، فــذلك الربــا، قال: فكيف تأمرني يا أبا عبدالرحمن؟ قال: أرى أن تشق الصحيفة، فإن أعطاك مثل

1 - البخاري (2169) ، ومعنى زجج موضعها : وضع عليه مسامير .

الذي أسلفته قبلته، وإن أعطاك دون الذي أسلفته فأخذته أُجــرت، وإن أعطــاك أفضل مما أسلفته طيبة به نفسه، فذلك شكر شكره لك ولك، أجر ما أنظرته"[1].

وعن مجاهد بن جبر (رحمه الله) أنه قال: "استسلف عبد الله بن عمر " رضـــي الله عنهما " من رجل دراهم، ثم قضاه دراهم خيراً منها، فقال الرجل: يا أبـــا عبـــد الرحمن ، هذه خير من دراهمي التي أسلفتك، فقال عبدالله بن عمر: قد علمت، ولكن نفسي بذلك طيبة" [2].

وقد قال النبي r "خياركم أحسنكم أداءً "[3]

فمن كان عليه دين لرجل فأدى أكثر مما أخذ فلا حرج في ذلك، بل هـــذا من حسن الأداء بشرط أن لا يكون هناك اتفاق بينهما على ذلك.

خامسًا: رسالة إلى التجار:

هذه رسالة من الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – قال :

نصيحتي للباعة عموماً أن يتقوا الله عزوجل وأن تكون معاملتهم بالصـــدق والبيان، والصدق بما يتكلمون به عن السلعة من الأوصاف المرغوبة، والبيان فيمـــا يكون من العيوب في السلع؛ حتى يبارك لهم في بيوعهم، وقد ثبت عن النبي أنه قال: " من أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ "[4] وثبت عنه r قال: "لا يؤمن

---

1 - صحيح : مالك في الموطأ (136) رواية: يحيى.

2 - السابق (250).

3 - البخاري(2140).

4 - مسلم (3431).

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [1] فإذا كان الإنسان يكره أن يعامله أحد من غير أن يبين له فكيف يكره ذلك لنفسه ويرضاه لغيره [2]

قلت: وقد ثبت عن النبي r أنه قال:"التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء" [3]

واحذر كذلك من الحديث الذي يرويه أبو هريرة t عَنْ النَّبِيِّ r قَـالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ" [4]

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأحبتي في الله ما أنتم قائلون بعد هذا كله؟!

بعد هذه الآيات من الله تعالى وهذه الأحاديث من رسول الله r ؟!

ماذا أنتم قائلون يا من وقعتم في هذه الكبيرة العظيمة؟ ..

1- صحيح : صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (73) .

2- المداينة وفقه وفتاوى البيوع ص : 50 .

3 - صحيح : الترمذي (1130) وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1782): صحيح لغيره

4 - البخاري (2369) .

إنني أدعوكم إلى التوبة، واعلموا أن باب التوبة مفتوح، واعلموا "أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " [1]

وإليكم بعض النقاط في طريق التوبة:

(1) الاعتراف الكامل أنك على ذنب عظيم، ولا خلاص منه إلا بالتوبة.

(2) الثقة الكاملة بأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين.

(3) عليك بالقناعة والرضا بالقليل الحلال؛ فهو والله خير من الكثير الحرام.

(4) اعزم عزماً صادقاً على أنك لا تأخذ قرضاً جديداً، ولا سلفةً جديدة، ولا سيارة عن طريق البنك الربوي، ولا سحب على المكشوف، مهما كانت ظروفك المادية، وثبت نفسك وصبرها على هذا ولا تنهزم عند أول امتحان

(5) التعجيل بسداد ما عليك من الدين، ولا تؤجل ولا تؤخر أي قسط؛ فإنه سيضاعف عليك الدين، إذا كان عندك مترل أو محل تجاري أو أرض تستطيع بيع أحدهما وتأخذ قرضاً من إخوانك بدون فائدة ثم تسدد ما عليك من دين الربا، فهذا والله عين الصواب وهي التجارة الرابحة بإذن الله.

(6) الدعاء وهذا أمر مهم فإنا نوصيك أن تتضرع إلى الله تعالى بالليل والنهار، وفي سجود النوافل أن يوفقك للتوبة ويعينك على ذلك، ويجعل لك مخرجاً، وأن يسدد عنك دينك ، واطلب من إخوانك الدعاء.

(7) تذكر دائما أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه:

1 - مسلم (4954) .

قال رسول الله r : "من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه" [1]

وهذا أقوله للجميع، خاصةً العاملين في البنوك الربويــة فــإني أدعــوهم للهروب فوراً من هذه البنوك التى تحارب الله ورسوله، وتأكدوا يا إخــوانى ويــا أخواتى أنكم لن تندموا ولن تموتوا جوعا، ولا تخدعكم مغريات هذه البنوك الــتى يقدموها لكم من تسهيلات وقروض وتذاكر ومزايا؛ حتى تبقوا فيهــا؛ فإنهــا والله ستكون حسرةً وندامةً يوم القيامة، وكم من الناس خرجوا من هذه البنوك وتــابوا إلى الله فعوضهم الله خيراً.

(8) أخى التائب تذكر أن التوبة تحتاج إلى صبر فاصبر ولا تضــعف ولا تيــأس؛ فالفرج آتٍ بإذن الله تعالى.

(9) انقل حسابك فورا إلى بنك إسلامى إذا لم يكن عليك ديون للبنك الربــوى، وإلا فبعد سداد ديونك، ولكن خلال فترة بقائك فى البنك الربــوى لســداد دينك نرجوا أن تسحب الباقى من راتبك الشهرى كلــه، ولا تتــرك شــيئا للبنوك؛ حتى لا تكون عوناً لهم على الحرام.

(10) تذكر دائما قول النبى r : "كلٌّ جسدٍ نبتَ من سحت فالنارُ أولى به" [2]

وهذه بعض الهدايا للتائبين:

أخي في الله: هل فكرت حقاً في التوبة ؟!

هل عزمت عليها ؟!

---

1 _ صحيح : قال الشيخ الألباني في تحقيقه لرسالة حجاب المرأة ولباسها في الصلاة لشيخ الإســلام قال عندما تعرض لذكر هذا الحديث: رواه أحمد بسند صحيح .

2 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (2772).

هل بدأت في خطواتها الأولى ؟!

هل أنت نادم ؟!

إذن دعني أَقُلْ لك: أبشر ثم أبشر؛ فإن الله جل جلاله وعدك خيراً، واسمع إلى هذه الهدايا من الله إليك:

(1) قبول التوبة؛ فإن الله تعالى قال: ({ ~ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ © ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾) [التوبة: 104]

(2) مغفرة الذنوب: قـــال تعـــالى: (وإني f g h i j k l m n) [طه 82]

(3) تبديل السيئات حسنات ، قال تعالى : (B C D E F G H I J K L M O P Q R S) [الفرقان: 70]

(4) الله جل جلاله يحبك: (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾) [البقرة 222]

(5) الله يفرح بتوبة عبده قال r : "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَـــامَ فَاسْـــتَيْقَظَ وَقَـــدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُـــهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِـــنْ هَـــذَا بِرَاحِلَتِهِ "(1)

1 - مسلم (4929) .

قصة واقعية مؤثرة:

يحكي أحد التائبين من العمل في بنك ربوي يقول: كنت أعمل في بنـــك ربوي، وأسمع كثيراً أن الربا حرام، وأن العمل في البنوك حرام، وعليه قـــررت أن أترك البنك، وفعلاً تركته وتوكلت على الله، و لم يكن عندي أي وظيفـــة بديلـــة وجلست في المترل ، وبعد فترة بسيطة قرأت في الجريدة أن إحدى الوزارات تطلب موظفين فقدمت أوراقي عن طريق البريد، و لم أذهب إلى أي مكان، و لم أوسِّط أي أحد و لم أقابل أي إنسان،

وبعد مدة جاءني هاتف فقال المتكلم: أنت فلان بن فلان، فقلت له: نعم! فقال لي: أنت مسجل عندنا غياباً يومين، فاستغربت كثيراً من هذا الكلام، وبعـــد نقاش بيني وبينه عرفت أن هذا الشخص هو سكرتير لمدير أحد مكاتب الوزارة في الإمارة التي أسكن فيها، وتوجهت في اليوم الثالث إلى عملي وأنا في حالة استغراب والشكر لله وحده؛ قال تعــالى: (j k l m n o p q r s t u w x y z { | | ~ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىۡءٖ © (٣)) [الطلاق : 3]

الخطبـــــة الثامنـــة: يا نفس قـــد أزف الرحيـــل

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @)

[آل عمران: 102]

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 ا

3 4 5 6 7 8 ا: ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71]

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **r** ، وَشَـــرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله :

"يا نفس قد أزف الرحيل "

إخوة الإيمان: إن الموت يقصم الظهور، ويخرج الناس من الدور، ويترلهم من القصور إلى القبور بلا استئذان، فالموت لا يستأذن أحداً.

عباد الله : ليس هناك تذكرة تنطق بلسان حالها أبلغ من هـــذه التـــذكرة ، وليس هناك موعظة أنفع من هذه الموعظة وكفى بالموت واعظاً .

فالإنسان يعيش بطبيعة حياته يحكي ويسرد، يحلم ويتمنى، يتكلم وينـــاقش أمور حياته،وفجأة هاجمته سكرات الموت فسكت اللســـان، وانتـــهت الأحـــلام، وتجمدت الأعضاء عن الحركة.

ما هو الموت:

الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولته بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار .

والموت عباد الله من أعظم المصائب؛ فقد سماه الله في كتابه مصـــيبة قـــال تعالى:(d e f g h i j k) [المائدة :126] فـــالموت هـــو المصيبة العظمى والرزية الكبرى، فالموت لا ريب فيه ولا شك فيه؛ قال تعـــالى في سورة ق: (C D E F H I J K L M) [ق:19] أي ذلك مـــا كنت منه تهرب أو تميل أو تفر .

وقال تعالى: (أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى ´ µ) [النساء :78]

أي في أي مكان وجدتم فلابد وأن يدرككم المـــوت ويفـــاجئكم ، ولـــو تحصنتم بالحصون المنيعة.

وقال تعالى: (O P Q R S T U V W X Y) .[الرحمن:26،27]

أي كل من على وجه الأرض من الإنس والحيوان هالك وسيموت، ويبقى وجه ربك ، أي : ويبقى ذات الله الواحد الأحد ذو العظمة والكبرياء ، وذو الإنعام والإكرام .

وقال تعالى: (n o p q s t u v w y z { | } ~ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ©) [آل عمران:185]

أي مصير الخلائق إلى الفناء، وكل نفس ميتة لا محالة .

(s t u v w) أي تعطون جزاء أعمالكم وافيًـــا يـــوم القيامة.

(y z { | } ~ فَقَدْ فَازَ) أي فمن نحِّي عن النار وأبعد عنها، وأدخل الجنة فقد فاز بالسعادة السرمدية والنعيم المخلد.

(وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ) أي ليست الدنيا إلا دار الفناء لا يستمتع بها إلا الأحمق المغرور.

قال ابن كثير: الآية فيها تصغير لشأن الدنيا، وتحقير لأمرها، وأنها فانية زائلة.

الموت حق على الإنس والجن:

فالموت عباد الله على الإنس والجن كما في الصحيح عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال r : " أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والإنس والجـــن يموتون"[1]

فمن يجادل في الموت وسكرته؟!

ومن يخاصم في القبر وضمته؟!

ومن يقدر على تأخير موته؟!

وتأجيل ساعته؟!

(إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ©يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [يونس:49]

لا ينجو أحد من ضمة القبر:

فلقد ورد في مسند أحمد عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله r : "إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجياً منها نجا سعد بن معاذ"[2].

هذا سعد ابن معاذ الذي قال عنه النبي r : "هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَــرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ" [3].

فلماذا التكبر أيها الإنسان وسوف تأكلك الديدان ؟!

1 - البخاري (6835) .

2 - صحيح : أحمد (23522)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2180).

3 - صحيح : النسائي (2028)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (6987) .

ولماذا تطغى وفي التراب ستلقى ؟!

ولماذا التسويف والغفلة وأنت تعلم أن الموت يأتي بغتة ؟!!

كل نفس ذائقة الموت .

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يوما على آلة حدباء محمول

أكثروا من ذكر الموت:

لقد حثَّ النبي r على الإكثار من ذكر الموت فقال r :"أكثروامن ذكر هاذم الذات ، قيل : وما هاذم اللذات يا رسول الله ، قال : الموت " [1]

وقال r :"أكيسُ الناسِ أكثرُهُمْ ذكراً للموتِ" [2]

وكان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتـــه   يبقى الإله ويفنى المال والولـــــد
لم تغن عن هرمذ يوما خزائنـــه   والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له   والإنس والجن فيما بينها تَـــرد
أين الملوك التي كانت لعزتها   من كل أوب إليها وافد يفــــد
حوض هنالك مورود بلا كذب   لا بد من ورده يوما كمـــا وردوا

1- صحيح : الترمذي (2229) والنسائي (1801) وأحمد (7584)، وصححه الشيخ الألبــاني فــي صحيح الجامع (1210) .

2- صحيح : ابن ماجه (4249)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1384) .

واعلم أخي الحبيب أن الموت لا يقرع باباً، ولا يهاب حجاباً، ولا يقبـــل بديلاً، ولا يأخذ كفيلاً، ولا يرحم صغيراً، ولا يوقر كبيراً.

الموت لا ينجوا منه أحد حتى رسول الله محمد r :

فقد قال له ربه عز وجل : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾) [الزمر:30]

ولقد واسى الله رسوله r بأن الموت سنة في خلقه؛ فقال تعالى في ســـورة الأنبياء: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾) [الأنبياء:34]

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس يوم وفاة الحبيب، فقال له: اجلس يا عمر! فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر،

فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت ثم قرأ قول الله تعالى: (C D E F G H I J K M N O P Q R S U V W X Y Z [\ | ^ _ ` a) [آل عمران]

وقال: لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبـــو بكـــر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها [1].

فلقد لقي النبي r من الموت شدة، وكان آخر كلامه من الدنيا: "الصـــلاة الصلاة، وما ملكت إيمانكم" [2]

1- البخاري (4097).

2- صحيح : أحمد (25278)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (4616) .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : إن من نعم الله علي أن رسول الله r توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عنـــد موته، دخل عليَّ أخي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله r فرأيتـــه ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك ؟ فأشار برأسه (أن نعم) . فتناولته فاشتد عليه وقلت: أُلينه لك؟ فأشار برأسه (أن نعم). فلينته فأَمَرَّه وبـــين يديه ركوة أو علبة - يشك عمر - فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: (لا إله الإ الله إن للموت سكرات) . ثم نصب يده فجعل يقـــول: (اللهم في الرفيق الأعلى) . حتى قبض ومالت يده [1]

وعن أنس t قال: لما ثقل النبي r جعل يتغشاه فقالت فاطمـــة عليهـــا السلام: واكرب أباه فقال لها: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم" . فلمـــا مـــات قالت"

يا أبتاه أجاب ربا دعـــــــاه

يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه

يا أبتاه إلى جبريل ننعـــــــاه

فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله r التراب [2]

1- البخاري(4094) ، (فاشتد عليه) أي : الوجع . (فأمرَّه) أي: أمره على أسنانه فاستاك بـــه، وفـــي رواية (بأمره) . (ركوة): وعاء من جلد يحلب فيه . (يشك عمر) هو ابن سعيد الرواي يشك هـــل قالت: ركوة أوعلبة وكلاهما بمعنى واحد (سكرات) جمع سكرة وهي الشدة .

2- البخاري (4103)، ومعنى (يتغشاه) يغطيه ما اشتد به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمـــه . (واكـــرب أباه) أندب ما يصيب أبي من هم وغم وثقل . (ننعاه) من نعى الميت إذا أذاع موتـــه وأخبـــر بـــه . (أطابت) كيف طابت ورضيت مع حبكم الشديد له . (تحثوا): تهيلوا وتدفعوا وتضعوا.

فالكل سيموت، يموت كل صغيروكبير، يموت كل أمير ووزير، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غني وفقير، يموت كل نبي وولي، يموت كل زاهد وعابـــد، يموت كل صحيح وسقيم،كل نفس تموت غير ذي العزة والجبروت .

أ   ين الوالدون وما ولـ   ـدوا ؟!

أين الجبارون وما قصد   ـدوا ؟!

أين أرباب المعاصي على ماذا وردوا ؟!!

أما جنوا ثمرات ما جنوا وقصدوا ؟!

أما قدموا على أعمالهم في مآلهم ووفدوا ؟!

أما بكوا في ظلمات القبور؟!

بكوا والله وانف   ــردوا !

أما طلبوا زاداً يكفي في طريقهم ففقدوا ؟!

أما حل الموت فحل عقد ما عق ـــدوا ؟!

عاينوا والله كل ما قدّموا ووجـ ـدوا ؟!

فمنهم أقوام شقوا وأقوام سعـ ـدوا .

أخي الحبيب:

ألا كل مولود فللمــوت يولـــــد ولست أرى حيـــاً عليهـــا يخلـــــــد

تجرد من الدنيا فإنك إنمـــــــــا خرجت من الـــدنيا وأنـــت مجـــــــرد

أنت وإن خوَّلْتَ مـــالاً وكـــــث رة فإنك في الدنيا علـــى ذاك أوحـــــد

وأفضل شيء نلـــت منهـــــــا فإنه متاع قليل يضـــمحل وينفـــــــد

فكم من عزيز أعقب الـــذل عـــزه فأصبح مذموماً وقـــد كـــان يحمـــــد

فلا تحمد الدنيا ولكـــن فذمهـــــا وما بال شـــيء ذمـــه الله يحمـــــــد

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته ،

وصعوبة كأسه ومرارته،

فيا للموت من وعد ما أصدقه

ومن حاكم ما أعدله،

كفى بالموت مقرحاً للقلوب ،

ومبكياً للعيون ،

ومفرقاً للجماعات ،

وهادماً للذات ،

وقاطعاً للأمنيات.

فهل فكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك ؟!.

وانتقالك من موضعك ؟!

وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ،

وخانك الصاحب والرفيق ،

وهجرك الأخ والصديق.

وأخذت من فراشك وغطائك إلى غرر.

وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر.

فيا جامع المال،والمجتهد في البنيان،

ليس لك والله من مالك إلا الأكفان،

بل هي والله للخراب، وجسمك للتراب والمآل

فأين الذي جمعته من المال ؟!

هل أنقذك من الأهوال ؟!

كلا بل تركته إلى من لا يعذر.

وقدمت بأوزارك على من لا يحمدك .

عزيز فلم تترك لعزك .

غني فلم تترك لغناك .

فقير فلم تترك لفقرك

جواد فلم تترك لجودك

شديد فلم تترك لشدتك .

عالم فلم تترك لعلمك .

إخوة الإيمان: زورا القبور، وليقل الواحد منكم:

أتيـــــت القبـــــور فناديتــــــها   فــــأين المعظـــــم والمحتقـــــر
وأيـــــن المـــــذل بســـــلطانه   وأيـــن المزكّـــى إذا مـــا افتخـــر
تســـاووا جميعـــا فمـــا مُخبِـــرٌ   ومـــاتوا جميعـــا ومـــات الخـــبر
فيـــا ســـائلي عـــن أنـــاس مضـــوا   أمـــا لـــك فيمـــا مضـــى معتـــبر
تـــروح وتغـــدو بنـــات الثـــرى   فتمحـــو محاســـن تلـــك الصـــور

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأخي الحبيب:

ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته.

فقد ذهبت لذاته وبقيت تبعاته،

وكأنه لم يكن إذ جاءه الموت وميقاته ؛ قال تعالى: (أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ! " # $ % & ') [سورة الشعراء 205-207]

تلا بعض السلف هذه الآيات وبكى وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم.

فيا أبناء العشرين: كم مات من أقرانكم وتخلفتم ؟!

ويا أبناء الثلاثين: أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم .

ويا أبناء الأربعين: ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم .

ويا أبناء الخمسين: أنتم زرع قد دنا حصاده، تنصفتم المائة وما أنصفتم.

ويا أبناء الستين: هلموا إلى الحساب، أنتم على معترك المنايا قد أسلفتم.

أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم ؟!

ويا أبناء السبعين: ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟

ويا أبناء الثمانين: لا عذر لكم.

قال مسروق: إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك.

فيا أخي الحبيب:

تزود من الدنيا فإنــك لا تــدري إذا جن ليــل هــل تعـيش إلى الفجــر.

فكم من فتى يمسي ويصبح لاهيــاً وقد نسجت أكفانــه وهــو لا يــدري.

وكم من عروس زينوها لزوجهــا وقد قبضــت أرواحهــم ليلــة العــرس.

وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم وقد أُدخلت أجســادهم ظلمــة القــبر.

وكم من صحيح مات مــن غــير علة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر.

أخي الحبيب :

أزف الرحيل ، وما حصل الزاد.

فيا لرحيلك ما أعجله!

ويا لسفرك ما أطوله!

ويا لطريقك ما أهوله!

تنبه أيها الشاب لاغتنام العمل!

تيقظ أيها الكهل قبل خيبة الأمل!

بادر أيها الشيخ فكأنه قد قيل ورحل!

يا من ستفوت أنفاسه استدركها!

يا من ستفوت أيامه أدركها.

أعز الأنفس عليك نفسك فلا تهلكها .

وصدق من قال :

ذنوبك يـــا مغـــرور تحصـــى وتحســـب ... وتجمــــع في لـــــوح حفــــيظ وتكتــــب
وقلبـــــك في ســــــهوٍ وغفلـــــــــــــةٍ ... وأنـــت علـــى الـــدنيا حـــريصٌ معـــذب
تباهي بجمـــع المـــال مـــن غـــير حلـــه ... وتســـعى حثيثـــاً في المعاصـــي وتـــذنب
أما تـــذكر المـــوت المفاجِيْـــك في غـــدٍ ... أما أنـــت مـــن بعـــد الســـلامة تعطـــب
أمـــا تـــذكر القـــبر الـــوحيش ولحـــده ... به الجســـم مـــن بعـــد العمـــارة يخـــرب
أمـــا تـــذكر اليـــوم الطويـــل وهولـــه ... وميـــزان قســـط للوفـــاء سينصـــب
تـــروح وتغـــدو في مراحـــك لاهيـــاً ... وســـوف بأشـــراك المنيـــة تنشـــب
تعالج نزع الـــروح مـــن كـــل مفصـــل ... فـــلا راحـــم يُنجـــي ولا ثم مهـــرب
وغُمضـــت العينـــان بعـــد خروجهـــا ... وبُسِّـــطت الـــرجلان والـــرأس يعصـــب
وقاموا ســـراعاً في جهـــازك أحضـــروا ... حنوطـــاً وأكفانـــاً وللمـــاء قرّبـــوا
وغاســـلك المحـــزون تبكـــي عيونـــه ... بـــدمع غزيـــرٍ واكـــفٍ يتصـــبب
وكـــل حبيـــب لُبـــه متحـــركٌ ... يُحـــرك كفيـــه عليـــك وينـــدب
وقد نشروا الأكفـــان مـــن بعـــد طَيِّهـــا ... وقـــد بخّـــروا منشـــورهن وطيّبـــوا
وألقـــوك فيمـــا بينـــهن وأدرجـــوا ... عليـــك مثـــاني طـــيهن وعصّـــبوا
وفي حفـــرة ألقـــوك حـــيران مفـــردا ... تَضـــمك بيـــداء مـــن الأرض سبســـب

إذا كـــان هـــذا حالنـــا بعـــد موتنـــا ... فكيف يطيب اليــوم أكــل ومشــرب؟!

فيا نفس خــافي الله وارجــي ثوابــه ف ... هــادم لــذات الفــتى ســوف يقــرب

وقــولي إلهــي أولــني منــك رحمــة ... وعفــواً فــإن الله للــذنب يُــذهب

ولا تحــرقن جســمي بنــارك ســيدي ... فجسمي ضعيف والرجــا منــك أقــرب

فمــا لي إلا أنــت يــا خــالق الــورى ... عليــك اتكــالي أنــت للخلــق مهــرب

وصــلِّ إلهــي كلمــا ذرَّ شــارق ... على أحمــد المختــار مــا لاح كوكــب

وصدق القائل إذ يقول :

كـــل حـــي ســـيموت ... لـــيس في الـــدنيا ثبـــوت

حركـــات ســـوف تفـــنى ... ثم يتلوهـــا خفـــوت

وكـــلام لـــيس يحلـــو ... بعـــده إلا الســـكوت

أيهـــا الســـائر قـــل لي ... أيـــن ذاك الجـــبروت

كنـــت مطبوعـــاً علـــى ... النطـــق فمـــا هـــذا الصـــموت

ليـــت شـــعري أهمـــود ... مـــا أراه أم قنـــوت

أيـــن أمـــلاك لهـــم في ... كـــل أفـــق ملكـــوت

زالـــت التيجـــان عنـــهم ... وخلـــت تلـــت التخـــوت

عمـــرت منـــهم قبـــور ... وخلـــت منـــهم بيـــوت

لم تـــزد عنـــهم نحـــوس ... الـــدهر إذ حانـــت بخـــوت

إنمـــا الـــدنيا خيـــال ... باطـــل ســـوف يفـــوت

لـــيس للإنســـان فيهـــا ... غـــير تقـــوى الله قـــوت

الخطبة التاسعة: الصلاة الصلاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @) [آل عمران:102]

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 ا

3 4 5 6 7 8 ا : ; < = > ?) [النساء: 1].

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **r** ، وَشَـــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان : إن الصلاة عماد الدين، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، من حافظ عليها فهو السعيد، ومن أضاعها فهو الشقي العنيد.

ويتعلق بالصلاة عدة مسائل:

المسألة الأولى: معنى الصلاة:

لغة: الدعاء، قال تعالى: (q r ا t u v w ا) [التوبة:103]

شرعا: التعبد لله تعالى بأقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.,

المسألة الثانية: أهمية الصلاة في الإسلام :

الصلاة من آكد فرائض الإسلام، فهي تلى الشهادتين، لذا لما بعث النبي r معاذاً إلى اليمن قال له: " إنك تقدم على قوم أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز و جل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم"[1]

المسألة الثالثة: حكم تارك الصلاة:

لقد ورد التحذير الشديد في القرآن الكريم والسنة النبوية من ترك الصـــلاة، بل لقد سماه رسول الله r كافراً، وكان صحابة النبي r لا يرون عملاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة.

كما جاء عند الإمام البيهقي في السنن الكبرى، قال: باب ما جاء في تكفير تارك الصلاة: عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب عـــن أبيـــه أن رســـول الله r قال:"العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"[2]

وروينا عن عمر بن الخطاب t أنه قال: لا حظ في الإسلام لمـــن تـــرك الصلاة[3] وعن علي t : من لم يصل فهو كافر[4]

1- البخاري (1458) ، مسلم (19) .

2- صحيح : النسائي (2545)، والترمذي (459)، وابن ماجه(1069) وأحمد (21859) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (564) .

3- صحيح : السنن الكبرى (6291)، طبعة: دار دائرة المعارف النظامية في الهند، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (209)، طبعة المكتب الإسلامي .

4- صحيح : السابق، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب (309).

وعن عبد الله بن مسعود t : من لم يصل فلا دين له. [1]

وقال أيوب: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه [2].

وقال ابن المبارك: من أخَّر صلاة حتى يفوت وقتها متعمداً من غير عذر فقد كفر. [3]

ويرى علماء البلد الحرام وعلى رأسهم الشيخ ابن باز وابـــن عثـــيمين ـ رحمهما الله – كفر تارك الصلاة – أي كفراً يخرجه من ملة الإسلام . [4]

يقول الشيخ ابن باز (رحمه الله) [5]: وهذا يدل على أن تارك الصلاة يسمى كافرا ويسمى مشركاً، وهذا هو الحق وهو المعروف عن الصحابة (رضي الله عنهم) ، فإن عبد الله بن شقيق العقيلي t التابعي الجليل قال: لم يكن أصحاب رسول الله يعدون شيئاً تركه كفر إلا الصلاة " [6] وهذا يدل على أن تـــرك الصـــلاة عنـــد الصحابة (رضي الله عنهم) يعتبر كفراً أكبر، ويسمى تاركها كافراً مشركاً، وهذا هو أصح قولي العلماء إذا لم يجحد وجوبها. أما من جحد وجوبها ، فإنه كافر عند الجميع، نعوذ بالله من ذلك.

فالذي ترك الصلاة قد فرق دينه، وقد خرج عن جماعة المسلمين .

1- السابق .

2- الصلاة وحكم تاركها لابن القيم صـــــ 63 ، المكتب الإسلامي ببيروت .

3- السابق .

4- واعلم أن هذا الرأي خاص بعلماء الحرم وبعض المعاصرين وبعض القــدامى كالإمـــام أحمـــد وغيره، وإلا فالمسالة فيها خلاف، ولكننا نقول هذا من باب الزجر لتارك الصلاة، وينبغي دائمـــا على الداعية إذا ذكر آيات الوعيد أو أحاديثه ألا يفصل فيها فيذكرها دون تفصيل: مثل أحاديـــث ترك الصلاة وأحاديث "ليس منا " حتى ينزجر الفاعل لهذا الفعل.

5- فتاوى نور على الدرب (1/ 232).

6- صحيح : الترمذي (2546)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (565)، دار المعارف، الرياض .

ويقول الشيخ ابن عثيمين- (رحمه الله)[1]: قول الإمام أحمد بتكفير تــارك الصلاة كسلاً هو القول الرَّاجح، والأدلة تدلُّ عليه من كتاب الله وسُنَّةِ الرَّســول r ، وأقوال السَّلف، والنَّظر الصحيح.

أمَّا الكتاب: فقوله تعالى في المشــركين: (h i j k l m n o p) [التوبة: 11] فاشترط الله لثبوت الأُخُوَّة في الدِّين ثلاثــةَ شروط: التوبة من الشِّرك، والثَّاني: إقامة الصَّلاة، والثالث: إيتاء الزَّكاة.

فالآية تدلُّ على أنَّه لا يكون أخاً لنا في الدِّين إذا لم يُصَلِّ و لم يُزكِّ، وإن تاب مــن الشِّرك. والأُخُوَّة في الدِّين لا تنتفي بالمعاصي وإن عَظُمَتْ، كما في آية القصــاص حيث قال تعالى: (i j k l m n) [البقــرة: 178] ، فجعلَ المقتــولَ أخــاً للقاتل عمداً، وكما في اقتتال الطَّائفتين من المؤمنين؛ حيــثُ قــال تعــالى: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) [الحجرات: 10]، فلم تنتفِ الأُخــوة الإيمانيــة مــع الاقتتال؛ وهو من كبائر الذُّنوب.

أمَّا مانعُ الزَّكاة فمن العلماء من التزم بذلك وقال بأنَّه كافر، وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله ، ولكن يمنع هذا القول ما ثبت في «صحيح مسلم» فيمن آتاه الله مالاً من الذَّهب والفضَّة و لم يُؤدِّ زكاتَه «أنه يرى سبيله إما إلى الجَنَّة وإمــا إلى النَّار»، وهذا يَدلُّ على أنه ليس بكافر؛ إذ لو كان كذلك لم يجد سبيلاً إلى الجنَّة.

وأما السُّنَّة: فقال النبيُّ r : «بين الرَّجُل وبين الشِّرك والكفر تركُ الصَّلاة»[2]، وقال: «العهدُ الذي بيننا وبينهم الصَّلاة " (1)

1- الشرح الممتع (2/ 29، 30) طبعة: دار ابن الجوزي .

2- مسلم (116).

وأما أقوال الصَّحابة: فإنها كثيرة رُويت عن سِتَّة عشر صحابياً، منهم عمر ابن الخطاب [2].

تارك الصلاة أشد إثماً من الزاني وشارب الخمر :

قال ابن القيم :

لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمداً من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال ومـــن إثم الزنـــا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة، ثم اختلفوا في قتله وفي كيفية قتله وفي كفره. [3].

ترك الصلاة يحبط الأعمال :

قال ابن القيم : أما تركها بالكلية فإنه لا يقبل معه عمل كما لا يقبل مع الشرك عمل؛ فإن الصلاة عمود الإسلام كما صح عن النبي r ، وسائر الشـــرائع كالأطناب والأوتاد ونحوها، وإذا لم يكن للفسطاط عمود لم ينتفع بشـــيء مـــن أجزائه، فقبول سائر الأعمال موقوف على قبول الصلاة، فـــإذا ردت ردت عليـــه سائر الأعمال، وقد تقدم الدليل على ذلك، وأما تركها أحيانا فإنه يحبط عمل ذلك اليوم. [4]

المسألة الرابعة: هل للمريض أن يترك الصلاة ؟

لا يجوز للمريض أن يترك الصلاة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى:

1- سبق تخريجه .

2- يشير إلى قول عمرالسابق " لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة " .

3- الصلاة وحكم تاركها صـــــ 16

4- السابق صـــــ 64 .

هَكَذَا الْمَرِيضُ يُصَلِّي عَلَى حَسَبِ حَالِهِ فِي الْوَقْتِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ r لِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ r عَنِ الصَّلاةِ؟ فَقَالَ: "صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ" (1)

فَالْمَرِيضُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ يُصَلِّي فِي الْوَقْتِ قَاعِدًا أَوْ عَلَى جَنْبٍ إِذَا كَانَ الْقِيَامُ يَزِيدُ في مرضه، وَالْوَقْتُ أَوْكَدُ فَرَائِضِ الصَّلاةِ، ولا يُصَلِّي بَعْدَ خُرُوجِ الْوَقْتِ قَائِمًا . وَهَذَا كُلُّهُ لأَنَّ فِعْلَ الصَّلاةِ فِي وَقْتِهَا فَرْضٌ، وَالْوَقْتُ أَوْكَدُ فَرَائِضِ الصَّلاةِ، كَمَا أَنَّ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَاجِبٌ فِي وَقْتِهِ، لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُؤَخِّرَهُ عَنْ وَقْتِهِ، وَلَكِنْ يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِعَرَفَة، وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بمزدلفة، بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ . وَكَذَلِكَ يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ، وَبَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِعِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ لِلسَّفَرِ وَالْمَرَضِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الأَعْذَارِ . وَأَمَّا تَأْخِيرُ صَلاةِ النَّهَارِ إلَى اللَّيْلِ ، وَتَأْخِيرُ صَلاةِ اللَّيْلِ إلَى النَّهَارِ . فَلا يَجُوزُ لِمَرَضٍ وَلا لِسَفَرٍ، وَلا لِشَغْلٍ مِنْ الأَشْغَالِ، وَلا لِصَنَاعَةٍ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ . بَلْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - t : الْجَمْعُ بَيْنَ صَلاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ مِنْ الْكَبَائِرِ (2).

وهناك قاعدة فقهية تقول: كل عبادة مؤقتة بوقت إذا أخرها الإنسان عن وقتها فهي غير مقبولة بل مردودة ، قال r : (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)(3) أي مردود على صاحبه ، فمثلاً: لا يجوز تأخير صوم رمضان إلى شوال، وكذلك لا يجوز تأخير الحج إلى شهر المحرم فكذلك الصلاة لا يجوز تأخيرها عن وقتها ، قال تعالى : [s t u v w x y z Z [النساء: ١٠٣]

1- البخاري (1050) .

2- الفتاوى (22/ 30 ، 31) .

3- البخاري (2697) ، مسلم (4589) .

المسألة الخامسة: حكم من يؤخر الصلاة عن وقتها:

ورد الوعيد الشديد لمن يؤخر الصلاة عن وقتها؛ حيث قـــال تعـــالى: (F G H I J K L M N) [الماعون:4،5] والويل هو العـــذاب الشديد ، وقيل : هو واد بجهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت فيه من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها ، فكيف بمن تـــرك الصـــلاة بالكلية ؟

ولقد ورد عن بعض الصحابة أن معنى الآية أنهم يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقد سماهم رب العالمين مصلين، لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها توعدهم الله بالويل، وهو شدة العذاب.

وقال تعـــالى: (m n o p q r s t u v w y z { | } ~ ﴿٩﴾) [المنافقون:9] وذكر الله في الآية هـــو الصلاة.

وقال تعالى : (w x y z { | } ~ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾) [مريم:59]

قال ابن مسعود وإبراهيم النخعي أي: أخروها عن وقتها [1].

وقال سعيد ابن المسيب: هو أنه لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر حتى تغرب الشمس [2].

1 - تفسير السراج المنير للشربيني (2/ 344) ، دار الكتب ببيروت .

2 - البخاري (611) ، مسلم (1029) .

وقال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم: (ë ê é è ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ Î ï مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾) [المدثر:42، 43]

****

المسألة السادسة: صلاة الجماعة وتحتها عدة عناصر:

أولا: فضل صلاة الجماعة:

1- عن أبي هريرة t قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: "صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلا الصَّلاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ! وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ"[1]

وفي رواية: "ما لم يحدث فيه ،ما لم يؤذِ فيه " [2]

وفي رواية أخرى في الصحيحين أيضاً: "بسبع وعشرين درجة "[3]

الجمع بين الروايتين :

وقد جمع العلماء بين الروايتين – رواية الخمس والعشرين ورواية السبع والعشرين – بوجوه:[4]

1 - البخاري (611) ، مسلم (1029).

2 - البخاري (1976) ، مسلم (1059).

3 - البخاري (609) ، مسلم (1038).

4 - ذكرها النووي في شرحه لمسلم (5/ 151) طبعة: الأميرية.

ومنها: أنه يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ولبعضهم سبع وعشرون، بحسب كمال الصلاة ومحافظته علـــى هيآتهـــا وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلهم وشرف البقعة ونحو ذلك.

2- وأخرج مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود t قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ، حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ شَـــرَعَ لِنَبِيِّكُمْ r سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَـــةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ"[1]

3- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: " مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِـــينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِـــنَ النَّـــارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ "[2]

4- وعن أبي هريرة t قال: سمعت رســـول الله r يَقُـــولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَـــا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَـــلُحَتْ فَقَـــدْ أَفْلَـــحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ

1 - مسلم (1046) .

2 - صحيح : الترمذي (224) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (1979) .

الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْـــتَقَصَ مِـــنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ"[1]

فضل صلاتي الفجر والعشاء:من صلى الفجر فهو في ذمة الله:

5- عن جُنْدَبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ t قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :" مَنْ صَلَّى الصُّـــبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَـــارِ جَهَنَّمَ " [2]

قال النووي: الذمة هنا: الضمان، وقيل: الأمان [3]

6- عن عثمان t قال: قال رسول الله r : "مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ" [4]

7- الصلاة في الجماعة تعصم العبد من الشيطان وتعين على الخشوع:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَـــا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ r فِينَا فَقَالَ: " أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُـــمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلا يُسْتَشْهَدُ، أَلا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثنين أَبْعَـــدُ

---

1 - صحيح : الترمذي (278) والنسائي(461) ، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (1330).

2 - مسلم (1050).

3 - النووي في شرحه لمسلم (5/ 158) .

4 - مسلم (1049) .

[1]، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ " [2]

8- زيادة أجر صلاة الجماعة بزيادة عدد المصلين :

عن أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ t يَقُولُ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ r يَوْمًا صَـــلاةَ الصُّـــبْحِ فَقَالَ:" أَشَهِدَ فُلانٌ الصَّلاةَ؟ قَالُوا: لا قَالَ: فَفُلانٌ؟ قَـــالُوا: لا. قَـــالَ: "إِنَّ هَـــاتَيْنِ الصَّلاتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَالصَّفُّ الأَوَّلُ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلائِكَةِ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لابْتَدَرْتُمُوهُ، وَصَـــلاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِـــنْ صَلاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَانُوا أَكْثَرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " [3]

1- واعلم أخي أن الإسلام يدعو دائماً إلى الاجتماع وعدم الفرقـــة قـــال تعـــالى: (v w x y z) فعلى الإنسان أن يحرص أن يكون له إخوة ينصحونه ويذكرونه.

2- صحيح : الترمذي (2091) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (430).

3- صحيح : أبو داود (467) والنسائي (834) ، وصححه الشيخ الألباني في صـــحيح الترغيـــب والترهيب (411) .

9- فرح الله بقدوم العبد إلى المسجد لأداء الصلاة فيه:

عَنْ أَبِي هريرة t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: "مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْـــلِمٌ الْمَسَـــاجِدَ لِلصَّلاةِ وَالذِّكْرِ إِلا تَبَشْبَشَ اللَّهُ لَهُ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِـــبِ بِغَـــائِبِهِمْ إِذَا قَـــدِمَ عَلَيْهِمْ" (1)

قوله: (تبشبش): أصله فرح الصديق بمجيء الصديق واللطف في المسألة والإقبال، والمراد هنا: تلقيه ببره وتقريبه وإكرامه.

10- فضل الصفوف الأولى:

عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: "لو يعلم النـــاس مـــا في النـــداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا " (2)

وقد جاء في بعض الأحاديث أن الصف الأول مثل صف الملائكة(3).

11- فضل ميامن الصفوف:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِب t أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ r قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَـــلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ، وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ بِمَدِّ صَوْتِهِ وَيُصَدِّقُهُ مَنْ سَمِعَهُ مِـــنْ رَطْـــبٍ وَيَابِسٍ، وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ" (4)

وعند النسائي عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ t قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّـــهِ r يَتَخَلَّـــلُ الصُّفُوفَ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا وَصُـــدُورَنَا وَيَقُـــولُ: "لا تَخْتَلِفُـــوا

1- صحيح : ابن ماجه (793)، وأحمد (7720)، وصححه الشيخ الألباني فـــي صـــحيح الترغيـــب والترهيب (327) .
2- البخاري (580) .
3- صحيح : النسائي (834) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2242) .
4- البخاري (642) .

فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ: وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْمُتَقَدِّمَةِ" (1)

وعند أبي داود" إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَلُونَ الصُّفُوفَ الأوَلَ وَمَـــا مِنْ خُطْوَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا يَصِلُ بِهَا صَفًّا"(2)

وعنده أيضا عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ"(3)

12- المشي إلى صلاة الجماعة من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة:

وذلك لما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : " أَتَانِي اللَّيْلَـــةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ! - قَالَ: أَحْسَبُهُ قَالَ: فِي الْمَنَامِ- فَقَالَ: يَـــا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لا ، قَالَ. فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّـــمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَـــمْ قَالَ فِي الْكَفَّارَاتِ، وَالْكَفَّارَاتُ الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ وَالْمَشْيُ عَلَـــى الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْـــرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ فَقُـــلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُـــبَّ الْمَسَـــاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ

---

1 - صحيح : النسائي (802)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (811).

2 - صحيح : أبو داود (457)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (507) .

3 - صحيح : أبو داود (578)، وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة (1096) .

بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ! قَالَ: وَالدَّرَجَاتُ: إِفْشَاءُ السَّــلَامِ وَإِطْعَــامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ" [1]

ولقول الله تعــالى: (Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k l) [النحل: 97].

ثانيًا: العدد الذي تنعقد به الجماعة:

تنعقد الجماعة باثنين: إمام ومأموم، ولو مع صبي على الصحيح أو امـــرأة ذات محرم عند الخلوة؛ لحديث ابن عباس " رضي الله عنهما " قال: بت عند خالتي ميمونة فقام النبي r يصلي من الليل، فقمت أصلي معه، فقمت عن يساره، فأخذ برأسي فأقامني عن يمينه" [2]

وعن مالك بن الحويرث t أنه قال: أتى رجلان النبى r يريدان الســفر، فقال النبي r : "إذا أنتما خرجتما فأذِّنا، ثم أقيما، ثم ليؤمكما أكبركما" [3]

ثالثًا: بم تدرك الجماعة:

تدرك الجماعة بإدراك ركعة، ولا يُعتدُّ بركعة لا يدرك ركوعها؛ لحـــديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال: "من أدرك ركعة مـــن الصـــلاة فقـــد أدرك الصلاة" [4]

---

1 - صحيح : الترمذي (2157) ، أحمد(3204) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (3169).
2 - البخاري (135) ، مسلم (1279).
3 - البخاري (594) ، مسلم (1088).
4 - البخاري (546) ، مسلم (954).

وإذا أدرك الركوع قبل أن يقيم الإمام صلبه من ركوعه فقد أدرك الركعة؛ لحديث أبي بكرة t أنه انتهى إلى النبي r وهو راكع، فركع قبـــل أن يصـــل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي r ، فقال: "زادك الله حرصاً ولا تَعُدْ " [1] وزاد أبو داود فيه: "فركع دون الصف ثم مشى إلى الصف"[2]

رابعًا:ما هو العذر الذي يجوز معه تأخير الصلاة عن وقتها أو ترك صلاة الجماعة؟

(1) المرض والخوف:

قال ابن قدامة: قال ابن المنذر: لا أعلم خلافاً بين أهل العلم أن للمريض أن يتخلف عن الجماعات من أجل المرض، وقد روى ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي r قال:"من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر – قالوا: وما العذر يـــا رسول الله ؟ قال: "مرض أو خوف" [3]

قال ابن قدامة في المغني:

والخوف في ثلاثة أنواع: خوف على النفس وخوف على المال وخوف على الأهل .

فالأول: أن يخاف على نفسه سلطاناً يأخذه أو عدوًا أو لصًا أو سبعًا أو دابـــةً أو سيلاً، أو نحو ذلك مما يؤذيه في نفسه ، وفي معنى ذلك أن يخاف غريماً لـــه يلازمه ولا شيء معه يوفيه، فـــإن حبســـه بديـــن هو معسر به ظلم له ،

1 - البخاري (783) .

2 - صحيح : أبو داود (586)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (230) .

3 - صحيح : أبو داود (464) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (426)، ولكن بلفظ: "**من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له، إلا من عذر**" .

فإن كان قادراً على أداء الدين لم يكن عذراً له ، وكذلك إن وجب عليـــه حد لله تعالى أو حد قذف فخاف أن يؤخذ به لم يكن عذراً له؛ لأنه يجب إيفاؤه، وهكذا إن تأخر عليه قصاص لم يكن له عذر في التخلف من أجله .

والثاني: الخوف على ماله بخروجه مما ذكرناه من السلطان واللصوص وأشباههما ، أو يخاف أن يسرق منزله أو يحرق أو شيء منه أو يكون له خبز في تنور أو طبيخ على نار يخاف حريقة باشتغاله عنه، أو يكون له غريم إن ترك ملازمته ذهب بماله، أو يكون له بضاعة أو وديعة عند رجل إن لم يدركه ذهـــب، فهذا وأشباهه عذر في التخلف عن الجمعة والجماعات.

والثالث: الخوف على ولده وأهله أن يضيعوا، أو يكون ولده ضائعاً فيرجو وجوده في تلك الحال[1].

(2) المطر، أو الدحض [2]:

لحديث ابن عباس " رضي الله عنهما " أنه قال لمؤذنه في يوم مطير: "إذا قلـــت: أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل: حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم- أو صلوا في رحالكم - فكأن الناس استنكروا، فقال: فعله من هو خير مني" [3]

---

1 - المغني (183/2)، دار الحديث.

2 - الدحض : المزلة التي لا تثبت فيها الأقدام، انظر لسان العرب ، مادة : دحض .

3 - البخاري (606) ، مسلم (697) .

(3) الريح الشديدة في الليلة المظلمة الباردة:

لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه أذَّن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح، فقال: ألا صلوا في رحالكم ثم قال: كان رسول الله r يأمر المؤذن إذا كانت ليلـــة باردة ذات مطر، يقول: "ألا صلوا في الرحال"[1] .

(4) وضع الطعام ونفسه تتوق إليه:

لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال النبي r : "إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه، وإن أقيمت الصلاة" [2]؛ ولحـــديث عائشة (رضي الله عنها) عن النبي r أنه قال: "إذا وضع العشاء وأقيمت الصـــلاة، فابدؤوا بالعشاء" [3].

(5) مدافعة الأخبثين (البول والغائط):

لحديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: إني سمعت رسول الله r يقول: "لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان" [4].

(6) يكون له قريب يخاف موته ولا يحضره؛ لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه ذكر له أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - وكان بدريّاً- مرض في يـــوم جمعة فركب إليه بعد أن تعالى النهار، واقتربت الجمعة وترك الجمعة [5].

1 - البخاري (596) ، مسلم (1126) .
2 - البخاري (633) .
3 - البخاري (631).
4 - مسلم (560) .
5 - البخاري (3990) .

خامسًا: الترهيب من ترك صلاة الجماعة:

1- عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَيْنَ مَسْكَنُكَ قَالَ: قُلْتُ: فِي قَرْيَةٍ دُونَ حِمْصَ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ: "مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ لا يُؤَذَّنُ وَلا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إِلا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ الذِّئْبَ يَأْكُلُ الْقَاصِيَةَ"[1] والقاصية هي المنفردة .

2- وعَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ r رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ r أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: "هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟ قَالَ :نَعَمْ. قَالَ: فَأَجِبْ [2] "

3- وعنه أيضاً قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ[3]"

(أخالف) أقصد ، وخالف إليه إذا غاب عنه.

1 - صحيح : أحمد (20719) ، وصححه الشيخ الألباني في الثمر المستطاب صـــ 117، دار: غراس.

2 - مسلم (1044).

3 - البخاري (2242) و مسلم (1041).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : والمصر على ترك الصلاة في جماعة رجـــل سوء ينكر عليه، ويزجر على ذلك، بل يعاقب عليه وترد شهادته [1]

4- التهديد بغضب الله تعالى بسبب ترك الجماعة :

عن ابن عباس " رضي الله عنهما " عن النبي r قال: " لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَـــنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ" [2]

سادسًا: نماذج مشرفة من حياة السلف مع الصلاة

1- حرصهم الشديد على حضور الجماعة:

عن سعيد بن المسيب إمام التابعين قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة [3].

وقال أيضا: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد [4].

عن ابن جريج قال: أقام عطاء بن أبي رباح ينام في المسجد الحرام أربعـــين سنة، يطوف ويصلي بالليل.[5]

وعن عامر بن عبدالله أنه سمع المؤذن وهو يجود بنفسه، ومترله قريب مـــن المسجد فقال: خذوا بيدي ، فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمـــع داعـــي الله فـــلا أجيبه؟!!

---

1 - مجموع الفتاوى (252/23).

2 - صحيح : ابن ماجه (786) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (5480)، وفي رواية: الجمعات .

3 - حلية الأولياء (163/2) دار الكتاب العربي بيروت

4 - صحيح : مصنف ابن أبي شيبة (3542).

5 - انظر أخبار مكة للفاكهي.

فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات [1] .

وكان محمد بن خفيف الشيرازي به وجع الخاصرة، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة، وكان إذا نودي للصلاة يحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خففــت على نفسك؟! قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في المسجد فــاطلبوني في المقبرة [2].

وعن ربيعة بن يزيد قال: مَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلاةِ الظُّهْرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَــنَةً إِلا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِلا أَنْ أَكُونَ مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا. [3]

2- حث الأبناء على ملازمة المسجد:

ومما يدل على اهتمام السلف بصلاة الجماعة أهم كانوا يــأمرون أبنــائهم بحضور صلاة الجماعة، فقد جاء عن أبي الدرداء أنه قال لابنه: يا بني ليكن المسجد بيتك؛ فإني سمعت رسول الله r يقول: " إن المساجد بيوت المتقين، فمــن كانــت المساجد بيوته ضمن الله له بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى الجنة " [4]

3- مساءلة الأبناء على حضور صلاة الجماعة:

ومما يدل على عناية سلف هذه الأمة بصلاة الجماعة مسألتهم أبناءهم عــن حضور صلاة الجماعة ، أخرج الإمام عبد الرزاق عن واحد من أولئك الأبرار عن مجاهد قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي r قال: لا أعلمه إلا ممن شهد بــدرا، قال لابنه: "أدركت الصلاة معنا ؟"

---

1 - التمهيد (93/20) موسسة قرطبة.

2 - السير (346/016).

3 - صحيح : شعب الإيمان(371/4)، مكتبة الرشد بالرياض.

4 - مصنف ابن أبي شيبة (172/8)، والمعجم الأوسط (7149) .

قال: نعم.

قال: أدركت التكبيرة الأولى؟

قال: لا .

قال: فاتك خير من مائة ناقة سود العين.[1]

4- تأديب الابن على التأخر عن صلاة الجماعة:

ولم يقتصر الأمر على المساءلة، فحسب بل نجد أحدهم يؤدب ابنه إذا تأخر عن صلاة الجماعة، فقد ذكر الحافظ الذهبي عن يعقوب عن أبيه أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها، وكتب إلى صالح ابن كيسان يتعاهده، وكان يلزمه الصلوات فأبطأ يوماً عن الصلاة فقال: ما حبسك ؟

قال: كانت مرجلتي تسكن شعري .

فقال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ؟!

وكتب بذلك إلى والده فبعث عبد العزيز رسولاً فما كلّمه حتى حلق شعره. [2]

هذا وقد مات بعض الصالحين في الصلاة كحماد بن سلمة ومجاهد ابن جبر وعامر ابن ربيعة والشيخ / عبد الحميد كشك.

وهذا كله غيض من فيض وإلا فالأمثلة والنماذج من حياة السلف في هذا كثيرة لا تحصى [3].

---

1 - صحيح : مصنف عبد الرزاق (2021) .

2 - سير أعلام النبلاء (5/ 116) .

3 - ومن أراد المزيد في هذا فليرجع إلى كتاب: صفة الصفة لابن الجوزي، وصلاح الأمة للعفاني، وغيرهما.

سابعًا: ما هي الجماعة التي يحصل بها الثواب؟

قال الشيخ العزازي: قال الحافظ ابن حجر: أصل المشروعية إنما كـــان في جماعة المساجد وهو وصف معتبر لا ينبغي إلغاؤه، فيختص به المسجد، ويلحق به ما في معناه مما يحصل به إظهار الشعار.

والظاهر من قوله (ما في معناه) جماعة ليس لديهم مسجد أو معـــذورون شرعاً عن الذهاب إلى المسجد[1]

قلت: ومثال الجماعة الذين ليس لهم مسجد هؤلاء الذين يعيشون في الصحراء، أو قوم بعيدون عن العمران، أو قوم عندهم عمل في منطقة بعيدة عن العمران وعـــن المساجد فيؤذنون ويصلون.

1- تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (311/1)، دار قرطبة

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأحبتي في الله : المسألة السابعة : رسالة إلى الآباء والأمهات:

اعلموا أن الله قد استرعاكم رعية، وسوف يسئلكم عنها بين يديـــه، فأعـــدوا الإجابة من الآن عليها ، قال تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ´ µ ¶ ¸ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم:6]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِي اللَّه عَنْهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـــهِ r يَقُـــولُ:" كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِـــي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَـــنْ رَعِيَّتِهَـــا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ"[1]

وعـــن معقـــل بن يسار t قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّـــةَ"[2]

معنى (يسترعيه الله رعية) يعني: يفوض إليه رعاية رعية، وهي بمعنى المرعية، وقوله r (يموت): خبر ما، وغش الراعي الرعية: تضييعه ما يجب عليه في حقهم.

---

1 - البخاري (2546) ومسلم (3408).

2 - البخاري (6618) ومسلم (203).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : " مُــرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُــوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ" [1]وعمرو بن شعيب أبوه هوشعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وعَنْ أَبِى هريرة t أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ r قَالَ :« إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ الْعَبْدَ الدَّرَجَةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَنَّى لِى هَذِهِ الدَّرَجَةُ؟ فَيَقُولُ: بِدُعَاءِ وَلَدِكَ لَكَ »[2].

وقال عبدالله بن مسعود t : حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ فِى الصَّلاَةِ، ثُمَّ تَعَوَّدُوا الْخَيْرَ؛ فَإِنَّمَا الْخَيْرُ بِالْعَادَةِ"[3]

يجب عليك أيها الوالد الكريم أن تعلم ولدك الصلاة وتعوده عليهــا منــذ الصغر، فإذا فعلت ذلك نفعك ولدك في الدنيا والآخرة، وأن تشجعه على الصــلاة فتقول له مثلا: لو داومت هذا الأسبوع على صلاة الفجر في المســجد ســأعطيك جائزة كذا، فإذا فعل فاصدقه حتى لا يتعود منك على الكذب، وكذلك تصطحبه معك إلى المسجد؛ فإذا فعلت ذلك نفعك الله به في الدنيا بأنه سيطيعك؛ لأن الصلاة تهذب صاحبها وتدفعه إلى الخيرات، وينفعك الله به في الأخرة؛ وذلــك للحــديث السابق "إن الله ليرفع العبد"، ولحديث أَبِي هريرة t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَــالَ: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو له"[4]

---

1 - صحيح : أبو داوود (418) وأحمد (6402) وقال الشيخ الألباني : صحيح.
2 - صحيح : أحمد (10202) والبيهقي في الكبرى(3237) باب: الرغبة في النكاح .
3 - صحيح : البيهقي في الكبرى (5297) والمعجم الكبير (9055) .
4- مسلم (3084) .

المسألة الثامنة: رسالة إلى الإخوة القائمين على خدمة بيوت الله عزوجل:

نقول لهم: تقبل الله عملكم هذا وجعله في ميزان حسناتكم، ولكن عليكم أن تحبِّبوا الناس- وخاصة الأطفال- في المساجد حتى ينشأ الولد يحب المسجد؛ فإن لم يربَ الولد في المسجد فأين يربى ؟!!

هل يربى على المقاهي؟!

أم أمام شاشات النت؟!

أم.......؟!

لا تغلقوا المساجد أمام الناس أو تؤذوا الأطفال الذين يأتون إلى المســـجد؛ فيترتب عليه أن لا يأتوا المسجد مرة ثانية، وقدر حذر الله تعالى من ذلك فقـــال تعالى: (C D E F G H I J K L M N O Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` a b c) [البقرة:114]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: "يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا" [1]والطفل الذي يأتي مع والده سوف يتعلم يوما ما أدب المسجد .

المسألة التاسعة: ماذا يفعل الرجل مع زوجته التي لا تصلي؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهَا بِالصَّلاةِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ . بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَمْرِهِ بِهِ ، إذَا لَمْ يَقُمْ غَيْرُهُ بِـــذَلِكَ وَقَدْ قَالَ تعالى: (وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا) ، وَقَـــالَ تَعَـــالَى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

1 - البخاري (67) ومسلم (3262).

ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ´ µ ¶ ¸ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾) [التحريم:6] وَقَالَ r : "عَلِّمُوهُمْ وَأَدِّبُوهُمْ" .

وَيَنْبَغِي مَعَ ذَلِكَ الأمْرِ أَنْ يَحُضَّهَا عَلَى ذَلِكَ بالرَّغْبَةِ، كَمَا يَحُضُّهَا عَلَى مَا يَحْتَاجُ إلَيْهَا، فَإِنْ أَصَرَّتْ عَلَى تَرْكِ الصَّلاةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُطَلِّقَهَا، وَذَلِكَ وَاجِــبٌ فِــي الصَّحِيحِ، وَتَارِكُ الصَّلاةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ حَتَّى يُصَلِّيَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ إذَا لَمْ يُصَلِّ قُتِلَ.[1]

المسألة العاشرة: فضل من بنا لله مسجدا.

قال النبي r : "مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"[2]

بشرط أن هذا المكان الذي بني فيه المسجد في حاجة إلى المسجد؛ حـــتى لا تحدث تفريقاً للناس فيتركون المسجد الجامع ويذهبون إلى هذه الزاوية.

ما المراد بالمسجد؟

هو أي مكان حُدد ليصلى فيه، وفيه أذان وإقامة، وليس المراد بالمسجد هو المسجد الذي كلف بالملايين وفيه منارة مرتفعة جداً ، بل كل ذلك من الإســـراف الذي لا يرضي الله، ونهى عنه النبي r ، ولنا الأسوة في رسول الله r الذي كانت حوائط مسجده بالجريد، كما في الصحيحين، والأولى أن ينفق هذا المال في تزويج الشباب أو تعليم الناس القرآن الكريم أو غير ذلك مما فيه نفع للمسلمين.

وكذلك لا يبني مسجداً إلا إذا كانت هناك حاجة مُلِحَّه إليه، فلا يكون هناك مسجد يجمع المسلمين وبعده بمئة متر (مثلاً) أبني آخر، فهذا نوع من الإسراف .

1 - الفتاوى (277/22) .

2 - صحيح : الترمذي (292) وابن ماجه (728) ، وصححه الشيخ الألباني فـــي صـــحيح الجـــامع (6127).

الخطبة العاشرة : الدعاء عباده

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @) [آل عمران: 102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 !

3 4 5 6 7 8 ! : ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ

ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١) [الأحزاب : 70 - 71]

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَـــرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان :

إن الدعاء عبادة من أجلِّ العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، وقربة من أفضل القربات.

والدعاء مفتاح لكل خير، ومغلاق لكل شر، ومجلبة لكل نفع، ودفع لكل ضر.

وكما أن الإنسان يثاب على الصلاة وعلى الصدقة والحج والصوم، كذلك يثاب على الدعاء سواء أجيب هذا الدعاء أو لم يجب، فكلما رفع الداعي يديه إلى السماء قائلا: يا رب يا رب أثيب على دعائه، وكان عمر بن الخطاب يقول: إني لا أحمل همّ الإجابة ولكني أحمل همّ الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه [1].

الدعاء هو العبادة:

قـــال تعـــالى: (- . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ;) [غافر:60]

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَـــرَأَ: (- . / 0 1)"[2]

ما هي آداب الدعاء؟

[1] أن يتجنب الحرام مأكلاً ومشرباً وملبساً :

عن أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّـــبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ:

(q r s t u v w y z { |) (المؤمنون: ٥١)

وَقَالَ: (M N O P Q R S T) (البقرة: ١٧٢)

1- ذكره صاحب شرح الطحاوية (461/1) دار السلام .

2- صحيح : الترمذي (2895) وأبو داوود (1264) وابن ماجه (3818)، وصححه الشيخ الألباني في الترغيب والترهيب (2627) .

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَــا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَــأَنَّى يُسْــتَجَابُ لِذَلِكَ؟ "[1].

فيأتي من يدعو ربه، وهو آكل للربا أو شاهد عليه أوكاتبه أو موكلــه أو آكل لأموال اليتامى ظلماً إلى غير ذلك من أكل أموال الناس باطلاً بغــير حــق، فيدعون الله لكن دون استجابة لدعائهم، وهم يسئلون عن الســبب، والســبب واضح معروف.

[2] اليقين:

أن تتأكد وتتيقن أن الله تعالى سيستجيب دعائك؛ فعَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ"[2].

[3]الإخلاص لله تعالى:

وهو شرط لقبول أي عبادة قال تعــالى: (فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾) [غافر:14]

وعن سهل بن حنيف أَنَّ النَّبِيَّ r قَالَ:"مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَــهُ اللَّــهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"[3]

1- مسلم (1686) .

2- صحيح : الترمذي (3401) وأحمد (6368)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (245) .

3- مسلم (3532) .

[4]التضرع في الدعاء :

فالتضرع وصدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى من أسباب الإجابة، بل من أعظمها قال تعالى: (x y z } | { ~يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾)

[الأعراف :55]

[5] الخشوع في الدعاء:

لا بد وأن يكون قلبك خاشعاً لله؛ لأن النبي r قال:"وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّــهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ" (1).

وكما جاء عن أحد التابعين قال: أنا أعلم متى يستجاب دعائي .فتعجــب الناس قالوا له: وكيف ذلك؟!

قال: عندما يخشع قلبي ، وتدمع عيني ، وتسكن جوارحي .

[6] إخفاء الدعاء:

ويستحب عموما إخفاء النفل، وعدم إظهاره، فصلاة النافلــة في البيــت أفضل، وصلاة الفرض في المسجد أوجب .

ويستحب إخفاء الدعاء في الجملة، إلا في المواضع التي ورد أن النبي كــان يظهر فيها الدعاء كالقنوت في الصلوات والنوازل والاستسقاء وخطــب الجمعــة والأعياد وقول آمين في الصلاة أو المواطن التي تدعو الحاجة إليها .

أما إخفاء الدعاء، فمن أدلته قوله تعــالى: (x y z } | { ~يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾) [الأعراف :55]

1- سبق تخريجه.

وقد ذكر الله في كتابه نبياً كريماً رضي عن فعله وزكَّاه، وهو زكريا عليـــه السلام فقال تعالى: ((* + , - .) [مريم:3]

وكان النبي r يقوم من الليل إذا غلب على ظنه أن عائشة قد نامت فيفزع إلى الصلاة سائلاً ربه مستغفراً ، ويتجه إلى بقيع الغرقد يدعو هنالك للأموات [1].

[7] استقبال القبلة:

ويستحب للشخص أن يستقبل القبلة عند دعائه، وكلما كانت الدعوة من الأهمية بمكان تأكد هذا الاستحباب، ولا بأس أن يدعو الشخص أحياناً غير مستقبل القبلة؛ فهناك أحاديث كثيرة تدل على أن النبي r كان يستقبل القبلة أحياناً؛كمـــا حدث يوم بدر كما في صحيح مسلم أن النبي r قال: "اللـــهم إن تهلـــك هـــذه العصابة لا تعبد في الأرض"ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه مـــن علـــى منكبيه[2].

وهناك أدلة أخرى تبين لنا أن النبي r دعا أحيانا بدون استقبال القبلة، كما في صحيح مسلم عنَ أَبِي هريرة t قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ t يَقُولُ:"اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِـــي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ الْمَـــوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍ""[3]

1- مسلم (2209) .

2- سبق تخريجه.

3- مسلم (4897) .

[8] بسط اليدين ورفعهما حذو المنكبين:

وذلك لما ورد عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ : "إِنَّ اللَّهَ حَيِــيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ"(1)

[9] التأدب والخشوع والمسكنة:

ويدل على ذلك ما رواه مسلم عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ t عَنْ رَسُولِ اللَّــهِ r أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّــذِي فَطَــرَ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّــهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُــوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ؛ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا؛ لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَــعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْــتَ وَتَعَالَيْــتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِــكَ آمَنْــتُ وَلَــكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي، وَإِذَا رَفَــعَ قَــالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ :اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَــكَ أَسْــلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَــا

1- صحيح : الترمذي(3479)، وأبو داود(1273)، وابن ماجه(3855)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (1757) .

أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَـــدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ" (1)..

فدائماً الإنسان عليه أن يلح في الدعاء ويتضرع فيه، ويظهر الإنابة لله فيــه والمسكنة .

[10] أن يسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى:

قال تعالى: (C D E F G) [الأعراف :180]

فتقول مثلا: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن توفقني لما فيه الخير في ديني ودنياي ....

قال السعدي في تفسيره لهذه الآية: فيدعي في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عليَّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف، ونحو ذلك .... (2)

[11] الإكثار من الدعاء وتعظيم الرغبة فيما عند الله تعالى:

كما في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ t أَنَّ النَّبِــيَّ r قَالَ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَـــا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِـــرَةِ، وَإِمَّـــا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ " (3)

1- مسلم (1290) .

2- تيسير الكريم الرحمن ص:314

3- صحيح : أحمد (10709) ، وقال عنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1633) : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

وكان يكثر من هذا الدعاء ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ ´ µ

¶ ¸ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:208]

[12] عدم الاستعجال:

كما في الصحيحين – واللفظ لمسلم- عَنْ أَبِي هريرة t أَنَّ رَسُولَ اللَّـــهِ r قَالَ : "يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلا أَوْ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي"(1)

[13] مواصلة الدعاء وتكريره وعدم اليأس من رحمة الله:

فينبغي للعبد أن يواصل في الدعاء ويكرره، لأن الدعاء دواء، وأي دواء – حتى دواء الدنيا- لا تكفي فيه جرعة واحدة ولا جرعتان ولا ثلاث، بل وعشـــر لشفاء المريض إلا إذا أراد الله الشفاء .

فكذلك الدعاء ينبغي على العبد أن يكرره ولا ييأس؛ فهو مأجور على ذلك ومجاب عليه بإذن الله، وذلك للحديث السابق.

وقد حذَّر الله تعالى من القنوط واليأس من الدعاء فقال تعالى: ﴿ D E F G H I J K L ﴾ [الحجر:56]

وقال تعالى : ﴿ y z { | } ~ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: 19،20]ومعنى لا يستحسرون: أي لا ينقطعــون عنها .

1- البخاري (5865) ، مسلم (4916)

محظورات الدعاء:

المحظور الأول: التعدي في الدعاء:

قال الله تعالى: (x y z } | { ~يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾)

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذي حده لعباده في دعائه ومسألته .

وقد نهت السنة النبوية المطهرة وحذرت من الاعتــداء في الــدعاء، ففــي الحديث عن أبي نَعامَةَ أن عبد الله بن مغفل t سمع ابنه يقول: اللهم إني أســألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار؛ فإني سمعت رسول الله r يقول: " إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطَّهور والدعاء"[1]

وهذا الاعتداء له صور مختلفة منها:

أولاً: استبدال لفظ وارد (مأثور) بغيره:

كما جاء في الحديث عن البراء بن عازب t قال: قال لي رسول الله r " إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقــل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي

1- صحيح : أبو داوود(88)، وابن ماجه(3854)، وأحمد(16199) ، وصححه الشيخ الألبــاني فــي صحيح أبي داود (87) .

أرسلت، فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول" فقلت أســتذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت، قال: " لا وبنبيك الذي أرسلت "[1]0

قال في فتح الباري: الحكمة في رده r على من قال (الرســول) بــدل (النبي) أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به[2].

وعليه نعلم جلياً خطأ من يزيد أو ينقص في الأدعية المأثورة، مع الاحتفاظ بصحة المعنى، فهو منهي عنه، وأقل ما فيه أنه يفوت على الداعي تحصــيل أجــر وثواب الاتباع في الدعاء،

فمثلاً :

دعاء القنوت في صلاة الوتر الذي علمه النبي r للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما هو: " اللهم اهدني فيمن هديت"[3]، فعندما يدعوا إمام في صلاة الوتر قائلا: اللهم اهدني يا مولاي فيمن هديت، ويأتي آخر فيقول: اللهم اهدني يا مولاي بفضلك فيمن هديت، وثالث فيقول: اللهم اهدني يا مــولاي بفضــلك ومنــك وكرمك فيمن هديت و000، نقول له: قف! لقد اعتديت وتجاوزت الدعاء المأثور بإضافتك لألفاظ من عندك.

حتماً: هي ليست بأفضل وأكمل مما قاله النبي r الذي علم أمته في شخص الحسن بن علي (رضي الله عنهما) دعاءً كاملاً لا ينقصه شيء، لذا شدد الإمــام أحمد على من يزيد في ألفاظ القنوت ولو حرفاً واحداً فقال: وقد كان المســلمون

1- البخاري (239) ، مسلم (4884) .

2- فتح الباري(112/11) ، دار المعرفة.

3- مسلم(426) .

يصلون خلف من يقنت وخلف من لا يقنت، فإذا زاد في القنوت حرفاً 00 فــإن كنت في الصلاة فاقطعها.

كذلك في الدعاء المشهور الذي علمه النبي r لعائشة (رضي الله عنهما) ؛ لكي تدعو به إذا وافقت ليلة القدر: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عــني "[1]، فيأتي أحدهم ويدعوا قائلاً : اللهم إنك عفو غفور تحب العفو فاعف عني.

وثانٍ يقول: اللهم إنك عفو غفور شكور تحب العفو فاعف عني، وثالــث يدعوا فيقول: اللهم إنك عفو غفور شكور جواد رحيم تحب العفو فــاعف عــني و000، لا شك أن هذا تعدٍ منهي عنه، والتعدي يعني: تجاوز ما ينبغي أن يقتصــر عليه، فهذا التعدي يمنع أجر وفضيلة الاتباع عند الدعاء المأثور عن النبي r ، بــل وربما يمنع قبول الدعاء.

فجاهد نفسك أن تتعلم وتحفظ الأدعية المأثورة بنصها، حتى تدعوا بها كاملة كما وردت دون نقص فيها ولا زيادة، فتنال فضيلة الدعاء والاتباع0

ثانياً: التغني والتمطيط (تحرير النغم):

قال المناوي: قال الكمال ابن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان مــن التمطيط، والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحريرات النغم إظهاراً للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلــوم إن كان قصده إعجاب الناس به، فكأنه قال اعجبوا من حسن صوتي وتحريري، ولا أرى تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القراء في هذا الزمان يصدر ممن يفهم معــنى

1- صحيح : الترمذي (3435)وابن ماجه(3840)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (3337).

الدعاء والسؤال؛ إذ مقام طلب الحاجة: التضرع، لا التغني، فاستبان أن ذاك ــ أي التغني والتمطيط ــ من مقتضيات الخيبة والحرمان[1] 0

وللأسف: احترف بعض الأئمة التغني والتمطيط في الدعاء، حتى إنه يهــتم بالدعاء أكثر من اهتمامه بقراءة القرآن في الصلاة، فتراه يفرغ جهــده في الــتغني بالدعاء وتحسين صوته وتمطيط الكلام، وربما أجرى على الدعاء أحكــام تــلاوة القرآن الكريم من مد وإخفاء وإدغام، كل هذا ليستدر دموع المصلين ويرضي نفسه بأنه استطاع أن يصل بهم إلى مرحلة الخشوع وذرف الدموع0

فالتغني وتحسين الصوت هو من خصائص القرآن الكــريم، أمــا الــدعاء فالمشروع فيه أن يكون على السجية بلا تكلف ولا تغني0

ثالثاً: التفصيل في الدعاء (كثرة الألفاظ):

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله r يستحب الجوامــع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك[2].

فمن صور الاعتداء تكثير الكلام الذي لا داعي له ولا حاجة إليه، والتكلف في ذكر التفاصيل، كأن يدعو ربه أن يرحمه إذا وضع في اللحــد تحــت التــراب والثرى، وكذلك أن يرحمه إذا سالت العيون وبليت اللحوم، وأن يرحمه إذا تركــه الأصحاب وتولى عنه الأهل والأحباب[3]، أو يدعو على عدوه أن يخرس الله لسانه ويشل يده، ويجمد الدم في عروقه.

1- فيض القدير للمناوي(296/1) ، دار الكتب العلمية..

2- صحيح : أبو داود (1267)،وأحمد(23996)، وصححه الشيخ الألباني فــي صــحيح أبــي داود (1315) .

3- بل يكفيه أن يدعو الله بالرحمة والمغفرة، وكذلك في الدعاء على عدوه بالهلاك.

مما لا شك فيه أن النتيجة الطبيعية لهذا الاعتداء هو إصابة المصلين بالملـل، والملل يذهب التدبر والخشوع ويؤدي بالمصلي إلى الغفلة، وهي حالة منهي عنها؛ إذ لا تتناسب ومقام التذلل والطلب من الله تعالى المطلع على أحوال النفوس وما تكنه الصدور .

فالإطالة المملة ترهق المصلي وتصيبه بالملل والغفلة، وقد ورد نهـي الغافلـة قلوبهم عن الدعاء

ومن وصايا الشيخ عبد العزيز بن باز قال: الأفضل للإمام في دعاء القنوت تحري الكلمات الجامعة وعدم التطويل على الناس، ويقرأ: اللهم اهدنا فيمن هديت الذي ورد في حديث الحسن في القنوت، ويزيد معه ما يتيسر من الدعوات الطيبـة كما زاد عمر، ولا يتكلف ولا يطول على الناس ولا يشق عليهم.

قال ابن قدامة المقدسي: في اتباع السنة بركة موافقة الشرع، ورضى الرب سبحانه، ورفع الدرجات، وراحة القلب، ودعة البدن، وترغيم الشيطان، وسـلوك الصراط المستقيم.

انتبه: ليس من الاعتداء:

قال الخطابي: ليس معنى الاعتداء الإكثار ؛ فقد روى عن النبي r أنه قال: "إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه" [1] 0

1- صحيح : ابن حبان في صحيحه (889)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (591) .

رابعاً: تكلف السجع والإعراب [1]:

السجع هو: الكلام المستوي على نسق واحد، وهو مكروه في الــدعاء إن تعمده وتكلفه الداعي؛ لأنه يشغل عقله ويشتت قلبه عن التدبر والتفكر، وقد عنون البخاري في صحيحه فقال: ما يكره من السجع في الدعاء، ثم أورد الخبر عن ابــن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهــدت رسول الله r وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب أي اجتناب النهي.

وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: إياك والســجع؛ فــإن الــنبي r وأصحابه كانوا لا يسجعون.

وكما جاء النهي عن السجع كذلك جاء النهي عن الإعراب:

قال ابن تيمية :قال بعض السلف:

إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع، وهذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به، فإن أصل الدعاء من القلب، واللسان تابع للقلب، ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه، أضعف توجه قلبه، ثم قال: والله ـــ سبحانه ـــ يعلم قصد الداعي ومراده، وإن لم يقوم لسانه، فإنه يعلم ضــجيج الأصــوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات0

1- والإعراب: هو ضبط آخر الكلام (وضع حركة كضمة أو فتحة أو كسرة على الحرف الأخيــر) على حسب موضعه في الجملة.

خامساً: رفع الصوت فوق الحاجة والنوح والبكاء:

قال ابن حجر العسقلاني: الاعتداء في الدعاء يقع بزيادة الرفع فوق الحاجة أو بطلب ما يستحيل حصوله شرعا أو بطلب معصية أو يدعو بما لم يؤثر خصوصاً ما وردت كراهته كالسجع المتكلف0

وعن الحسن قال: لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهــم صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: (y x y z {) ، وذلك أن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً فرضي له قوله، فقال:

((* + , - .)

****

المحظور الثاني: مسح الوجه أو الجسد وتقبيل اليدين بعد الدعاء:

وهذا مخالف للسنة أيضاً ، لأن السنة لم يرد فيها مسح الجسد كلــه إلا في دعــاء الإنسان عندما يأتي فراشه فيجمع يديه ثم ينفث فيهما ويقرأ الإخلاص والمعوذتين، ثم يمسح ما استطاع من جسده.

****

المحظور الثالث: الدعاء الجماعي للمتوفى بعد دفنه:

بعد أن ينتهوا من دفن المتوفى يقوم واحد منهم فيدعو له ويؤمن البــاقون، فهذا من البدع، بل الوارد في ذلك أن يدعو كل شخص بنفسه للمتوفى.

****

المحظور الثاني: نسب الشخص لأمه في الدعاء:

هذا منتشر في بعض المجتمعات، يدعو لفلان فيقول مثلاً : اللهم اشف فلاناً بن فلانة ينسبه لأمه ، ويظنون أن الدعاء لا يقبل إلا إذا ذكر فيه اسم الأم ، وهذا مخالف لهدي النبي **r** .

****

أوقات الإجابة :

[1] ليلة القدر:

وذلك لما ورد عَنْ أَبِي هريرة **t** عَنِ النَّبِيِّ **r** قَال: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَـهُ مَـا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(1)

[2] يوم عرفة :

ذلك لقوله **r** : "أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّـونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ" (2)

1- البخاري (1768) ، مسلم (1268) .

2- صحيح : مالك في الموطأ (449)، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (2598) .

[3] شهر رمضان والصوم عامة:

عَنْ أَبِي هريرة r قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَــامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَــةِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ "(1)

[4] ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة :

عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ r :"إِنَّ فِي الْجُمُعَــةِ لَسَــاعَةً لا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ "(2)

[5] جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات :

فعن أَبِي أُمَامَةَ t قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُــولَ اللَّــهِ r أَيُّ الــدُّعَاءِ أَسْــمَعُ؟ قَالَ:"جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ"(3)

[6] دبر الصوات المكتوبات:

قال تعالى: (فَإِذَا فَرَغۡتَ ´ µ ¶ ¸ فَٱرۡغَب ۝٨) [القدر:7، 8]

قال العلامة السعدي :وقد قيل :إن معنى هذا فإذا فرغــت مــن الصــلاة وأكملتها فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك.

وكذلك يدل على إجابة الدعاء أيضاً الحديث السابق.

1- صحيح : الترمذي (2449) وابن ماجه (1742) وأحمد (7700) ، وصححه الشيخ الألباني فــي تخريج أحاديث الحلال والحرام (373) .

2- مسلم (1407) .

3- صحيح : الترمذي (2421) ، وحسنه الشيخ الألباني في الكلم الطيب (114) وقال: حسن لغيره.

وعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ t قَالَ: أَخذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ r فقَالَ: إِنِّي لأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "فَلا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ" (1)

حكم الدعاء بعد السلام:

قال الشيخ مصطفى بن العدوي – حفظه الله - عند تفسير قوله تعالى

(فَإِذَا فَرَغْتَ) (2):

لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: لا يشرع الدعاء.

الثاني: وهو الأشهر أن الدعاء بعد الصلاة مشروع ، بل مستحب.

أما القائلون بالقول الأول فاستدلوا بأدلة منها:

حديث عائشة (رضي الله عنها) في صحيح مسلم، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ r إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ" (3)

وقالوا أيضًا: إن دبر الشيء منه، فالأحاديث التي ورد فيها أن النبي r كان يدعو دبر الصلاة، فدبر الصلاة قبل التسليم عندهم، هذا مجمل ما استدل به القائلون بمنع الدعاء بعد الصلاة.

1- البخاري (6940) ومسلم (1261) .

2- التسهيل لتأويل التنزيل(تفسير جزء عم)صـ 408-412باختصار وتصرف، دار ابن رجب.

3- مسلم(931).

أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فاستدلوا بأدلة منها:

قوله تعالى: (فَإِذَافَرَغْتَ) وقد ورد في تفسيرها أثر عن ابن عباس (رضـي الله عنهما) بإسناد ضعيف عند الطبري أنه قال: فإذا فرغت مما فرض عليك من الصلاة فسل الله وارغب إليه وانصب له، وورد عن قتادة بإسناد صحيح في تفسيرها عند الطبري أنه قال: أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه.

واستدلوا أيضًا بقول النبي r لمعاذ t : " يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأحِبُّكَ فَقَالَ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " (1)

واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم من حديث على أن رسول الله r كان إذا سلم قال: " اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ..... (2)

ثم ذكر جملة من الأدلة التي تقوي قول القائلين باستحباب الدعاء بعد الصلاة.

ونقل قول النووي وابن قدامة في استحباب هذا الدعاء.

وقال: ويظهر لي أنه – يعني النووي – أراد اتفــاق الشــافعية أي علــى استحباب الدعاء بعد الصلاة.

وقال: وتوسط قوم فقالــوا: يشرع الدعاء لكن بعدد الذكر الوارد عــن النبي r يعني بعد الصلاة يذكر الله ثم بعد الذكر يأتي بالدعاء ، ومال إلى هذا القول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد.

1- صحيح : أبو داود (1301) والنسائي(1286)، وصححه الشيخ الألبــاني فــي صــحيح الجــامع (7969).

2- مسلم(1290) .

وهل هذا الدعاء جماعي؟

لم يرد أنه جماعي، بل يدعو كل شخص بما تيسر له.

[7]نصف الليل والثلث الأخير :

عَنْ جَابِرٍ t قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ r يَقُولُ:"إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَـاعَةً لا يُوَافِقُهَـا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَـةٍ"[1]

وعن أبي هريرة t قال : قال r : " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا[2] حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَـنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ "[3]

[8] بين الأذان والإقامة:

فعَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ"[4]

[9] في السجود:

عَنْ أَبِي هرير t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ:"أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ"[5]

1- مسلم (1259).

2- نحن نثبت صفة النزول على الوجه اللائق بالله سبحانه، كما نثبت سائر الصفات ، ونقول: ينـزل ولا يخلو منه عرشه؛ لأن نزوله ليس كنزولنا؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء .

3- البخاري (6940) ، مسلم (1261) .

4- صحيح : النسائي (1286) وأبو داود (1301)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (534).

5- مسلم (744) .

صور ومقدمات الدعاء:

من المستحب أن يسبق الدعاء بحمد الله والثناء عليه وتمجيده ونحــو ذلــك والصلاة على النبي r ثم يدعو الداعي بما يريد.

فعن فَضَالَةَ بْن عُبَيْدٍ t صَاحِب رَسُولِ اللَّهِ r يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّــهِ r رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبي فَقَالَ رَسُــولُ اللَّهِ r :"عَجِلَ هَذَا ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ r ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ" (1)

وتارة يكون مسبوقاً بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته كما قال موسى r : (S T U V W X Y Z [ ) [القصص:24]

وتارة يكون بلا مقدمات فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود t عَنِ النَّبِيِّ r أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى"(2)

ومن حسن الأدب مع الله في الدعاء أن لا نتوسل بأحد إلا بــه ســبحانه وتعالى حتى ولو كانوا الأنبياء بما فيهم النبي محمد r :

كما قال شيخ الإسلام: أما التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعتــه والصــلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك، مما هو من أفعاله، وأفعال العباد المأمور

1- صحيح : الترمذي (3399) وأبو داود (1266) وأحمد (22811)، وصححه الشيخ الألباني فــي صفة صلاة النبي صـــ 990، دار المعارف بالرياض، ومعنى إذا صلَّى أحدكم أي: إذا دعا .

2- مسلم (4898) .

بها في حقه، فهو مشروع باتفاق المسلمين، وكان الصحابة (رضـــي الله عنـــهم) يتوسلون به في حياته، وتوسلوا بعد موته بالعباس عمه كما كانوا يتوسلون به [1] .

قلت – محمد: فلو كان التوسل بالنبي r بعد موته جائزاً فلم ترك الصـــحابة التوسل به r وتوسلوا بالعباس t ؟ [2]،ولا يجوز التوسل بقبر غيره من باب أولى.

قال بعض العلماء: والصواب في هذه النقطة أن يقول المتوسل: اللـــهم إني أدعوك وأتوسل إليك بإيماني بنبيك ومحبتي واتباعي لسنته؛ لأنـــه توســـل بالعمـــل الصالح[3]، واتباع السنة من أعظم الأعمال الصالحة.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأحبتي في الله :

من الذين يستجيب الله دعائهم:

[1] المضطر: لقوله تعالى: (أَمَّن © ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) [النمل:62]

[2] المظلوم مطلقاً، ولو كان فاجراً كافراً :

لقوله r لمعاذٍ لما بعثه إلى اليمن "وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَـــيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"[1]

1- الفتاوى (422/2) .

2- البخاري (954) ،(3434) .

3- كما في قصة الثلاثة الذين آوى بهم المبيت في صحرة فانسدت عليهم..فتوسلوا بعملهم..، والحديث في الصحيحين، وهو مذكور بتمامه في خطبة مأساة العقوق من هذا الكتاب.

[3] الوالد على ولده، وذلك للحديث الآتي

[4] دعوة المسافر ؛ لقوله r :"ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِـيهِنَّ دَعْـوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ"(2)

[5] المسلم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، وسبق الحديث في ذلك.

[6] الولد البار بوالديه: لحديث الثلاثة الذين آواهم المبيت في غار، فتوسل أحدهم ودعا الله ببره بوالديه (3)

[7] المسلم لأخيه بظهر الغيب (أي لا يرى دعائه أحد إلا الله)

لقوله r :"مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلاَّ قَالَ الْمَلَـكُ وَلَـكَ بِمِثْلٍ"(4)

مسألة رفع الأيدي في الدعاء :

وهل ترفع الأيدي في الدعاء أو لا ترفع؟

الخطب في هذا يسير، والحقيقة أنه لم يرد نص أن النبي r كان يرفـع يديـه بالدعاء دوماً بعد الصلوات، فهذا الذي يصار إليه، لكن إن رفع شخص أحيانـاً فـلا بأس؛ لأن النبي r ذكر في أبواب الدعاء: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديـه إلى السماء)(5)، وقال r : "إن الله تعالى حيي كريم ، يستحيي إذا رفع الرجل إليـه يديه أن يردهما صفراً خائبتين" (6) ، فمن آداب الدعاء مد اليد إلى السماء ، وفيه رفـع اليدين، فهذه أدلة القائلين باستحباب الدعاءِ دبر الصلوات، والله أعلم.

1- البخاري (2268) ومسلم (27) .

2- صحيح : أبو داوود (1313) والترمذي (1828) وابن ماجه (3852)، وصححه الشيخ الألبـاني في صحيح الجامع (3030).

3- البخاري(3261) ومسلم (4926)، وانظر تفصيل ذلك في خطبة(مأساة العقوق) من هذا الكتاب.

4- مسلم (4912) .

5- سبق تخريجه، وهو صحيح .

6- صحيح : أبو داوود (1488) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (1757) .

الخطبة الحادية عشرة: طيب الكلام في صلة الرحم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @) [آل عمران: 102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 ! 3 4 5 6 7 8 ! : ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71]

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان :

ما هي صلة الرحم لغةً واصطلاحاً ؟

لغةً: قال ابن منظور في لسان العرب في مادة وصل قال: وصلت الشيء وصْلاً وصِلةً ، والوصل ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم.

اصطلاحاً: قال النووي: صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارةً تكون بالمال، وتارةً بالخدمة، وتارةً بالزيارة والسلام، وغير ذلك.

ما أنواع الرحم و ما هي حدود الرحم التي توصل؟:

قال القرطبي (رحمه الله) : والرحم التي توصل عامة وخاصة، والمراد بالعامة رحم الدين وهم إخوانك في هذا الدين العظيم وإن لم يكن بينك وبينهم قرابة، وتجب مواصلة هذه القرابة بالتوادد والنصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة.

والرحم الخاصة فتزيد - أي تزيد على الرحم العامة- النفقة على القريب وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك، فيقدم الأقرب فالأقرب [1].

قال ابن حجر في الفتح: الرحم تطلق على الأقارب، وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا سواء كان ذا محرم أم لا .

كما جاء عند أحمد عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ثَلاثًا، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ"[2].

وروى أحمد في مسنده أنه r قال: " أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ"[1]

---

1 - فتح الباري (432/10) .

2 - صحيح : ابن ماجه(3651) أحمد (16554) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1666) .

يعني: ابدأ في البر بالأم والأب ثم من يليهم، وهكذا بالأقرب فالأقرب .

هل أصهار الأب والعم والخال وأقارب الزوج من الأرحام فيجب وصلهم ؟

الجواب: الأصهار هم قرابة النكاح أي القرابة التي نتجت عن النكاح، تستحب صلتهم وإن كانوا ليسوا من الأرحام.

قال النبي r :"إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه"[2]

حكم صلة الرحم ودرجاتها:

قال القاضي عياض: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام.

ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة: فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة و لم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً ، ولو قصّر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً [3].

ترغيب الإسلام في صلة الرحم:

إن صلة الرحم خلق إيماني يدعو إليه الإيمان بالله ورسوله ،قال تعالى:

(; < => ? @A B C D E F G H) [الرعد :21]

---

1 - صحيح : أبو داود (4474)والنسائي(2485)وأحمد(6808)،وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (2171)

2 - مسلم (6677) .

3 - موسوعة نضرة النعيم (2615/7) .

ولقد أكد الله على صلة الرحم وأمر بها في مواضع كثيرة من كتابه الكـــريم فقـــال تعـــالى: (وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾) [الإسراء:26]

وقال تعالى: (i j k l m n o p q r s t u v x y z }) [الروم :38]

وجعل الله صلة الرحم بعد التقوى من الله تعالى فقـــال : (! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 ا 3 4 5 6 7 8 ا : ; < = >) [النساء :1] أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها

بل لقد أخذت العهود والمواثيق على الأمم من قبلنا لرعاية هذا الحق وأدائـــه (وَإِذْ أَخَذْنَا © بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ´) [البقرة:83]

فوائد صلة الرحم:

[1]البركة في العمر وسعة الرزق:

كما ورد في الصحيحين من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **t** قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **r** يَقُولُ:" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"(1)

الجمع بين الحديث السابق وقولـــه تعـــالى : (r s t u v w y z }) [الأعراف:34] يكون كالآتي:

1 - البخاري (5526) ومسلم(4639).

(أ) أن الزيادة كناية عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة.

(ب) إن الزيادة على حقيقتها،وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما ما دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى،كأن يقال مثلاً للملك: إن فلانا عمره مائة سنة إن وصل رحمه، وستون إذا قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يزاد فيه ولا ينقص، والذي يتغير فقط هو الذي عند الملك وهو المشار إليه بقوله تعالى: (يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ © وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩) [الرعد:39] فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، أما الذي في علم الله فلا يتقدم ولا يتأخر.

(ج) أن واصل الرحم تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده:

كما في الصحيحين من حديث أبي أيوب t أن أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسول الله r وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَكَفَّ النبي r ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ:"لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ". قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ: قَالَ: فَأَعَادَ فَقَالَ النَّبِيُّ r : "تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ"[1].

[2] أن الله تعالى يكون مع الواصل ولا يخزيه أبدا:

فعندما نزل الوحي عليه r دخل على خديجة (رضي الله عنها) فقال لها "زَمِّلوني زَمِّلوني "وأخبرها بخبر الوحي وقال لها "لقدْ خشيتُ على نفْسِي "فقالتْ لهُ

1 - البخاري (5534) ، مسلم (14).

كلَّا واللهِ ما يخْزيْكَ اللهُ أبداً؛ إنك لتصلُ الرحمَ وتحملُ الكلَ وتَكسِـبُ المعـدومَ وتقري الضيفَ وتعينُ على نوائبِ الحقِ"[1].

[3] يضاعف للمؤمن أجر الصدقة إذا كانت على القريب:

كما ورد عن سلمان t أنه r قال: "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ"[2].

وأخرج الطبراني عَنْ حَكِيمِ بن حِزَامٍ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ"[3]. أي: المبغض المضمر العداوة. يا له من بيان وتوجيه رفيع في غاية الرفعة عن النبي r حتى إنه r ليجعـل أفضـل الصدقة على القريب الذي يضمر لك العداوة والبغضاء القريب الـذي لا يشـكر لأحد إحساناً ولا يعرف لأحد معروفاً ، أراد النبي r في هذا الحديث أن يوجـه المسلم إلى أن لا يريد في جميع أعماله إلا رضى الله تعالى فحسب وأن لا يلتفت إلى إرادة الجزاء من العباد بل عليه أن يرغب في الثواب من رب العباد لأنه الأكرم وهو الأوسع فضلاً سبحانه.

---

1 - البخاري (3) ، مسلم (231) .
و معنى قولها (وتحمل الكل) أي تعين الفقير العاجز الذي يحتاج من يعوله ، و(وتكسب المعدوم) أي المفلس أو الفقير ،و(نوائب الحق) أي مصائبه.

2 - صحيح : الترمذي (594) والنسائي (2535) وابن ماجه (1834) وأحمد (15635) كلهم عـن سلمان بن عامر، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (892) .

3 - صحيح : المعجم الكبير (3055) والسنن الكبـرى (13603) وصـحيح ابـن خزيمـة (386) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (894) .

ليس الواصل بالمكافيء:

ليست صلة الرحم بتبادل المنافع ، إن وصلك رحمك وصلته، وإن نأى عنك وابتعد نأيت عنه ليست الصلة على هذه الصفة ، فتلك مكافأة للبعض ، ولكن أمر الصلة فوق هذا كله ، كما عند البخاري من حديث عبدالله بن عمرو (رضـــي الله عنهما) قال : قَالَ رسول الله r : " لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا "[1]

قال الحافظ (رحمه الله) في الفتح: هم ثلاث درجات: مواصل ومكـــافيء وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يُتفضل عليه، والمكافيء الذي لا يزيد في الإعطـــاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يُتفضل عليه ولا يتفضل. [2]

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة t أَنَّ رَجُلاً قَـــالَ: يَـــا رَسُولَ اللَّهِ r إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: " لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلا يَـــزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ"[3]

وصدق من قال:

وإن الذي بيني وبين بني أبـــــي ... وبين بني عمي لمختلف جـــداً
إذا قدحوا لي نار حرب بزندهم ... قدحت لهم في كل مكرمة زنداً
وإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهـــم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقد
وأعطيهم مالي إذا كنت واجداً ... وإن قل مالي لم أكلفهم رفـــــدا

---

1 - البخاري (5522).

2 - فتح الباري (437/10) .

3 - مسلم (4640) ، والمل: الرماد الحار، والظهير: المعين والناصر.

الوعيد الشديد لمن قطع رحمه:

لقد حذَّر الله تحذيراً شديداً من قطع الرحم فقال سبحانه: (N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ `) [محمد:22، 23]

قال القرطبي: (Y Z [\ ) أي طردهم وأبعدهم من رحمته، فأصمهم عن الحق وأعمى قلوبهم عن الخير[1].

ولذا فقد ورد عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لميمون بن مهران: لا تصاحب قاطع رحم؛ فإن الله عزوجل لعنه في آيتين من كتابه:

الأولى: آية الرعد قوله تعالى: (w x y z { | } ~ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥) [الرعد:25]

والثانية: آية محمد : (N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ `) [محمد:22، 23][2]

وورد عن أبي هريرة t أنه قال : قال رسول الله r : " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ قَالَ:

1 - تفسير القرطبي (191/9) بتصرف بسيط .

2 - انظر التعليق على هذه الآية في تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب عند الكلام عن الشفاعة.

فَهُوَ لَكِ قَال رسولُ اللهِ r: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : (N O P Q R S T U V W)"[1]

وعن أَبي هريرة t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: "إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللَّهُ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ"[2]

وعن جبير بن مطعم t قال :قال r :"لا يدخلُ الجنةَ قاطِعٌ"[3]

وجوب صلة الرحم ولو كانت كافرة:

قال تعالى:(I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _) [الممتحنة:9]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ t قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r جِهَارًا غَيْــرَ سِــرٍّ يَقُولُ:" أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي يَعْنِي فُلَانًا لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ "[4]

وعند البخاري زيادة معلقة، وقد وصلها غيره وفيها :"ولكن لهم رحم أبلُّها ببلاها" [5]

---

1 - البخاري (5528) ، مسلم (4634) والوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه كما قال ابن حجر في شرحه للحديث .

2 - البخاري (5529) ومعنى شُجنة: هي عروق الشجر المشتبكة، والمراد أن الله اشتق لها اسماً من اسمه.

3 - البخاري (5525) ، مسلم (4636) .

4 - البخاري (5531) ، مسلم (316) .

5 -انظر هذه الزيادة في نفس الحديث السابق .

يعني: أصلها بصلتها [1].

عَنْ أَسْمَاءَ قَالَت: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُــرَيْشٍ وَمُـــدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ r مَعَ ابْنِهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ r فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَـــةٌ أَفَأَصِلُهَا قَالَ: "نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ " [2]

كيفية صلة الرحم:

صلة الرحم والإحسان للأقربين طرقها ميسرة، وأبوابها متعددة:

فمن بشاشته عند اللقاء ، ولينه في المعاملة ، إلى طيب في القول ، زيـــارات وصلات ، مشاركة في الأفراح ، مواساة في الأتراح ، إحسان إلى المحتاج ، بـــذل للمعروف ، نصحهم ، النصح لهم ، مساندة مكروهم ، عيادة مريضهم ، الصـــفح عن عثراهم ، أي : لا يكن أهلك أشقى الخلق بك.

قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبـــدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء [3]

قال ابن حجر: والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة [4].

ماذا يفعل الإنسان مع ذي الرحم الفاجر أو من تضرك صلته؟

---

1 - **شبهت الرحم بالجلدة اليابسة إذا رُشت بالماء لانت ،كذلك الــرحم إذا وصّــلْتهم لانــوا معــك وأطاعوك كما أن الجلد يلين وتعتريه الطراوة إذا بلّ بالماء.**

2 - البخاري (3427) ، مسلم (1617) ، ومعنى راغبة أي عن الإسلام.

3 - فتح الباري(418/10) .

4 - السابق نفس الصفحة .

قال ابن حجرفي الفتح :فإن كانوا أي: ذوو الرحم – كفاراً أو فجاراً فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى[1].

قال ابن بطال: إن الرحم المأمور بها والمتوعد على قطعها هي التي شرع لها بذلك، أما من أمر بقطعه من أجل الدين فيستثنى من ذلك الوعيد ؛لأنه أمر من أمر الله بقطعه ،

ثم قال: لكن لو وصل بما يباح من أمر الدنيا لكان فضلاً كما دعا النبي r لقريش بعد أن كذبوه فدعا عليهم بالقحط، ثم استشفعوا به فرقَّ لهم لما سألوه برحمهم ودعا لهم [2].

قلت (محمد) : وقد أمر الله ورسوله r بهجر أصحاب المعاصي، كما ورد أن النبي r هجر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وأمر الصحابة بهجرانهم .

وبِمَ تتحقق القطيعة أو يقال على الشخص: إنه قاطع ؟

اختلف العلماء في ذلك، وجاء في موسوعة نضرة النعيم: تكون القطيعة بأن يعق الإنسان أولي رحمه وذوي قرابته فلا يصلهم ببره ولا يمدهم بإحسانه، ويختلف ذلك بحسب حال القاطع والمقطوع، فتارةً يكون ذلك بمنع المال، وتارةً بحجب الخدمة والزيارة والسلام، وغير ذلك [3].

1 - السابق (432/10) .

2 - موسوعة نضرة النعيم في أخلاق النبي الكريم (5337/11) .

3 - السابق(5330/11) .

أقل ما يجزئ في الصلة:

أقلها السلام لقوله: "بلوا أرحامكم ولو بالسلام"[1]

بلوا : أي ندوها بصلتها وهم يطلقون النداوة على الصلة، كما يطلقون اليبس على القطيعة.

بعض المسائل الخاصة بصلة الرحم [2]:

المسألة الأولى: في كم من الأيام يلزم الواحد زيارة أرحامه ؟

لا حد لأقل مدة يصل المرء فيها رحمه، بل مرد ذلك إلى العرف السائد، ويختلف ذلك من شخص لآخر حسب فراغه وشغله.

وأقل ما ينبغي أن يكون من صلتهم إلقاء السلام عليهم لقوله r :"بلوا أرحامكم ولو بالسلام " [3]

المسألة الثانية: ما هي الآداب التي يجب أن تراعى في صلة الرحم ؟

لصلة الرحم آداب، وإن الخلل فيها يؤدي إلى قطيعة الرحم، ومنها:

(1) عدم إملال الأقارب بكثرة الزيارات، إلا إذا علمت سرورهم بالإكثار من الزيارة .

---

1 - صحيح : حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1777) .

2 - هذه المسائل من كتاب " تذكير الأنام بصلة الأرحام" لأبي يحيى محمد بن عبده، باختصار بسيط، دار الصفا والمروة بالإسكندرية.

3 - سبق تخريجه، ومعنى بلوا أرحامكم: ندوها بما يجب أن تندى به، وواصلوها بما ينبغي أن توصل كما قال المناوي في الفيض .

وذلك لقوله r : "زر غباً تزد حباً " [1]

ويجب أن يراعى في صلة الأرحام أوقات مشاغل الناس وفراغهم واستعدادهم لاستقبال الزائر، فلا تزر القريب في وقت نومه أو مذاكرته أو عمله؛ لئلا تشغله عما هو مطلوب منه.

(2) إذا صنعت للأرحام شيئاً فليكن لله خالصا، فلا تمنن عليهم به، فقد قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ´ µ ¶ ؤ بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾) [البقرة : 264]

فمنُّك عليهم فضلاً عن أنه محرم، فإنه غالبا يكون سبباً للقطيعة بينكما.

(3) إذا اعتذر إليك بعض أرحامك فاقبل العذر منه، وتجاوز عن زلته، واستغفر لسيئهم، ودع السرائر إلى الله :

عن الحسن بن علي قال: " لو أن رجلا شتمني في أذني هذه واعتذر إليَّ في أذني الأخرى لقبلت عذره".

وأخرج ابن حبان في ((روضة العقلاء))عن أبي قلابه قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذرا، فإن لم تجد له عذرًا فقل: لعل له عذراً لا أعلمه .

(4) اجعل زيارتك لأقربائك قربة إلى الله تعالى:

فلا تكن جلستك غيبة ونميمة وأكل لحوم إخوانك، بل كن آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مشيراً لما فيه مصلحة، معيناً لأقاربك على أمور دنياهم وأخراهم ، وهكذا.

المسالة الثالثة: هل يجزئ وصل الرحم بالهاتف إذا كان الإنسان مشغولاً ؟

1 - صحيح : حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (2585) .

نعم يجزئ ذلك، ومن وصل أرحامه بالهاتف سمي واصلاً ، وقد سلف أن أقل ما توصل به الرحم " إلقاء السلام "

المسألة الرابعة: هل تلزم الهدية في الزيارة؟

لا يلزم ذلك، قال تعالى: (z yx w) (التغابن: 16)، المهم أن تفعل ما في وسعك فقط .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فاعلم أخي الحبيب : أن ذوي الرحم غير معصومين ، فقد يتعرضون للزلل ، ويقعون في الخلل ، وتصدر منهم الهفوة ، ويقعون في الكبيرة ، فإن بدر منهم شيء من ذلك فالزم جانب العفو معهم ، فإن العفو شيم المحسنين ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وقابل إساءتهم بالإحسان ، واقبل عذرهم إذا أخطأوا ، لقد فعل إخوة يوسف ما فعلوا ، وعندما اعتذروا قبل عذرهم ، وصفح عنهم الصفح الجميل ، ولم يوبخهم ، بل دعا لهم وسأل الله المغفرة لهم ،] ~ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ © أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ Z [يوسف: ٩٢] .

فيا أخي الحبيب : غضَّ عن الهفوات ، واعفُ عن الزلات ، وأقل العثرات، تجن الود والإخاء واللين والصفاء ، وتتحقق فيك الشهامة والوفاء ، داوم على صلة الرحم ولو قطعوا ، وبادر بالمغفرة وإن أخطأوا ، ودع عنك محاسبة الأقربين ، ولا تجعل عتابك لهم في قطع رحمك منهم ، وكن جواد النفس كريم العطاء.

الخطبة الثانية عشرة: مأساة العقوق.

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

! 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

[النساء:1] (? > = < ; : ! 8 7 6 5 4 3

لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ~ } | { z y x w v u)

ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71]

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَـــرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله :

إن للوالدين حقاً عظيماً، وفضلاً بعد فضل الله جليلاً كريماً

فإذا ذكرهما ذكرت البر والإحسان

وإذا ذكرهما أسعفتك بالدموع العينان

مضت أيامهما وانقضى شبابهما وبدا لك مشيبهما.

وقفا على عتبة الدنيا، وهما ينتظران منك قلباً رقيقاً وبراً عظيماً .

فالجنة لمن برهما، والنار لمن عقهما.

فطوبى لمن أحسن إليهما و لم يسيء لهما.

طوبى لمن أكرمهما و لم يهنهما.

طوبى لمن نظر إليهما نظرة رحمة وود وإحسان.

وتذكر ما كان منهما من بر وعطف وحنان.

تأمل صغرك وضعفك حال طفولتك، تذكر معاناة أمك منك،

وذلك حينما جعلت بطنها لك وعاءً ، ودمها لك غذاءً.

تأمل حملها لك في بطنها تسعة أشهر تحمل معها الآلام والزفرات.

فكل شيء لديها يهون إذا رأتك صحيحاً سليماً.

ووالله إنها لترى الموت بعينها، وتذوق من الآلام ما يود المرء أن يكون معه نسياً منسياً، ولكنها بعاطفتها الجياشة آثرت صحتك على صحتها، ونجاتك بهلاكها.

إنها عند رؤيتك تنسى جميع الهموم والآلام، وتعلق عليك بعد الله كل الآمال.

واقع مرير:

ومع ذلك كله نعيش زماناً عظمت غربته، واشتدت كربته، فلم يرحم الأبناء دموع الآباء، و لم يرحم البنات شفقة الأمهات.

فنرى على صفحات جرائدنا اليومية ولداً يقتل أباه وآخر يضرب أمه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فهذا ولد يضع أمه في دار المسنين ولم يزرها حتى تردت حالتها، فطلبت من مسؤول الدار أن يتصل؛ كي تراه وتقبله قبل أن تموت وتفارق الدنيا فاتصل بولدها، فسبقتها دموعها قبل أن تسمع جواب ولدها بالرفض والاعتذار بضيق الوقت وكثرة الأعمال والأشغال،

فلما توفيت الأم اتصلوا به ليخبروه فقال: أكملوا إجراءاتكم الرسمية، وادفنوها في قبرها لأني مشغول ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا آخر كانت تعيش أمه معه في البيت فلما ضجر منها أخذها ذات يوم معه في السيارة وذهب بها إلى شاطيء البحر، ووضعها هنالك،وقال لها بأنه سيأتي بعد فترة وجيزة، وأعطاها ورقة صغيرة وقال لها: انتظري حتى آتيك. فظلت المسكينة تمنى نفسها برجوع فلذة كبدها.

وظلت تنتظره حتى جناها الظلام وأرخى عليها الليل سدوله، وهي وحيدة ليس لها أحد، وأخذ الناس يرحلون عن ذلك المكان، فجاءها رجل وقد استغرب بقاءها وحدها في هذا المكان، فسألها عن شأنها وعن جلوسها في هذا المكان وحدها؟ .

فقالت له القصة وقرأ الورقة فإذا فيها: يرجى ممن يقرأ هذه الورقة أخذ هذه العجوز إلى دار العجزة.

نعوذ بالله من العقوق والحرمان

ما جزاء العقوق ؟

(1) عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ t عَنْ أَبِيهِ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: "أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟" قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: "أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الــزُّورِ، أَلا وَقَــوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ"، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لا يَسْكت" [1]

(2)وخاصة عقوق الأم:

إن العقوق في الجملة من الكبائر، ولكن خصّ الله الأم؛ لتعبــها وتحملــها، فعقوق الأم أشد إثماً ؛ وذلك لأن الأم ضعيفة، وأذى الضعفاء إثمه شديد وعقوبتــه أغلظ، فكما في الصحيحين من حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ t قَالَ: قَالَ النَّبِــيُّ r: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيــلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ" [2].

(3)العقوق لا يقبل معه أي عمل:

عن أبي أمامة t قال: قال رسول الله r: " ثلاثة لا يقبل الله عز وجــل منهم صرفاً ولا عدلا: عاق، و منان، ومكذب بقدر"[3].

1- البخاري (5639) ، مسلم (151) .

2- البخاري (5976)، ومسلم (593)، ومعنى(وَمَنَعَ وَهَاتِ) أنه نهى أن يمنع الرجل ما توجه عليــه من الحقوق أو يطلب ما لا يستحقه.

3- صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2513).

(4)العاق ملعون:

كما في الأدب المفرد من حديث علي t أن رسول الله r قال: "لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من سرق منار الأرض، لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى[1] محدثا"[2].

(5)الجزاء من جنس العمل:

قال الأصمعي: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبر الناس، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستسقي بدلو لا تطيقه الإبـــل في الهاجرة والحر شديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قدّ[3] ملوي يضربه به.

فقلت: أما تتقي الله في هذا الضعيف؟!

فقال :إنه مع هذا أبي.

فقلت: فلا جزاك الله خيراً .

فقال: اسكت فهكذا كان يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده [4].

ويسرد لنا الشيخ محمد بن حسان (حفظه الله) : أن ابنًا من الأبنـــاء يكـــبر والده ، فتشمئز زوجتة من والد زوجها، وتقول لزوجها: جنب والدك؛ فإن الأبناء يشمئزون منه، ففعل الولد.

1- ومعنى آوى محدثاً أي نصر صاحب بدعة أو أعانه؛ لأن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وخير الهدي هدي محمد. وقال الإمام مالك: من ابتدع بدعة وظن أنها حسنة فقد اتهم أبا القاسم بخيانة الأمانة .

2- صحيح : الأدب المفرد (17) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (1/صـــ8)

3- القد : السوط ، وهو في الأصل سير يقد أي يقطع من جلد مدبوغ .

4- موسوعة نضرة النعيم (5019/10) والرِّشاء هو الحبل.

فقال له ابن له صغير – وهو يحب جده – لِمَ تصنع ذلك بجدي يا أبي؟

قال: حتى لا تشمئزوا منه.

فبكى الولد الصغير والتفت إلى والده وقال له: حسناً يا أبي سوف أصـــنع بك ذلك حين أكبر كما صنعت بجدي.

وابن آخر يجر أباه بقدميه ورجليه يطرده خارج شقته، فبكى الوالد حينمـــا وصل إلى الباب وقال للولد: إلى الباب فقط يا بني.

ثم بكى وقال: فوالله ما جررت أبي منذ كذا من السنين وأنا أطرده من بيتي، إلا إلى الباب فقط فاكتف بالباب فقط؛ فإنما هو دين أقضيه [1].

(6) احذروا دعاء الوالدين:

عن النبي r قال: "كلُّ الذنوبِ يؤخرُ اللهُ منْها ما شاء إلى يومِ القيامةِ، إلا البغىَ وعقوقَ الوالدينِ، أو قطيعةَ الرحمِ، يعجلُ لصاحِبها في الدنيا قبلَ الموتِ" [2]

وعَنْ أَبي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: "ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ" [3]

قصة مؤثرة عن دعاء الوالدين:

1- الحقوق الإسلامية (563، 564)، باختصار بسيط، دار: فياض .

2- صحيح : الأدب المفرد باب البغي (591)، وصححه الشيخ الألباني في صـــحيح الأدب المفــرد (1/صـــ234) .

3- صحيح : الترمذي (1828) وأبو داوود (1313) وابن ماجه (3852) ، وحسنه الشيخ الألبـــاني في صحيح ابن ماجه (3862) .

عن الحسن بن علي t قال: بينا أنا أطوف مع أبي حول البيـــت في ليلـــة ظلماء و قد رقدت العيون و هدأت الأصوات، إذ سمع أبي هاتفاً يهتـــف بصـــوت حزين شجي (يناجي الله عز و جل يدعو) وهو يقول:

يا من يجيبُ دُعا المُضطر في الظُلَمِ

يا كاشف الضُرِّ و البَلوى مع السقمِ

قد نام وفْدُك حول البيت و انتبهوا

و أنت عينك يا قيوم لم تنـــــــمِ

هب لي بجودك فضل العفو عن جُرمي

يا من إليه أشار الخلق في الحـــرمِ

إن كان عفوك لا يُدركه ذو سَرَفٍ

فمن يجود على العاصين بالكـــرمِ

قال: فقال أبي: يا بني أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟ الحقـــه فلعلك أن تأتيني به، فخرجت أسعى حول البيت أطلبه فلم أجده حتى انتـــهيت إلى المقام و إذا هو قائم يصلي، فقلت: أجب ابن عم رســـول الله - r - فـــأوجز في صلاته و اتبعني، فأتيت أبي فقلت: هذا الرجل يا أبت، فقال له أبي: ممن الرجـــل؟ قال: من العرب، قال: و ما اسمك؟ قال: مُنَازِل بن لاحق، قال: و ما شأنك و مـــا قصتك؟ قال: و ما قصة من أسلمته ذنوبه و أوبقته عيوبه فهـــو مـــرتطم في بحـــر الخطايا، فقال له أبي على ذلك فاشرح لي خبرك. قال: كنت شاباً علـــى اللـــهو و الطرب لا أفيق عنه، و كان لي والد يعظني كثيراً و يقول: يا بني احـــذر هفـــوات الشباب و عثراته فإن لله سطوات و نقمات ما هي من الظالمين ببعيد، و كـــان إذا

ألح عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب، فلمّا كان يوماً من الأيام ألح عليّ بالموعظة فأوجعته ضرباً، فحلف بالله مجتهداً ليأتيَّن بيت الله الحرام فيتعلّق بأستار الكعبــة و يدعو عليّ ، فخرج (مسافراً) حتى انتهى إلى البيت فتعلّق بأستار الكعبــة و أنشــأ يقول:

يا من إليه أتى الحُجاج قد قطعوا عَرْض المَهَامِه من قُرْبٍ و مــن بعدِ

إني أتيتك يا من لا يخيِّبُ مَن يد عوه مبتهلاً بالواحد الصمــــــدِ

هذا مُنَازِل لا يرتد عن عَقَقِــي فخذ بحقِّي يا رحمن من ولــــدي

وشُلَّ منه بحولٍ منك جانبهُ يا من تقــدَس لم يُولَد و لم يَلــــدِ

قال: فوالله ما استتم كلامه حتى نزل بي ما ترى، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس (صار الولد مشلولاً شللاً نصفياً)، قال: فأُبْت و رجعــت و لم أزل أترضَّاه و أخضع له و أسأله العفو عني إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الــذي دعا عليّ، قال: فحملته على ناقة عُشراء و خرجت أقفو أثره حتى إذا صرنا بوادي الأراك طار طائر من شجرة فنفرت الناقة (الناقة التي تحمل أباه) فرمت بــه بــين أحجار فرضخت رأسه فمات (هذا في الطريق قبل أن يصل إلى البيت الحرام) فدفنته هناك و أقبلت آيساً و أعظم ما بي ما ألقاه من التعيير أني لا أعــرف إلا بالمــأخوذ بعقوق والديه، فقال له أبي: أبشر فقد أتاك الغوث، فصلى ركعتين ثم أمره فكشف عن شِقِه بيده و دعا له مرات يرددهن فعاد صحيحاً كما كان، و قال له أبي: لولا أنه قد كان سَبِقْت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لــك.

قال الحسن: و كان أبي يقول لنا: احذروا دعاء الوالدين فإن في دعائهما النماء و الانجبار و الاستئصال و البوار. (1)

(7) شؤم العقوق (قصة مؤثرة):

عن مالك بن دينار قال: بينما أنا أطوف بالبيت الحرام إذ أعجبني كثرة الحجاج والمعتمرين، فقلت: ليت شعري من المقبول منهم فأهنئه، ومن المردود منهم فأعزيه.

فلما كان الليل رأيت في منامي قائلاً يقول: مالك بن دينار يسأل عن الحجاج والمعتمرين؟ قد غفر الله لهم أجمعين، الصغير والكبير، الذكر والأنثى، الأسود والأحمر، إلا رجلاً واحداً فإن الله تعالى عليه غضبان، وقد رد الله حجه، وضرب به في وجهه.

قال مالك: فنمت بليلة لا يعلمها إلا الله عز وجل وخشيت أن أكون ذلك الرجل، فلما كانت الليلة الثانية، رأيت في منامي مثل ذلك، غير أنه قيل لي: ولست أنت ذلك الرجل، بل هو من خراسان من مدينة بلخ، يقال له: محمد بن هارون البلخي.

فلما أصبحت أتيت قبائل خراسان، فقلت: أفيكم محمد بن هارون؟ قالوا: بخ بخ، تسأل عن رجل ليس بخراسان أعبد ولا أزهد منه ولا أقرأ منه.

فعجبت من جميل ثناء الناس عليه وما رأيت في منامي. فقلت: أرشدوني إليه. قالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يأوي إلا الخراب، ونظنه في خرائب مكة.

1- طبقات الشافعية للسبكي(328/2)، دار هجر، تحقيق: محمود الطناحي .

فجعلت أجول في الخرابات، فإذا هو قائم خلف جدار، وإذا يده اليمنى معلقــة في عنقه وقد شدها بقيدين عظيمين إلى قدميه، وهو راكع وساجد. فلما أحس بهمس قدمي، قال: من تكون؟ قلت: مالك بن دينار، قال: يا مالك ما جاء بــك إليَّ؟ إن كنت رأيت رؤيا فاقصصها علي. قال: أستحي أن أقولها. قال: بل قل.

فقصصتها عليه، فبكى طويلاً، وقال: كنت رجلاً أكثر شــرب المســكر، فشربت يوماً عند خدن (1) لي حتى ثملت وزال عقلي، فأتيت مترلي فدخلت، فــإذا بأمي توقد تنوراً لنا، فلما رأتني أتمايل بسكري، أقبلت تطعمني، وتقول: هذا آخــر يوم من شعبان وأول ليلة من رمضان، يصبح الناس صواماً، وتصبح سكران!! أمــا تستحي من الله؟ فرفعت يدي فلكزها. فقالت: تعست. فغضبت لقولها وحملتــها بسكري ورميت بها في التنور فلما رأتني امرأتي، أدخلتني بيتاً وأغلقت علي.

فلما كان آخر الليل وذهب سكري، دعوت زوجتي لفتح الباب، فأجابتني بجواب فيه جفاء، فقلت: ويحك ما هذا الجفاء؟ قالت: تستأهل ألا أرحمك. قلــت: لم؟ قالت: قتلت أمك، رميت بها في التنور فاحترقت.

فخرجت إلى التنور فإذا هي كالرغيف المحروق. فخرجت وتصدقت بمالي، وأعتقت ، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار وأقوم الليل، وأحج كل سنة، ويــرى لي كل سنة عابد مثلك هذه الرؤيا.

فنفضت يدي في وجهه، وقلت: يا مشؤوم، كدت تحرق الأرض وما عليها بنارك، وغبت عنه بحيث أسمع حسه ولا أرى شخصه فرفع يديه إلى السماء، وقال:

1- أي : صاحب .

يا فارج الهم وكاشف الغم، يا من يجيب دعوة المضطرين ، أعـــوذ برضـــاك مـــن سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، لا تقطع رجائي، و لا تخيب دعائي.

فذهبت إلى منزلي ونمت، فرأيت في المنام قائلاً يقول: يا مالك لا تقنط الناس من رحمة الله. إن الله اطلع من الملأ الأعلى إلى محمد بن هارون فاستجاب دعوتـــه، وأقال عثرته، عد إليه وقل له: إن الله يجمع الخلائق يوم القيامة، ويقتص للجماء من القرناء، ويجمع بينك وبين والدتك، فيحكم لها عليك، ويذيقك النـــار، ثم يهبـــك لأمك[1].

ما العقوق ؟

هو صدور كل ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل، إلا في إشراك أو في معصية ما لم يتعنت الوالد[2].

صور من العقوق المحرمة (بعض مظاهر العقوق):

قد يظن بعض الناس أن العقوق يتمثل في ضرب الوالدين أو شتمهما فقط، ولكن هناك صور عديدة من العقوق، نذكر منها ما استطعنا حتى نتجنبه:

(1) الغلظة معهما في القول والفعل:

قال تعالى: (g h i j k l m n p q
r s t u v w x y z { | } ~ قَوْلًا
كَرِيمًا ﴿٢٣﴾) [الإسراء:23]

1- بر الوالدين لابن الجوزي، وذم المسكر لابن أبي الدنيا رقم (60)دار: الراية بالرياض .

2- موسوعة نضرة النعيم (5012/10) .

قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له ، فإن القضـــاء ههنا بمعنى الأمر ، قال مجاهد [وَقَضَىَ] أي أمر ،(وبالوالدين إحســـاناً) أي وأمـــر بالوالدين إحساناً ، كقوله في الآية الأخرى (Q R S T U V). وقوله:

(p| q r s t u v w x y z) أي لا تســـــمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف، الـــذي هـــو أدنى مراتـــب القـــول الســـيء (} |) أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، كما قال عطاء بن أبي ربـــاح في قوله: (} |) أي: لا تنفض يدك عليهما، ولما نهاه عـــن القـــول القبـــيح والفعل القبيح، أمره بالقول والفعل الحسن، فقال: ({ ~ قَوْلًا كَرِيمًا) أي ليناً طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظـــيم، (وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ) أي تواضع لهما بفعلك (© رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) أي في كبرهما وعند وفاتهما (1)

(2) أن يحزنهما :

وذلك لما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ r فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ قَالَ: " ارْجِـــعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا" (2)

1- تفسير ابن كثير (46/3) باختصار.

2- صحيح : النسائي (4093) وأبو داوود (2166) وابن ماجه (2772)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (2782) .

(3) أن يتبرأ منهما أو يتكبر عليهما :

وذلك لقوله r :"وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَـــةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلا عَدْلًا" [1]

والوالد يشمل الأب والأم وإن عليا .

(4) أن يشتمهما أو يتسبب في شتمهما أو لعنهما :

فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِي اللَّه عَنْهمَا) قَالَ: قَالَ رَسُـــولُ r :"إن مِـــنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: "يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ "[2]

(5) النظر المشعر بالغضب:

فعن عروة t قال في قوله تعالى: (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ) قال: إن أغضباك فلا تنظر إليهما شذراً؛ فإن أول ما يعرف من غضب المرء شـــدة نظره إلى من غضب عليه.

وعن الحسن البصري (رحمه الله تعالى) قيل له: إلامَ ينتهي العقوق ؟

قال: أن يحرمهما ويهجرهما، ويحد النظر إليهما.

وعن عروة بن الزبير t قال: ما بر والده من شد الطرف إليه.

1- البخاري (3982) ، مسلم (2433).

2- البخاري (5516).

(6) الأمر عليهما:

كمن يأمر والدته بكنس المترل أو غسل الثياب أو إعداد الطعام، فهذا العمل لا يليق خصوصاً إذا كانت الأم عاجزة أو كبيرة أو مريضة .

أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها وبرغبة منها، وهي نشطة غير عاجزة فــلا بأس في ذلك، مع مراعاة شكرها والدعاء لها.

(7) انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة:

وهذا العمل فيه محذوران:

أحدهما: عيب الطاعم، وهذا لا يجوز؛ فرسول الله r ما عاب طعامــاً قــطُّ، إن أعجبه أكل وإلا تركه .

والثاني: أن فيه قلة أدب مع الأم، وتكديراً عليها .

(8) ترك مساعدهما في عمل المترل:

سواء في الترتيب والتنظيم أو في إعداد الطعام أو غير ذلك .

بل إن بعض الأبناء – هداهم الله – يعد ذلك نقصــاً في حقــه وهضــماً لرجولته، وبعض البنات – هداهن الله – ترى أمَّها تعاني وتكابد العمل داخل المترل فلا تعينها .

بل إن بعضهن تقضي الأوقات الطويلة في محادثة زميلاها عبر الهاتف، تاركة أمَّها تعاني الأمرَّين.

(9) الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا:

وذلك بترك الإصغاء إليهما أو المبادرة إلى مقاطعتهما، أو تكذيبهما أو مجادلتهما والاشتداد في الخصومة والملاحاة معهما – أي : الملاومة.

فكم في هذا العمل من تحقير لشأن الوالدين، وكم فيه من إشعار لهما بقلة قدرهما.

(10) قلة الاعتداد برأيهما:

فبعض الناس لا يستشير والديه، ولا يستأذنهما في أي أمر من أموره، سواء في زواجه أو طلاقه أو خروجه من المترل والسكنى خارجه، أو ذهابه مع زملائه لمكان معين أو نحو ذلك.

(11) ترك الاستئذان حال الدخول عليهما:

وهذا مما ينافي الأدب معهما، فربما كانا أو أحدهما في حالة لا يرضي أن يراه أحد عليها.

(12) إثارة المشكلات أمامهما:

سواء مع الإخوان أو الزوجة أو الأولاد أو غيرهم .

فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحد من أهل البيت على خطأ ما إلا أمام والديه، ولا شك أن هذا الصنيع مما يقلقهما، و يقضُّ مضجعهما .

(13) ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما وذكر معايبهماوتشويه سمعتهما:

فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما – كأن يخفق في دراسته مثلاً – ألقى باللائمة والتبعة على والديه، ويبدأ يسوغ إخفاقه ويلتمس المعاذير لنفسه بأن والديه

أهملاه، و لم يربياه كما ينبغي فأفسدا عليه حياته، وحطما مستقبله، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب .

(14) إدخال المنكرات للمترل ومزاولتها أمامهما:

كشرب الدخان أمامهما أو استماع آلات اللهو بحضرهما، فهذا كله دليل على قلة الحياء معهما.

(15) إيثار الزوجة على الوالدين:

فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه، ويؤثرهما عليهما، فلــو طلبت منه أن يطرد والديه لطردهما ولو كانا بلا مأوى.

وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه، وتراه في الوقــت نفسه يغلظ على والديه ولا يرعى حقهما.

(16) التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر:

فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالاً تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه.

(17) التعدي عليهما بالضرب:

فقد نهى الله عن أقل كلمة تشعر بالتأفف والضجر من الوالدين، فما بالــك بما هو أعظم من هذا وهو الضرب، فهو من باب أولى في المنع، وهذا يسمى عنــد الأصوليين بالتنبيه بالأدنى على الأعلى .

(18) هجرهما وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي:

وهذا خلل وخطل، فبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، فكيف إذا كانا مسلمين، وعندهما بعض التقصير ؟!

لكن عليك بالرفق واللين في النصيحة، فما وُجد الرفق في شيء إلا زانــه، وما نُزع من شيء إلا شانه، وعليك أن لا تنصح على الملأ.

(19) البخل والتقتير عليهما:

فمن الناس من يبخل على والديه، ويقتر عليهما في النفقة، وربما اشــتدت حاجتهما إلى المال، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما .

(20) المنة وتعداد الأيادي على الوالدين:

فمن الناس من قد يبر والديه، ولكنه يفسد ذلــك بــالمن والأذى وتعــداد الأيادي، وذكر ذلك بمناسبة وبدون مناسبة.

(21) السرقة من الوالدين:

وهذا الأمر جمع بين أمرين محذورين: السرقة والعقوق، ومن صور السرقة أن يخدع والديه، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا من المال .أو الأرض أو نحو ذلك، وقد يستدين منهما، وهو مبيت النية على ألا يسدد .

(22) الأنين وإظهار التوجع أمامهما:

وهذا الأمر من أشر صور العقوق، ذلك أن الوالدين – وخصوصــاً الأم – يقلقان لمصاب الولد، ويتألمان لألمه، بل ربما يتألمان أكثر منه.

(23) التغرب عن الوالدين دون إذنهما، ودون الحاجة إلى ذلك:

بعض الأبناء لا يدرك أثر بعده عن والديه؛ فتراه يسعى للغربة والبعد عن الوالدين دون أن يستأذنهما، ودون أن يحتاج إلى الغربة؛ فربما ترك البلد الذي يقطن فيه والداه دون سبب، وربما تغرّب للدراسة في بلد آخر مع أن تلك الدراسة ممكنة في البلد الذي يسكن فيه والداه، إلى غير ذلك من الأسباب التي لا تُسوغ غربته.

ما علم أن اغترابه عن والديه يسبب حسرتهما، وقلقهما عليه، وما علم أنه ربما مات والداه أو أحدهما وهو بعيد عنهما باختياره؛ فيخسر بذلك برّهما، والقيام عليهما.

أما إذا احتاج الابن إلى الغربة، واستأذن والديه فيها_فلا حرج عليه.

(24) تمني زوالهما:

بعض الأولاد يتمنى زوال والديه؛ ليرثهما إن كانا غنيَّين، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين، أو لينجو من مراقبتهما ووقوفهما في وجهه؛ كي يتمادى في غيِّه وجهله.

(25) المكث طويلاً خارج المترل:

وهذا مما يقلق الوالدين ويزعجهما على الولد، ثم إنهما قد يحتاجان للخدمة، فإذا خرج الولد خارج المترل لم يجدا من يقوم على خدمتهما.

(26) الإثقال عليهما بكثرة الطلبات:

من الناس من يثقل على والديه بكثرة طلباته، مع أن الوالدين قد يكونان قليلي ذات اليد، ومع ذلك ترى الولد يُلِحُّ عليهما بشراء سيارة له، وبأن يزوجاه،

ويوفرا له مسكناً جديداً، أو بأن يطلب منهما مالاً كثيراً ؛ كي يســاير زمــلاءه وأترابه.

(27) التأفف، والتضجر من أوامرهما:

هذا مما أدبنا الله عز وجل بتركه؛ فكم من الناس مَنْ إذا أمر عليــه والــداه صدَّر كلامه بكلمة (أف) ولو كان سيطيعهما، قال تعالى: (فَلا تَقُلْ لَهُمَــا أُفٍّ) (الإسراء:23).

(28) العبوس وتقطيب الجبين أمامهما [1]:

فبعض الناس تجده في المجالس بشوشاً، مبتسماً ، حسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه؛ فإذا ما دخل المترل، وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثاً هصوراً لا يلوي على شيء، فتبدَّلتْ حاله، وذهبت وداعتــه، وتولــت سماحتــه، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته، يصدق على هذا قول القائل:

من الناس من يصل الأبعدين ويشقى به الأقربُ الأقربُ

هذه بعض المظاهر والصور لعقوق الوالدين، ذلك العمل القبيح، والمســلك الشائن، الذي لا يليق بأولي الألباب، ولا يصدر من أهل التقى والصلاح والرشاد.

ما أبعد الخير عن عاق والديه، وما أقرب العقوبة منه، وما أسرع الشر إليه.

هذا أمر مشاهد محسوس، يعرفه كثير من الناس، ويــرون بــأم أعينــهم، ويسمعون قصصاً متواترة لأناس خذلوا وعوقبوا؛ بسبب عقوقهم لوالديهم[2].

---

1 _ من المظهر رقم (5) إلى نهاية المظاهر منقول من كتيب عقوق الوالدين للشيخ: محمد الحمــد صــ (9- 19)، مع تصرف بسيط، طبعة: وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

2 - السابق صــ 20.

واعلم أخي الحبيب :

أن هذه ليست كل صور العقوق وإن كانت أغلبها، فهناك أشياء لم نجمعها في هذا البحث، لكن العقوق يشمل كل شيء يؤذي الوالدين سواء صغر أو كبر .

حقوق الآباء على الأبناء:

إن للوالدين حقوقاً وواجبات، وإذا كانت النفوس السوية مجبولة على حب من أحسن إليها؛ فإن من شرائع الدين وسمات المروءة وضرورات العقل أن يقابـــل الإحسان بالإحسان ؛ قال تعالى: (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ´ µ) (الرحمن)

فمن هذه الحقوق (مظاهر البر) [1] :

(1) محبتهما وتوقيرهما على من سواهما:

جاء في الأدب المفرد أن أبا هُرَيْرة أبصر رجلين. فقال لأحدهما: ما هـــذا منك ؟ فقال: أبي. فقال: "لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله".[2]

(2) النفقة عليهما:

إذا كانا محتاجين وعند الولد ما يزيد على حاجته؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى النبي r فقال: إن أبي اجتاح مالي فقال:" أنـــت ومالك لأبيك" وقال رسول الله r :"إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا مـــن أموالهم" [3]

---

1 - من المظهر رقم (4) إلى النهاية مأخوذ من المصدر السابق صـــ (31- 37).

2 _ صحيح : صحيح الأدب المفرد للشيخ الألباني (18) .

3 _ صحيح : صححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (3354) .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: على الولد الموسر أن ينفق على أبيه وزوجة أبيه وعلى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقاً لأبيه قاطعاً لرحمه مســتحقاً لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة[1]

قلت: ولكن هذا مشروط بوجود زيادة من المال عند الولد، وأن لا يكون الوالــد مسرفاً أو يتناول المحرمات.

(3) خفض الصوت وغض الطرف أمامهما:

وكذلك لين القلب إذا ثار أبوك وغضب، فعليك أن تنظر إليهما نظرة المحب الرحيم، الخجل المتواضع .

(4) طاعتهما واجتناب معصيتهما:

فيجب على المسلم طاعة والديه واجتناب معصيتهما، وأن يقدم طاعتــهما على طاعة كل أحد من البشر ما لم يأمرا بمعصية الله ورسوله، إلا الزوجــة؛ فإنهــا تقدم طاعة زوجها على طاعة والديها.

(5) الإحسان إليهما:بالقول، والفعل، وفي وجوه الإحسان كافة :

وما أجمل أن تقول _ ولا سيما في المناسبات السعيدة كالأعياد الشــرعية مثلاً:

يا والدي جزاك الله خيراً، ويا والدتي أطال الله في عمرك، لقــد ربيتمونــا وتعبتم علينا، وها نحن كبرنا، ولكننا نعتبر أنفسنا أمامكم أطفالاً صغاراً، نتشــرف بخدمتكم، ونفتخر بأمركم لنا وتوجيهاتكم .. انظر بعدها إلى البشر والســرور في وجهيهما، بل إلى دموع الفرح تنهال من أعينهما.

1- مجموع الفتاوى (34 / 101) .

(6) خفض الجناح: وذلك بالتذلل لهما، والتواضع.

(7) البعد عن زجرهما: وذلك بلين الخطاب، والتلطف بالكلام، والحذر كل الحذر من نهرهما، ورفع الصوت عليهما.

(8) الإصغاء إليهما: وذلك بالإقبال عليهما بالوجه إذا تحدثا، وترك مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث، والحذر كل الحذر من تكذيبهما، أو رد حديثهما.

(9) الفرح بأوامرهما، وترك التضجر والتأفف منهما: كما قال عز وجل: (x w z y { | } ~ قَوۡلٗا كَرِيمٗا).

(10) طلاقة الوجه لهما: وذلك بمقابلتهما بالبشر والترحاب، بعيدًا عن العبــوس، وتقطيب الجبين.

(11) التودد لهما، والتحبب إليهما: ومن ذلك مبادأتهما بالسلام، وتقبيل أيديهما، ورؤوسهما، والتوسيع لهما في المجلس، وألا يمدّ يده إلى الطعام قبلــهما، وأن يمشي خلفهما في النهار، وأمامهما في الليل، خصوصًا إذا كان الطريق مظلماً أو وَعِراً، أما إذا كان الطريق واضحاً سالكاً فلا بأس أن يمشي خلفهما.

(12) الجلوس أمامهما بأدب واحترام: وذلك بتعديل الجِلْسة، والبعد عمّا يشعرهما بإهانتهما من قريب أو بعيد، كمــدِّ الرِّجْــل، أو القهقهــة بحضــرتهما، أو الاضطجاع، أو التعرِّي، أو مزاولة المنكرات أمامهما، أو غير ذلك مما ينــافي كمال الأدب معهما.

(13) تجنب المنة في الخدمة أو العطية: فالمنة تهدم الصنيعة، وهــي مــن مســاوئ الأخلاق، ويزداد قبحها إذا كانت في حق الوالدين.

فعلى الولد أن يقدم لوالديه ما يستطيع، وأن يعترف بالتقصير، ويعتذر عـــن عـــدم استطاعته أن يوفي والديه حقهما.

(14) تقديم حقّ الأم: فمما ينبغي مراعاته أيضًا تقديم بر الأم ، والعطف عليهـــا، والإحسان لها على بر الأب، والعطف عليه، والإحسان إليه، وذلك لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة t قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّـــهِ r فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ "[1].

قال ابن بطال عند شرحه لهذا الحديث: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، فهذا تنفرد بـــه الأم وتشقى به، ثم تشارك الأب في التربية [2].

قد يقال: الأم تقدم وتفضل بالبر والإحسان والعطـــف؛ والأب يقـــدم في الطاعة؛ لأن الأب رب المترل، وقائد السفينة.

وعن أبي موسى الأشعري قال : شهد ابن عمر (رضي الله عنهما) رجـــلاً يمانيا يطوف بالبيت، وقد حمل أمه على ظهره وهو يقول:

إني لها بعيرها المذلل إن أُذعرت ركاها لم أذعر

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها ؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة .

وصدق من قال:

لأمك حق لو علمت كبيـــــر

1- البخاري (5514) ، مسلم (4621).
2- الفتح (402/10) .

كثيرك يا هـــذا لديه يسيـــــــر

فكم ليلةٍ باتت بطفلك تشتكـــــي

لها من جواها أنةٌ وزفيـــــــــر

وفي الوضع لو تدري عليك مشقة

فكم غصص منها الفؤاد يطيــــر

وكم مرةٍ جاعت وأعطتك قوتها

حنواً وإشفاقاً وأنت صغيـــــــر

فآه لذي عقل ويتبع الهـــــــوى

وواه لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب في عميم دعائها

فأنت لما تدعو إليه فقيـــــــــر

(15) مساعدتهما في الأعمال: فلا يليق بالولد أن يرى والديه يعملان ، وهو ينظر إليهما دون مساعدة لهما.

(16) البعد عن إزعاجهما: سواء إذا كانا نائمين، أو إزعاجهما بالجلبـــة ورفـــع الصوت، أو بالأخبار المحزنة، أو غير ذلك من ألوان الإزعاج.

(17) تجنب الشجار وإثارة الجدل أمامهما: وذلك بالحرص على حل المشـــكلات مع الأُخْوةِ وأهل البيت عمومًا بعيدًا عن أعينهما.

(18) تلبية ندائهما بسرعة: سواء كان الإنسان مشغولاً أم غير مشغول؛ فـــبعض الناس إذا ناداه أحد والديه وكان مشغولاً تظاهر بأنه لم يسمع الصوت، وإن كان فارغاً أجابهما.

أصمٌّ عن الأمر الذي لا أريده وأسْمع خلقِ الله حين أريدُ

فاللائق بالولد أن يجيب والديه حال سماعه النداءَ.

(19) تعويد الأولاد على البر: وذلك بأن يكون المرء قدوة لهم، وأن يسعى قـــدر المستطاع لتوطيد العلاقة بين أولاده وبين والديه.

(20) إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين: فمما يجدر بالأولاد أن يقومـــوا به أن يصلحوا ذات البين إذا فسدت بين الوالدين، وأن يحرصوا على تقريـــب وجهات النظر بينهما إذا اختلفا.

(21) الاستئذان حال الدخول عليهما: فربما كانا أو أحدهما على حالة لا يرضـــى أن يراه أحد وهو عليها.

(22) تذكيرهما بالله دائمًا: وذلك بتعليمهما ما يجهلانه من أمور الدين، وأمرهمـــا بالمعروف، ونهيهما عن المنكر إذا كان عليهما بعض مظاهر الفسق والمعصية، مع مراعاة أن يكون ذلك بمنتهى اللطف والإشفاق والشفافية، والصبر عليهما إذا لم يقبلا.

(23) الاستئذان منهما، والاستنارة برأيهما: سواء في الذهاب مع الأصحاب للبرية، أو في السفر خارج البلد للدراسة ونحوها، أو الذهاب للجهاد، أو الخروج من المنزل والسكنى خارجه، فإن أذنا وإلا أقصر وترك ما تريد، خصوصًا إذا كان رأيهما له وجه، أو كان صادرًا عن علم وإدراك.

(24) المحافظة على سمعتهما: وذلك بمخالطة الأخيار، والبعد عن الأشرار، وبمجانبة أماكن الشبه، ومواطن الريبة.

(25) البعد عن لومهما وتقريعهما: وذلك إذا صدر منهما عمل لا يرضي الولــد. كتقصيرهما في التربية، وكتذكيرهما بأمور لا يحبان سماعها، مما قد بدر منـــهما فيما مضى.

(26) العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به: من رعاية للإخوة، أو صلة للأرحام، أو إصلاحات في المترل، أو المزرعة، أو مبادرة بالهدية، أو نحو ذلك مما يسُرُّهما، ويدخل الفرح على قلبيهما.

(27) فهم طبيعتهما ومعاملتهما بمقتضى ذلك: فإذا كانا أو أحدهما غضوباً، أو فظّاً غليظاً، أو كان متصفاً بأي صفة لا ترتضى_كان جديراً بالولد أن يتفهم تلك الطبيعة في والديه، وأن يعاملهما كما ينبغي.

(28) كثرة الدعاء والاستغفار لهما في حياهما:قال الله تعالى: (وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) (الإسراء:24)

وقال تعالى: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُـــؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (نوح:28).

(29) برّهما بعد موهما: فمما يدل على عظم حق الوالدين، وســعة رحمــة رب العالمين أنْ كان بر الوالدين لا ينقطع حتى بعد الممات؛ فقد يُقصِّر أحدٌ مـــن الناس في حق والديه وهما أحياء، فإذا ماتا عضَّ يده، وقرع سنَّه؛ ندماً علـــى تفريطه وتضييعه لحقِّ الوالدين، وتمنى أن يرجعا للدنيا؛ ليعمل معهما صالحاً غير الذي عمل.

ومن هنا يستطيع المسلم أن يستدرك ما قد فات، فيبر والديه وهمـــا أمـــوات، وذلك بأمور منها:

أ- أن يكون الولد صالحًا في نفسه، وذلك للحديث الآتي ذكره ،

ب- كثرة الدعاء والاستغفار لهما، لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».[1]

ج- صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

د- إنفاذ عهدهما.

هـــ- التصدق عنهما

ثمرات البر:

إن للبر ثمرات عظيمة وفوائد كثيرة، من ذلك ما يلي:

(1) تفريج الكربات وكشف الهموم:

كما في الصحيحن عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ:" بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَـــانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلاءِ لا يُنْجِيكُمْ إِلا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُـــلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ.

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِـــي عَلَـــى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْـــرِهِ

1- مسلم (3410) .

أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ .

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ .

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَقَالَتِ: اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ،فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا" (1)

1 _ البخاري (3206) ، مسلم (4926) .

(2) دخول الجنة:

فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ t أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِيَ امْرَأَةً، وَإِنَّ أُمِّــي تَــأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا. قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ:"الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ "[1] وسيأتي عن قريب حديث النعمان بن حارثة t حيث كان أبر الناس بأمه، فدخل بذلك الجنة.

قلت: ولا يؤخذ من الحديث أن الإنسان يطلق امرأته لو أمرته أمه بــذلك، فقد تكون امرأته أكثر صلاحًا من أمه، إنما الشاهد فقط هو أهما- أي: الولــدان- أوسط أبواب الجنة.

(3) الزيادة في الرزق:

عن أنس بن مالك t أن رسول الله r قال: "من أحب أن يبسط لــه في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه"[2]

قصة واقعية:

أبٌ كبير في السنِّ .. كان يعاني من آلام تعصره عصراً في المسالك البولية؛ إذ كان يشكو من وجود حصاة سدّت مجرى البول حتى جَعلته يتلوى مــن الألم، ومن جرب عرف، فهذا بشهادة الأطباء من أقسى الآلام التي يشعر بها من ابتلي بها .. حتى إذا اشتد عليه الألم في إحدى الليالي .. طلب من ابنه أن ينقله إلى المستشفى في مدينة الخبر ــ وكانوا يسكنون في منطقة رأس تنورة بالمنطقــة الشــرقية مــن المملكة، أي ما يقارب من 60 كيلومتراً .

1- صحيح : الترمذي(1822) ، وابن ماجه (2080) ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (914).

2- البخاري (2215) ، مسلم (7125) .

قال: فأركبه الابن سيارته ثم انطلق في منتصف الليل .. فلما انتصف الطريق اشتد أنين الأب، فكان يطلب من ابنه أن يعطيه سكيناً؛ كي يشق بها أسفل بطنــه ليخرج البول ليستريح، فما كان من هذا الولد إلاَّ أن وقف سيارته بجانب الطريق، ثم نزل وفتح باب السيارة من جهة أبيه .. ثم كشف عن ثياب أبيه، والأب لا يعلم ماذا يريد أن يفعل به ابنُه ماذا تتوقعون ؟! لقد أخذ الولد (يمصُّ) (ذكرَ) (1) أبيه حتى خَرجتْ تلك الحصاة من الحالب . وخرج معها الدَّم والبول.

فلما رأى الوالد ما صنع به ابنُه رفع يديه إلى السماء: وقال بصوت متهدج باكٍ _ ودموعه تتقافز من عينيه : أسأل الله يا ولدي أن يرزقك رزقاً لا ينقطع! .

قال محدثي: فوالله إن هذا الابن .. من أغنى الناس لدينا اليوم (2) .

نماذج من بر الأنبياء والسلف الصالح:

(1) هذا نبي الله نوح عليه السلام يذكر لنا ربنا عز وجل نموذجاً من بره بوالديــه؛ حيث كان يدعو ويستغفر لهما كما في قوله تعــالى عنــه : (رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ) (نوح:28).

(2) وهذا إمام الموحدين إبراهيم الخليلعليه السلام يخاطب أباه بلطــف شــفَّافٍ، وإشفاقٍ بالغ، وحرص أكيد؛ رغبة في هدايته ونجاته، وخوفــاً مــن غوايتــه وهلاكه فيقول كما أخبر الله عنه (7 8 9 : ; < = > ?

@ A B C D E F G H I J K L M N O P

1- قال الشيخ رواي هذه القصة: أعتذر هنا عن هذا اللفظ، لكنه هو المعبّر هنا عن صميم الواقعــة، وقد رويته بالنص عمن حدثني.

2- انظر القصة في كتاب تهميش الوالدين في حياتنا، تأليف: موسى الزهراني .

^] \ [Z Y XW V U T SR Q

l k j i h g f e d b a ` _

(مريم:41_45). (u t s r q p o n m

لقد خاطب والده بتلك الكلمات المؤثرة، والعبارات المشــفقة، الــتي تصــل إلى الأعماق.

ولولا أنها وجدت قلباً قاسياً عاتياً أغلف أسود لأثرَّت به، وكانت سبباً في هدايته، ونجاته.

(3) وهذا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ضرب أروع أمثلة الــبر في تــاريخ البشرية؛ وذلك عندما قال لــه أبــوه: (يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ) (الصافات:102).

فماذا كان رد ذلك الولد الصالح ؟ هل تباطأ أو تكاسل، أو تردد وتثاقل ؟ لا، بل قال كماأخبر الله تعالى عنه: (قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ â شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ) (الصافات:102).

وقد ورد أن إبراهيمعليه السلام لما تيقن مما رأى في منامه قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية، وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا به في شــعب -ثــبير - أخبره بما أُمِر به، فلما أراد ذبحه قال له: يا أبت اشدد رباطي؛ حتى لا أضــطربَ، واكفف عني ثيابك؛ حتى لا يصيبها الدم فتراه أمي، واشحذ شفرتك، وأســرع في السكين على حلقي؛ ليكون أهون عليّ، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني.

قال إبراهيم: نعم العون أنت يا بني، ثم أقبل عليه وهما يبكيــان، ثم وضــع السكين على حلقه، فلم تَحُزَّ، فشحذها مرتين أو ثلاثاً بالحجر فلم تقطــع، فقــال الابن عند ذلك: يا أبتِ كُبَّني على وجهي؛ فإنك إن نظرت إلى وجهي رحمــتني، وأدركتك رقةٌ تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع، ففعل ذلك إبراهيم عليه السلام ووضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي:

(') ( ) * + ,) (الصافات:104، 105).[1]

(4) وهــذا عيســى ابــن مريــم عليه وعلى أمّه السلام يأتيه الثنــاء العطــر، والتبجيل العظيم من ربه وهو ما يزال في المهد يتكلم بأنه بار بأمه، ويقرن هذا بعبوديته لربه عز وجل قال سبحانه وتعــالى عنــه : (n o p q r s t) (مريم:32).

(5) بر النبي محمد بأمه:

عن أبي هريرة t قال : زار النبي r قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال:" استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت" [2]

بر الصحابة:

1- دروس رمضان للشيخ: محمد الحمد، وانظر تفصيل القصة في خطبة تأملات في الحج وقصــة الذبيح من هذا الكتاب .

2- صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3542) .

وإذا أنعمنا النظر في سيرة السلف الصالح وجدنا صفحات مشرقة تدل على شدة اهتمامهم ببر الوالدين فمن ذلك ما يلي:

(1) عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله r : "دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر، وكان أبر الناس بأمه" [1]

(2) وعن أبي عبد الرحمن الحنفي قال: رأى كهمس بنُ الحسن عقرباً في البيت فأراد أن يقتلها، أو يأخذها، فسبقته، فدخلت في جحر، فأدخل يده في الجحر ليأخذها، فجعلت تضر به، فقيل له: ما أردت إلى هذا ؟

قال: خفت أن تخرج من الجحر، فتجيء إلى أمي، فتلدغَها. [2]

(3) وهذا أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب t وهو المسمى بزين العابدين، وكان من سادات التابعين كان كثير البر بأمه، حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأمك، ولا تأكل معها في صحفة واحدة ، فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما قد سبقت عينها إليه، فأكون قد عققتها[3]

(4) قال هشام بن حسان: حدثتني حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد ابن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصِّبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوباً اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثياباً، وما رأيته رافعاً صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي [4] .

(5) بر أبي هريرة t :

1- صحيح : صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (913) .

2- السير (317/6).

3- عيون الأخبار، باب: القرابات، وانظر: عقوق الوالدين للشيخ الحمد. .

4- السير (619/4).

عن أبي هريرة t قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فــدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله r ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقــال رســول الله r :" اللهم اهد أم أبي هريرة" فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله r ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عــن خمارهــا، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشــهد أن محمــدًا عبده ورسوله قال: فرجعت إلى رسول الله r فأتيته وأنا أبكي من الفرح قــال: قلت: يا رسول الله أبشر؛ قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة ، فحمــد الله وأثنى عليه وقال خيرا. [1]

قال سعيد بن المسيب : وبلغنا أن أبا هريرة t لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها[2].

ومن بره بأمه أيضاً ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح عنه أن النبي r أعطاه تمرتين ، قال أبو هريرة: فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حِجري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة لم رفعت هذه التمرة ؟ فقلت : لأمي ، فقال : كلها فإنا سنعطيك لها تمرتين ، فأكلتها وأعطاني لها تمرتين[3].

وعن أبي مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب: " أنه ركب مــع أبي هريــرة t إلى أرضه بــ (العقيق) فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته:

1- مسلم (2491) .

2- مسلم (3144).

3- تاريخ دمشق لابن عساكر (322/67).

عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه.

تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرا.

فتقول: يا بني ! وأنت فجزاك الله خيراً ورضي عنك كما بررتني كبيرا [1]

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأحبتي في الله .. وأخيراً :

حقوق يقابلها واجبات:

إن للوالدين حقوقاً على الأبناء وإن للأبناء حقوقاً على الوالدين، فهناك من الوالدين من يقع في عقوق ولده قبل أن يعقه ولده .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب t فقال : يا أمير المؤمنين أشكو إليــك عقــوق ولدى ، فقال : ائتنى به ، فجاء الولد إلى عمر t ، فقال عمر: لم تعق أباك ؟ فقال الولد: يا أمير المؤمنين ما هو حقى على والدى ؟ فقال عمر: حقك عليه أن يحسن اختيار أمك، وأن يحسن اختيار اسمك، وأن يعلمك القرآن .

فقال الولد: والله ما فعل أبى شيئاً من ذلك، فالتفت عمر إلى الوالد وقال: انطلــق لقد عققت ولدك قبل أن يعقك.

1- موسوعة نضرة النعيم (779/3).

الخطبة الثالثة عشر : تأملات في الحج وقصة الذبيح

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @) [آل عمران: 102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1

3 4 5 6 7 8 : ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ

ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١) [الأحزاب : 70 - 71]

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **r**، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

مقدمة:

أخي في الله:

هل رأيت لباساً قط أجل من لباس الحجاج والمعتمرين؟!

هل رأيت رؤوساً أعز وأكرم من رؤوس المحلقين والمقصرين؟!

هل مرَّ بك ركب أشرف من ركب الطائفين؟!

هل هزّك نغم أروع من تلبية الملبين، وأنين التائبين، وتأوه الخاشعين، ومناجاة المنكسرين؟!

يا لجلال هذا الموقف الرهيب العصيب!

ويا للروعة والعظمة!

السماء في مهرجان يتنزل فيه الروح والملك سبحانك ربي ما أعظمك وأعدلك، والأرض في عيد تتبرأ من الدماء المسفوكة، والأموال المحرمة والخطى الآثمة، وترحب بالدماء التي أهريقت في سبيل الله وحده.

وهكذا تتجلى روح المساواه والأخوة والوحدة ، فتبدو جلية كالشمس، ناصعة كالبدر ، إنها تدل على الوحدة في كل شيء ، ووحدة المشاعر، ووحدة في الشعائر، ووحدة في الهدف ، ووحدة في العمل، ووحدة في القول، لا إقليمية لا عنصرية لا عصبية للون أو جنس أو طبقة ، إنها مرفوضة في الإسلام ، الناس لآدم، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

لقد قال الله تعالى: (| { ~ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ © ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾) [آل عمران:97]

الحج لغةً واصطلاحاً:

لغةً: بفتح الحاء وكسرها : القصد

اصطلاحاً : - في اصطلاح الشرع: قصد بيت الله الحرام والمشاعر؛ لأداء عبادة مخصوصة في زمن مخصوص بكيفية مخصوصة.

حكم الحج:

الحج فرض عين على كل مكلف مستطيع في العمر مرة واحدة ، وهو ركن من أركان الإسلام، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.

وذلك للآية السابقة، وما ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِي اللَّه عَنْهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :" بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ" (1)

وعَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ r فَقَالَ:"أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا. فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ" (2)

من فضائل الحج:

1- الحج يمحق الذنوب المتقدمة:

حتى لو كانت كبائر؛ وذلك لما ثبت عن أبي هريرة t قال: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" (3)

قلت: بشرط أن لا تكون هذه الكبائر تتعلق بحقوق الآدميين؛ لأن حقوق الله تقوم على المسامحة، وحقوق العباد تقوم على المشاحة .

1- البخاري (7) ، ومسلم (19) .

2- مسلم (8023) .

3- البخاري (1521) ، ومسلم (1350) .

ولما أراد عمرو بن العاص t أن يبايع رسول الله r على الإسلام فقال عمرو: أشترط فقال النبي: "تشترط ماذا ؟" قال: أشترط أن تغفر ذنوبي .فقال النبي r : "أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله"[1]

2- الحج جزاؤه الجنة:

وذلك لما ثبت عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" [2]

3- الحج سبب العتق من النار:

وذلك لما ثبت عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله r قال:"ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة"

4-الحج أفضل الأعمال:

وذلك لما ثبت عن أبي هريرة t أن النبي r سئل: أي الأعمال أفضل؟

فقال: "إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "جهاد في سبيل الله " قيل: ثم أي؟ قال :"حج مبرور" [3]

1- مسلم (121) .

2- البخاري (1773) ، ومسلم (1349) .

3- البخاري (26) ، ومسلم (258) .

لكن ما شروط الحج:

أولا: الإسلام والعقل:

وهذان الشرطان يجب توفرهما في أي عبادة.

ثانياً:الحرية والبلوغ:

فهما شرطان لإجزاء الحج عن الفريضة كذلك، وليسا شرطين للصحة، فلو حج الصبي والعبد صح منهما؛ لحديث المرأة التي رفعت إلى النبي r صبيا فقالت: ألهذا حج ؟قال: "نعم ولك أجر" (1)

ولا يجزئهما عن حجة الإسلام على الراجح؛ لحديث: "من حج ثم عتق فعليه حجة أخرى، ومن حج وهو صغير ثم بلغ فعليه حجة أخرى" (2)

ثالثاً: الاستطاعة: وتحقق الاستطاعة بما يلي:

[1] صحة البدن وسلامته من الأمراض التي تعوقه عن أفعال الحج:

وذلك لحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) : أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الله في ا لحج شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة أفأحجُّ عنه ؟ قال r :"حجي عنه" (3)

[2] ملك ما يكفيه في رحلته وإقامته وعودته فاضلاً عن حاجاته الأصلية من دين ونفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم؛ وذلك لقوله r : "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول"(4)

1- مسلم(2377).

2- صحيح : صححه الشيخ الألباني في الإرواء (4\59) .

3- البخاري (1855) ومسلم (1334) .

4- صحيح : أبو داوود (1676) ، وصححه الألباني في الإرواء (989) .

ويدخل في هذا ملك الزاد والراحلة [1]وقد فُسِّر السبيل في قوله تعـــالى: (مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًا) بالزاد والراحلة كما جاء في تفسير الطبري.

[3] أمن الطريق: وهو يشمل الأمن على النفس والمال وقت خروج الناس للحج؛ لأن الاستطاعة لا تثبت بدونه .

رابعاً: وجود المحرم بالنسبة للمرأة [2]:

فإذا لم تجد المرأة المحرم فلا يجب عليها الحج لأنها غير مستطيعة بالمحرم مـــن السبيل ؛ فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله r يقـــول:"لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم" فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكـــذا فقال: "انطلق فحج مع امرأتك" [3]

1- وهذا يتمثل اليوم في وسائل المواصلات مثل الطائرة أو السيارة العادية أو السفينة والبـــاخرة أو غيرهن .

2- المقصود بالمحرم: الزوج أو من تحرم عليه على التأبيد بنسب (أي قرابـــة) أو بســـبب مبـــاح (وهماالرضاع والمصاهرة)، والذين يحرمون بالنسب سبعة: هم الأب والابن والأخ وابـــن الأخ وابن الأخت والعم والخال، والذين يحرمون بسبب الرضاع هم نفس السبعة لقوله: "يحـــرم مـــن الرضاع ما يحرم من النسب"، والذين يحرمون بسبب المصاهرة أربعة: أبو زوجها (حماها) وابن زوجها، وزوج بنتها (وهؤلاء الثلاثة محارم بمجرد العقد)، والرابع: زوج أمها (ولا يحـــرم إلا بعد الدخول بالأم)

وعلى هذا يجب التنبيه إلى أن أخا الزوج وخاله وعمه ليسوا بمحارم لها، وكذلك زوج الأخت لا يكون محرما لاختها،وكذلك أبناء العم وأبناء الخال ليسو محارم. انظر تمام المنة للعزازي (2| 326).

3- صحيح : أبو داوود (1676) ، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (989) .

ماذا يفعل من نوى الحج ؟

آداب ووصايا قبل السفر (عامة لكل سفر):

1- أن يوصي بما يحتاج إلى الوصية به، وليشهد على وصيته، ويرد الودائع التي عنده أو يوصي غيره بردها إذا حدث له في سفره ما يمنعه من تأدية هذه الودائع إلى أهلها .

2- يرد المظالم إلى أهلها ويتحلل منها؛ لقول النبي r : "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ"[1]

3- يسترضي والديه وشيوخه ومن يُندب إلى بره واستعطافه.

4- يتوب إلى الله ويستغفره من جميع الذنوب والمخالفات، وليطلب من الله تعالى المعونة على سفره.

5- يجتهد في تعلم ما يحتاج إليه في سفره: فإذا كان غازياً تعلم ما يحتاج إليه الغازي من أمور القتال، وإن كان حاجاً أو معتمراً تعلم مناسك الحجّ والعمرة أو استصحب معه كتاباً لذلك، وإن كان تاجراً تعلم ما يحتاج إليه من أمور البيوع ما يصح منها وما يبطل وما يحل وما يحرم... إلى غير ذلك [2]

6- ويستحب للمسافر أن يقول أذكار المقيم، ويزيد عليها الأذكار الخاصة بالسفر .

1- البخاري(2269).

2- الأذكار للنووي(215/1) .

7- وعلى المسافر أن يعلم علم القبلة وعلم أوقات الصلاة؛ لأنه في الحضر يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة، ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت، والمسافر قد يشتبه عليه علم القبلة، وقد يلتبس عليه الوقت، فلا بد من العلم بأدلة القبلة والمواقيت.

8- استحباب التوديع للمسافر:

يستحب للمسافر أن يودع أهله وقرابته وإخوانه ، وكذلك يودعه أهله وأحباؤه.

فعن قزعة قال: قال لي ابن عمر: هلمَّ أودعك كما ودعني رسول الله r : "أستودع الله دينك، وأماناتك، وخواتيم عملك" . [1] .

9- استحباب التأمير في السفر إذا كانوا ثلاثة فأكثر:

نادى الشرع بالاجتماع وعدم التفرق، وحث على ذلك ورغب فيه، فعن أبي سعيد الخدري t أن رسول الله r قال: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم" [2]

ولما كان السفر من الأمور التي يحصل بها الاجتماع والملازمة بين الناس، استحب للقوم المسافرين ــ الذين يبلغون ثلاثة فأكثر ــ أن يؤمروا أحدهم يسوسهم ويأمرهم بما فيه مصلحتهم، وعليهم الطاعة والاتباع ما لم يأمر بمعصية الله، فإن فعلوا ذلك حصل لهم من اجتماع الكلمة، وسلامة الصدور، ما يجعلهم يقضون حاجتهم من سفرهم دون منغصات أو مكدرات تحدث بينهم . وفي حث

---

1 _ صحيح : أبو داوود (2233) والترمذي(3365)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (4795) .

2 _ صحيح : أبو داوود (2241)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1322).

النبي على تأمير الثلاثة في السفر لأحدهم تنبيه منه على الاجتمـــاع الأعظـــم، والله أعلم .

10- كراهية الوحدة في السفر:

وفيه حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي r قال: "لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده"[1]

وفي الحديث فوائد:

منها: أن النبي r لم يخبر أمته بما يعلمه من الآفات التي تحدث من جراء سفر الرجل وحده؛ مبالغة منه في التحذير من التفرد في السفر،

وثانيها: أن النهي يعم الليل والنهار، وخص الليل في الحديث؛ لأن الشرور فيه أكثر والأخطار فيه أكبر.

وثالثها: أن النهي يعم الراكب والراجل، ولعل قوله r : "ما سار راكب بليل" أنـــه خرج مخرج الغالب، وإلا فالراجل في معنى الراكب، والله أعلم.

وفي النهي عن الوحدة في السفر ــ أيضاً ــ حديث عبد الله بن عمرو بـــن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله r : "الراكب شيطان، والراكبـــان شيطانان، والثلاثة ركب" [2]

1- البخاري (2776) .

2- صحيح : أبو داوود (2240) والترمذي (1597) وصححه الشيخ الألباني في صـــحيح الجـــامع (3524).

أخطاء عامة تتعلق بالإحرام وغيره[1]:

أولاً : أخطاء تتعلق بالإحرام:

1ـــ تجاوز الميقات وعدم الإحرام منه، وهذا خطأ يقع فيه كثير من الحجاج، فعلى من تجاوز الميقات و لم يحرم أن يعود إلى الميقات مرة أخرى ليحرم منه أو ذبح فدية بمكة المكرمة وتفريقها على فقراء الحرم، ولا يأكل منها أو يُهدي شيئاً .

2ـــ اعتقاد أن ركعتي الإحرام واجبتان، وهذا غير صحيح فليس هناك دليل على ثبوت ركعتي الإحرام.

3ـــ لبس النساء بعض الثياب التي فيها تشبه بالرجال، وهو أمرٌ منهيٌّ عنه، فالمرأة ليس لها لباس خاص في الإحرام، كما هو الحال عند الرجال، ثم لأن التشبه منهي عنه مطلقاً؛ لما روى البخاري وغيره عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : "لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال"[2] .

4ـــ تعمد البعض الإحرام للحج من المسجد الحرام في اليوم الثامن من ذي الحجة، وهذا غير صحيح فعلى الحاج أن يُحرم من المكان الذي هو فيه بمكة؛ اقتداءً بالنبي r وأصحابه الكرام الذين أحرم بعضهم من الأبطح [3].

5ـــ الاضطباع عند الإحرام ويُقْصَدُ به أن يكشف المحرم الإحرام عن كتفه اليمنى ويبقى كذلك إلى أن يحل من إحرامه، وهذا خطأ شائع عند كثير من

1 _ هذه الأخطاء من كتيب بعنوان"أعمال بدون فاصل الحج" للشيخ: عبد الله بن أحمد العلاف، مكتبة: الطرفين بالسعودية.

2 _ البخاري(5554).

3 _ مسلم (2204).

الحجاج، والصحيح أن كشف الإحرام عن الكتف اليمنى للمحرم (الاضطباع) مشروع في حالة طواف القدوم فقط، فإذا فرغ منه أعاد ردائه إلى حالته قبل الطواف بأن يغطي كتفيه بالإحرام ويُكمل نسكه .

6ـ الرمل في أشواط الطواف كلها، وهذا خطأ ، فالرمل ـ يقصد به إسراع المشي مع مقاربة الخطوات في الطواف ـ لا يكون إلاَّ في الأشواط الثلاثة الأولى منه؛ أما الأشواط الأربعة الباقية فليس فيها رمل، وإنما يسير الطائف فيها سيراً عاديّاً.

7ـ إهمال التلبية بعد الإحرام ، والصحيح أن على المحرم أن يُكثر من التلبية، ويحافظ عليها حتى يرمي الحاج جمرة العقبة يوم النحر.

8ـ اعتقاد البعض أنه لا يجوز له تغيير ملابس الإحرام أو تنظيفها وهذا خطأ؛ حيث إن للحاجّ والمعتمر أن يغير لباس الإحرام وغسله متى دعت الحاجة إلى ذلك .

9ـ ظن البعض أن أي لباس لم يلبسه المُحْرِم عند الإحرام لا يجوز له لبسه بعد ذلك، وهذا خطأ فللحاج أن يلبس ما شاء ما لم يكن مخيطاً كالحذاء، والخاتم، والساعة، والحزام، والنظارة ونحوها .

10ـ لبس القفازين في اليدين، والانتقاب للمرأة المحرمة، وهذا خطأ يقع فيه كثير من النساء، والسُنَّة عدم لبسهما؛ لأن النبي r نهى عن ذلك، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي r قال: "لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين" [1] وهنا تجدر الإشارة إلى أن على المرأة تغطية الوجه عندما تكون

1 _ البخاري (1741).

بحضرة الرجال الأجانب، وعند مخافة الفتنة. (أي : أن تسدل سدلاً خفيفاً على وجهها حتى لا يراها الرجال الأجانب).

11ـ رفع بعض النساء أصواتهن بالتلبية، وهذا مخالف للسُنَّة؛ لحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) : "لا ترفع المرأة صوتها بالتلبية"[1] وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) : "ليس على النساء أن يرفعن أصواتهن بالتلبية" [2].

ثانيًا: أخطاء تتعلق بالطواف:

12ـ البدء بالطواف قبل محاذاة الحجر الأسود، أو بدءاً من على مستوى باب الكعبة، وهذا خطأ وغلو؛ لأن السُنَّة بدء الطواف باستلام الحجر الأسود، إن تمكن المسلم من ذلك أو الاكتفاء بالإشارة إليه .

13ـ عدم الطواف بالبيت كاملاً ، كأن يُطاف بالكعبة وحدها ولا يُطاف بحِجْر إسماعيل معه وهذا خطأ كبير، فالحِجْر جزءٌ من الكعبة ولا يصح الطواف بدونه، ومن وقع في ذلك فعليه الإعادة .

14ـ تقبيل الركن اليماني من الكعبة والسُنَّة مسحه باليد اليمنى إن تيسر ذلك، فإن لم يتيسر فعلى الطائف أن يمضي دون الإشارة إليه .

15ـ المزاحمة والمشاتمة ورفع الصوت وربما إيذاء الغير من أجل تقبيل الحجر الأسود، وهذا أمر مخالف للسُنَّة النبوية وتعاليم الدين؛ فقد صح عنه r قوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[1].

---

1 ـ ضعيف : مصنف ابن أبي شيبة (17701) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (652).

2 ـ صحيح : السنن الصغرى للبيهقي (1194)، وجاء في صحيح الترغيب والترهيب (1135) قوله r " أتاني جبريل فقال: مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية"

16ـــ التمسح بالحجر الأسود أو التبرك به، أو التمسح بحيطان وأركان الكعبة أو كسوتها أو بالمقام ونحوها. وهذا مخالف لسُنة النبي r الذي لم يصح عنه أنـــه مسح سوى الركن اليماني باليد اليمنى، والحجر الأسود من الكعبة.

17ـــ تخصيص كل شوط من أشواط الطواف أو السعي بدعاءٍ معين، والاعتمـــاد على ما يتداوله بعض الحجاج والمعتمرين من كتيبات وأدعية لم يُنزل الله بهـــا من سلطان، ولم تثبت عن الرسول r ، والصحيح أن على الحاج أو المعتمر الاشتغال في طوافه وسعيه بذكر الله سبحانه ، وتلاوة القرآن الكريم، والدعاء لنفسه وللمسلمين، فلم يثبت عن النبي r أنه خصص دعاءً لكل شـــوط أو نحو ذلك سوى ما روي عن عبد الله بن السائب t أنه قال : سمعت رسول الله r يقول بين الركن اليماني والحجـــر الأســـود: (رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ´ ¶ µ ¸ ﴿٢٠١﴾)[2]

18ـــ ترديد الأدعية الجماعية خلف من يدعو بشكل مزعج، وأصوات مرتفعـــة، تُذهب الخشوع، وتشوش على الطائفين إضافة إلى أن في ذلك مخالفة للسنة ، فالمشروع أن يدعو كل شخص لنفسه ولمن شاء بدون رفع صوته.

19- الوقوف عند الخط المحاذي للحجر الأسود والتكبير ثلاثاً، وهذا خطأ شـــائع ومدعاة لحدوث الزحام، وتعطيل الطواف، والصحيح أن على الطـــائف أن يُكبِّر مرة واحدة وهو سائر بدون وقوف أو تعطيل للآخرين .

---

1 _ البخاري (6129) ، مسلم (83).

2 _ صحيح : أحمد (15127) ، وغيره ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (1653).

20ـــ الإصرار على أداء ركعتين خلف مقام إبراهيم مع الإطالة في القراءة والركـــوع والسجود، وهذا مخالف للسنَّة فقد كان يخفف هاتين الركعتين، ثم إن العلماء قد أفتوا بجواز أداء هاتين الركعتين في أي مكان من الحرم إذا كان الزحام شديداً .

ثالثًا: أخطاء تتعلق بالسعي:

21ـــ تلاوة قوله تعالى: (U V W X Y Z | \ ] ^ _ ` a b c d e f ¦ h i j k l m n o) [البقـــرة]، في كل شوط من أشواط السعي، وهذا غير صحيح؛ لأن الصواب قراءهّا مـــرة واحدة عند الاقتراب من الصفا في بداية السعي فقط، وبعد تمام الطواف ولا تُقرأ عند المروة .

22ـــ الاستمرار في السعي عند إقامة الصلاة؛ وهذا خطأ، فالواجب علـــى مـــن أدركته الصلاة وهو في السعي أن يقطع سعيه، ويؤدي الفريضة حتى لا تفوته صلاة الجماعة، ثم يكمل السعي من حيث قطع الشوط .

23ـــ اعتقاد أن الوضوء لازم للسعي بين الصفا والمروة، وهذا أمر غير صحيح، فلا يلزم للسعي الطهارة، وإن كان الساعي على طهارة كان ذلك أحسن إلاَّ أنه غير لازم .

24ـــ اعتقاد البعض بضرورة مواصلة السعي بعد الطواف مباشرة وهـــذا خطـــأ، والصحيح أن للمسلم الراحة بينها، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

25ـــ الركض الشديد بين الصفا والمروة وهذا خطأ، والصحيح أن يكون الســـير بين الصفا والمروة عادياً، إلاّ ما بين العلمين الأخضرين ، فالأفضـــل الســـعي الشديد بينهما للرجال فقط دون النساء ؛ لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما)

قال: "ليس على النساء سعي بالبيت - أي الرَّمل - ولا بين الصفا والمروة"[1].

26ـ رفع الصوت بالدعاء أو ترديد الدعاء الجماعي بشكل يشوش على الآخرين، ويقطع خشوعهم وهذا خطأ ، فإن من آداب الدعاء المناجاة والخشية والخشوع والانكسار لا الصراخ والصياح والإزعاج.

رابعًا: أخطاء تتعلق بالحلق والتقصير:

27ـ الاكتفاء بقص بعض الشعرات من أطراف ووسط الرأس، وهذا لا يكفي ولا يحصل به التحلل من الإحرام، والصحيح أن يُقَصِّر من جميع شعر الرأس حتى يكون ذلك مجزئاً، والأفضل الحلق لجميع شعر الرأس؛ لأن النبي r دعا للمحلِّقين ثلاثاً وللمقصرين مرة واحدة .

28ـ حلق اللحى عند حلق شعر الرأس وهذا خطأ كبير، ومخالفة صريحة لهدي النبي r الذي أمر بإعفاء اللحى وعدم حلقها.

29ـ المكوث بمكة بعد طواف الوداع لفترة زمنية طويلة، وهذا مخالف لأمر رسول الله r مع مراعاة أنه لا بأس - كما قال أهل العلم - بالإقامة اليسيرة؛ لأداء الصلاة أو انتظار الرفقة أو إصلاح عطل في السيارة أو شراء ما لابد منه، ولكن إذا طال المقام فإن الأحوط إعادة طواف الوداع .

30ـ اعتقاد البعض من الحجاج والمعتمرين أنه لا يجوز للمحرم تغطية الرأس مثلاً بغير ملاصق ، مثل الشمسية وسقف السيارة ونحو ذلك، وهذا خطأ؛ لأن

1- صحيح : سنن الدارقطني (2422)، والركض والرمل: المشي السريع.

المنهي عنه تغطية المحرم لرأسه بشيء ملاصق كالعمامة ونحوها مما يُغطى بـــه الرأس في العادة .

خامساً: أخطاء تتعلق بالزيارة:

31ـــ اعتقاد أن الحج لا يتم إلاَّ بزيارة قبر النبي r في المسجد النبوي بالمدينـــة، وهذا خطأ شائع ، فليست زيارة قبر النبي r من أركان الحج ولا من واجباته وسننه .

32ـــ القول إذا وقع بصره على حيطان المدينة: اللهم هذا حرم رسولك، فاجعلـــه لي وقاية من النار، وأماناً من العذاب وسوء الحساب.

33ـــ قصد استقبال القبر أثناء الدعاء، بل عليه أن يستقبل القلبة فهذا مـــن أدب الدعاء .

34ـــ قصد القبر للدعاء عنده رجاء الإجابة.

35ـــ التوسل به r إلى الله في الدعاء، و طلب الشفاعة وغيرها منه ، ولكن يجوز أن يدعو فيقول: أتوسل إليك بحبي لرسولك أو باتباعي لرسولك، فهذا توسل بالعمل الصالح كما بينا ذلك في خطبة الدعاء من هذا الكتاب .

36ـــ قصد القبر النبوي للسلام عليه دبر كل صلاة.

37- الخروج من المسجد النبوي القهقري – أي : إلى الوراء - عند الوداع .

ما أوصاف الحج المبرور؟

الأول: أن تكون النفقة من مال حلال، قال النبي r : "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ... " [1].

قلت: فلا يقترض مالًا ليحج، أو يأخذ أموال الناس بالباطل ويحج بها، أو يظلم أخته في الميراث أو ...

وذلك لأن حقوق العبادة تقوم على المشاحة وعدم المسامحة.

الثاني: إخلاص العمل لله تعالى ومتابعة الرسول r ؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه وموافقاً لهدي نبيه r ؛ قال تعالى: (âكَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ î ï) [الكهف 110]

قال ابن كثير: (âكَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ) أي: ثوابه وجزاءه الصالح، (ç è é)، ما كان موافقًا لشرع الله، (ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ î) وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل ، لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا [2].

الثالث: البعد عن المعاصي والآثام، والبدع والمخالفات .

الرابع: حسن الخلق، ولين الجانب، والتواضع في مركبه ومنزله ، وفي تعامله مع الآخرين، وفي جميع أحواله، كما كان عليه النبي r في حجته .

---

1 _ مسلم (1686).

2 _ تفسير ابن كثير (205/5).

قال ابن عبد البر - رحمه الله : الحج المبرور هو الذي لا رياء فيه ولا سمعة، ولا رفث ولا فسوق، ويكون بمال حلال ...)[1].

الخامس: أن يرجع من حجه أفضل مما كان قبل الحج .

السادس: التحلل من المظالم: كما تقدم ذلك في الكلام عن آداب السفر .

مسألة: رجل حج بمال حرام هل حجه جائز ؟

أجابت على هذا السؤال اللجنة الدائمة فقالت: كون الحج من مال حرام لا يمنع من صحة الحج، مع الإثم بالنسبة لكسب الحرام، وأنه ينقص أجر الحج، ولا يبطله[2].

فضل أيام عشر ذي الحجة والأعمال الواردة فيها ويوم عرفة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ،،

فضل عشر ذي الحجة :

روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي r قال : " ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء " وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي r قال : " ما من أيام أعظم ولا أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد " ورى ابن

1 _ التمهيد لابن عبد البر(39/22)، دار قرطبة.

2 _ انظر الفتوى رقم (13619) من فتاوى اللجنة الدائمة .

حبـــان رحمه الله في صحيحه عن جابر t عن النبي r قال : " أفضل الأيام يوم عرفة "

أنواع العمل في هذه العشر :

الأول : أداء الحج والعمرة وهو أفضل ما يعمل ويدل على فضله عدة أحاديث منها قوله r : " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " .[1]

الثاني : صيام هذه الأيام أو ما تيسر منها وبالأخص يوم عرفة. ولا شك أن الصيام من أفضل الأعمال وهو ما اصطفاه الله لنفسه كما في الحديث القدسي : (الصـــوم لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي). وعن أبي سعيد الخدري t قال ، قال رسول الله r : " ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً "[2]

الثالث : التكبير والذكر في هذه الأيام :] i j k l m n

Z [الحج: ٢٨] وقد فسرت بأنها أيام العشر ، واستحب العلماء لذلك كثـــرة الذكر فيها لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) عن أحمد رحمـــه الله وفيـــه (فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير) وذكر البخاري رحمه الله عن ابن عمر وعن أبي هريرة (رضي الله عنهم) : أنهما كانـــا يخرجـــان إلى الســـوق في العشر. فيكبرون ويكبر الناس بتكبيرهما. وروى إسحاق رحمه الله عن فقهاء التابعين رحمة الله عليهم أنهم كانوا يقولون أيام العشر : الله أكبر الله أكبر لا

1- البخاري (1773) ، ومسلم (1349).

2- البخاري (2840) ، ومسلم (1153).

إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. ويستحب رفع الصوت بالتكبير في الأسواق والدور والطرق والمساجد وغيرها لقوله تعالى :] وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ ´ µ ¶ ۥ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ Z [البقرة: ١٨٥] ، ولا يجوز التكبير الجماعي وهو الذي يجتمع فيه جماعة على التلفظ بصوت واحد ، حيث لم ينقل ذلك عن السلف وإنما السنة أن يكبر كل واحد بمفرده ، وهذا في جميع الأذكار والأدعية إلا أن يكون جاهلاً فله أن يلقن من غيره حتى يتعلم ، ويجوز الذكر بما تيسر من أنواع التكبير والتحميد والتسبيح ، وسائر الأدعية المشروعة .

الرابع : التوبة والإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب ، حتى يترتب على الأعمال المغفرة والرحمة فالمعاصي سبب البعد والطرد ، والطاعات أسباب القرب والود ، وفي الحديث عن أبي هريرة t أن النبي r قال : " إن الله يغار وغيرةُ الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه " (1)

الخامس : كثرة الأعمال الصالحة من نوافل العبادات كالصلاة والصدقة والجهاد والقراءة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك فإنها من الأعمال التي تضاعف في هذه الأيام فالعمل فيها وإن كان مفضولاً فإنه أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيرها وإن كان فاضلاً حتى الجهاد الذي هو من أفضل الأعمال إلا من عقر جواده وأهريق دمه.

السادس : يشرع في هذه الأيام التكبير المطلق في جميع الأوقات من ليلٍ أو نهار إلى صلاة العيد ويشرع التكبير المقيد وهو الذي يكون بعد الصلوات المكتوبة

1- البخاري (4929) ، مسلم (5066).

التي تصلي في جماعة ، ويبدأ لغير الحجاج من فجر يوم عرفة ، وللحجاج من ظهر يوم النحر ، ويستمر إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق .

السابع : تشرع الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق ، وهو سنة أبينا إبراهيم r حين فدى الله ولده بذبح عظيم : وقد ثبت أن النبي r (ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما) [1].

الثامن : روى مسلم رحمه الله وغيره عن أم سلمة (رضي الله عنها) أن النبي r قال: " إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظافره " وفي رواية " فلا يأخذ من شعره ولا من أظافره حتى يضحي " ولعل ذلك تشبهاً بمن يسوق الهدي فقد قال تعالى :] وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ´ µ Z [البقرة: ١٩٦] هذا النهي ظاهرة أنه يخص صاحب الأضحية ولا يعم الزوجة ولا الأولاد إلا إذا كان لأحدهم أضحية تخصه. ولا بأس بغسل الرأس ودلكه ولو سقط منه شيء من الشعر.

التاسع : على المسلم الحرص على أداء صلاة العيد حيث تصلى ، وحضور الخطبة والاستفادة منها وعليه معرفة الحكمة من شرعية هذا العيد ، وإنها يوم شكر وعمل وبر ، فلا يجعله يوم شر وبطر ولا يجعله موسم معصية وتوسع في المحرمات كالأغاني والملاهي والمسكرات ونحوها مما قد يكون سبباً لحبوط الأعمال الصالحة التي عملها في أيام العشر.

العاشر : بعد ما مر بنا ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يستغل هذه الأيام في طاعة الله وذكره وشكره والقيام بالواجبات والابتعاد عن المنهيات واستغلال هذه

1- البخاري (5245) ، مسلم (3729).

المواسم والتعرض لنفحات الله ليحوز على رضا مولاه والله الموفق والهـادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

بعض أحكام الأضحية ومشروعيتها :

شرع الله الأضحية بقوله تعالى] Z [\ ] Z [الكوثر:٢] وهي سنة مؤكدة ويكره تركها مع القدرة عليها ولا تكون إلا من الإبل والبقر والغـنم لقول الله تعالى] R S T U V W X Y Z Z [الحج: ٣٤]

ومن شروط الأضحية السلامة من العيوب. قال رسول r : " أربعـة لا تجزئ في الأضاحي العوراء البين عورها والمريضة البيِّنُ مرضها والعرجـاء الـبين ضلعها. والعجفاء التي لا تنقى "[1].

لا تنقى :أي الهزيلة والضعيفة والنحيلة التي لا لحم فيها .

وقت الذبح :

بداية وقت الذبح بعد صلاة العيد لقول الرسول r : " من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ، ومن ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه وأصاب السنة "[2]. ومن لم يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده ويقول : بسم الله والله أكبر اللهم هذا عن فلان (ويسمي نفسه أو من أوصاه) فإن رسول الله r ذبح كبشاً وقال " بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عني وعن من لم يضح من أمتي "[3] ومن كـان لا يحسن الذبح فليشهده ويحضره.

1- صحيح : الترمذي ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (886).

2- البخاري (5233) ، مسلم (3718).

3- صحيح : الحاكم في مستدركه (7615) ، وصححه الشيخ الألباني في العقيدة الطحاوية (648) ، وقال : صحيح لذاته.

توزيع الأضحية :

يسن للمضحى أن يأكل من أضحيته ويهدي الأقارب والجيران ويتصـــدق منها على الفقراء قـــال تعـــالى :] © مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ Z [الحج: ٣٦] وكان بعض السلف يحب أن يجعلها أثلاثاً : فيجعل ثلثاً لنفسه وثلثاً هدية ، وثلثـــاً صدقة للفقراء ، ولا يعطي الجزار من لحمها شيئاً كأجر.

ما يجتنبه من أراد الأضحية :

من أراد أحد أن يضحي ودخل شهر ذي الحجة فإنه يحرم عليه أن يأخـــذ شيئاً من شعره أو أظفاره أو جلدة حتى يذبح أضحيته لحديث أم سلمة (رضي الله عنها) أن النبي r قال : " إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفارهم ". ويجوز لأهل المضحي أن يأخذوا في أيام العشر من شـــعورهم وأظفارهم وأبشارهم.

أحكام عيد الأضحى المبارك :

العيد من خصائص هذه الأمة ومن أعلام الدين الظاهرة وهو من شعائر الإســـلام فعليك بالعناية بها وتعظيمها.] 8 9 : ; < = > ? @ A Z [الحج: ٣٢] ، وإليك وقفات سريعة موجزة مع آداب وأحكام العيد.

التكبير : يشرع التكبير من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق وهو الثالث عشر من شهر ذي الحجة قـــال تعـــالى :] " # $ % & ' Z [البقرة: ٢٠٣] وصفته أن يقول : (الله أكبر ، الله أكبر لا إله إلا الله والله أكـــبر ، الله

أكبر ولله الحمد) ويسن جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت وأدبار الصلوات إعلاناً بتعظيم الله وإظهاراً لعبادته وشكره.

ذبح الأضحية : ويكون ذلك بعد صلاة العيد لقول رسول الله r : " من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى ، ومن لم يذبح فليذبح " [1] ووقت الذبح أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام التشريق ، لما ثبت عن النبي r أنه قال : " كل أيام التشريق ذبح " [2]

الاغتسال والتطيب للرجال : ولبس أحسن الثياب بدون إسراف ولا إسبال ولا حلق لحية فهذا حرام ، أما المرأة فيشرع لها الخروج إلى مصلى العيد بدون تبرج ولا تطيب وأربأ بالمسلمة أن تذهب لطاعة الله والصلاة وهي متلبسة بمعصية الله من تبرج وسفور وتطيب أمام الرجال.

الأكل من الأضحية : كان رسول الله r لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته.

الذهاب إلى مصلى العيد ماشياً إن تيسر : والسنة الصلاة في مصلى العيد إلا إذا كان هناك عذر من مطر مثلاً فيصلي في المسجد لفعل الرسول r .

والصلاة مع المسلمين واستحباب حضور الخطبة : والذي رجحه المحققون من العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية أن صلاة العيد واجبة لقوله تعالى :] Z
] \ [Z [الكوثر: ٢] . ولا تسقط بعذر شرعي والنساء يشهدن العيد مع المسلمين حتى الحيض والعواتق ويعتزل الحيض المصلى.

1- البخاري (925) ، مسلم (3715).

2- صحيح : صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (2476).

مخالفة الطريق : يستحب لك أن تذهب إلى مصلى العيد من طريق وترجع من طريق آخر لفعل النبي r ، التهنئة بالعيد : لا بأس مثل قول : تقبل الله منا ومنكم.

وختاماً : لا تنس أخي المسلم أن تحرص على أعمال البر والخير من صلة الرحم وزيارة الأقارب وترك التباغض والحسد والكراهية وتطهير القلب منها والعطف على المساكين والفقراء والأيتام ومساعدتهم وإدخال السرور عليهم.

نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يفقهنا في ديننا وأن يجعلنا ممن يسارع إلى عمل الصالحات وفعل الخيرات وأن يجعل أعمالنا صواباً خالصة لوجه الكريم.

فضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي:

جاء في الصحيحين أنه r قال: "لا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى "[1]

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة t أنه r قال: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" [2]

وعَنْ جَابِرٍ t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ:"صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ " [3]

1 _ البخاري (1115) ومسلم (2383) .

2 _ البخاري (1116) ومسلم (2469) .

3 _ صحيح : ابن ماجه (1396) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (3838) .

ما معنى (لا تشد الرحال) ؟

قال ابن حجر (رحمه الله) : والمراد النهي عن السفر إلى غيرها، قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع؛ لاختصاصها بما اختصت به. [1]

قلت: أي اختصت بزيادة أجر الصلاة فيه، فلا يجوز لنا أن نشد الرحال إلى مسجد الحسين أو مسجد البدوي أو .....

فضلاً عن كون هذه المساجد مقبورة، وقد نهى النبي r عن الصلاة في المساجد التي فيها قبور.

فقد صح أَنَّ عَائِشَةَ وَعَبْدَاللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهم) قَالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ r طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَال وَهُوَ كَذَلِكَ:" لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا" [2]

زيارة بعض الأماكن المقدسة:

(1) الصلاة في مسجد قباء:

قال النبي r : "صلاة في مسجد قباء كعمرة ". [3]

---

1 _ فتح الباري(3/64) .

2 _ البخاري (417) ، مسلم(823)، وعليك أخي الخطيب أن تتخذ هذه الفرصة وتنوه إلى الشرك وتحذر منه أشد التحذير.

3 _ صحيح : ابن ماجه (1411) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(3872).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

قصة الذبيح:

أخرج البخاري في صحيحه من حديث سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ " رضي الله عنهما ":

أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا؛ لَتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَــاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْــرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَــهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ: إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُــمَّ دَعَــا بِهَــؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:] S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m Z [إبراهيم: ٣٧]

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَــوَّى أَوْ قَــالَ: يَتَلَــبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ

عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ،

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ r : فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ،

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) : قَالَ النَّبِيُّ r : يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ؛ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِيه هَذَا الْغُلامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ

وكانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا.

قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ فَقَالَتْ: نَعَمْ وَلَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ " رضي الله عنهما ": قَالَ النَّبِيُّ r : فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ فَنَزَلُوا، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ

فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِـــنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ"[1]

وابتلي الخليل بأن يذبح ولده فلذة كبده، الذي رزق به على رأس ســـت وثمانين سنة من عمره، والذي كان يرجوه من الله، وكان ذلك بعد أن بلغ ســـن الشباب، وهو السن الذي يقطف فيه الوالد ثمرة ولده كما في سورة الصافات قال تعالى حكاية عنـــه: (رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ â شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ç ! " # $ % & ' (

8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . . , + *)

9 : ; < = > ? @ A) [الصافات 100- 110]

وفي هذا يقول أحد الشعراء:

فاضـــت بالعبـــرة عيناه وأظمـــاه الحلم وأشقـــاه

شيـــخ تتمزق مهجتـــه تتنـــدى بالدمع لحـــــاه

ينتـــزع الخطوة مهموماً والكـــون يناشد مســـراه

وغـــلام جاء على كبر يتعقـــب في السير أبـــاه

والحيـــرة تثقل كاهله وتبعثـــر في الدرب خطاه

ويهـــم الشيخ لغايتـــه ويشـــد الإبن بيمنـــــاه

بلغا فـــي السعي نهايته والشيخ بكابـــد بلـــواه

1 _ البخاري (3346) .

لكـــــن الرؤيــا لنبيٍ صدق وقراريرضـــــاه
والمشهـــد يبلغ ذروته وأشـــد الأمر وأقســاه
إذ تمرق كلمات عدلا ويقص الوالد رؤيـــــاه
وأمرت بذبحك يا ولدي فانظر فـــي الأمر وعقباه
أرأيتم قلبـــاً أبويـــــا يتقبل أمراً يأبـــــــاه
أرأيتم ابناً يتلقـــــــى أمـــراً بالذبح ويرضـــــاه
ويجيب الابن بـــلافزعٍ افعـــل مـــا تؤمـــر أبتـــاه
لن أعصي لإلهي أمـــراً من يعصي يوماً مــــولاه
واستل الوالد سكينـــاً واستسلم إبن لـــــــرداه
ألقـــاه برفـــق لجبيـــن كي لا تتلقى عينـــــــاه
وتهز الكون ضـــراعات ودعـــاء يقبلـــه اللـــــه
ويقـــول الحـــق ورحمته سبقـــت في فضل عطاياه
صدقت الرؤيا لا تحزن يــــا إبراهيـــم فدينـــاه

ويستفاد من هذه القصة: أن المؤمن الحق لا يدخر وسعاً في طاعة الله وطلب مرضاته، حتى لو كان يترتب على ذلك الجود بالنفس والولد؛ لعلمه أن نفسه وولده ملك لله، ولله ما أعطى وله ما أخذ، وأنه من لوازم الإيمان أن يؤثر المؤمن حب الله على حب من سواه بحيث لا يكون في قلبه ما يشغله عن ذكره ويعوقه عن طاعته.

فها هو الخليل يبرهن على صدق يقينه وسلامة قلبه وتفريغــه مــن جميـــع الشواغل، فيقبل على ذبح ولده بطمأنينة ، وسكينة ، وطيب نفس.

وكذلك ولده إسماعيل لم يكن بالمعوق لأبيه عن تنفيذ أمر ربه، بل كان نعم العون له، ونعم البار به، ونعم المستجيب لأمر ربه ، الراضي بقضائه، والصابر على بلائه.

ومن هذه القصة: نعلم أن الله أرحم على الولد من أبيه، بل هو أرحم به من نفسه، وأنه جل شأنه لا يحب لعباده إلا الخير، ولا يريد أن يكلفهم ما لا طاقة لهم به.

وإذا اختبرهم بشيء فإنما يريد أن يمحض قلوبهم له سبحانه ؛ لكي لا تكون مشغولة بغيره غيرةً منه جل شأنه على الصفوة من عباده .

فقد ابتلى خليله إبراهيم غيرة عليه من ابنه الذي بلغ السعي وقرت به عينه، وكاد يشغل به بعض الشيء عما اختاره الله له ، وهي الخلة كما قال تعالى: (l n o p q r) (النساء) فأمره بذبحه؛ ليترع منه ما قد يحمله – ولو للحظة – على التقصير في واجب هذه المرتبة العظيمة، فلما كان لله ما أراد لم يكن هناك داع للذبح، فسلب من السكين قوة التأثير، وفعل ما يستحق منه التعظيم والتكريم، وجعل قصته مثلاً للآخرين وعظة للمتقين .

الخطبة الرابعة عشر : قيــــام الليــــل

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @) [آل عمران: 102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2

3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَـــرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله :

إن قيام الليل له لذة ، وفيه حلاوة وسعادة لا يشعر بها إلا من صَفَّ قدميه لله عز وجل ، في ظلمات الليل ، يعبد ربه ، ويشكو ذنبــه ، ويناــجي مــولاه ، ويطلب جنته ، ويرجو رحمته ، ويخاف عذابه ، ويستعيذ من ناره.

فهو مطلب يستحق المنافسة ، وهو أفق يستحق السباق ، وهو غاية تستحق الغلاب ، قال تعــالى] وَفِي ´ µ ¶ ¸ Z [المطففين: ٢٦] فالــذين

يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر وجل وارتفـــع وعظـــم ، إنمـــا يتنافسون في حقير قليل فانٍ قريب ، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ، ولكن الآخرة ثقيلة في الميزان ، فهي إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة.

قال تعالى عن القائمين بالليـــل: (d e f g h i

j k l m n o p q r s t u v w x y z

{ | }) [السجدة:16، 17]

قال ابن كثير- رحمه الله: تتجافى جنوبهم أي: بقيام الليل

قال بعض السلف: أخفوا لله العمل فأخفى الله لهم الجزاء، فلو قدموا عليه لأقر لهم تلك الأعين عنده [1].

وقال تعالى عنهم: (\ ] ^ _ ` a b c d e f)

[الذاريات:17،18]

قال ابن زيد عن السحر: هو السدس الأخير من الليل .

قال أبو السعود: إن هؤلاء القوم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون علــى الاستغفار في الأسحار، كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم.[2]

ولله رد القائل :

امنع جفونك أن تذوق منامـا ... واذر الدموع على الخدود سجامـا

واعلم بأنك ميت ومحاسـب ... يا من على سخط الجليل أقامـا

لله قوم أخلصوا في حبــــه ... فرضي بهم وا ختصهم خدَّامـا

قوم إذا جن الظلام عليهـــم ... باتوا هنالك سجداً وقيامـا

خمص البطون من التعفـف ... ضمرا لا يعرفون سوى الحلال طعاما

1- شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب الحنبلي صـــ:100، دار ابن رجب.

2- تفسير أبي السعود (138/8)، دار إحياء الترث ببروت.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما) : من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجداً وقائماً.

وقال الكلبي: من أقام ركعتين بعد المغرب وأربعاً بعد العشاء فقـــد بـــات ساجداً وقائماً. (1)

وقال تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا ´ µ) [الفرقان:64]

فهؤلاء القوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتـــع ، مشغولون بالتوجه إلى ربهم وتعليق أرواحهم وجوارحهم به ، ينام النـــاس وهـــم قائمون ساجدون ويخلد الناس إلى الأرض وهو يتطلعون إلى عـــرش الـــرحمن ذي الجلال والإكرام ، وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم وتعلقهم تمتلـــئ قلـــوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم يقولـــون] رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ Z [الفرقان: ٦٥] ، وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها ، وتمثلوا صورها مما جاءهم في القرآن الكريم ، وعلى لسان الرسول الأمين r ، فهذا الخوف النبيل ، إنما هو ثمرة الإيمان العميق ، وثمرة التصديق ، وهم يتوجهـــون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

1 - انظر الأثرين في تفسير القرطبي (12/ 72)

الأحاديث الواردة في قيام الليل :

عَنْ أَبِي هريرة t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُــلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْــتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ" (1)

وعَنْ أَبِي هريرة t أَنَّ رَسُولَ اللَّه r قَالَ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُــدْ، فَــإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ"(2)

وعَنْ عَبْدِاللَّهِ t قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ r رَجُلٌ فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًــا حَتَّــى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ فَقَالَ: "بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ"(3)

عَنْ جَابِرٍ t قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ r يَقُولُ: "إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لا يُوَافِقُهَــا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَــا وَالآخِــرَةِ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَــةٍ "(4)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ t قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّه r الْمَدِينَةَ انْجَفَــلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ r فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ

1 - البخاري (1077) ، ومسلم (1261)، وأهل السنة يثبتون صفة النزول لله تعالى على الوجــه اللائق به سبحانه، فنزوله ليس كنزولنا فليس كمثله شيء ،وقد أفرد الإمام الدارقطني كتاباً لإثبات صفة النزول.

2 - البخاري(1074) ، ومسلم (1295) ، ومعنى يعقد: يربط.

3 - البخاري (3030) ، ومسلم (1293)، وعبد الله هنا هو ابن مسعود، فإذا قيل: عبــد الله ولــم يحدد فالمقصود ابن مسعود.

4 - مسلم (1259) .

رَسُولِ اللَّهِ r عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِــهِ أَنْ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّــاسُ نِيَــامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ" (1)

وعَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْــرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ(2) فِي وَجْهِــهِ الْمَاءَ "(3)

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) : عن رسول الله r قال: "إن في الجنة غرفاً، يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرهـــا" فقـــال أبـــو مالـــك الأشعري: لمن يا رسول الله ؟ قال: "لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، و بات قائما و الناس نيام " (4)

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ t يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ r قَالَ:"مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ، وَهُوَ يَنْــوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ "(5)

---

1 - صحيح: الترمذي (2409) وابن ماجه (3242)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحه (569).

2 - ينبغي هنا أن تعلم المرأة أن زوجها يريد القيام، فقد يكون زوجها جاهلاً أو فاجراً فتطبق معــه هذا الحديث فينتج ضرراً كبيراً.

3 - صحيح : النسائي (1592) وأبو داود (1113)، وصححه الشيخ الألباني في صـــحيح الجـــامع (3494).

4 - صحيح : الحاكم في مستدركه (270) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، والبيهقـــي في شعب الإيمان (3090)، وابن حبان (509) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

5 - صحيح : ابن ماجه (1334)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(5941)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هريرة (رضي الله عنهما) قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّــهِ r : "إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِي الـــذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ" [1]

وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِي اللَّه عَنْهَا) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ r كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْـــلِ حَتَّـــى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَـــدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا، فَلَمَّا كَثُــرَ لَحْمُـــهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ" [2]

وعن أبي أمامة الباهلي t عن رسول الله r قال: "عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم" [3]

وعن سهل بن سعد t قال: جاء جبريل إلى النبي r فقال: "يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شـــئت فإنـــك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس" [4]

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله r : "أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل" [5]

وعن أبي الدرداء t عن النبي r قال: "ثلاثة يحبهم الله ويضحك [6] إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يقتل

---

1 - صحيح : أبو داوود (1114)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(333).

2 - البخاري (4459) ومسلم (5044) .

3 - صحيح : صححه الشبخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (624) .

4 - صحيح : الطبراني في الأوسط، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب (627).

5 - صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (628) .

6 - ونحن أهل السنة نثبت صفة الضحك لله وكذلك صفة العجب على الوجه اللائق به سبحانه.

وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ؟

والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليـــل فيقـــول: يـــذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء " (1)

وعن سمرة بن جندب t قال: كان رسول الله r يقول لنـــا: "لـــيس في الدنيا حسد إلا في اثنتين: الرجل يغبط الرجل أن يعطيه الله المال الكثير فينفق منـــه فيكثر النفقة يقول الآخر: لو كان لي مال لأنفقت مثل ما ينفق هذا وأحسن فهـــو يحسده، ورجل يقرأ القرآن فيقوم الليل وعنده رجل إلى جنبه لا يعلم القران فهـــو يحسده على قيامه وعلى ما علمه الله عز وجل من القرآن فيقول لو علمني الله مثـــل هذا لقمت مثل ما يقوم" (2)

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ:"لا حَسَـــدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ" (3)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِـــبَ مِـــنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ" (1)

---

1 - صحيح : حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (629) .
2 - صحيح : قال الشيخ الألباني: حسن لغيره ، انظر الحديث الذي بعد السابق في صحيح الترغيب.
3 - البخاري (1320) ، مسلم (1350).

واعلم أخي أن هذا غيض من فيض، وإلا فالأحاديث في ذلك كـــثيرة لا تحصيها هذه الوريقات .

نماذج من قيام الصحابة وغيرهم [2]:

أولاً :قيام الصحابة :

قيام أبي بكر الصديق t :

عَنْ أَبِى قَتَادَةَ t : أَنَّ النَّبِي r خَرَجَ لَيْلَةً فَإِذَا هُوَ بِأَبِى بَكْرٍ - t - يُصَـــلِّى يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ - قَالَ: وَمَرَّ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ يُصَلِّى رَافِعًا صَوْتَهُ قَالَ: فَلَمَّـــا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِىِّ - r - قَالَ النَّبِىُّ - r - : « يَا أَبَا بَكْرٍ مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْـــتَ تُصَـــلِّى تَخْفِضُ صَوْتَكَ ». قَالَ : قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَقَـــالَ لِعُمَـــرَ: «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّى رَافِعًا صَوْتَكَ ». قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُوقِظُ الْوَسْـــنَانَ وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ. زَادَ الْحَسَنُ فِى حَدِيثِهِ : فَقَالَ النَّبِىُّ - r - : « يَا أَبَا بَكْرٍ ارْفَعْ مِـــنْ صَوْتِكَ شَيْئًا ». وَقَالَ لِعُمَرَ : « اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا »[3].

فكيف يدرك حال وعبادة صديق يقول : قد أسمعت من ناجيت ؟!

قيام الفاروق عمر t :

هذا هو عمر بن الخطاب فاروق الأمة الذي زلزل عروش الظـــالمين، ودقَّ قلاع الجبارين، فهوت عناكب الظلم أمام رايات عدله الخفاقة وفتوحاته المظفـــرة،

---

1 - صحيح : أبو داود (1190) ، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيـــب والترهيـــب (639): حسن صحيح .

2 - من أراد المزيد في ذلك فليرجع إلى كتاب: "رهبان الليل" للشيخ سيد العفاني، والزهد لابن حنبل وغيرهما.

3 - صحيح : أبو داود (1331) ، وغيره ، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (1204) .

فأرغم أنوف الروم وحطم كبرياء الفرس، وكانت ملوك الأرض تهابه، ومع ذلـــك يقول لمعاوية - ابن قرة-: لو نمت النهار ضيعت الرعية، ولو نمت الليـــل ضـــيعت نفسي، فكيف النوم بين هذين يا معاوية؟!

يقول عنه ابن عباس (رضي الله عنهما) : كان عمر يصلي معنا العشاء، ثم يجلس معنا، فمن كانت له حاجة قضاها له، ثم يدخل بيته فلا نراه إلا الفجر.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال: كان عمر بن الخطاب يصلي كل ليلة مـــا شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ويتلو هذه الآيـــة: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ © نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾) [1]

[طه :132]

كان t في وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء، وكان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض[2]

لقد استلذ t بشراب الدموع :

ولولا صحو السهر والجوع ما بلغ عند الجبل هلال يا سارية [3]

ولله در القائل : فمن يجاري أبا حفص وسيرته أو من يحاول للفاروق تشبيها

قيام ذي النورين عثمان بن عفان t [4]:

تحدث ولا تخرج بكل عجيبة عن البحر أو تلك الخلال الزواهر

1 - مالك في الموطأ (170).

2 - التبصرة (428)، دار الكتب ببيروت

3 - السابق

4 - انظر الزهد لابن حنبل صـــــ 157، دار : الكتب العلمية ببيروت.

ولا عيـــب في أخلاقه غير أنها فرائد در ما لها من نظائـــــــر

يقر لها بالفضل كل منـــازع إذا قيل يوم الجمع هل من مفاخر

عن ابن سيرين (رحمه الله) قال: "قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلوه وإنه ليحي الليل كله بالقرآن في ركعة"

وعن جدة للزبير بن عبد الله يقال لها زهيمة قالت: "كان عثمـــان يصـــوم النهار، ويقوم الليل إلا من هجعة من أوله " ، والهجعة : النوم في وقت من الليل .

وما كان يوقظ أحداً من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه.

قيام أمير المؤمنين في الحديث أبي هريرة t [1]:

عن أبي عثمان النهدي t قال: تضيفت أبا هريرة t سبعاً ، فكان هـــو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثاً يصلي هذا ثم يوقظ هذا.

وفي رواية أخرى" أن أبا هريرة t كان يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته ثلث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل، إذا نام هذا قام هذا.

وكان وأصحابه إذا صاموا قعدوا في السحر قالوا: نطهر سيئاتنا .

رحمه الله ورضي عنه؛ فقد كان يسبح كُلَّ يوم اثنتي عشرة ألف تســـبيحة، يقول: أسبح بقدر ذنبي، فحياته تسبيح واستغفار وقيام .

وصدق من قال فيهم:

1 - رهبان الليل (383/1)، مكتبة: معاذ بن جبل.

القـــانتون المخبتـــون لربهـــــــم ... النـــاطقون بأصـــدق الأقـــــوال
يحيون ليلهم بطاعـــة ربهـــــم ... بـــتلاوة وتضـــرع وســـــؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعـــــــهم ... مثـــل انهمـــال الوابـــل الهطـــال
وإذا بدا علم الرهان رأيتهــــــم ... لعـــدوهم مـــن أشـــجع الأبطـــال
بوجودهم أثـــر الســـجود لربهـــم ... وبها أشـــعة نـــوره الــمُتَـــــلاَلِ
ولقد أبان لنـــا الكتـــاب صـــفاتهم ... في ســـورة الفـــتح المـــبين العـــالِ
وبرابع السبع الطـــوال صفاتهـــم ... قـــــوم يحبـــــهم ذو إدلالِ
وبراءة والحشـــر فيهـــا وصفهـــم ... وبهـــل أتـــى وبســـورة الأنفـــال

قيام ترجمان القرآن وحبر الأمة – عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)[1] :

عن عبد الله بن أبي ملكية قال: صحبت ابن عباس (رضي الله عنهما) مـــن مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل فسأله أيوب: كيف كانت قراءتـــه ؟

قال: قرأ (M L K J I H F E D C) (ق: 9)

فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج.

ولقد قام الليل وهو ابن عشر سنين مع النبي r ، وأعد له وضوءه من الليل فدعا له.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "صليت مع الـــنبي r فقمـــت إلى جنبه عن يساره، فأخذني فأقامني عن يمينه، قال: وقال ابن عباس: وأنا يومئذ ابـــن عشر سنين" [2]

1 - السابق صـــ 386.

2 - البخاري(684).

وفي لفظ مسلم: "فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني اليمنى يفتلها" [1]

قال النووي: إنما فتلها؛ تنبيها له من النعاس.

ولكم يخشع القلم أمام حبر الأمة وهو يحي الليل، وهو غلام لم يتجاوز بَعْدُ العاشرة ، ويجعل همه حين يبيت عند خالته ميمونة أن "لا أنام حتى أنظر ما يصـــنع في صلاة الليل" كما ورد في الحديث.

عزم في نفسه على السهر ليطلع على الكيفية التي يصلي بها رســـول الله **r** ، ثم خشي أن يغلبه النوم فيوصي خالته كما يحدثنا ، فقلت لميمونة: إذا قام رسول الله **r** فأيقظيني.

ثم انظر إلى أدبه: فقمت فتمطيت؛ كراهة أن يرى أني كنت أرقبه، وكأنـــه خشي أن يترك رسول الله **r** بعض عمله؛ لما جرى من عادته أنه كان يترك بعض العمل؛ خشية أن يفرض على أمته، ويكابد السهر وطوله مع رسول الله **r** وهـــو يحي معظم الليل .

انظر إلـــى جبهـــة الغلام الطيب المبارك وهي تسجد لربها قـــدر قـــراءة خمسين آية .. في ظلام الليل ويعطف رسول الله **r** ويشفق على حبر الأمة فيقـــول ابن عباس (رضي الله عنهما) عن رسول الله: "وضع يده اليمنى على رأسي بـــأذني اليمنى يفتلهـــا، فجعـــل يمسح بها أذني فعرفت أنه إنما صنع ذلك؛ ليؤنسني بيـــده ظلمة البيت "

ثانياً : قيام التابعين:

قيام سيد التابعين: سعيد بن المسيب – (رحمه الله) [1]:

1 - مسلم (1277).

عن عبد الله بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة، وكان يسرد الصوم .

وعن ابن حرملة: قلت لبرد مولى ابن المسيب: ما صلاة ابن المسيب في بيتـــه ؟ قال: ما أدري، إنه ليصلي صلاة كثيرة، إلا أنه يقرأ بـــ (! ' # $ % &)

قال عاصم بن العباس الأسدي: وكان سعيد بن المسيب يذكر ويخـــوف، وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيكثر، وسمعته يجهر ببسم الله الـــرحمن الـــرحيم، وكان يحب أن يسمع الشعر، وكان لا ينشده ورأيته يمشي حافيا .

قيام الأحنف بن قيس سيد أهل البصرة – (رحمه الله) :

الأحنف بن قيس هو صاحب الحزم والرأي ، كان عامة صـــلاته باللیـــل الدعاء، وكان يضع المصباح قريبا منه، فيضع إصبعه عليه فيقول: حِس يا أحنف! ما حملك على ما صنعت يوم كذا وكذا؟! يعني: كذا وكذا.

انظر إلى حال التابعي الكبير وقيامه ومحاسبته لنفسه، ومـــع هـــذا يـــدعو بالمصحف حتى يعلم من هو، فينشر المصحف، فمـــر بقـــوم: (\ [^ _ ` a b c d e f) (الــذاريات)، ومر بقوم: (d e f g h i j k l m n o) (السجدة) ، فوقـــف ثم قال: "اللهم لست أعرف نفسي هاهنا" [2]

قيام النساء:

---

1 - رهبان الليل(426/1).

2 - السابق صـــــ 427.

قيام عائشة (رضي الله عنها) [1]:

يقول القاسم: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة (رضي الله عنها) فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح – أي تصلي – وتقرأ قوله تعـــالى: (فَمَنَّ ٱللَّهُ ´ µ ¶ ¸ ﴿٢٧﴾) [الطور: 27] حتى مللت القيام، فـــذهبت إلى الســـوق ثم رجعت، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي.

إذا كانت هذا نهارها، فكيف تكون إذا جن الليل؟! يكفي من قيامها ما قاله ابن عباس (رضي الله عنهما) عنها: قال : إنها أعلم الناس بوتر رسول الله r ، أعلم الناس بليل رسول الله وقيامه .. تقصه وتوضحه لأهل الأرض جميعا .

وإذا كان رسول الله سيد العابدين، فالصديقة العالمة بليله وقيامـــه ووتـــره سيدة المجتهدات.

قيام زينب بنت جحش (رضي الله عنها) [2] :

قالت عنها عائشة (رضي الله عنها) عند موتها: لقد ذهبت حميدة متعبدة ، ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدي أنها ذكرت زينب فترحمت عليها وقالت: وكانت لرسول الله معجبة وكانت يستكثر منها، وكانت صالحة صـــوامة قوامة، وعند البخاري: دخل النبي r ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل ؟" قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت ، فقال النبي r : " لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد"، رضي الله عنك يا أم المؤمنين يا من زوجك الله من فوق سبع سموات .

1 - رهبان الليل (8/2).

2 - السابق صـــ 9.

الآثار- عن التابعين- في فضل قيام الليل:

قال الفضيل بن عياض (رحمه الله) :إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم ،وقد كثرت خطيئتك [1].

قال الحسن البصري – رحمه الله: ما نعلم عملاً أشد من مكابـــدة الليـــل، ونفقة هذا المال فقيل له: ما بال المجتهدين من أحسن الناس وجوهاً ؟

قال: لأنهم خلوا بالرحمن؛ فألبسهم نوراً من نوره [2].

وقال مالك بن دينار (رحمه الله) [3]: سهوت ليلة عن وردي ونمت ، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي : أتحسن تقرأ ؟، فقلت : نعم ، فدفعت إليِّ الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأمـــاني	عن البيض الأوانس في الجنـــان
تعيش مخلداً لا موت فيها	وتلهو في الجنان مع الحســـــان
تنبه من منامك إنَّ خيراً	من النوم التهجد بالقـــــــران

ويروى أن أزهر بن مغيث (رحمه الله) – وكان من القوامين – أنه قـــال : رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها :من أنت ؟

قالت حوراء.

فقلت :زوجيني نفسك .

---

1 - سير أعلام النبلاء (435/8).

2 - إحياء علوم الدين (76/1).

3 - السابق.

فقالت :اخطبني من سيدي وامهرني ، فقلت :وما مهرك ؟ قالت طول التهجد .

قال محمد بن الحسين (رحمه الله) : بلغني عن شيخ من المتعبدين أنه كان له ورد من الليل يقومه ففتر عن ورده ذات ليلة ، قال فإذا أنا بجارية قد وقفت علـى رأسي كأن وجهها قمر وبيدها رق وفيه مكتوب ، فقالت أيها الشيخ أتقرأ ؟ قلت : نعم ، قالت: اقرأ ما في هذا ، فأخذته ، فقرأته ، فإذا فيه:

ألهتك لذة نومة عن خير عيش مع الخير في غرف الجنـــان
تعيش مخلداً لا موت فيـــه وتنعم في الجنان مع الحســان
تيقظ من منامك إن خيـــراً . من النوم التهجد بالقـــرآن

قال فما ذكرتها ساعة إلا ذهب عني النوم[1].

وعن ثابت البناني – (رحمه الله) - قال : ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل .

وعن سفيان (رحمه الله) قال: إذا جاء الليل فرحت وإذا جاء النهار حزنت.

وقال بعضهم – أي بعض السلف : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ، وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل : وما أطيب ما فيها ؟

قال : محبة الله ومعرفته وذكره .

وقال آخر: إنه لتمر عليَّ أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب

1 - فضل قيام الليل والتهجد رقم (22)، دار الخضيري بالمدينة.

ويقول ابن تيمة- (رحمه الله) : إن في الدنيا جنةً من لم يدخلها لم يـــدخل جنـــة الآخرة – يعني جنة ذكر الله [1]

****

متى يقوم الإنسان من الليل ؟

من قام أول الليل أو أوسطه فلا مانع من ذلك، وفي كل خير، غيرَ أن آخر الليل أفضل؛ لأنه الأمر الذي استقر عليه فعل النبي r ؛ فقد جـــاء في الصـــحيحين وغيرهما من طريق مسلم عن مسروق عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (مـــن كل الليل قد أوتر رسول الله r فانتهى وتره إلى السحر) [2]

وفـــي روايـــة لمسلم من طريق يحيي بن وثّاب عن مسروق عـــن عائشـــة (رضي الله عنها) قالت: (من كل الليل قد أوتر رســـول الله r مـــن أول الليـــل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر) [3].

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الوتر من بعد صلاة العشاء، سواء جمعت جمع تقديم مع المغرب، أو أخرت إلى منتصف الليل، وأما قبل صلاة العشاء فلا يصـــح على الراجح [4].

وصدق من قال فيهم:

1 - من أول: عن ثابت إلى قول ابن تيمية هذا كله مـــن كتـــاب أحكـــام قيـــام الليـــل ، لســـليمان العلوان(3/1-4)، دار الإيمان بالإسكندرية.

2 - البخاري (941) ، مسلم (1230).

3 - مسلم (1231).

4 - أحكام قيام الليل صـــــ 7، 8.

فلو ذاق الغافل شراب أنسهم في الظـــلام

أو سمع الجاهل صوت حنينهم في القيـــــام

وقد نصبوا لما انتصبوا له الأقـــــــــدام

وقد نصبوا لما انتصبوا له الأقـــــــــدام

وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكـــــلام

وضربوا على شواطيء أنهار الصدق الخيام

وركزوا على باب اليقين بالحق الأعـــــلام

وركبوا مطايا الشوق إلى دار الســـــــلام

وصارت جنود حبهم والناس في الغفلة نيـــام

ووجدوا من لذة الليل ما لا يخطر على الأوهام

نورهم يخجل شمس الضحى ويذري بدر التمام

فإذا نازلهم الموت طاب لهم كأس الحمـــــــام

وإذا دفنوا في الأرض فخرت بحفظها تلك العظام

وقال آخر :

تتجافى جنوبهم عن لذيذ المضاجع

كلهم بين خائف ومستجير وطامع

تركوا لذة الكرى للعيون الهواجــع

ورأوا أنجم الدجى طالعاً بعد طالــع

واستهلت دموعهم بانصباب المدافع

فأجيبوا إجابة لم تقع في المسامـــع

ليس ما تفعلونه أوليائـــي بضائـــع

تاجروني بطاعتي تربحوا في البضائع

إذا اعتاد الرجل قيام الليل نبه لذلك:

قال ابن مسعود t : « إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل ، أيقظه إما سنور ، وإما صبي، وإما شيء، فيستيقظ فيفتح عينيه ، وقد وكل به قرينان ، قـــرين سوء ، وقرين صالح ، فيقول قرين السوء: افتح بشر، نم إن عليك ليلاً طــويلاً مـــا تسمع صوتاً ولا قيام أحد، فإن نام حتى يصبح ، أتاه الشيطان فبال في أذنه فأصـــبح ثقيلاً كسلانَ خبيث النفس مغبوناً ، ويقول الملك: افتح بخير، قم فاذكر ربك وصل، فإن قام فتوضأ ثم دخل المسجد فذكر الله وأثنى عليه وصلى على النبي r ، فإذا فرغ من صلاته استقبله الملك فقبله ثم يصبح طيب النفس قد أصاب خيراً »[1]

1 - مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي صـــ 105، دار: حديث أكـــاديمي، فيصـــل آبـــاد بكستان .

ماذا يفعل من فاته الوتر حتى أذَّن الفجر ؟

قال الشيخ ابن عثيمين – (رحمه الله): وفي حديث ابن عمـــر (رضـــي الله عنهما) الأول والثاني [1] دليل أن الوتر لا يكون بعد طلوع الفجر، إذا طلـــع الفجـــر انتهى وقت الوتر، فإذا غلبه النوم قبل طلوع الفجر صلى من النهار، لكن يصلي شفعاً، فإذا كان من عادته أن يوتر بثلاث صلى أربعاً، وإن كان من عادته أن يـــوتر بخمـــس صلى ستاً ... وهلم جرا . [2]

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأحبتي في الله :

الأمور الميسرة لقيام الليل:

اعلم أخي المسلم أن قيام الليل من أثقل الطاعات على النفوس، إلا من يسَّره الله عليه، وهناك أمور لو تمسك بها الإنسان ليسرت عليه قيام الليل.

وهذه الأمور تنقسم إلى قسمين: أمور ظاهرة وأخرى باطنة.

---

1 - يشير إلي حديث ((صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خفت الصبح فـأوتر بواحـدة)) رواه مسـلم (1280) وحديث ((كان النبي يصلي من الليل مثنى مثنى ،ويوتر بركعة)) البخاري (1098).

2 - شرح رياض الصالحين (3/ 221)، دار الصفا.

الأمور الظاهرة:

1- أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام، وقد قيل: لا تأكل كثيراً فتشرب كثيراً فتنام كثيراً فتخسر كثيراً.

2- أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيى بها الجوارح، وتضعف بهـــا الأعصاب؛ فإن ذلك مجلبة للنوم .

3- أن يتجنب ارتكاب المعاصي؛ فإن ذلك مما يقسي القلب، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة .

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد ! إني أبيت معافى وأحب قيام الليل، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال: قيدتك ذنوبك.[1]

وقال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته.[2]

4- الاستعانة بالقيلولة[3]:

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي r قال: « استعينوا بقائلة النـــهار على قيام الليل وبأكلة السحر على صيام النهار »[4].

ومر الحسن (رحمه الله) بقوم في السوق فرأى منهم ماراً فقال: أمـــا يقيـــل هؤلاء؟ قالوا: لا، قال: «إني لأرى ليلهم ليل سوء ».

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: « القائلة من عمل أهل الخـــير، وهي مجمة للفؤاد مقواة على قيام الليل ».

---

1 - من (1) إلى (4) مأخوذ من كتاب المبتكرات للشيخ : وحيد بن بالي ، ص: 367،368.

2 - مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة في باب الأسباب الميسرة لقيام الليل .

3 - مختصر قيام الليل للمروزي صـــ 104.

4 - كنز العمال (21485).

وعن مجاهد (رحمه الله) : بلغ عمر أن عاملاً له لا يقيل، فكتب إليه: أما بعد « فقل ، فإن الشيطان لا يقيل»[1]

6- أن يعرف فضل قيام الليل:

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان ، بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام .

قال أبو سليمان (رحمه الله) : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهـــل اللـــهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا [2].

الأمور الباطنة [3] :

1- سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا.

2- خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخـــرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره .

وقد قيل:

منع القـــرآنُ بوعده ووعيـــــده   مقل العيون بليلها أن تهجعـــا
فهموا عن الملـــك الجليل كلامـــه   فهماً تذلُّ له الرقابُ وتخضعُ

3- أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار فـــإن ذلـــك يدفعه إلى العمل وييسر عليه المشقة .

4- تذكر حلاوة المناجاة والوقوف بين يدي الله، ولا يشعر بهذه الحلاوة وتلك اللذة إلا من أخلص الحب لله وجرَّد الاتباع لرسول الله r ، قال تعـــالى:

(> ? @ A B C D E F G H I M) [آل:عمران:31]

---

1 - حديث ((قيلوا فإن الشيطان لا يقيل)) حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (1647) بلفظ ((قيلوا فإن الشياطين لا تقيل)) .

2 - السير (184/10).

3 - المبتكرات ص: 368، 369، 370باختصار بسيط.

الخطبة الخامسة عشر: السبع المثاني

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @) [آل عمران:2]

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 ا

3 4 5 6 7 8 ا : ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَــرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله :

إننا نقرأ سورة الفاتحة على الأقل سبع عشرة مرة في اليوم، ومع ذلــك فــإن كثيراً من المسلمين يقرءونــها ولا يفهمون معناها، فهم بالنسبة إليها بمترلة الأمــيين الذين لا يعلمون من الكتاب إلا أماني، والقرآن نزل؛ ليتدبر الناس آياته وليتذكروا ما فيه، قال تعالى: (B C D E F G H I J K)

[ص :29]

فما بالك بهذه السورة التي هي أعظم سورة في القرآن الكريم؟! والعجب أننا ندعو في كل ركعة من صلواتنا بهذا الدعاء العظيم الذي ترتج به المساجد، إلا أن الكثير من الناس لا يعرف على ماذا أمَّن خلف الإمام .

وعدم معرفة معنى الدعاء سبب لحجب الإجابة، ومن أسباب عدم إجابة الدعاء غفلة القلب ولهوه عن الدعاء، قال رسول الله r :"ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلب غافل لاهٍ" [1]

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن دعاء الفاتحة:

والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، وأن لا نجاة من العذاب، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية.

مرحلة نزول سورة الفاتحة:

للعلماء ثلاثة أقوال:

منهم من قال: نزلت قبل الهجرة، ومنهم من قال: نزلت بعد الهجرة، ومنهم من قال: نزلت مرتين مرة قبل الهجرة، ومرة بعد الهجرة.

والظاهر – والله أعلم: أنها نزلت قبل الهجرة على الراجح من أقوال أهل العلم، والدليل على ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ´ µ) [الحجر: 87] ، وهذه الآية في سورة الحجر، وسورة الحجر مكية بالإجماع (كما نقله القرطبي).

1- صحيح: الترمذي (3479) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1653).

وقد فسر النبي r السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة ، فكما أن الحجـــر مكيـــة وفيها هذه الآية ، إذاً فالفاتحة مكية.

وكذلك كان فرض الصلاة بمكة ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة، وقـــال النبي r : "لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب" [1]

فضائل سورة الفاتحة:

(1) أن الصلاة لا تصح إلا بها، فكما أن عمود الإسلام الصلاة، فكـــذلك عمود الصلاة الفاتحة،كما أخبر r: "لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْـــرَأْ بِفَاتِحَـــةِ الْكِتَابِ" [2]

(2) أنها أعظم سورة في القرآن [3] كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلي t قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ r فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ثُمَّ قَالَ: لِي لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ

1- البخاري (756) ، مسلم (900).

2 _ البخاري(714) ، مسلم (595).

3- سؤال : وهل القرآن يتفاضل ؟ الجواب : إن القرآن لا يتفاضل باعتبار المتكلم به لأن المتكلم به هو الله ، ولكن يتفاضل باعتبار موضوعاته ومدلولاته ، والدليل على ذلك قوله تعالى (الـــذين يستمعون إلى القول فيتبعون أحسنه..) فهناك حسن وأحسن ، وأيضا قوله تعـــالى (والله نـــزل أحسن الحديث كتابا متشابها ....) .

سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ" (1)

(3) أن لها شأناً عظيماً في الرقية: كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري t أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ r أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا وَلا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً. فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ فَقَالُوا: لا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ r فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: "وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ" (2)

(4) أنها نور، ونزلت خاصةً بالنبي r دون سائر الأنبياء، ونزل بالبشارة بها ملك ، ووعد r بإعطاء ما احتوى عليه معناها :

كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ r سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَهُ " (3)

1- البخاري(4114) .

2- البخاري (5295) .

3- مسلم (1339)، والنقيض هو صوت الباب إذا فتح .

وهذا الوعد من الله لرسوله r في هذا الحديث بأن يعطي ما حوته الفاتحة وخواتيم سورة البقرة من فضائل وخصائص، وهذا وعد له ولمن تبعه من أمته على حسب إخلاصهم لله، ومتابعتهم لرسوله r .

****

أسماء سورة الفاتحة:

إن لسورة الفاتحة أسماءً عديدة، وكثرة الأسماء دليل على عظم المسمى، لـــذلك أكثر الله من أسمائه سبحانه ومن أسماء يوم القيامة وأسماء الجنة وأسماء النار ،..

ومن أسماء سورة الفاتحة المأثورة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، والصلاة ، والرقية ؛ لأن أبا سعيد رقى بها، والشافية، إلى غير ذلك من الأسماء.

****

تفسير سورة الفاتحة:

[بسم "] لأهل العلم في تفسيرها أقوال، فمنهم من قال: معناها: أقرأ بسم الله، أو أبدأ بسم الله، ومنهم من قال: أي بالله .

ومنهم من قال: إن معنى قوله تعالى:(بسم الله) يعني بـــدأت بعـــون الله وتوفيقـــه وبركته، قال: وهذا تعليم من الله تعالى عباده؛ ليذكروا اسمه عند افتتـــاح القـــراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة الله عزوجل.

وأما عن المعنى الإجمالي لها فقد قال القرطبي في مقدمته للتفسير: قال العلماء: (بسم الله الرحمن الرحيم) قسم من الله عز وجل أنزله عند رأس كل سورة، يقسم لعباده

أن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أفي لكم بجميع مـــا تضمنته هذه السورة من وعدي ولطفي وبرّي، وقال بعض العلماء: إنها تضـــمنت جميع الشرع؛ لأنها تدل على الذات وعلى الصفات [1].

****

[الله]: هو العلم على ذات الله المختص بالله لا يجوز أن يتسمى به غيره.

سؤال: هل لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم؟ وما هو وجه القائلين بذلك ؟

الجواب : لا أعلم دليلاً على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم، لكن قـــد قال بذلك بعض أهل العلم، ووجه قولهم يتمثل في الآتي:

أولاً: أنه اسم لله تبارك وتعالى لم يتسم به غيره كما قال تعالى:

(| * + , - .) [مريم:65]

ثانياً: أنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى: (m n o p q r s | u v w | y z { | } ~ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ © ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ´ µ ¶ ¸ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ)

[الحشر : 22-23]

وكما قال تعالى في الأعراف (C D E F G) [الأعراف : 180] [2]

1- تسفير القرطبي (1\73) .

2- وانظر معنى الآية عند الكلام على آية الكرسي من نفس الكتاب .

وقال r : "إن لله تسعةً وتسعين اسماً" [1]

وقال تعالى: (B C D E F G I J K) [الأنعام: 3]

وقال تعالى: (أَلَا â ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾) [الرعد: 28] [2]

(+ , -) من العلماء من قال: إنهما بمعنى واحد .

ولكن الجمهور يقولون: (الرحمن) خاص الاسم عام الفعل، و(الرحيم) عام الاسم خاص الفعل.

فالرحمن اسم خاص بالله تعالى لايجوزأن يتسمى به غيره قال تعالى :] Z [ ]
\ ] ^ _ a b c d e f h i j k l m
n o p q r Z [الإسراء: ١١٠] ، فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبـــادة عزل وجل. وقد تجاسر مسيلمة الكذاب لعنه الله ، فتسمى برحمان اليمامـــة ، ولم يتسم به حتى قرع مسامعة نعت الكذاب فألزمه الله نعت الكذاب لذلك ، وإن كان كل كافر كاذباً ، فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علماً يعرف به ألزمه الله إيـــاه ، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة، وذلك لحديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ t قـــال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ r سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَـــدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ r : " أَتُرَوْنَ هَـــذِهِ

1- البخاري (6410) ، مسلم (2677)، ولاحظ الكلام على هذا الحديث عنـــد الكـــلام علـــى آيـــة الكرسي من الكتاب .

2- التسهيل لتأويل التنزيل للشيخ العدوي ، ص: 19، 20.

طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ فَقَالَ: لَلَّـــهُ أَرْحَـــمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا" [1]

وأما (الرحيم) فهو خاص الفعل بمعنى أنه رحيم في جهة المؤمنين، ويجوز أن يتسمى به غيره سبحانه، كما سمى سبحانه رسوله رحيما.

ورحمته سبحانه بالمؤمنين تتمثل في أمور منها: اللطف بهم وهدايته إياهم ونحو ذلك.

****

ذكر البسملة عند ابتداء الأعمال مشروع ومستحب :

(1) عند اابتداء الطعام: فقد قال النبي r لعمر بن أبي سلمة: "يا غـــلام ســـم الله ...." [2]

وكان النبي r إذا قرب إليه طعامه يقول: بسم الله

وقال النبي r : "إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه" [3]

وأكد النبي r على ذكر الله فقال r : "من نسي أن يذكر الله عـــز وجـــل في أول طعامه فليقل حين يذكر: بسم الله أوله وآخره؛ فإنه يستقبل طعاماً جديداً، أو يمتنع الخبيث مما كان يصيب منه" [4]

1- البخاري (5540) ، مسلم (4947) .
2- البخاري (4957) ، مسلم (3767) .
3- البخاري (5074) ، مسلم (3638) .
4- صحيح : ابن السني في عمل اليوم والليلة (459) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (198) .

(2) شرعت التسمية عند الذبيحة:

قال تعالى : (فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3) [الأنعام :118]

وقال تعالى: (P Q R S T U V W X Y [\ ] ^ _ ` b c d e f) [الأنعام : 121]

وقال النبي r : "ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل"وهو في الصحيحين.

(3) وتشرع التسمية في الصباح والمساء: فالله عزوجل يحفظ بها، فقد قال النبي r :" مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّـــذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِـــيمُ ثَلَـــاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ"(1)

(4) وتشرع التسمية عند دخول البيت: فقد قال النبي r : "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَـــهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَـــاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَـــمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ"(2)

(5) وتشرع عند إغلاق الأبواب وتخمير الآنية:

عن عَطَاءٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ t يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ

1- صحيح : الترمذي (3859) وابن ماجه (3310) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجـــامع (6426) .

2- مسلم (3762) .

سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ فَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّـــهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ" (1)

(6) وتشرع التسمية عند الوضوء :

لقول النبي r : "لا وضوء لمن لم يذكراسم الله عليه"(2)

(7) وعند الجماع:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : " لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَـــا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا" (3)

(8) عند النوم:

عَنْ أَبِي هريرةَ t قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ r : "إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ "(4)

1- البخاري (5191) ، مسلم (2756) .

2- ابن ماجه (397) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(7514) .

3- البخاري (4767) ، مسلم (2591) .

4- البخاري (5845) .

(9) عند الرقية:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري **t** أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ **r** فَقَالَ:" يَـــا مُحَمَّـــدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، ومِنْ شَرِّ كُـــلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ " [1]

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ **t** أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **r** وَجَعًـــا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ **r**: "ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ" [2]

(10) عند وضع الميت في القبر:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ **r** قَالَ:"إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقَبْرِ فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ **r** "[3]

(11)عند ركوب الدابة:

قال تعالى: ( ] ^ _ ` a b c d f g h i j)

[هود:41]

عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ **r** فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ:" لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ

1- مسلم (4056) .

2- مسلم (4082) .

3- صحيح : أحمد (4581)، وصححه الشيخ الألباني في مختصر إرواء الغليل (474) .

الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي وَلَكِنْ: قُلْ بِسْمِ اللَّهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَــاغَرَ، حَتَّــى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ "[1]

(12) عند دخول الخلاء:

جاء عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r قَالَ:"سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْــيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلاءَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللهِ" [2]

ملحوظة : اعلم أن التسمية عند هذه المواضع السابقة تكون بلفظ: (بســـم الله) فقط ولا تكون (بسم الله الرحمن الرحيم) إلا في المواضع التي وردت فيهـــا فقط كالصلاة وعند قراءة القرآن؛ وذلك لأن لكل مقام مقالاً.

وقد وردت التسمية كاملة عند كتابة الرسائل:

فقد قال تعـــالى: (m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ v w x y z { | } ~) [النمل :29-30]

وأرسل رسول الله r رسالة إلى هرقل فيها: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْــدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ .... " [3]

وقد ورد في صحيح الأدب المفرد عن أنس بن سيرين قال كتبت لابن عمر (رضي الله عنهما) فقال: اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: إلى فلان.." [4]

1- صحيح : أبو داوود(4330) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داوود(4982) .
2- صحيح : الترمذي (551) وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (50) .
3- البخاري (2723) ، مسلم (3322) .
4- صحيح : صححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (470) .

هل البسملة جزء من الفاتحة ؟

الجواب : قولان للعلماء، والراجح قول الجمهور أنها آية منفصلة عن السور عموما ونزلت للفصل بين السور؛

وذلك لقول رَسُول اللَّهِ r يَقُولُ:" قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَـــيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَـــيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَـــيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ) قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"[1]

****

هل يجهر الإمام بالبسملة في الصلاة ؟

قولان للعلماء :

القول الأول : أنه لا يجهر بها لما ذكره أنس t كما في الصحيحة من أن النبي r وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـــ] & ' ( ) * Z[2].

وفي رواية لمسلم من حديث أنس t أيضاً : صليت مع رسول الله r وأبي بكـــر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم [1]

1- مسلم (598) .

2- البخاري (722).

القول الثاني : من قال بالجهر بها ، وهؤلاء يستندون لحديث رواه النسائي من طريق نعيم بن المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة t فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ] ? @ A B C D Z فقال : آمــين ، فقــال الناس : آمين . (2)

الراجح هو القول الأول والله تعالى أعلى وأعلم .

****

هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية ؟

الجواب : يرى الجمهور أنها لا تجب عليه، واستدلوا بحديث: "مَنْ كَانَ لَــهُ إِمَــامٌ فَقِرَاءَةُ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ " (3)

واستدلوا كذلك بقوله تعــالى: (© قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾) [الأعراف:204] ،

وحديث البخاري من حديث أبي بكرة t أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ r وَهُــوَ رَاكِعٌ فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ r فَقَالَ: "زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلا تَعُدْ " (4)

1- مسلم (634).

2 - ضعيف : ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن النسائي (905) .

3- صحيح : ابن ماجه (840) وأحمد (14116)، وصححه الشيخ الألباني فــي صــحيح الجــامع (7487) .

4- البخاري (741) .

أما القائلون بأن القراءة تجب على المأموم حتى في الجهرية فهـم الحنابلـة واستدلوا بحديث (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) ، والخلاف في هذا وسـع ، فهذا من الخلاف الذي وسع السلف فمن باب أولى أن يسعنا ، وإن كان الـراجح لدي والله أعلم هو رأي الجمهور.

****

قوله تعالى: (& ') (*)

الحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له أو وصف المحمود بالكمال.

ما الفرق بين الحمد والشكر؟

الجواب : الحمد يكون على كل حال في السراء والضراء، والشكر يكـون عنـد النعمة الحاضرة فقط .ويدل على ذلك قوله r : "إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَـالَ اللَّـهُ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُـونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ" (1)

وكذلك الحمد يكون بالقلب واللسان فقط، أما الشكر فيكـون بالقلـب واللسان والجوارح قال تعالى: (ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣) [سبأ:13]

1- صحيح : الترمذي (942) ، وحسنه(لغيره)الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1408) .

سؤال: هل يجوز للإنسان أن يثني على نفسه؛ لأن رب العزة قد أثنى على نفسه؟

الجواب : لا يجوز ؛ لأن الله قال: (© تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي ´

µ ¶ ¸ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾) [النساء:49]

وكما في صحيح مسلم عن أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِـيرٍ مِـنَ الْأُمَرَاءِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَقَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ r أَنْ نَحْثِيَ فِـي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ[1]

ولقد جوَّز بعض العلماء ذلك إذا أمنت الفتنة و لم يخشَ من ثناء الناس عليه مفسدة ، وإنما رُجي الانتفاع للشخص المثنى عليه.

وقوله تعالى: (& ') (*)

الله تعالى حمد نفسه؛ لأنه رب العالمين، و(العالمين) جمع عالم، وهو كل مـا سوى الله تعالى، أو كل المخلوقين لكنهم أصناف، عالم البشر، وعالم الحيوان، وعالم الأفلاك، حتى السموات والأرض والنجوم والشمس والقمر.

ومعنى الرب [2]أي الخالق والمالك والمدبر.

****

1- مسلم(5322) .

2- كلمة الرب إذا أطلقت تدل على الله سبحانه، وكذلك إذا قيدت بإضافة؛ فإنها تدل علـى الله مثـل (رب السموات والأرض) ، وقد تدل على غير الله كقولنا: رب الدار أي صـاحبها ومالكهـا، وقوله تعالى (أما أحدكما فيسقي ربه خمراً)أي: سيده .

قوله تعالى: (+ , -) الرحمن هو ذو الرحمة الواسعة، والـــرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين .

وهذا ثناء لتكرار وصف الكمال .

قوله تعالى: (. / 0)

وفي قراءة أخرى (مَلِك)، والجمع بين القراءتين يستفاد منه فائدة لا تحصل بانفراد إحداهما: وهي إثبات الملكية والتصرف لله؛ لأنه قد يوجد مَلـــك لكنـــه لا يتصرف في ملكه والذي يتصرف فقط هم الوزراء فهذا مَلك بلا مُلك [1]

ما الفرق بين ملك ومالك ؟

قال القرطبي: إن وصف الله سبحانه بأنه ملك كان ذلك من صفات ذاته، وإن وصف بأنه مالك كان ذلك من صفات فعله [2] .

و(يوم الدين) هو يوم الجزاء والحساب.

إذا كان الله مالكا للدنيا والآخرة، فلماذا اختار اليوم الآخر ؟

لأنه في ذلك اليوم يظهر مُلك الله واضحاً ، ويتلاشى مُلك كل مَلك .

قـــال تعـــالى :] يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ Z [غافر:16].

قال تعالى :] z { | { ~ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ Z [الانفطار: ١٩]

1-وهذا واضح في ملوك بني أمية وبني العباس وغيرهم، فهم كانوا مجرد صورة فقط، وفي عصرنا الحديث تجد رئيس الدولة مجرد منصب فقط، والمهيمن على الأمور هو رئيس الوزراء أو غيره.

2- تفسير القرطبي (1/ 115) .

قوله تعالى: (2 3) (تفيد الحصر)

وهنا التفات من المخاطب إلى الغيبة.

والالتفات : هو تغيير أسلوب الخطاب أو تحويل الكلام مـــن وجـــه إلى آخـــر ، وفائدته: دفع السآمة والملل عن قارئ القرآن .

قال الزمخشري في الكشاف: وذلك على عادة العرب فى افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه؛ لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإِصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد. [1]

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده، فلو صرف منها شيء لغير الله فقد وقـــع صاحبه في الشرك، فلو أن إنساناً يقرأ هذه الآية ثم خرج من المسجد فجعل يسجد لقبر فلان أو فلان ، أو يدعو صاحب هذا القبر أن يعطيه، فهذا وقع في الشرك و لم يصدق مع الله. [2]

وشرط قبول أي عمل أي لكي يؤجر الإنسان على عمله فلا بد من شرطين للعمل:

الشرط الأول: الإخلاص .   والشرط الثاني: المتابعة .

1- تفسير الكشاف (1/ 56 ، 57)، دار إحياء التراث .

2- وينبغي عليك أخي الخطيب – بارك الله فيك – أن تركز على هذه النقطة؛ لأن تصحيح العقيدة هو الأساس، وقد ظل النبي ثلاث عشرة سنة يصحح العقيدة، وبدون عقيدة صحيحة يضـــيع العمـــل على صاحبه، وكذلك تركز على حديث: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...."

ويدل على ذلك قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ à â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ î ï) [الكهف:110]

قال ابن كثير: (â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ) أي: ثوابه وجزاءه الصـــالح (ç è é) أي: ما كان موافقاً لشرع الله (ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ î ï) وهو الـــذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل ، لابد أن يكـــون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله r [1]

وهذا كثير جداً في القرآن .

قوله تعالى: (4 5 6)

وهذه أيضاً تفيد الحصر، لكن المراد بذلك استعانة العبادة ولا تكون إلا لله عزوجل.

وهنا عطف الخاص على العام، والعام هو العبادة وهي - كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمة الله) اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه مـــن الأفعـــال والأقوال الظاهرة والباطنة ،

والاستعانة من أنواع العبادة فكانت العبادة تتضمن الاستعانة من غير عكس ،فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به بلا عكس ، وهذا من باب عطف الخـــاص على العام.

1- تفسير ابن كثير (3/ 133) .

هل تجوز الاستعانة بالبشر ؟

الجواب : نعم تجوز الاستعانة بالبشر الأحياء فيما يقدرون عليه، والأدلة على ذلك كثيرة منها أن النبي r استعان في هجرته من مكة إلى المدينة برجل من بني عبد الديل هادياً خريتاً، وكذلك نزل أبو بكر في جوار ابن الدغنة .

وقالت جويرية لرسول الله r :(جئت أستعين بك في مكاتبتي).

وكذالك قالت بريرة لعائشة (رضي الله عنها) [1].

واستعان كعب بن مالك بذوي الرأي من قرابته عند رجوع رسول الله r من تبوك هذا كله مع اعتقاد أن الناصرالحقيقي والقادر هو الله سبحانه وتعالى [2].

فهذا كله جائز؛ لأنه ليست استعانة عبادة، وليست هذه مما لا يقدر عليه، بل المراد أن يعين أخاه قـــال تعـــالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ) [المائدة:2]

وقال النبي r : "وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ "[3]

ولقول النبي r كما عند مسلم: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه"[4]

****

1- البخاري (2767) .

2- التسهيل لتأويل التنزيل للشيخ العدوي (1/ 51-54)

3- البخاري (2375) ،

4- مسلم(4078) .

قوله تعالى (7 8 9 :)

الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه .

والهداية نوعان:

هداية الدلالة: قال تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى) [فصلت:17]

وهذه تسمى هداية الدلالة أي التوضيح والبيان، ولكنه قد يوفق أو لا .

وهداية التوفيق: وهذه ليست إلا لله؛ قال تعالى: (_ ` a b c d e f g h i j k l m) [القصص:56]

وهذه دعاء لله تعالى بأن يوفقنا للهدايتين جميعاً، والضمير هنا يعود إلى الأمة الإسلامية رفيعة المقام عزيزة المنال، فإننا ندعوا لأنفسنا وللأمة جميعاً .

قوله تعالى: (; < = >) فالخطاب لله عزوجل، وهم أربعة أصناف بينهم الله في قوله: (I J K L M N O P Q R S T U V W Y Z [\ ) [النساء:69]

وهم كما يلي :

النبيون: ويدخل فيهم الرسل من باب أولى؛ لأن كل رسول نبي وليس كـــل نـــبي رسولاً،

والفرق بينهما:

أن الرسول هو رجل من بني آدم أوحي إليه بشرع ، وأمر بتبليغه .

والنبي: أوحي إليه بشرع ، ولكنه يتبع شرع من قبله ،

ومعلوم أن الأخص يدخل في الأعم .

(الصديقون): هم الذين قالوا الصدق وصدَّقوا بـــه قـــال تعـــالى: (3 4

5 6 7 9 : ; >) [الزمر:33]

فمن قال الصدق وصدق به فهو الصدِّيق، ومن قال الكـــذب أو كـــذب بالصدق فليس بالصدِّيق ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُـــلُ يَصْـــدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " (1)

(الشهداء) هم الذين قتلوا في سبيل الله، وقيل: هم العلماء ولا تعارض بين القولين؛ والقاعدة في التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين لا يتناقضان أو أكثـــر مـــن معنيين فإنها تحمل عليهما جميعاً ؛ لأن ذلك الوسع في مدلولها،

فإن كانا المعنيان يتناقضان رُجح أحدهما وتُرك الآخر.

مثال المعنيين الذين لا يتناقضان قوله تعالى: (الشهداء) فإنها فسرت بالذين قتلوا في سبيل الله وبالعلماء فلا تناقض .

ومثال المعنيين المتناقضين قوله تعالى: (H I J K

L) [البقرة:228] والقروءُ جمع قَرء بالفتح، وفسر القرء بالحيض أو الطهر والمعنيـــان متعارضان، ولا يمكن أن يجتمعا، فلا بد من الترجيح .

1- مسلم (4721) .

والراجح أن معناه الحيض؛ لأن النبي r قال في الاستحاضة: "دَعِي الصَّلاةَ أَيَّـــامَ حَيْضِكِ ثُمَّ اغْتَسِلِي وَتَوَضَّئِي عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ وَإِنْ قَطَرَ عَلَى الْحَصِيرِ"(1)

(الصالحون) هم الذين صلحوا في ظاهرهم وباطنهم، وصلاح الإنسان يكون بفعل الأوامر وترك النواهي، لكن لا يصل إلى درجة الصدِّيقين والشهداء ولكن يكـــون دون ذلك.

****

وقوله تعالى: (? @ A B C D)

المغضوب عليهم: هم الذين علموا الحق و لم يعملو به، وعلى رأسهم اليهود ، قـــال تعالى: (E D F G H I J K L N O P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` a) [المائدة:60]

فاليهود علموا الحق ويعرفون النبي r كما يعرفون أبنائهم ولكن كـــذَّبوه فصاروا عالمين بالحق وليسوا عاملين به.

والضالون:

الضلال في كلام العرب: هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ضـــل اللبن في الماء أي غاب، ومنه قوله تعالى حكاية عن الكفـــار: (وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢ) [السجدة :10] أي غبنا بالموت وصرنا تراباً .

1- صحيح : ابن ماجه(616)، وأحمد (23016) ، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء(109) .

وهم من لم يعلموا بالحق وصاروا يتخبطون في عبادتهم، وعلـــى رأســـهم النصارى، فالنصارى ضالون لعدم علمهم بالحق، لكنهم إذا علموا الحق و لم يعملوا به صاروا من جنس اليهود،

فأنت في كل صلاة تسأل الله أن يوفقك لصراط الذين أنعم الله عليهم، وأن يجنبك صراط الذين غضب الله عليهم أو أضلهم .

ولذلك قال سفيان الثوري – (رحمه الله): من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى؛ لأن النصارى عبـــدوا الله على ضلال، واليهود استكبروا عن عبادة الله بعد علم [1].

وفي النهاية : يقول القاريء: آمين، وهو اسم فعل بمعنى استجب.

وتقول: آمين بدون تشديد الميم؛ لأنك لو شددت الميم وقلت: آمِّين فسد المعـــنى، ويكون المعنى حينئذٍ: قاصدين .

هل آمين آية من الفاتحة؟

الجواب : ليست آية من الفاتحة لأمور منها:

عدم وجود دليل على أنها آية، وعدم إثباتها في المصاحف [2]

هل يجهر بـــــ (آمين) في الصلاة الجهرية خلف الإمام أم يسر بها ؟

ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه يجهر بآمين خلـــف الإمـــام في الصـــلاة الجهرية واستدلوا بأدلة منها :

1- نداء الريان للدكتور العفاني (88/1)، دار: ماجد.

2- التسهيل لتأويل التنزيل للشيخ العدوي (1/ 136) .

الأول: أن النبي r كان يمد صوته بآمين

الثاني : قول النبي r : "ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على الســـلام والتأمين" (1)

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بها والرأي الأول أقوى لكثرة الأدلة عليه (2)

فضل التأمين:

ورد في الصحيحين عَنْ أَبِي هريرة t أَنَّ النَّبِيَّ r قَالَ:" إِذَا أَمَّنَ الإِمَـــامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"

وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: "وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ r يَقُولُ آمِينَ "(3)

ولا بد من القراءة باللسان؛ لأن بعض الناس يقرأ بقلبه يعني بدون نطق، فهـــذا لا يجزؤه قراءة في الصلاة ولا قراءة على أن يحصل على عشر حسنات في كل حرف ،

والقراءة بالعين كذلك لا تجزيء؛ لأن بعض الناس يفتح المصحف ثم ينظـــر إلى الصفحات فينظر إلى الصفحة اليمين بالعين ويتابع الحروف بعينه، وينظـــر إلى الصفحة اليسرى كذلك، ثم يقلب، فتستغرق قراءتُه بالعين حوالي دقيقة واحـــدة ، فهذا لا يثاب على قرائته.

****

1- صحيح : صحبه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (5613).
2- السابق (1/ 140) .
3- البخاري (738) ، مسلم (618) .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بسورة الفاتحة:

المسألة الأولى: هل الفاتحة ركن في الصلاة ؟

نعم هي ركن في كل ركعة من كل صلاة فرضاً أو نفلاً، جهريةً كانت أو سريةً، وهذا مذهب الجمهور [1]، وهو الراجح في المسألة ويدل عليه قول النبي r : "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" [2] ، وقوله r للمسيء صلاته:"ثم اقرأ بـأم القرآن ثم اقرأ بما شئت" وغير ذلك من الأدلة التي لا تحصى .

المسألة الثانية: من لم يستطع حفظ الفاتحة ؟

قال الخطابي: الأصل أن الصلاة لا تجزيء إلا بقراءة فاتحة الكتاب،ومعقول أن قراءة فاتحة الكتاب على من أحسنها دون من لا يحسنها ، فإذا كان المصلي لا يحسنها ويحسن غيرها من القرآن كان عليه أن يقرأ منه قدر سبع آيات؛ لأن أولى الذكر بعد الفاتحة ما كان مثلها من القرآن، وإن كان ليس في وسعه أن يتعلم شيئاً من القرآن؛ لعجز في طبعه ، أو سوء في حفظه ، أو عجمة في لسانه ، أو عاهة تعرض له، كان أولى الذكر بعد القرآن ما علّمه النبي r من التسبيح والتحميد والتهليل.

قلت – الشيخ أبو مالك: وهو قوله لمن لم يستطع حفظ الفاتحة: "قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله"[3]

1- واعلم أخي أن الخلاف معتبر في هذه المسألة، فالخلاف فيها يسعنا، فلا تثريب على من يأخذون بقول أبي حنيفة في هذه المسألة، وهو أن الفاتحة لا تتعين قراءتها ويجزئ قراءة آية من القرآن.

2- مسلم (44) .

3- صحيح فقه السنة (1/ 321) التوفيقية .

المسألة الثالثة: إن عجز عن قراءة غير الفاتحة؟

قال القرطبي: فإن عجز عن إصابة شيء من هذا اللفظ فلا يدع الصلاة مع الإمـــام والإمام يحمل ذلك عنه إن شاء الله، وعليه أبداً أن يجهد نفســـه في تعلـــم فاتحـــة الكتاب، فما زاد إلى أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله.

المسألة الرابعة: هل ما زاد عن الفاتحة واجب ؟

الجواب : ذهب الجمهور إلى أن ما زاد على الفاتحة من القراءة ليس بواجب؛ لمـــا رواه مسلم عن عَطَاءٍ قَالَ: قَالَ أَبُو هريرة t : فِي كُلِّ الصَّلاةِ يَقْرَأُ فَمَـــا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ r أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى مِنَّا أَخْفَيْنَا مِنْكُمْ. فَقَـــالَ لَـــهُ رَجُلٌ: إِنْ لَمْ أَزِدْ عَلَى أُمِّ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: إِنْ زِدْتَ عَلَيْهَا فَهُـــوَ خَيْـــرٌ، وَإِنِ انْتَهَيْتَ إِلَيْهَا أَجْزَأَتْ عَنْكَ" [1][2]

المسألة الخامسة : اعلم أنه يجب الإنصات للإمام حين يقرأ القرآن في الصلاة، وذلك لقوله تعالى: (© قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾) [الأعراف :204]

المسألة السادسة: إذا أدرك الإمام راكعاً :

ذهب الجمهور إلى أنه قد أدرك الركعة ولا إعادة عليه، ويشهد لهذا حديث أبي بكرة في صحيح البخاري أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ r وَهُوَ رَاكِعٌ فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ r فَقَالَ:"زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلا تَعُدْ"[3]

1- مسلم (600) .

2- المسألة الثالثة والرابعة من تفسير القرطبي(100، 101).

3- البخاري (741).

الخطبة السادسة عشر: تفسيـــــر آيـــــة الكرســــي

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @) [آل عمران: 102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 !

3 4 5 6 7 8 :! : ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب : 70 - 71]

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد r ، وَشَــرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان :

إن آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم؛ وذلك للحـــديث الـــذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r :"يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟" قَالَ: قُلْتُ: اللَّـــهُ وَرَسُـــولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: (

اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: "وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ" [1].

سؤال : وهل القرآن يتفاضل ؟

لا يتفاضل باعتبار المتكلم به ؛ لأن المتكلم به هو الله سبحانه وتعالى ولكن يتفاضل باعتبار موضوعاته ومدلولاته .

فضائل آية الكرسي :

(1) عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ r بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ r. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ؛ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَقَالَ النَّبِيُّ r :"صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ"[2].

(2) وعن أبي أمامة t أنه قال r :"من قرأ آية الكرسي دُبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت" [3]

1 - مسلم (1343)، ومعنى ليهنك العلم هذه منقبة لأُبي أن علمه كثير .

2 - البخاري(3033).

3 - صحيح : الطبراني في المعجم الكبير(7408)، و صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6464).

ولقد اشتملت هذه الآية على عشر جمل:

(1) الجملة الأولى: قوله تعالى: [w v u t s]

[s]: هو الاسم المفرد العلم الدال على كل الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو الاسم الذي ما ذكر في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله ، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند همٍّ ولا غمٍّ إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه.

وهو الاسم الذي تكشف به الكربات ، وتقال به العثرات ، وتستنزل به البركات ، وتجاب به الدعوات ، وتدفع به السيئات ، وتستجلب به الحسنات ، وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات ، وبه أنزلت الكتب وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع ، وبه قامت الحدود وبه شرع الجهاد ، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء ، وبه حقت الحاقة ، ووقعت الواقعة ، وبه نصب الصراط ، وبه قام سوق الجنة والنار ، وبه عُبد رب العالمين وحمد .

قال ابن القيم: الإله بمعنى المألوه، أي: المعبود حبا وتعظيما.

قد يقول قائل: لقد ثبتت الألوهية لغير الله؛ قال تعالى : (H I J K L M N O P Q R S T U V X Y Z [\ )

[سورة هود 101]

الجواب: أنها ألوهية ناقصة؛ لأن الله قال: (x y z { | } ~ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ © ﴿٦٢﴾)

[سورة الحج : 62]

وكذلك هي ألوهية ليس فيها تعظيم للمألوه ولا حب له، فتجد الواحـــد منهم مثلاً يصنع إلهاً من الحلوى، فإذا جاع أكله، وإذا خسروا في تجارة أو انهزموا في معركة يرجعون فيسبون آلهتهم إذن فليس فيها تعظيمٌ لهم ولا حبٌ لهم.

****

1- قوله تعالى: [w v u t] هنا محذوف تقديره: أي لا معبود حق إلا الله 0 ولقد اشتملت هذه الجملة على نفي وإثبات .

قال العلماء: إن النفي المحض (أي : لا إله) ليس توحيداً، والإثبات المحض (أي: إلا الله) ليس توحيداً، فلا بد أن تنفي وتثبت فتقول: لا إله إلا الله .

لأن النفي المحض تعطيل محض ، والإثبات المحض ينفي مشاركة الغير في الحكم.

****

2- قوله تعالى [y x] اسمان جليلان عظيمان جامعان لكمال الأوصـــاف والأفعال؛ فكمال الأوصاف في الحي، وكمال الأفعال في القيوم.

و[ال] هي الدالة على الاستغراق من حيث البقاء ومن حيث الكمال، أي ذو الحياة الكاملة.

أما حياة البشر فهي ناقصة من عدم إلى عدم في الدنيا، وحياته ســبحانه لم تسبق بعدم؛ قال تعالى: (6 7 8 9 : ;) (الفرقان: 58)، قال تعــالى: (O P Q R T U V W X Y Z) [الرحمن 27]

و[y] هو القائم بنفسه القائم على غيره، قال تعـــالى: (أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ ´ µ ¶ ¸ كَسَبَتْ) [سورة الرعد : 33]

قد يقول قائل: كيف ذلك والله تعـــالى يقـــول: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن © ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾) [محمد: 7]

الجواب: المعنى إن تنصروا دين الله من مجاهدة للنفس والتسلح للأعـــداء، وإيثـــار الآخرة وغير ذلك ينصركم الله على أعدائكم .

****

3- قوله تعالى : [} | { ~ نَوْمٌ]

قال القرطبي رحمه الله: النعاس هو ما كان في العين، فإذا صار في القلب صار نوماً.

لماذا لم يقل: [لا ينام] ؟

قال العلماء: لا ينام بالغلبة ولا بالاختيار . لماذا ؟

لأن النوم صفة نقص؛ ولا ينبغي للإله أن يوصف بصفات النقص .

عَنْ أَبِي مُوسَى t قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ r بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ:"إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"(1)

1 - مسلم (264).

قال العلماء: إن كلمة (لا ينبغي) في القرآن والسنة تعني: الشـــيء الممتنـــع غايـــة الامتناع قال تعالى في سورة مريم: (وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾)

[سورة مريم :92]

فكل الخلق في حاجة إلى الله حتى النائم؛ والدليل على ذلك قول الــنبي r عنــد النوم: "إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ بــه عبــادك الصالحين"(1)

****

وقوله تعالى: [} | { ~ نَوۡمٌ] هذه تسمى عند العلماء بالصفات السلبية، ولا يوجد في صفات الله تعالى صفات سلبية محضة ، إنما تذكر لبيان كمال الضــدّ كما قال العلماء؛ فذكرت هنا لبيان تمام حياته وقيومته .

والصفات السلبية : هي ما نفاه الله عن نفسه وهي متضمنة لثبوت كمال ضدها.

****

4- قوله تعالى : [لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ]

ما: اسم موصول للعموم والشمول، فتشمل الأعيان والأحوال.

قال بعض العلماء: أي تشمل ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً .

قد يقول قائل: السموات سبع فكم تكون الأرض؟

الجواب: سبع أيضا .

قال تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ) [الطلاق :12]

1 - البخاري (5845) ، مسلم (4889)، واللفظ للبخاري .

قال العلماء: المثلية هنا هي مثلية العدد .

لماذا أفردت الأرض وجمعت السموات ؟

لأن السموات خلقت من أجناس مختلفة، بينما الأرض فخلقت من جنس واحـــد، وهو التراب .

****

5- قوله تعالى : [مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ]

هنا استفهام الغرض منه التحدي؛ بدليل الإثبات بعده (إلا بإذنه)، ومتى جاء النفي بصيغة الاستفهام فقد خرج مخرج التحدي .

ما شروط الشفاعة ؟

(1) إذن الله فيها.

(2) رضاه عن الشافع.

(3) رضاه عن المشفع .

ما الشفاعة لغةً واصطلاحاً ؟

لغةً : اسم من شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضدِّ الوتر قال تعالى:

(& ') ( ) [الفجر :3]

اصطلاحاً:التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة .

فمثلاً: شفاعة النبي r لأهل الموقف لدفع المضرة، وشفاعته لأهل الجنة لجلب منفعة لهم .

الآيات التي أثبتت الشفاعة:

هذه الأية – أي آية الكرسي - وقوله تعالى: (d e f g i j k l n o p q) [الزمر:44] وغيرهما من الآيات التي أثبتت الشفاعة

وهناك آيات نفت الشفاعة:

من ذلك قوله تعالى: (~ لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾) [الشعراء:100]

وقوله تعالى: (\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m o p q r) [البقرة:254]

وغير ذلك من الآيات التي فيها نفي الشفاعة

والجمع بين الآيات التي أثبتت والتي نفت كما يلي[1]:

(1) لا بد أن نعلم أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله؛ لقوله تعالى:

(d e f g) [سورة الزمر : 44].

1 - وقد نفت المعتزلة والخوارج الشفاعة ، وجعلوا صاحب الكبيرة مخلداً في نار جهنم احتجاجاً بالآيات التي يظهر منها نفي الشفاعة، ولم يجمعوا بينها وبين آيات إثبات الشفاعة ، كما فعل أهل السنة الذين هم دائماً وسط في كل شيء، فهم وسط بين الغلو والتفريط ، وهنا جعلوا – أي أهل السنة - صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء أدخله النار وإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، وانظر تفصيل ذلك في شروح الطحاوية .

(2) أنه لا شفاعة في الكافرين :

قال تعالى: (ا : ; < = > ? @ A) [غافر:18]

وعَنْ أَبِي هريرة t عَنِ النَّبِيِّ r قَالَ: " يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي؟! فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ"[1]

ولكن يستثنى من ذلك شفاعة النبي r في عمه أبي طالب [2] .

(3) أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله ؛ قال تعالى: (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ) [البقرة آية : 155]

(4) أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله قال تعالى: (I J K L M N O P Q R) [الأنبياء: 28]

---

1 - البخاري (3101) ومعنى ذيخ: ذكر الضباع .

2 - البخاري (3594) ، مسلم (308) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ t أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ r وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: " **لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**" والضحضاح: موضع لا عمق له .

(5) أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها

قال تعـــالى : (r s t u v w x y z {

| © وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ~ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي }

سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾) [يونس:18]

وقال تعالى: (V W X Y Z [\ ] ^ _ `

a b c d e f g h i j k l m n o p

q r s) [فاطر:13،14]

أقسام الشفاعات:

قسم العلماء الشفاعة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشفاعات في الآخرة: وهي التي يشـــفعها المصـــطفى r والنبيـــون والصالحون والشهداء وشفاعة الجبار وغيرها .

القسم الثاني : شفاعة قوم أحياء لقوم قد ماتوا: كشفاعة الأبناء لآبائهم الذين ماتوا كما جاء عند أحمد بسند حسن عَنْ أَبِي هريرة t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـــهِ r : "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟. فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ" (1)

1 - صحيح : أحمد (10202)، وقد سبق، وهو صحيح .

القسم الثالث: الشفاعات التي بين أهل الدنيا في دنياهم :

وهذه منها ما هو مشروع كما قال تعالى: (مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾) [النساء:85]

كما جاء عند البخاري من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أَنَّ مُغِيثًا كَانَ عَبْدًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْفَعْ لِي إِلَيْهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : يا بَرِيرَةُ اتَّقِي اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْمُرُنِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: لا إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ، فَكَانَ دُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدِّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ r لِلْعَبَّاسِ: أَلا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَبُغْضِهَا إِيَّاهُ؟"[1]

وكقوله r : " اشفعوا تؤْجَروا"[2]

ومنها ما هو محرم كالشفاعة عند السلطان لإسقاط واجب كما في حديث عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ r ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ r ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[3]

1 - صحيح : أبو داوود (904) والدارمي (2190)، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (3199).

2 - البخاري (1343) .

3 - البخاري (62909) ، مسلم (3196).

ومن هذا القسم المحرم أيضاً إعطاء حق شخص لآخرعن طريق ما يعـــرف بالرشوة؛ فعَنْ أَبي هريرة t قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ r الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِـــيَ"[1] أو أي طريق أخرى غير الرشوة من طرق أكل أموال الناس بالباطل .

كيف تنال الشفاعة ؟

(1) قراءة القرآن والعمل به :

- وذلك لما روي عن أَبُي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ - t - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـــهِ r يَقُولُ: "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَـــا غَمَامَتَـــانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْـــحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَـــةُ "[2]

قال الخازن: قال أهل اللغة: الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغَبَرة وغيرهما، والمراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين [3].

ومعنى فرقان: جماعتان أو قطيعان، وطير صواف: طير يبسط أجنحته، والبطلة: السحرة .

(2) سُكنى مدينة رسول الله r :

وذلك للحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ t لَيَالِيَ الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ

---

1 - صحيح: الترمذي (1256) وأبو داوود (3109)، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (3753).

2 - مسلم (1337).

3 - تفسير الخازن (1/ 25)، دار الفكر .

لا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلأْوَائِهَا فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لا آمُرُكَ بِذَلِكَ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ: لا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلاَ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا"[1]

(3) الصلاة على النبي محمد r وطلب الوسيلة له بعد تكريره لما يقوله المؤذن:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) أَنَّهُ سَمِعَ النبي r يَقُولُ:" إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلاَ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"[2]

(4) الصلاة على الأموات:

وذلك لقوله r :"ما من مُسْلِمٍ يصَلِّي عليْه أُمةٌ إلا شفِّعوا" [3] وكان أبو المليح يقول: الأمة: الأربعون فصاعداً"[4]

ما الذي يَحْرِم الإنسان من الشفاعة ؟

حرم الإنسان من الشفاعة يكون بكثرة اللعن؛ وذلك للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ t قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ: إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[5]

---

1 - مسلم (2441) .

2 - مسلم(577).

3 - صحيح : المعجم الكبير للطبراني (1060) والبيهقي في شعب الإيمان (9250)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (5762) .

4 - صحيح : المعجم الكبير للطبراني (1060) .

5 - مسلم (4703).

لكن هل يتعارض هذا الحديث مع قوله r في المتبرجة: "العنوهن؛فإنهن ملعونات"[1] وغيره؟

الجواب: لا؛ لأنه يجوز لعن العصاة عامة؛ لقوله r في المتبرجات: "العنوهن فإنهن ملعونات" ولكن لا يجوز لعن العاصي المعين؛ لأنه r زجر الرجل لما لعن شارب الخمر وقال: "لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيكم" [2].

ومع جواز ذلك لا ينبغي للإنسان أن يكثر من اللعن؛ للحديث السابق، وقوله r :"لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا"[3] وقوله r: "لعن المؤمن كقتله "[4] وغيرهما .

هل يجوز لعن الكفار عامة؟ وهل يجوز لعن الكافر المعين؟

الجواب : يجوز لعن الكفارعامة باتفاق العلماء، قال تعالى: (8 9 : ; >) [البقرة:89] ، وقال تعالى] أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ Z

[هود: ١٨]

ولكن لا يجوز لعن الكافر المعين على الراجح؛ لأنه لما همّ النبي r أن يدعو على أقوام معينين أنزل الله تعالى: (w x y z { | } ~ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾) [آل عمران : 128] .

قال ابن العربي: ودعا النبي r علي من تحزب علي المؤمنين وألَّب عليهم، وكان هذا أصلاً في الدعاء علي الكفار في الجملة ، فأما الكافر المعين الذي لم تعلم خاتمته فلا يدعي عليه ؛ لأن مآله عندنا مجهول ، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة للسعادة،

1 - صحيح : أحمد (6786) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (2682) .
2 - صحيح : أحمد (3955) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (1779) .
3 - مسلم (4701).
4 - البخاري (5640) و مسلم (160) .

وإنما خص النبي r الدعاء علي عتبة وشيبة وأصحابه؛ لعلمه بمآلهم وما كشف لـــه من الغطاء عن حالهم والله أعلم .[1]

****

6- قوله تعالى: [يَعۡلَمُ ´ µ ¶ ¸ خَلۡفَهُمۡ]

العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكاً جازمـــاً ، فعـــدم الإدراك جهـــل ، والإدراك على وجه لا جزم فيه شك ، والإدراك على وجه جازم غير مطابق جهل مركب .

فلو سئلت : متى كانت غزوة بدر ؟ فقلت : لا أدري فهذا جهل.

ولو سئلت : متى كانت غزوة بدر ؟ فقلت : إما في الثانية أو في الثالثة فهذا شك.

ولو سئلت : متى كانت غزوة بدر ؟ فقلت : في السنة الخامســـة ، فهـــذا جهـــل مركب.

والله عز وجل يعلم الأشياء علماً تاماً شاملاً بها جملة وتفصيلاً ، وعلمه ليس كعلم العباد ، ولذلك قال :] يَعۡلَمُ ´ µ ¶ ¸ خَلۡفَهُمۡۖ Z .

و[´] من صيغ العموم والشمول ، فهي شاملة لكل شيء سواءً كان دقيقاً أم جليلاً ، وسواءً كان من أفعال الله أو من أفعال العباد.

و[µ ¶] أي: المستقبل

[خَلۡفَهُمۡ] أي: الماضي.

---

1 - الأحكام لابن العربي (312/4) ، دار الكتب العلمية .

وعلمه من بين أيديهم يقتضى أن لا يجهل المستقبل ، وعلمه لمـــا خلفهـــم يقتضى أنه لا ينسى الماضي ، ولهذا لما قال فرعون لموسى :] ë بَالُ ٱلۡقُرُونِ î Z] ! " # $ % & ' ( ) * + , - Z يعـــني : لا يضـــل في المستقبل ولا يجهل عز وجل ، ولا ينسى الماضي .

****

7- قوله تعالى: [وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ]

قال القرطبي رحمه الله[1]: العلم هنا بمعنى المعلوم، أي: لا يحيطون بشيء من معلوماته، وهذا لقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفورالبحر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر. [2]

ومعنى الآية : أي لا يستطيع أحد أن يقف على شيء من علم الله عز وجل إلا إذا شاء الله أن يُعلمه ، ويتبين هنا كمال علم الله ، نقص علم المخلوقين. فمـــا شاء الله أن يُعلمه الخلق أعلمهم إياه ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بذاته ، أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله أو مخلوقاته.

****

[1] - تفسير القرطبي (3/ 276)، دار الكتب العلمية بالرياض.

[2] - البخاري (119) ، مسلم (4385).

8- قوله تعالى: [وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ]

العرش: هو أول شيء خلق :

إن العرش هو أول شيء خلق من الأشياء المعلومة وليس القلم؛ وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ t لابنهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ:" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ". يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ r يَقُولُ: "مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي"[1]

قال المباركفوري: إن أول ما خلق الله القلم أي بعد العرش والماء والسموات والأرض بخمسين ألف سنة .

وسئل ابن عباس (رضي الله عنهما) عن قوله تعالى: (> = < ?) على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح [2].

ما الفرق بين العرش والكرسي؟

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله [3]، فالعرش أوسع أو أعظم أو أبلغ إحاطة من الكرسي.

---

1 - صحيح : الترمذي (2081) وأبو داوود (4078)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2017)

2 - تحفة الأحوذي (6/ 369)، دار الفكر .

3 - صحيح : أبو الشيخ في العظمة (2/ 582)، دار العاصمة وغيره، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو (75/1) المكتب الإسلامي .

والدليل على ذلك الحديث الذي صححه الشيخ الألباني أنه r قال: "ما السموات السبع والأرضون إلا كحلقة في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة"[1]

وهذا يدل على سعة هذه المخلوقات العظيمة التي هي بالنسبة لنا من عـــالم الغيب ، ولهذا يقول الله عز وجـــل :] P Q R S T U V W X Y Z [\ Z [ق: ٦]

وقد علق الشيخ الألباني (رحمه الله) على هـــذا الحـــديث في السلســـلة الصحيحة فقال: ولا يصح في صفة الكرسي غير هـــذا الحـــديث، وأنـــه أعظـــم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه، وليـــس شيئـــاً معنويـــاً كما يظن البعض. [2]

وإذا كان الكرسي قد وسع السموات والأرض فهو دليل على أنه مكور .

أما العرش فقد جاء عن النبي r أن عرشه على السموات كالقبـــة، والقبـــة غـــير مكورة وهي غير مسطحة أيضاً كقبة الخيمة يكون وسطها مرتفعا .

واعلم أخي الحبيب أن الله عز وجل على عرشه وليس سبحانه في حاجة إلى العرش، فلا العرش يحمله، ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته والكرسي وعظمته الكل محمول بلطف قدرته ، مقهور بجلال قبضته .

---

[1] - صحيح : ابن أبي شيبة في العرش (34/1) مكتبة الرشد بالرياض، وصححه الشيخ الألباني فـــي السلسلة الصحيحة (109)

[2] - صحيح : صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (109) .

9- قوله تعالى: [وَلَا يَئُودُهُۥ حِفۡظُهُمَا]

أي: يُثقله ويشق عليه ، يقال: آدني الشيءُ بمعنى أثقلني

(حفظهما) أي : حفظ السموات والأرض ، وهذه الصفة صفة سلبية .

ما الذي يتطلبه الحفظ حتى نعرف أن هذا النفي لكمال ذلك الشيء الذي يستلزم الحفظ فالواجب أن يتطلب الحياة والعلم والقدرة والقوة والرحمة ويمكن صفات أخرى.

فالمهم أن هذا النفي يتضمن كمال علم الله وقدرته ورحمته وما إلى ذلك من الصفات التي يستلزمها حفظه سبحانه وتعالى .

****

10- قوله تعالى: [وَهُوَ العلي العظيم] ويتعلق بهذه الجملة عدة مسائل:

المسألة الأولى: منهج السلف الصالح في أسماء الله وصفاته:

اعلم أخي - بارك الله فيك - أن منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين والعلماء العاملين هو إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله r من الصفات والأسماء على الوجه اللائق به سبحانه، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله، والسكوت عما سكت الله عنه ورسوله، فالكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات، فكما نثبت لله سبحانه صفة الوجود الحقيقي

الذي لا يماثله وجود أي مخلوق، كذلك نثبت له باقي الصفات، وأنها تختلف عن صفات المخلوقين [1]

قال الإمام أبو حنيفة: وله يد ووجه ونفس كما ذكر الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف معلوم لنا ، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف [2]

قال البيهقي: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية [3].

قلت: مقصودهم: إثباتها على حقيقتهاعلى الوجه اللائق بالله، وترك الكيفية له سبحانه.

[1] - وللرجوع في هذا الموضوع عليك بهذه الكتب: الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة في باب كلامه عن الصفات ، و العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي وشرحها أبو العزالحنفي ، والفتوى الحموية الكبرى، والعقيدة الواسطية، ودرءتعارض العقل والنقل ثلاثتهم لابن تيمية، وشرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين، وغيره، وشرح الحموية لكل من الشيخ التويجري والشيخ المصلح، واعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، وتسهيل العقيدة للشيخ ابن جبرين ، والاعتقاد للبيهقي، وغير ذلك من الكتب التي لا تحصى التي لا يتسع المجال لذكرها، والتي تثبت عقيدة أهل السنة في الأسماء و الصفات وهي إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه.

[2] - اعتقاد الأئمة الأربعة صـ 10 ، للشيخ : محمد الخميس ، دار العاصمة.

[3] _ الأسماء والصفات للبيهقي (377/2) دار السوادي.

قال الشافعي : نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة، وننفـــي التشبيه عنه كما نفي عن نفسه، فقال: (1 2 3) (الشورى:11)[1].

قال الإمام أحمد : لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رســـوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث[2].

قال ابن تيمية: فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية ، وله أفعـــال حقيقيـــة، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صـــفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله متره عنه حقيقة، فإنه ســـبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه.[3]

****

المسألة الثانية: القلق والحيرة التي يعيش فيها من حاد عن هذا المنهج السابق (وهـــم أصحاب الكلام) :

اعلم أخي أن هذا المنهج - أي إثبات الصفات على حقيقتها على الوجـــه اللائق بالله - هو المنهج الحق؛ فقد قال تعالى: (C D E F G I J K L M O P Q R S) [سورة الأعراف : 180]

قال الطبري: الإلحاد هو العدول عن القصد، وقال تعالى: (1 2 3) [سورة الشورى : 11]

---

[1] _ سير أعلام النبلاء (431/20) .

[2] _ الفتوى الحموية الكبري صـــــ 265، دار الصميعي .

[3] _ السابق صـــــ 266.

وأما من حاد عن هذا المنهج فإنه يصاب بالحيرة والقلق:

قال شمس الدين الخسروشاهي – وكان من تلامذة الرازي – لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوماً فقال له: ما تعتقده ؟ قال: ما يعتقده المسلمون. فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ فقال: نعم فقال: اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقده والله ما أدري ما أعتقده والله ما أدري ما أعتقده. وبكى حتى أخضل لحيته [1]،

قلت: وقد حاد عن منهج أهل السنة في الصفات، وهو يغبط الذي يعتنق هذا المنهج السابق في الإثبات.

وقد جاء عن أحدهم- أي أحد أهل الكلام الذين لم يتبعوا منهج السلف في الأسماء الصفات - أنه قال: أضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء[2].

وقد جاء عن إمام الحرمين الجويني أنه قال بعد أن ضيَّع عمراً طويلاً في علم الكلام قال: والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الاخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني .

وقال أيضاً: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

[1] - شرح الفتوى الحموية للتويجري (193) دار الصميعي.

[2] - السابق.

وحكى عنه أنه قال عند مرضه: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور. (1)

قلت - محمد: ودين العجائز(2) هو منهج السلف .

ومثل هذا حدث مع الرازي وابن فورك وغيرهما. (3)

وقال الغزالي:أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام (4).

قلت: وهذا غيض من فيض، وإلا فالأمثلة كثيرة، ولو ذكرناها كلها لاتسع المقـــال ولضاق المقام، ولعل في هذا القدر الكفاية والغنية .

****

المسألة الثالثة: هل أسماء الله توقيفية أم اجتهادية ؟

أسماء الله تعالى توقيفية أي لا يجوز لنا أن نثبت أسماءً لله لم يسم نفسه بهـــا، كأن نقول مثلاً: يا ماكر، ولكن يجوز أن نقول: يا خير الماكرين .

قال ابن حجر في الفتح: وقال القاضي أبو بكر والغزالي: الأسمـــاء توقيفيـــة دون الصفات قال: وهذا هو المختار، واحتج الغزالي بالاتفاق على أنه لا يجوز لنـــا أن نسمي رسول الله r باسم لم يسمه به أبوه ولا سمى به نفسه، وكذا كل كـــبير من الخلق ،

---

[1] - سير أعلام النبلاء (474/18)، دار الرسالة .

[2]- دين العجائز :أرادوا بكلمة العجائز من كان عَرِّيا عن آلات الجدل والبحث من المسلمين ، ولا يقصد بالعجائز أشخاص معينون ، وأن المعنى : أن الإنسان لو كان عاميّاً في عقيدته ، من حيث عدم تزلزل عقيدته ، وعدم قبوله المناقشة فيها مشبَّهاً بالعجائز الذين يشعرون أن هذا هو الذي لا محيد عنه ، وهذا المطلوب من المسلم أن يكون ملتزما بعقيدته متمسكا بها ....،

[3] - شرح الحموية من 191إلى 195.

[4] - السابق .

قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أولى، واتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصاً، ولو ورد ذلك نصاً فلا يقال: ماهد ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك وأن ثبت في قوله (فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾) (p o nm) (" # $ % & ') ونحوها ولا يقال له: ماكر ولا بنَّاء وإن ورد (, -) (وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا) .

وقال أبو القاسم القشيري: الأسماء تؤخذ توقيفاً من الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه [1].

****

المسألة الرابعة: هل أسماء الله محصورة في التسعة والتسعين فقط التي وردت في حديث الصحيحين عن أبي هريرة t قال r :"إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة " ؟

الجواب: لا ليست محصورة في هذا العدد، بل تزيد على ذلك

قال ابن حجر: وقد اختلف في هذا العدد، هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه العدة أو أنها أكثر من ذلك ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟

فذهب الجمهور إلى الثاني ، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ويؤيده قوله r في

[1] - فتح الباري (223/11)، دار الفكر .

حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"

قال الخطابي: في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهـذا العـدد، وليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينـها معاني، وخبر المبتدأ في الحديث هو قوله:" من أحصـاها " لا قولـه " لله " وهـو كقولك لزيد ألف درهم أعدها للصدقة أو لعمرو مائة ثوب من زاره ألبسه إياها.

وقال القرطبي في المفهم نحو ذلك .[1]

قلت: لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، فهل معنى ذلك أنه ليس عنده غـير هذه الدراهم؟! وكذلك قولك لعمرو مائة ثوب، هل ليس عنده غيرها ؟!

****

المسألة الخامسة: ما معنى(من أحصاها) ؟

قال ابن القيم في بدائع الفوائد:

مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها .

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها .

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها؛ كما قال تعالى: [C D E F G](الأعراف 180)

---

[1] - السابق (220/11) .

وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة .

والثاني: دعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها ، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم [1]،

قلت: فمثلا يدعو الله أن يتوب عليه، فيقول: يا تواب تب عليَّ، ويا غفور اغفر لي، ويا رزاق ارزقني وهكذا .

****

المسألة السادسة: ما معنى قوله تعالى [G F] ؟

الإجابة هي في المسألة السابقة وكذلك قول الإمام القرطبي الآتي ذكره:

قال القرطبي في التفسير: (فادعوه بها) أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي، هكذا.

فإن دعوت باسم عام قلت: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني.وإن دعوت بالأعم الأعظم فقلت: يا ألله، فهو متضمن لكل اسم.، ولا تقل: يا رزاق اهدني، إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير، قال ابن العربي: وهكذا، رتب دعاءك تكن من المخلصين [2]. لأنه حينما يكون الاسم موافقاً للمسألة

---

[1] - بدائع الفوائد لابن القيم (288/2، 189)، دار : عالم الفوائد .

[2] - تفسير القرطبي (180/4).

يستجيب الله عز وجل ، فمثلاً إذا أردت الرزق قل ارزقني يا رزاق كما قال عيسى عليه السلام] 4 5 6 7 8 Z [المائدة: ١١٤] ، إذا أردت مغفرة الذنب قل : اغفر لي يا غفار كما قال موسى عليه السلام] أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ Z [الأعراف: ١٥٥] ، وإذا أردت الشفاء قل : اشف أنت الشـــافي ، كما قال محمد r : (اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما)

****

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

المسألة السابعة: قوله تعالى [وَهُوَ العلي]

العلو عند السلف يُحمل على ثلاثة معانٍ:

الأول: علو الذات، ويدل عليه اسمه سبحانه (العلي).

الثاني: علو الشأن، ويدل عليه اسمه سبحانه (الأعلى) .

الثالث: علو القهر، ويدل عليه اسمه سبحانه (المتعال).

ومنهج أهل السنة والجماعة إثبات العلو لله بأنواعه الثلاثة .

أدلة علو الله على عرشه (أي علو الذات)

أدلة الكتاب:

لقد امتلأ كتاب الله تعالى بالأدلة التي تدل على استوائه سبحانه على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله وفوقيته على كل الخلائق.

قال صاحب الفتوى الحموية: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخـــره، وســـنة رسوله r من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام ســـائر الأمة، مملوء بأن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنـــه فـــوق العرش، وأنه فوق السماء،

مثل:

(1) قوله تعالى: (﴿ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾) (فاطر :10)

(2) وقوله: (7 8 9 :) (آل عمران :55)

(3) وقوله: (D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Z [\ ]) (الملك 16 : 17) .

قلت: وحرف الجر (في) بمعنى: على؛ كما قال تعالى: (k l m) أي على الأرض، لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض .

(4)وقوله: (f g h i) (النساء :188)

(5) وقوله: (µ ¶ ﴿ إِلَيۡهِ ﴾) (المعارج : 4)

(6) وقوله: ([\ ] ^ _ ` a b c) (السجدة:5)

(7) وقوله: (﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾) (النحل :50)

(8) وقوله: (N O P Q) (الفرقان :59) .

(9) وقوله: (Y Z [ ] \ ] ((طه: 5)

(10) وقوله: (^ _ ` a b c d e f g h
i j k l m n) (غافر 36)

(11) وقوله: (m n o p) (فصلت :2) .

(12) وقوله: (p q r) (الأنعام :144)

إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة. (1)

أدلة السنة علي إثبات الفوقية لله :

وقال أيضاً(2): وَفِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ مَا لا يُحْصَى إلاَّ بِالْكُلْفَةِ مِثْلَ:

(1) قِصَّةِ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ r إلَى رَبِّهِ. (3)

(2) وَنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَصُعُودِهَا إلَيْهِ وَقَوْلِهِ r فِي الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ :" فَيَخْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ إلَى رَبِّهِمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ" . (4)

(3) وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الْخَوَارِجِ:" أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً"(1) .

---

[1] - الفتوى الحموية (1/ 202) دار الصميعي.

[2] - الفتوى الحموية (1/ 202) .

[3] - البخاري (2968) ، مسلم (234).

[4] - البخاري (522) ، مسلم (1001).

(4) وَفِي حَدِيثِ الرُّقْيَةِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو داود وَغَيْرُهُ:"رَبُّنَا اللَّـهُ الَّـذِي فِـي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُك، أَمْرُك فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُـك فِـي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَك فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِك وَشِفَاءً مِـنْ شِـفَائِك عَلَـى هَـذَا الْوَجَعِ".[2]

(5) وحديث الجارية التي قال لها النبي r : "أين الله ؟" قالت: في السـماء ... قال:"اعتقها؛ فإنها مؤمنة" [3]

قلت: وليست هذه الأحاديث فقط هي التي أثبتت الفوقية، بل هذه نقطة في بحـر الأحاديث التي أثبتت الفوقية .

قول الصحابة والتابعين:

عن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعت عمر بن الخطاب t يقول: ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق، ولم يقـض على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغبة، ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه. [4]

---

[1] - البخاري (4004) ، مسلم (1763).

[2] - ضعيف : أبو داود (3394) وأحمد (22822)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود (3892).

[3] - مسلم (836) .

[4]- صحيح : أحمد في الزهد صـ 155، دار الكتب العلمية، وصححه الشيخ الألباني فـي مختصـر العلو صـ 10، المكتب الإسلامي.

عن ابن مسعود t قال: والعرش فوق الماء، والله عز وجل فوق العــــرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم [1]

عن زيد بن أسلم قال: مر ابن عمر براعٍ فقال: هل من جَزَرَة ؟ فقال: ليس هاهنا ربها . قال ابن عمر: تقول له: أكلها الذئب . قال: فرفع رأسه إلى الســـماء وقال: فأين الله ؟ فقال ابن عمر: أنا والله أحق أن أقول: أين الله؟ . واشترى الراعي والغنم فأعتقه وأعطاه الغنم.[2]

وعن عبد الله بن رواحة t مشى ليلة إلى أمة له فنالها فرأته امرأته فلامتـــه فجحدها، فقالت: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن؛ فإن الجنب لا يقرأ القرآن فقال:

شهدت بأن وعد الله حـــق.

وأن النار مثوى الكافيرنـــا.

وأن العرش فوق الماء طاف.

وفوق العرش رب العالمينا.

وتحمله ملائكة كـــــــرام.

وأملاك الإله مسومينـــــــا.

فقالت امرأته: صدق الله وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن [3]

1- صحيح : التوحيد ابن خزيمة (885/2)، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلوصـ 103.

2- صحيح : المعجم الكبير للطبراني (13055)، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلوصـــــــ 127، والجزرة: الشاة السمينة.

3- السير (238/1)

قال عكرمة في قوله تعالى: (U V XW Y Z [\ ] ^ _) قال ابن عباس: لم يستطع أن يقول: من فوقهم علم أن الله من فوقهم[1] .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله؛ فإن بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة آلاف سنة، وهو فوق ذلك [2]

عن كعب الأحبار: قال الله عزوجل في التوراة:" أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي، ولا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض" [3]

إلى غير ذلك من أقوال الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) مما لا نستطيع حصره هنا.

قول الأئمة:

قول أبي حنيفة: انظر كلامه في المسألة الآتية (كفر من أنكر علو الله).

قال الأوزاعي : كنا – والتابعون متوافرون – نقول: إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته [4]

قال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء [1]

---

[1] - صحيح: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم صـ 89، دار البيان

[2] - السابق صـ 88 .

[3] - صحيح : العظمة لأبي الشيخ صـ 226، دار العاصمة، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـ 128.

[4] - صحيح : اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم صـ 96، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـ 137 .

قال الشافعي: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتــهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رســول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى الســماء الدنيا كيف شاء .... [2]

قال أحمد: هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه. [3]

قال القرطبي: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه علــى عرشــه حقيقة، وخص عرشه بذلك؛ لأنه أعظم مخلوقاته [4]

وأخيراً: فهذه بعض أدلة استواء الله على عرشه، وإلا لو جئنا بكل الأدلة لما اتسع المقال ولضاق المقام.

****

[1] - صحيح : السابق صـــ 101، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـــ 140.

[2] - صحيح : السابق صــ 122، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صــ 176.

[3] - صحيح : السابق صــ 153، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـــ 189.

[4] - السابق صــ 209 .

المسألة الثامنة: كفر من أنكر علو الله على عرشه[1]:

قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفـــر؛ لأن الله تعالى يقول: (Y Z [\ ]) [طه: 5] ، وكذا من قال: إنه على

1- **قال الشيخ التويجري شارح الحموية:** لكن ينبغي التنبه أن كلام الأئمة في تكفير من خالف فـــي بعض هذه المسائل، أنه من باب التكفير المطلق، وفرق بين التكفير المطلق، وتكفيــر الشـــخص المعين، فالتكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، وهذه قاعدة عامة، أن التكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، الله - عز وجل - توعد الذين يأكلون أموال اليتامى بالنار، فلا يجوز أن تقول لإنســـان يأكل الربا إنه في النار، ولا يجوز أن تحكم على مسلم قاتل بعينه أنه في النار، ففرق بين التكفير المطلق، والتكفير المعين.

يدل على ذلك أن الأئمة يكفرون ببعض المقالات، لكن يلاحظ أنهم إذا نظـــروا إلـــى الشـــخص المعين، فإنهم لا يحكمون بكفره، مثل الإمام أحمد،اشتهر عنه أنه قال من قال إن القرآن مخلـــوق فقد كفر، ومع ذلك يلاحظ أنه يصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق، فلو كان يكفر هذا الشخص بعينه، ويخرجه من الملة، لما صلى خلفه؛ لأن الصلاة خلفه لا تصح، وذلك أن التكفير المعين له شروط وموانع، فقد تنتفي في حق هذا الشخص المعين، إما لتأويل أو لجهل، أو لأمر آخر، وهذا مما يكثر الخطأ فيه، خاصة عند الشباب، يأخذون هذه النصوص العامة عن الأئمة، وأحياناً حتى من الكتاب والسنة، ويطبقونها على الأشخاص المعينين، وهذا خلاف المنهج الصحيح.

أنا أسألكم الآن: ما حكم من شك في قدرة الله؟ كافر، ولا شك في ذلك،. ما حكم من شك في اليوم الآخر؟ كافر.

ثبت في صحيح البخاري: " أن رجلا أسرف على نفسه، فلما حضرته الوفاة جمع أبناءه وأوصاهم قال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذُرُّوني؛ فوالله لئن قدَر الله عليّ ليعذبني عذابا ما عذبه أحداً من العالمين، فجمعه الله - عز وجل - وأقامه وقال: ما حملك على ذلك؟ قـــال: مخافتـــك، فغفر الله له ".

يقول شيخ الإسلام: هذا عنده نوعان من أنواع الكفر الأكبر: الشك في قدرة الله، والشك في اليوم الآخر، ولكن غفر الله له بسبب الجهل، والأمثلة كثيرة.. انظر شرح الشيخ حمد بن عبدالمحســـن التويجري على الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام وذلك عندما كان يشرح هذا القول الذي نقله شيخ الإسلام في الفتوى الحموية .

العرش ولا أدري العرش في السماء أو في الأرض؟ فهو كافر؛ لأنه أنكر أن يكـــون الله في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل. (1)

****

المسألة التاسعة: الفرق بين العلو والاستواء:

إن الاستواء دليل من أدلة العلو، وبينهما تشابه كبير، ولكن الخلاف بينهما في ناحية الثبوت، فإن الاستواء من المسائل التي ثبتت عـــن طريـــق الســـمع- أي بالأدلة- فقط، ولكن العلو ثبت بالسمع والعقل.

معنى الاستواء في لغة العرب:

أصل الاستواء في اللغة هو الارتفاع والعلو على الشيء، ومنه قوله تعالى:

(Y Z [\ ]) [المؤمنون:22]

وإذا قيد الاستواء فله ثلاثة أضرب:

الأول: وهو المقيد بحرف الجر" إلى" كقولـــه تعـــالى: (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ) [البقرة:29]

واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وهذا بمعنى: العلو والارتفاع بإجماع السلف

الثاني:المقيد بحرف الجر "على " كقوله تعالى: (; < =) (الزخرف: 13) .

وهذا معناه أيضا: العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة .

[1]- الجيوش الإسلامية صـــ 99، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلوصــ 137 .

الثالث: المقرون بالواو التي بمعنى مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى سواها .

فهذه معاني الاستواء في لغة العرب التي نزل بها القرآن وبها خوطبنا [1].

المسألة العاشرة: شبهة وجوابها :

قلنا: إن منهج أهل السنة هو إثبات الصفات على حقيقتها على الوجه اللائق بالله، فلماذ قلنا في قوله تعالى :(! " # $ % & ' ( ) (* + ، -
. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ?
@A B C D E G H I J K L N O P Q R S) [المجادلة:7]

لماذا قلنا هنا: إن المعية هنا هي معية العلم؟ .

وفي قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨) [النحل:128]أن المعية هنا هي معية النصر والتأييد وغير ذلك من الآيات ؟

وكما في سورة الحديد وكثير من الآيات التي تفيد معية العلم أو النصرة والتأييد أو غير ذلك؟

---

[1] - الفتوى الحموية الكبرى بتحقيق الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري ص:119، 120 بتصرف بسيط ، دار الصميعي.
وقد قام الشيخ حمد بشرح هذه الفتوى المباركة على قناة المجد العلمية وهذا الشرح موجود بالصوت والصورة على موقع قناة المجد العلمية فراجعه فهو مفيد جدا (www.islamakedymy.net).

الجواب:

إن كلمة مع تقال ولا يراد منها الالتصاق، فأنت تقول لأخيك مثلاً وهو في السعودية وأنت هنا في مصر فتقول له: إني معك .

ومثال ذلك قوله تعالى: (يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾) [آل عمران :43]

وقوله تعالى: (وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ) [آل عمران:193]

إلى غير ذلك من الآيات التي فيهاحرف الجر (مع) ولكنه لا يفيد الالتصاق ولا المصاحبة .

****

المسألة الحادية عشر: وقوله تعالى:[العظيم]

قال العلامة السعدي: العظيم هوالجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب وتعظمه الأرواح (1).

فإذا كنت يا أخي مغروراً بجاهك فتذكر عظمة الله عليك!

إذا كنت عليًا في نفسك فتذكر علو الله فوقك، فهو القائل سبحانه وتعالى: (وَهُوَ العلي العظيم)

إذا دعتك نفسك لظلم العباد فتذكر عظمة الله وقدرته وإحاطته بك:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً	فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ	يدعو عليك وعين الله لم تنم

1- تفسير السعدي صـــ 97، التوفيقية.

الخطبة السابعة عشر

الدرة المفقودة والغاية المنشودة (التقوى)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

! 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

[النساء:1] (? > = < ; : ! 8 7 6 5 4 3

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **r** ، وَشَــرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان : المعنى اللغوي : قال في المصباح : وقاه الله السوء وقاية :حفظه

المعنى الشرعي : اختلفت تعبيرات العلماء في تعريف التقوى مع أن الجميع يـــدور حول مفهوم واحد ، وهو أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله عز وجل وعذابه ، وذلك بامتثال المأمور ، واجتناب المحظور .

قال الحافظ ابن رجب : وأصل التقوى هو أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه ، وتارةً تضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل كقوله تعالى O وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ N المجادلة: ٩ وقال تعالى O - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 ; < = > ? @ N الحشر: ١٨ .

فإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه وتعالى فالمعنى اتقوا سخطه وعقابه وهو أعظم ما يتقى ، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي ، قال تعالى O وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ N آل عمران: ٢٨ وقال تعالى O T U V W X Y N المدثر: ٥٦ فهو سبحانه أهل أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده ، حتى يعبدوه ويطيعوه ، لما يستحق من الإجلال والإكرام ، وصفات الكبرياء والعظمة والقوة والبطش ، وتارةً تضاف إلى عقاب الله ، أو إلى مكانه كالنار أو إلى زمانه كيوم القيامة ، قال تعالى O وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ N آل عمران: ١٣١ وقال تعالى O فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ N البقرة: ٢٤ .

O وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ N البقرة: ٢٨١ O وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا N البقرة: ٤٨ ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات ، وربما يدخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات .

قال تعالى O ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B N البقرة: ١ – ٤

وعرفها (طلق بن حبيب) : قال : هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

قال ابن القيم : وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى ، فإن كل عمل لابد له من مبدأ وغاية ، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكـــون الباعث هو الإيمان المحصن لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه ، وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدأه محض الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضـــاته ، وهـــو الاحتساب.

ولهذا كثيراً ما يقرن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي r : " من صـــام رمضان إيمانا واحتسابا " ونظائره في قوله تعـــالى O & ') (* N الزمر: ٢٢ إشارة إلى الأصل الأول وهو مصدر العمل والسبب الباعث عليه ، وقوله (ترجـــو ثواب الله) إشارة إلى الأصل الثاني وهو الاحتساب ، وهو الغاية التي لأجلها توقـــع العمل ويقصد به .

قال الغزالي (رحمه الله) : التقوى في القرآن : تطلق على ثلاثة أشياء : أحدها بمعنى الخشية والهيبة ، قال تعالى O _ ` a N البقرة: ٤١ ، وقال تعـــالى Oوَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ N البقرة: ٢٨١ ، والثاني بمعنى الطاعة والعبادة ، قال تعالى O 4 5 6 7 8 9 : N آل عمران: ١٠٢ .

قال ابن عباس : أطيعوا الله حق طاعته ، وقال مجاهد : هو أن يطاع الله فلا يعصى وأن يُذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

والثالث : بمعنى تتريه القلب عن الذنوب ، فهذه هي الحقيقة عـــن التقـــوى دون الأولين ، ألا ترى أن الله يقـــول: O وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ N النور: ٥٢ ذكـــر الطاعة والخشية ، ثم ذكر التقوى ، فعلمت أن حقيقة التقـــوى معنى سوى الطاعة والخشية ، وهي تتريه القلب عما ذكرناه .

خَلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك بجذر ما يرى

لا تحقرنَّ صغيرةً إن الجبال من الحصى

قال الإمام (أحمد رحمه الله) : التقوى هي ترك ما تهوي لما تخشى .

وقال الإمام علي t : هي الخوف من الجليل ، والرضا بالقليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

وقيل : هي أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

وقيل : هي علم القلب بقرب الرب .

شرف التقوى وأهميتها :

1- التقوى هي وصية الله عز وجل للأولين والآخرين : قال تعالى O p q

r s t u v w x y z Nالنساء: ١٣١

قال الغزالي : أليس الله أعلم بصلاح العبد من كل أحد ، أو ليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد ، ولو كانت في العالم خصلة أصلح للعبد ، وأجمع للخير ، وأعظم للأجر ، وأجل في العبودية ، وأعظم في القدر ، وأولى بالحال ، وأنجح في المآل من هذه الخصلة التي هي التقوى ، لكان الله تعالى أمر بها عباده ، وأوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته ، فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة ، وجمع الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها ، علمت أنها الغايةُ التي لا متجاوزاً عنها ، ولا مقصود دونها ، وأنه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وإرشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الخصلة الواحدة ، كما يليق بحكمته ورحمته ، وعلمت أن هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغ إلى أعلى الدرجات .

2- التقوى وصية النبي محمد r لأمته :

كما في مسند أحمد عن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسـول الله r الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال " أوصيكم بتقـوى الله والسـمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإيـاكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة [1] .

وكما في سنن الترمذي من حديث أبي ذر جندب بن جنـاده وأبي عبـد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله r قال : " اتق الله حيثمـا كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن[2] " (حيثما كنـت) أي : في السر والعلن ، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه .

وكما في صحيح مسلم أن النبي r كان يدعو بهذا الدعاء.

" اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها "[3].

3- التقوى هي وصية جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام :

قال تعالى O كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ N الشعراء: ١٠٥ – ١٠٦

قال تعالى O q r s t u v w x y z { | N الشعراء: ١٢٣ – ١٢٤

قال تعالى O > ? @ A B C D E F G H I N الشعراء: ١٤١ – ١٤٢

قال تعالى O ! " # $ % & ' ( ) * + , - N الشعراء: ١٦٠ – ١٦١

قال تعالى O l m n o p q r s t u v x y z N الشعراء: ١٠– ١١

---

[1] صحيح : ابن حبان (5) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (37) .

[2] صحيح : أحمد (21514) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (97) .

[3] مسلم (5006) .

لا شك أن الرسل هم أزكى البشر ، وأنصح الناس لهم ، فلو علموا أن هناك خصلة للناس أنفع لهم من التقوى لما عدلوا عنها ، فلما أجمعوا عليها بان خطرها وعظم موقعها وشرفها ، فنسأل الله أن يجعلنا من أهلها العاملين بها والمتعاونين عليها .

4- التقوى هي وصية السلف الصالح :

قال الحافظ ابن رجب : ولم يزل السلف الصالحون يتواصون بها .

كان أبو بكر t يقول في خطبته : أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال :

" إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين " ، ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته ، وأول ما قال له : اتق الله يا عمر .

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله : أما بعد : فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه ، ومن أقرض جزاه ، ومن شكره زاده واجعل التقوى نصب عينك وجَلاءَ قلبك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل ، التي لا يقبل غيرها ،ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

قال ابن القيم : ودع ابن عون رجلاً فقال : عليك بتقوى الله فإن المتقي ليست عليه وحشه .

وقال زيد بن أسلم : كان يقال من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا.

وقال الثوري لابن أبي ذئب : إن اتقيت الله كفاك الناس وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئا .

5- التقوى أجمل لباس يتزين به العبد :

قـــال تعـــالى: O D E F G H I J K L N O P

N Q الأعراف: ٢٦ .

فبعد أن تمنن الله عز وجل على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش .

واللباس ما يستر به العورات ، والريش والرياش ما يتجمـــل بـــه فـــالأول مـــن الضروريات.

والثاني من الزيادات التكميليات دلهم على أفضل لباس وهو ما يـــواري عـــورات الظاهر والباطن ويتجمل به وهو لباس التقوى .

قال القرطبي (رحمه الله) في قوله تعالى O N O P Q N الأعراف: ٢٦ بين الله لنا أن التقوى خير لباس ، وكما قال الشاعر :

إذ المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عريانا وإن كان كاسياً

وخير لبـــاس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان غاصبـــاً

وروى قاسم بن مالك عن عوف عن معبد الجهني قال (لباس التقوى) الحياء .

وقال ابن عباس (لباس التقوى) هو العمل الصالح ، وعنه أيضاً السمت الحسن في الوجه .

وقيل : ما علمه الله عز وجل وهدى به .

ومن قال إنه لبس الخشن من الثياب فإنه أقرب إلى التواضع وترك الرعونات فدعوى .

فقد كان الفضلاء من العلماء يلبسون الرفيع من الثياب مع حصول التقوى .

6- التقوى أفضل زاد يتزود به العبد :

قال تعـــالى O 9 : ; < = ? @ A B N البقرة: ١٩٧ .

قال ابن كثير (فإن خير الزاد التقوى) لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا ، أرشدهم إلى زاد الآخرة ، وهو استصحاب التقوى إليها [1].

7- أهل التقوى هم أولياء الله عز وجل وهم أكرم الناس

قـــال تعـــالى O ! " # $ % & ' ( ) * + ,

- . / 0 N يونس: ٦٢ - ٦٣ .

وقال تعالى Oوَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾N الجاثية: ١٩

8- ولشرف التقوى أمر الله عز وجل المسلمين بالتعاون عليها ونهـــاهم عـــن التعاون على ما يخالفها :

قال تعالى Oوَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ Nالمائدة: ٢

قال القرطبي : قال الماوردي ندب الله سبحانه وتعالى إلى التعـــاون بـــالبر وقرنـــه بالتقوى الله لأن في التقوى رضا الله تعالى ، وفي البر رضا الناس ، ومن جمع بـــين رضا الله تعالى ورضا الناس قد تمت سعادته وعمت نعمته .

كيف تتقي الله عز وجل ؟

هذا باب لا يدخل فيه إلا النفوس الفاضلة الشريفة الأبية ، الـــتي لا تقنـــع بالدون ، ولا تبيع الأعلى بالأدنى بيع العاجز المغبون .

فبعد أن بينا شرف التقوى وتشوقت النفوس إليها قد يقول قائل : بالله عليك كيف أحوز الجوهرة النفيسة وأصل إلى هذه المرتبة الشريفة ، فإن المؤمن إذا رغب في الخير رغب ، وإذا خوف من الشر هرب ، ولا خير فيمن إذا زجر لا يترجر ، وإذا أمر لا يأتمر .

[1] ابن كثير في تفسيره (239/1)

1- محبة الله عز وجل تغلب على قلب العبد يدع لها كل محبوب ويضـــحي في سبيلها بكل مرغوب .

2- أن تستشعر في قلبك مراقبة الله عز وجل وتستحي منه حق الحياء .

3- أن تعلم ما في سبيل المعاصي والآثام من الشرور والآلام .

4- أن تعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك .

5- أن تدرس مكائد الشيطان ومصائده ، وأن تحذر من وساوسه ودسائسه .

1- محبة الله عز وجل : قال ابن القيم : فالمحبة شجرة في القلب عروقهـــا الـــذل للمحبوب ، وساقها معرفته ، وأغصانها خشيته ، وورقها الحياء منه ، وثمرتها طاعته ، ومادتها التي تسقيها ذكره ، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كله كان ناقصاً .

ما هي الأسباب الجالبة للمحبة ؟

1- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه .

2- التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل بعد الفرائض .

3- دوام ذكره بالقلب واللسان .

4- إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى .

5- مطالعة أسمائه وصفاته والتقلب في رياض معانيها .

صفات المتقين :

1- أنهم يؤمنون بالغيب إيماناً جازماً : والغيب هو ما غاب عن حواســنا ممــا أخبرنا الله عز وجل بوجوده ، أو أخبرنا به رســوله r كالإيمـــان بـــالله وملائكته والإيمان بالآخرة ، ولا شك أن هذه الصفة أخص صفاتهم ، فإنها التي تدعوهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والانقياد الكامل لأمر الله عـــز وجل ونهيه ، وهذه الصفة هي أول صفة وصفهم الله عز وجل بها في كتابه.

قال تعـــالى O # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2

3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B N البقرة: ٢ -٤

2- أنهم يعفون ويصفحون : كما قال تعالى Oوَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ N البقرة: ٢٣٧ .

O | { ~ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ © لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ N الشورى: ٤٠.

فأخبر الله أن من اتصف بهذه الصفة فأجره في ذلك على الله عز وجل ، كمـــا رغبهم الله عز وجل في مغفرته إذا فعلوا ذلك ، فقال عز وجل في سورة النـــور

O X Y [\ ] ^ _ ` b c d e N النور: ٢٢ .

وقال تعالى في وصف المـــتقين O 3 4 5 6 7 9

: ; < N آل عمران: ١٣٤ .

3- أنهم غير معصومين من الخطايا إلا من عصمه الله عز وجل من الأنبياء غـــير أنهم لا يقارفون الكبائر ، ولا يصرون على الصغائر .

بل كلما وقعوا في صغيرة رجعوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح عمـــلا بقول النبي r أتبع السيئة الحسنة تمحها .

ودل على هذه الصفة قوله تعـــالى O Y Z [\ ] ^ _ `

a b c d e N الأعراف: ٢٠١ ، قال ابن كثير يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه زجر ، أنهم إذا مســـهم – أي - أصابهم طيف وقرأ الآخرون طائف ، وقد جاء فيـــه حـــديث ، وهمـــا قراءتـــان مشهورتان فقيل : بمعنى واحد ، وقيل : بينهما فرق ، ومنهم مـــن فســـر ذلـــك

بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصدع ونحوه ، ومنهم من فسره بالهم بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب .

وقوله (تذكروا) أي : عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده فتـــابوا وأنـــابوا ورجعوا إليه من قريب : O b c d e N الأعراف: ٢٠١ أي : قد اســتقاموا وصحوا مما كانوا فيه .

ثم ذكر الله عز وجل ما يقابل هذه الصفة في المـــتقين بقولـــه تعـــالى O f g h i j k l m N الأعراف: ٢٠٢ .

4- أنهم يتحرون الصدق فهم أصدق الناس إيماناً وأصدقهم أقوالاً وأعمالا وهم الذين صدقوا المرسلين : قال تعالى O 3 4 5 6 7 9 : ; < N الزمر: ٣٣

قيل الذي جاء بالصدق هو محمدٌ r ، وقيل : جبريل عليه السلام ، وقال مجاهد : أصحاب القرآن المؤمنون : يجيئون يوم القيامة فيقولون : هذا ما أعطيتمونا فعملنا بما أمرتمونا .

قال ابن كثير : وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين ، فإن المؤمنين يقولـــون الحق ويعملون به ، والرسول r أولى الناس بالدخول في هذه الآيـــة علـــى هـــذا التفسير ، فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين ، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله [1] .

وقال تعالى O Q R S U V W X N البقرة: ١٧٧

[1] ابن كثير في تفسيره (53/4)

5- أنهم يعظمون شعائر الله : قال تعالى O 8 9 : ; > = < >
? @ A N الحج: ٣٢ . الشعائر : جمع شعيرة وهي كـل شـيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم ، ومن شعار القوم في الحرب ، أي علامتـهم التي يتعارفون بها ، ومن إشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الأيمن فيسيل الدم فيكون علامة فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة ، فشعائر الإسلام أعلام دينه ، ولاسيما ما يتعلق بالمناسك ، وقال قوم : المراد هنا تسمية البدن والاهتمام بأمرها ، والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة ، وفيه إشارة لطيفة ، وذلك أن أصل شراء البدن ربما يحمل على فعل لابد منه فلا يدل على الإخلاص ، فإذا عظمها مع حصول الإجزاء بما دونها فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع وهو من تقوى القلوب .

قال أنس : لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر ، كنا لنعدها على عهد رسول الله r من الموبقات .

6- أنهم يتحرون العدل ويحكمون به ولا يحملهم بغض أحد على تركه :

قال تعالى Oوَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ´ µ ¶ ¸ ﴿٨﴾N المائدة: ٨ .

7- أنهم يتبعون سبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين وصحابة سيد الأولين والآخرين : قال تعالى O B C D E F G H I J N التوبة: ١١٩ . أي كونوا مع محمد وأصحابه .

وقد فسر بعض العلماء هذه الآية على أنها تحريض على الصدق وأمر به كابن كثير والقاسمي ، ورجح بعضهم أنها حضٌّ على التزام طريق الصادقين.

وأقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم .

الخطبة الثانية

ثمرات التقوى

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

ثمرات التقوى العاجلة :

1- المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب : قال تعالى O j k l m n o p q r s t u N الطلاق: ٢ – ٣ .

عن ابن عباس – رضي الله عنهما - : يجعل له مخرجاً : ينجيه من كل كـــرب في الدنيا والآخرة .

2- السهولة واليسر في كل أمر : قال تعالى Oوَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ N الطلاق: ٤ .

قال مقاتل : ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمـــره يســـراً في توفيقه للطاعة .

3- تيسير تعلم العلم النافع : قـــال تعـــالى Oوَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ N البقرة: ٢٨٢ .

قال العلامة محمد رشيد رضا : أي اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهـــاكم عنه وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم ، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك ، وهو سبحانه العليم بكل شيء ، فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه من علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصـــالح لمن تبع شرعه وكرر لفظ الجلالة لكمال التذكير وقوة التأثير .

4- إطلاق نور البصيرة : قال تعالى N T S R Q P OO الأنفال: ٢٩ تقوى الله عز وجل في الأمور كلها تعطي صاحبها نوراً يفرق به بين دقائق الشبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس ، فهي تفيده علما خاصا لم يكـــن ليهتدي إليه لولاها .

5- محبة الله عز وجل ومحبة ملائكته والقبول في الأرض : قال تعـــالى O ´ µ ¶ ¸ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ N آل عمران: ٧٦ .

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال " إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إنَّ الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينـــادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض " (1) فقد وعد الله عز وجل عباده المؤمنين الذين يداومون على الأعمال الصالحة بهذه المودة والمحبة كما قـــال تعـــالى O ! " # $ % & ' ( ) * N مريم: ٩٦.

6- نصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده : وهي المعية المقصودة بقوله تعـــالى O h i j k l m n o N البقرة: ١٩٤ فهذه المعية هي معيـــة التأييد والنصرة والتسديد ، وهي معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين .

7- البركات من السماء والأرض : قال تعالى O ! " # $ % & ' ( ) * + , N الأعراف: ٩٦ .

قال القاسمي : لو أن أهل القرى : أي : القرى المهلكة ، آمنوا : أي بـــالله ورسلهم ، واتقوا : أي الكفر والمعاصي ، لفتحنا عليهم بركات من السماء

(1) البخاري (3052) ، مسلم (4879).

والأرض : أي لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب ، مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض .

ويدل على هذا المعنى قوله تعالى O 3 4 5 6 7 8 9

: N الجن: ١٦ .

8- البشرى وهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له وثناء الخلق ومحبتهم:

قال تعالى O ! " # $ % & ' ( ) * +

, - . / 0 1 2 3 4 5 6

7 Nيونس: ٦٢ - ٦٤ .

قال الزمخشري (رحمه الله) : والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي r : " هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له " [1] .

وكما في صحيح البخاري أن النبي r قال " ذهبت النبوة وبقيت المبشرات" [2] وقيل : هي محبة الناس له والذكر الحسن ، وعن أبي ذر t قال : قلت لرسول الله r الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس : فقال : تلك عاجل بشرى المؤمنين " [3] .

9- الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم : قال تعالى Oوَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠N آل عمران: ١٢٠ .

قال ابن كثير : يرشدهم الله تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم ، فلا

---

(1) مسلم (767) .

(2) البخاري (6608) .

(3) مسلم (4887) .

حول ولا قوة لهم إلا به ، وهو الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكـــن ، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته ، ومن توكل عليه كفاه [1].

10- حفظ الذرية الضعاف بعناية الله عز وجل : قال تعالى O D E F

G H I J K L M N O P Q R S N

النساء: ٩ .

11- سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة : قال تعالى : O i j k l m n N المائدة: ٢٧ وقال بعض السلف : لو أعلم أن الله يقبل مني سجدة بالليل وسجدة بالنهار لطرت شوقاً إلى الموت ، إن الله عـــز وجل يقول O i j k l m n N المائدة: ٢٧ .

12- سبب النجاة من عذاب الدنيا : قال تعـــالى O وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ´ µ ¶ ¸ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ N فصلت: ١٧ - ١٨ .

13- ما يجعله الله لهم من الشرف وهيبة الخلق وحلاوة المعرفة والإيمان .

14- الذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين : قال أبو الدرداء t " يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم وكيف يغبنون به قيـــام الحمقى وصومهم ، والذرة من صاحب التقوى أفضل من أمثال الجبال عبـــادة من المغترين وهذا من جواهر الكلام وأدَلِّه على كمال فقه الصحابة وتقـــدمهم على من بعدهم في كل خير رضي الله عنهم . فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه لا ببدنه ،والتقوى في الحقيقة تقوى الروح لا تقوى الجوارح .

[1] ابن كثير في تفسيره (399/1)

الثمرات الآجلة :

1- تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار ، وعظم الأجر وهو سبب الفوز بدرجات الجنة قال تعالى Oوَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ N الطلاق:٥ .

قال ابن كثير : أي : يذهب عنهم المحظور ، ويجزل لهم الثواب على اليسير.

2- عز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة : قال تعالى O 7 8 9 : ;

< = > ? A B C D E Nالبقرة: ٢١٢ .

قال القاسمي : (زين للذين كفروا) حتى بدلوا النعمة (الحياة الدنيا) لحضورها فألهتهم عن رغائب الآخرة .

(فوقهم يوم القيامة) : أي أن حال المؤمنين في الآخرة أعلى من حال الكفار في الدنيا ، أو بدون فاصل أن المؤمنين في الآخرة في الغرفات ، والكفار في الدرك الأسفل من النار .

3- ميراث الجنة فهم أحق الناس بها وأهلها ، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية . قال تعالى O تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ N مريم: ٦٣ فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عز وجل وقُرئ (نُورِّث) .

4- وهم لا يذهبون إلى الجنة سيراً على أقدامهم بل يحشرون إليها ركباناً : فالله عز وجل يقرب إليهم الجنة تحيةً لهم ودفعاً لمشقتهم كما قال تعالى Oوَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ N ق: ٣١ ، قال تعالى O g h i

j k l m N مريم: ٨٥ .

قال ابن كثير [1] : يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا ، واتبعوا رسله ، وصدقوهم فيما أخبروا ، وأطاعوهم فيما أمـــروهم بـــه ، وانتهوا عما زجروهم ، أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه ، والوفـــد هـــم القادمون ركباناً ، ومنه الوفود ، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة ، وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه.

5- وهم لا يدخلون أدنى درجاتها بل يفوزون فيها بأعلى الدرجات وأفضـــل النعيم نسأل الله من فضله العظيم قال تعالى O! " # $ N النبأ: ٣١ . وقال تعـــالى O] ^ ` a b c d Nص: ٤٩. والمـــآب : المرجع والمنقلب ، ثم فصَّل ذلك عز وجل فقال تعالى O e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ N ص: ٥٠ - ٥٤ .

وبين الله عز وجل قربهم من الحضرة واللقاء والرؤية والبهاء فقال تعالى O : ; < = > ? @ A B C D E F N القمر: ٥٤ - ٥٥

قال القرطبي : (في مقعد صدق) أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ، وهو الجنة (عند مليك مقتدر) أي: يقدر على ما يشاء ، (وعندها) هنا عنديـــة القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمترلة .

6- وهي تجمع بين المتحابين من أهلها حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة ومشاقة : قـــال تعـــالى O l m n o p q r s N الزخرف: ٦٧ .

[1] ابن كثير (141/3)

قال الزمخشري : تتقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوةً ومقتاً إلا خلة المتصادقين في الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله ، وقيل : إلا المتقين والمجتنبين أخلاء السوء.

فالمتقون هم الذين تدوم محبتهم وخلتهم كما قيل :

ما كان لله دام واتصل   وما كان لغير الله انقطع وانفصل

7- وهم يسعدون بالصحبة والمحبة وهم يساقون إلى الجنة زمراً زمراً : قال تعالى O وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى © زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ ´ µ ¶ ¸ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ N الزمر: ٧٣ .

قال ابن كثير [1] : وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة (زمراً) أي : جماعة المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم كل طائفة مع ما يناسبهم ، الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنفه ، وكل زمرة تناسب بعضها بعضاً .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، ووحد صفوفنا ، وأنصر إسلامنا ، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقم الصلاة .

---

[1] ابن كثير في تفسيره (65/4)

الخطبة الثامنة عشر

النجـــاة فـــي تحكيـــم شـــرع الله

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله : شرعة الحكيم الخبير عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلــها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، ليست مـــن الشــريعة وإن أدخلها المتأولون فيها ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله r .

أحبتي في الله : إن قضية تحكيم الشريعة الإسلامية واجب شرعي ، وهي جــزء لا يتجزأ عن عقيدة المسلمين ، وإذا حدثت الزحزحة في حياة الأمة عن تحكيم الشريعة الإسلامية ، والاحتكام إلى المناهج الوضعية الأرضية الهابطة المستوردة من الشرق أو الغرب فهذا يعني الكفر والفسوق والظلم والضياع لمقدرات الأمة ومصدر قوتهـــا وازدهار حضارتها .

ولقد اهتم القرآن الكريم بتطبيق الشريعة واعتنى بها عناية فائقة ، فجاء ذكرهـــا في أكثر من مائتي آية في حوالي خمسين سورة من القرآن الكريم .

وهذا الاهتمام يرجع إلى أن مصير الإنسانية مرتبط بتحكيم الشريعة ، فـــإذا احتكم الناس إليها في جميع جوانب حياتهم سعدوا في الـــدنيا والآخـــرة ، واطمأنت نفوسهم لتطبيقها ، لأنها توافق الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

والتاريخ البشري يشهد أن أسعد فترات البشرية في حياتها ، كانت حينمـــا احتكم الناس إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في عهـــد الخلافـــة الإسلامية حيث نعمت بالأمن والإيمان والسلامة والاستقرار وساد العـــدل والرخاء للمجتمع الإسلامي بأسره ، بينما كانت أكثر فترات البشرية شقاء حينما عطل طواغيت الأرض الحاكمية لله ، وحكموا النـــاس بفلســـفاتهم الساقطة التي لم تحقق إلا النكد والكراهية والشقاء للبشرية .

أحبتي في الله : إن الحاكم واحد هو الله ، والمشرع للقوانين واحد هو الله ســـبحانه وهو الخالق للكون والإنسان والحياة ، لذلك أنزل هذه الشريعة لـــتلبي حاجـــات الأجيال إلى يوم الدين ، وأن على الدولة الإسلامية التطبيق الكامل لكل ما شـــرعه الله في كتابه أو جاء على لسان رسوله r ، فحيث يوجد نص رباني يجب اتباعه ، ولا يكون لرجال التشريع حينئذ إلا التطبيق والعمل بما جاء عن الله سبحانه ، وإذا لم يوجد نص في القانون الرباني كان لرجال التشريع الإسلامي مجـــال للاجتـــهاد

والاستنباط وفق روح الشريعة الإسلامية فيشرعون الأحكام فيما لا نص فيه بواسطة القياس .

أحبتي في الله : لقد وقع المنكر الأعظم الذي لم يكن يخطر البتة لأحد على بال .

وذلك بتنحية شريعة الله جل وعلا وأدهى من ذلك وأمر أن رُميت الشريعة بالعجز والضعف والقصور والجمود ، وأنها لم تعد قادرةً على مواجهة ومسايرة روح العصر وما فيه من تقدم وتطور مُطرد .

وبالفعل لم يقتصر الأمر على حدِّ القول فقط ، بل تعداه إلى إقصاء الشريعة وإبعادها عن حياة المسلمين – إلا من رحم ربك – وحلَّ محلها القانون الوضعي الفرنسي والأمريكي والإنجليزي والاشتراكي و .... الخ هذه القوانين الفاجرة .

- وهكذا ظن كثير من الأغبياء أن تشريع البشر من ملاحدة وزنادقة وعلمانيين وشيوعيين واشتراكيين ورأسماليين وديمقراطيين وبعثيين و ....

وممن تتحكم فيهم الأهواء ، وتسيطر عليهم الشهوات والشبهات ظنوا أن تشريع هؤلاء ، وأن نظام هؤلاء هو قارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء والأمواج المتلاطمة ، والفتن العاتية ، والظلمات الحالكة التي يترنح فيها كثير من الناس كترنح من يتخبطه الشيطان من المس .

وخابوا جميعا وخسروا !!

(ومّنْ أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)

مَنْ أحسن من الله حكماً ؟

ومَنْ أحسن من الله تشريعاً ؟

- ومَنْ الذي يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس ويحكم فيهم خيراً مما يشرع الله لهم ويحكم فيهم ؟ وأية حجة يملك أن يسوقها بين يـــدي هـــذا الادعـــاء العريض ؟

أيستطيع أن يقول : إنه أعلم بالناس من خالق الناس ؟

أيستطيع أن يقول : إنه أرحم بالناس من رب الناس ؟

أيستطيع أن يقول : إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس ؟

أيستطيع أن يقول : إن الله – سبحانه - وهو يشـــرع شـــريعته الأخـــيرة ويرسل رسوله الأخير ، ويجعل رسوله خاتم النبيين ، ويجعل رسالته خاتمـــة الرسالات، ويجعل شريعته شريعة الأبد .

- كان – سبحانه – يجهل أن أحوالاً ستطرأ ، وأن حاجات ستستجد ، وأن ملابسات ستقع ، فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه ، حتى انكشفت للناس في آخر الزمان ؟

ما الذي يستطيع أن يقوله من يُنحى شريعة الله عن حكم الحياة ، ويستبدل بها شريعة الجاهلية وحكم الجاهلية .

- ما الذي يستطيع أن يقوله ... وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين ؟!

الظروف ؟ الملابسات ؟ عدم رغبة الناس ؟ الخوف من الأعداء ؟!

ألم يكن هذا كله في علم الله وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته ، وأن يسيروا على منهجه ، وألا يُفتنوا عن بعض ما أنزله ؟

يا لها من فتنة خطيرة .... يا لها من انتكاسة مفجعة ... إن الأمر خطـــير ، وما سقطت الأمة المسلمة من القمة الشامخة إلى الحضيض من الخزي والذل والهوان والعار إلا يوم ان تخلت عن كتاب ربها ، وعن سنة نبيها ، وراحت تلهث وراء الشرق الملحد تارة ، والغرب الكافر تارة أخرى وبين يـــديها

المنهل العذب ، والنبع الصافي ، والحبل المتين والنور المبين ، ومصدر العــز والشرف والسيادة والقيادة !!

ووالله لن تعود للأمة هويتُها وكرامتها وقيادتُها وســيادتُها إلا إذا عــادت وانقادت واستسلمت لله خالقها وبارئها بكليتها وفي جميع شئون حياتهــا .

كما أمر الله تعالى بذلك فقال O { ~ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً N
البقرة: ٢٠٨

قال الشيخ المودودي (رحمه الله تعالى) :

أي : بمجموع حياتكم ، فلا يكن من شأنكم في ناحية من نواحي حياتكم أن تتجردوا من عبوديته الشاملة ، فتحسبوا أنفسكم أحراراً في شــئونكم ، تختارون من المناهج والأوضاع ما تريدون ، وتتبعون من الظلم والقــوانين الوضعية المستحدثة ما تحبون .

أحبتي في الله : إن الأصل الذي يجب أن ترجع إليه الحياة البشرية بجملتها هو دين الله ومنهجه للحياة ، فيا من لا تريدون دين الله ولا شريعته أجيبوني : " أأنتم أعلم أم الله ؟ ..... ويجيب " والله يعلم وأنتم لا تعلمون " " ومــا أوتيتم من العلم إلا قليلاً " .

فالذي يعلم .... والذي يخلق ويرزق كذلك ... هو الذي يحكم ... ودينه الذي هو منهجه للحياة هو الأصل الذي ترجع إليه الحياة ...

أما واقع البشر ونظرياتهم ومذاهبهم فهي تنحرف وتقوم على علم البشــر الذين لا يعلمون والذين لم يؤتوا من العلم إلا قليلا !

إنها قضية من أخطر قضايا العقيدة ... إما إسلام أو جاهلية !

يقول تعــالى O أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ N
المائدة: ٥٠

قال سيد قطب : إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص ، فالجاهلية كما يصفها الله ويحددها قرآنُه هي حكمُ البشر للبشرِ لأنها عبودية البشر للبشر ، والخروج من عبودية الله ورفض ألوهية الله ، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر ، وبالعبودية لهم من دون الله .

يقول الشيخ / محمد حامد الفقي (رحمه الله) :

" من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله r ، فهو بلا شك كافر مرتد ، إذا أصرَّ عليها ، ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ، ولا ينفعه أي اسم تسمَّى به ، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها " .

وقال الشيخ / أحمد شاكر (رحمه الله) :

" إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس ، وهي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائناً من كان في العمل بها ، أو الخضوع لها أو إقرارها ألا فليصدع العلماء بالحق غير هيابين ، وليبلغوا ما أمروا بتبليغه غير موانين ولا مقصرين .

وقال الشيخ / محمد الخضر حسين (شيخ الجامع الأزهر سابقاً) :

" فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين "

وقال الشيخ / محمد بن صالح العثيمين :

" من لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به ، أو احتقاراً له ، أو اعتقادا أن غيره أصلح منه وأنفع للخلق ، فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة ، ومن هؤلاء من

يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجا يسير الناس عليه .

وبعد هذا الحشد الهائل يتضح لنا الحق الذي ندين الله به أن من رد حكم الله عزوجل ، وأبى الانقياد لشرعه فكفره من المعلوم بالضرورة من الدين .

وأن من قال من العلماء " كفر دون كفر " مناطه إلى الحكام الذين قَبِلُوا شرع الله أصلاً ، وقبلوا حكم الله ابتداءً ، ولم يتخذوا أبداً شريعة غير شريعة الله ورسوله ، ولكنهم قد يخالفون شرع الله في بعض الوقائع بعينها بدافع من الهوى أو الشهوة ، مع اعترافهم بأن حكم الله ورسوله هو الحق ، وأنهم مذنبون عاصون مستحقون للعقوبة .

ولهذا يقول الشيخ / أحمد شاكر (رحمه الله) :

" وهذه الآثار عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره (كفر دون كفر) مما يلعب به المضللون في عصرنا هذا من المنسبين إلى أهل العلم ومن غيرهم من الجرآء على الدين يجعلونها عذراً وإباحة للقوانين الوضعية التي ضربت على بلاد المسلمين .

إخوة الإيمان : اعلموا أن الإسلام جاء ليعلمنا كل شيء ... حتى آداب قضاء الحاجة ، فهل من الممكن أن يغفل عن وضع الأسس السليمة والقواعد القويمة لبناء الدولة ؟!

ومن ثم يجب على أبناء الصحوة بصفة عامة ، وعلى كل فصيل حركي بصفة خاصة ، ألا يتحرك حركة صغيرة ولا كبيرة إلا من خلال فهم دقيق ، وَوَعيٍ عميق للضوابط والقواعد الشرعية ، فإن الأمر دين ، ولا تتعجلوا النتائج فإن من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

يا جيل صحوتنا أعيذك أن أرى في الصف من بعد الإخاء تمزقا
لك من كتاب الله فجر صادق فاتبـــع هداه ودعك ممن فرقا
لك في رسولك قدوة فهو الذي بالصـــدق والخلق الرفيع تخلقا
يا جيل صحوتنا ستبقى شامخا ولسوف تبقى بالتزامك أسمقا

الأدلة على وجوب الحكم بما أنزل الله :

إن تحكيم الشريعة الإسلامية ثابت بالقرآن والسنة والإجماع ،والآيات الدالة على وجوب تحكيم شرع الله والتحاكم إليه ، والمحذرة من التحاكم إلى غيره كثيرة في كتاب الله ، وكلام العلماء في تفسيرها معروف حتى أضحى ذلك علماً ضرورياً عند المسلمين ، حيث قال العلامة ابن باز (رحمه الله) : ومعنى هذا أن العبد يجب عليه الانقياد التام لقول الله تعالى وقول رسوله وتقديمهما على قول كل أحد ، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة .

أولاً : القرآن الكريم :

قال تعالى O N O P Q R S T U V W X Y
Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g h i j k l m
n p q r s t u v w x y { | } ~ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ N

البقرة: ٢١٣

وقال تعالى O ¸ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ N النساء: ١٠٥

أوضح الحق سبحانه أن الغاية من إنزال الكتاب هو الحكم بين الناس بالعدل .

قال ابن تيمية (رحمه الله) : إن الله سبحانه هو الحكم الذي يحكم بـــين عبـــاده والحكم له وحده ، وقد أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ليحكم بينهم فمن أطـــاع الرسول كان من أوليائه المتقين ، وكانت له سعادة الدنيا والآخرة ، ومن عصـــى الرسول كان من أهل الشقاء والعذاب .

قال تعالى O ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم ´ µ ¶ ¸ بِٱلۡعَدۡلِ N النساء: ٥٨

حيث أمر الحق سبحانه بالمحافظة على أمانات الناس وإرجاعها إلى أصحابها غير منقوصة وأمر أيضا بتحقيق العدالة في الحكم بين الناس .

وحذر سبحانه من الركون إلى أحكام وأعراف الجاهلية ، وقد أنزل لنا خير كتاب وأفضل منهج عرفته البشرية في تاريخها الطويل ، قال تعالى O أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ N المائدة: ٥٠

فقد ذمَّ الله - سبحانه - من يبتغي حكم الجاهلية ، وهو كل حكم مخالف لشرع الله ، فكيف بمن يُشرِّعون ما لم يأذن به الله ، ويجعلون تشريعهم عاماً لازماً ، ويصفونه بالقداسة والحرمة ، ويعتبرون من خالفه من أكابر المجرمين الذين تجب معاقبتهم ، مع أنه مخالف لحكم الله جهاراً نهاراً كأنه يستغيث بميت أو يدعو إلى بدعة أو يشرب الخمر أو يقدم هواه وما يستحسنه عقله على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله r فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله .

- ولقد أوجب الله عز وجل على عباده تحكيم شريعته بالصيغة الطلبية ، وهي فعل الأمر في قوله تعالى O 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @N الأعراف: ٣

فالأمر هنا بإتباع ما أنزل الله يشمل كل ما جاء في الوحي من أوامر ونواهي وأحكام وحدود وإرشاد وتوجيه في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والعلاقات الدولية في الحرب والسلم وآيات الجهاد والمال وذلك كله ونظائره مما أنزل الله فهو واجب الاتباع .

قال تعالى Oوَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾N الكهف: ٢٦

لقد ذكر الشنقيطي (رحمه الله) في تفسيره : الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد ، لا فرقبينهما البتة ، فالذي يتبع نظاما غير نظـــام الله وتشريعا غير تشريع الله ، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن ، لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه ، فهما واحد وكلاهما شرك بالله .

وقال تعالى O] ^ _ ` a b c d e f g h N النور: ٦٣

وقال تعـــالى O ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2
3 4 5 6 7 8 9 N الأحزاب: ٣٦

ذكر المفسرون أنه إذا ثبت لله ورسوله في كل مسألة من المســـائل حكـــم طلبي او خبري : فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب إليـــه ، وأنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة ذلك التخير لأن ذلك مناف للإيمان ، وما ثبت بالكتاب والسنة فهو مقطوع بإتيان وتطبيق وإن ترك مسلم أو مسلمة ما علم من أمـــر الله ورسوله وذهب إلى غيره كان مستحقاً للعذاب ، ومن اتبع منهج الله ورسوله كان مهتدياً وفائزاً في الدنيا والآخرة .

ثانياً : السنة المطهرة :

لقد جاءت الأحاديث النبوية المطهرة بالنص الصريح والقاطع على وجوب الحكم بما أنزل الله واتباع شرع الله في كل مسألة من المسائل أو قضية من القضايا التي تواجه الأمة في أي مجال من مجالات الحياة .

نذكر من هذه الأحاديث ما يلي :

ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال : " ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه " [1] .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى : " قال : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : " من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى " [2] .

وفي سنن أبي داود عن أبي نجيح العرباص بن سارية t قال " وعظنا رسول الله r موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وغضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة [3] .

ثالثاً : الإجماع : إن حقيقة الإسلام هي الاستسلام التام لله عز وجل ، ولا يتم ذلك إلا بقبول دينه والتسليم لشرعه والرضا بحكمه ، ومن أسلم لله ولغيره كان مشركاً، ومن لم يذعن لمنهج الله كان مستكبراً ، والمشرك والمستكبر فهو في عداد الكافرين.

وأجمع علماء الأمة على أنه لا شرع إلا ما شرعه الله ، ولا حلال إلا ما أحله الله ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ، وأن تشريع الأحكام هو حق لله وحده ،

---

[1] مسلم (2456)

[2] البخاري (6872)

[3] أبو داود (4012) والدارمي (100) ، وصححه الشيخ الألباني في كتاب السنة لابن أبي عاصم .

فمن أعطى غيره هذا الحق أو أعرض عن شرع الله و لم يرض به فهو كافر بإجماع المسلمين .

إخوة الإيمان : مفاسد الإعراض عن الحكم بما أنزل الله :

إن من أعظم ما ابتلي به المسلمون في هذا القرن الأخير سقوط الخلافة الإسلامية التي كان من نتائجها الوخيمة تنحية شرع الله تعالى ، وعدم التحاكم إليه في سائر شئون الحياة ، واستبدالها بمناهج أرضية ساقطة هابطة مستوردة من الشرق أو من الغرب لم تحقق للأمة إلا الهزائم والدمار والعواقب الوخيمة ، ولأجل عظم هذه المفاسد وصف الله سبحانه في موضع واحد من سورة المائدة من لم يحكم بكتابه الكريم بالكفر والظلم والفسوق .

ونستطيع أن نوجز هذه المفاسد المترتبة على الابتعاد عن منهج الله تعالى في التالي :

1- انتشار الشرك وشيوع البدع وظهور الدعاة إليهما ، وتمكنهم من بث شبهاتهم الماكرة حول هذا الدين ونشر دعواتهم الهدامة .
2- تعطيل الكثير من الأحكام الشرعية كفريضة الزكاة والصلاة وإقامة الحدود وغير ذلك.
3- ظهور الفرقة والاختلاف والشقاق والنزاع بين المسلمين الذي يؤدي إلى سفك الدماء وسلب الأموال وإضعاف الشوكة وتقوية مطامع الأعداء في أمة الإسلام.
4- زعزعة العقيدة في قلوب المسلمين من خلال الأحداث كمبدأ الولاء والبراء ومبدأ الأخوة على أساس الدين لأعلى أساس الجنس والوطن أو اللغة .
5- ظهور المعاصي والإعلان بها جهارا نهارا بل التبجح والتنافس في ارتكابها .
6- سيطرة أصحاب المبادئ الهدامة على مراكز النفوذ في بلاد المسلمين مما سهل لهم تحقيق مخططاتهم الهدامة وتطبيق برامجهم المنافية لهذا الدين .

7- تحقيق الذل والهوان في حياة المسلمين نتيجة لخضوعهم لقـــرارات الكفـــرة والخارجين عن دين الله إلى غير ذلك من المفاسد الكـــثيرة المترتبـــة عـــن الإعراض عن الحاكمية بكتاب الله سبحانه وتعالى والتي لا يعلـــم بمـــدى خطورتها وضررها على الأمة إلا الله تبارك وتعالى .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

أحبتي في الله : ثمرات الحكم بما أنزل الله :

إن الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تعيش في سعادة وهناء عليها أن تعود إلى تطبيق شريعة الله في كافة المجالات الحياتية السياســية والأخلاقيــة والاجتماعيــة والاقتصادية والجهادية ،وعلى وجه الخصوص تطبيقها لنظام العقوبات في الإســلام فإنه يساعد على تهذيب الشخصية والتزامها بكتاب ربها وتحليها بالأخلاق الحسنة .

لذلك لابد من تطبيق شريعة الله لأنه في ظلالها تتحقق الهداية وتطيب الحياة ويهنأ الأحياء ، والمسلمون على وجه الخصوص في أمس الحاجة إلى تطبيــق هــذا الدين ، والحكم بشرع الله ليسود الأمن والإيمان والسلام والاستقرار في المجتمــع ، قال تعــالى O ` a b c d e f g h i j k l n o p q r N النساء: ١٢٥

ونستطيع حصر الثمرات الناتجة عن تطبيق الشريعة في التالي :

1- تحقيق العدالة وحماية المجتمع من أذى المجرمين :

إن تطبيق العقوبات سبيل لتحقيق العدالة ، وقد أوجبتها الشريعة الإسلامية لأنها تؤدي إلى مصلحة الجماعة والمنفعة العامة للبلاد والعباد .

العقوبات في الإسلام تقوم على العدالة ، وأيضا تهدف إلى حماية المجتمع والمصلحة العامة والفضيلة والأخلاق والمحافظة على المصالح الضرورية لكيان المجتمع ، لذلك قررت الشريعة عقوبات رادعة لمن ينتهك حرمات المجتمع التي هي حرمات الله سبحانه .

2- حفظ الأصول الخمسة التي يقوم عليها أمن المجتمع :

إن المصالح التي يحميها الإسلام بتقرير نظام العقوبات حين الاعتداء عليها ترجع إلى أصول خمسة وصيانتها تعتبر أساسية في المجتمع ، وقد عملت الشرائع السماوية على حفظ هذه المصالح الخمسة وبفقدان أي منها تنهار الحياة الإنسانية في المجتمع ، وهي تتمثل فيما يلي :

- حفظ الدين من حيث حرية العقيدة ، وصون المقدسات ، وتعظيم حرمات الله ، فإنها تقوى القلوب .
- حفظ النفس البشرية ، من حيث حقها في الحياة وصون الكرامة والحريات الشخصية والفكرية ، وأنه لا يجوز قتل النفس بغير حق ، وأنه من قتلها فكأنما قتل الناس جميعا ، قال تعالى N k j i h g f e d O الإسراء: ٣٣
- حفظ المال ، يمنع الإسلام الاعتداء على المال الشخصي للأفراد والمال العام سواء بالسرقة أو النصب أو الاستيلاء على ممتلكات الغير ، أو أن يأكل

الناس أموالهم بينهم بالباطل ، قال تعالى p o n m l kO

البقرة: ١٨٨N | { z y x w v u t s r q

- حفظ العقل ، تعمل الشريعة الإسلامية على حفظ العقل من أن يصاب بسوء وعملت على وقايتها بالابتعاد عن الخمر وكل ما يفسد العقل .

ومن يعتدي على هذه الأصول الخمسة التي قصد الشارع الحكيم حمايتها والحفاظ عليها حق عليه العقاب ، وبتطبيق نظام العقوبات تصان الحياة الإنسانية ويحافظ على أمن وسلامة واستقرار المجتمع .

3- حفظ الأخلاق والمساواة بين الناس :

إن القوانين الوضعية تكاد تهمل المسائل الأخلاقية إهمالاً تاماً إلا إذا أصاب ضررها المباشر الأفراد أو الأمن أو النظام العام .

والعقوبات السماوية تختلف عن الوضعية من حيث إنها لا تميز بين البشر بل تتوخى العدالة والفضيلة وتشمل السلطان والرعية وتقيم العقوبة على أي شخص كان مهما كان لونه وجنسه ومركزه الاعتباري في المجتمع .

4- إصلاح للفرد ومنع الجريمة :

إن العقوبة شرعت في الإسلام لإصلاح الأفراد ولتمنع كافة الجرائم وبتطبيق نظام العقوبات زجر للآخرين ، فلا يجرؤ أحد على الإقدام على ارتكاب الجريمة ، حيث إن العقوبات في الإسلام تكون بالقدر الكافي لزجر الآخرين عن الإقدام عليها.

5- تحفظ التوازن الاقتصادي بين أبناء المجتمع :

إن الساسة والاقتصاديين في المجتمع لا يمكنهم رسم سياسة اقتصادية ثابتة إلا بالرجوع إلى عقيدة الأمة ومصدر فكرها الكلية عن الكون والإنسان والحياة ،

وهذا يعني أن السياسة الاقتصادية للبلاد يجب أن تكون أحكاماً شرعية مستقاة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

أما عدا ذلك فسيؤدي إلى تزايد المشكلات الاقتصادية وانتشار الفقر في حياة الناس ، ومن هنا كانت سياسة الاقتصاد في الإسلام هي ضمان إشباع حاجات الإنسان الأساسية إشباعاً تاماً في حين يجب مساعدته في إشباع حاجاته الكمالية قدر استطاعته لأنه يعيش في مجتمع مميز له طابعه الخاص يعمل على رفع مستوى معيشة الفرد وزيادة الدخل القومي وتوفير سبل العيش الكريمة لجميع أبناء المجتمع من خلال توزيع ثروة البلاد الداخلية والخارجية على جميع أفراد الدولة الإسلامية .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، ووحد صفوفنا ، وانصر إسلامنا ، واشف أمراضنا ، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأعلي بفضلك كلمتي الحق والدين.

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين والعراق وفي كل مكان.

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وعافنا واعف عنا ، وارفع مقتك وغضبك عنا.

اللهم ولِّ أمورنا خيارنا ، ولا تولِّ أمورنا شرارنا .

اللهم حكم فينا كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم

اللهم عجل بتحكيم شريعتك ، اللهم أذن لشريعتك أن تسود وأذن لشريعتك أن تقود .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقم الصلاة .

الخطبة التاسعة عشر : مكـــــــارم الأخـــــلاق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @)

[آل عمران: 102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 !

3 4 5 6 7 8 !: ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ

ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان : إن الإسلام ديننا الحنيف قد دعانا إلى التخلق بمكارم الأخـــلاق ، أي : أطايبها ، والكريم من كل شيء هو الطيب منه بحسب ذلك الشيء ، ومنه قول النبي r كما في الصحيحين لمعاذ بن جبل t " إياك وكرائم أموالهم " [(1)] حين أمره بأخذ الزكاة من أهل اليمن .

[(1)] البخاري (1436) ، مسلم (52) .

فيجب على المسلم أن تكون سريرته كريمة ، يحب الكـــرم والشـــجاعة ، والحلم والصبر ، وأن يلاقي الناس بوجه طلق ، وصدر منشرح ، ونفس مطمئنة ، فكل هذه الخصال من مكارم الأخلاق .

كما في سنن أبي داود وغيره أن النبي r قال " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " [1] فينبغي أن يكون هذا الحديث دائماً نصب عين المؤمن ، لأن الإنسان إذا علم بأنه لن يكون كامل الإيمان إلا إذا أحسن خلقه ، كان ذلك دافعاً لـــه علـــى التخلق بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات ، والنبي r أخبر أن من مقاصد بعثته تمام محاسن الأخلاق فقال r " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " [2] .

ما المراد بالخُلق ؟

الخلق هو السجية والطبع ، لأن للإنسان صورتين :

صورة ظـــاهرة : وهي شكل خلقته التي خلقه الله عليها ، وهذه الصورة الظـــاهرة منها ما هو جميل حسن ، ومنها ما هو قبيح سيئ ، ومنها ما بـــين ذلك .

وصورة باطنة : وهي حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر ، من غير حاجة إلى فكر وروية .

وهذه الصورة أيضا منها ما هو حسن إذا كان الصادر عنها خلقاً حســـناً ، ومنها ما هو قبيح سيئ إذا كان الصادر عنها خلقاً سيئاً ، فالخلق إذن هو الصـــورة الباطنة التي طُبع الإنسان عليها .

وقال الحسن البصري : " هو بذل المعروف وكفُّ الأذى وطلاقة الوجه .

وقيل للإمام أحمد: ما الخُلق ؟ قال : " أن تتحمل ما يكون من الناس " .

---

[1] صحيح:أبو داود (4083) ، ابن حبان (480) ، صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(1230)

[2] صحيح : الحاكم (4162) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2349).

وقيل الخُلق : " هو التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالفضائل "

إخوة الإيمان : إنَّ كثيراً من الناس اليوم يذهب فهمه إلى أن حسن الخلـــق خـــاص بمعاملة الخلق دون معاملة الخالق ، ولكن هذا الفهم قاصر ، فإن حسن الخلق كمـــا يكون في معاملة الخلق ، يكون أيضاً في معاملة الخالق ، فموضوع حسن الخلق إذن معاملة الخالق جلَّ وعلا ومعاملة الخلق أيضاً ، وهذه المسألة ينبغي أن ينتبه الجميـــع إليها .

فحسن الخلق في معاملة الخالق يجمع أربعة أمور :

1- حسن الظن بالله .

2- تلقي أخبار الله بالتصديق .

3- وتلقي أحكامه بالقبول والتنفيذ والتطبيق .

4- وتلقي أقداره بالصبر والرضا .

أولاً : حسن الظن بالله :

أي أن تعلم أنك ناقص ، وكل ما يأتي من الناقص ناقص ، فعلى العبد دائماً أن يعتذر إلى ربه من كل ما يأتي به من خير وشر. كما قال النبي r (هو الرجل يصوم، ويصلي ، ويتصدق ، فإذا خاف فهو بالاعتذار). [1]

ثانياً : تلقي أخبار الله بالتصديق :

بحيث لا يقع في قلبك شك أو تردد في تصديق خبر الله تبارك وتعالى ، لأن خبر الله تعالى صادر عن علم فهو سبحانه أصدق القائلين ، قال تعالى O / 0

1 2 3 4 N النساء: ٨٧

[1] صحيح : الحاكم (3421) ، ابن ماجه (4196) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (4273) .

وإذا تخلق العبد بهذا الخلق العالي أمكنه أن يدفع أي شبهة يوردها المعرضون على أخبار الله ورسوله r سواء أكانوا من المسلمين الذين ابتدعوا في دين الله مـــا ليس منه ، أم كانوا من غير المسلمين الذين يلقون الشبه في قلوب المسلمين بقصـــد فتنتهم وإضلالهم .

ولنضرب لذلك مثلاً : " حديث الذبابة " :

كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة t أن النبي r قـــال " إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم ليطرحه ، فإن في أحد جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً "[1] .

هذا خبر صادر عن رسول الله r ، وهو r في أمور الغيب لا ينطق عـــن الهوى ، لا ينطق إلا بما أوحى الله تعالى إليه ، لأنه بشر ، والبشر لا يعلم الغيب .

قال الله لرسوله r " O n o p q r s t u v w x y z

{ | ~ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ N الأنعام: ٥٠ .

هذا الخبر يجب علينا أن نقابله بحسن الخلق ، وحسن الخلق نحو هذا الخـــبر يكون بأن نتلقاه بالقبول والانقياد ، فنجزم بأن النبي r في هذا الحديث صـــادق ، وإن اعترض عليه من اعترض ، وإن كان العلم الحديث أكد كلام النبي الصـــادق الذي لا ينطق عن الهوى ، ولابد أن نعلم أن من يعصي كلام النبي r فقد عصـــى الله ، قال تعالى O وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ N النساء: ١٤ .

وقال تعالى " O ! " # $ % & N النساء: ٨٠ .

---

[1] البخاري (3157) .

ثالثاً : أن يتلقى الإنسان أحكام الله بالقبول والتنفيذ والتطبيق :

فينبغي على المسلم ألا يرد شيئاً من أحكام الله عز وجل ، سواء ردها منكراً حكمها أو ردها مستكبراً عن العمل بها ، أو ردها متهاوناً بالعمل بها ، فإن ذلـــك كله مناف لحسن الخلق مع الله عز وجل .

مثال ذلك :

الصلاة هي قرة عين المؤمن ، وزاده اليومي الذي يتزود به للقاء الله تعالى ، ولذلك فهو يعظم قدرها ، ويهتم بها أعظم الاهتمام ، لأنها عماد الدين ، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

فحسن الخلق مع الله عز وجل بالنسبة للصلاة أن تؤديها وقلبك منشـــرح مطمئن وعينك قريرة ، تفرح إذا كنت متلبساً بها ، وتنتظرها إذا فات وقتها ، فإذا صليت الفجر كنت في شوق إلى صلاة المغرب ، وإذا صليت العشاء كنت في شوق إلى صلاة العصر ، ولهذا كان النبي r يقول لبلال (يا بلال ، أرحنا بالصلاة) .

يقول : أرحنا بها ، فإن فيها الراحة والطمأنينة والسكينة ، لا كما يقـــول البعض اليوم أرحنا منها ، لأنها ثقيلة عليهم ، وشاقة على نفوسهم .

وهكذا دائماً تجعل قلبك معلقاً بهذه الصلوات ، فهذا لا شك أنه من حسن الخلق مع الله تعالى .

رابعاً : أن يتلقى أقدار الله تعالى بالرضا والصبر :

كلنا يعلم أن أقدار الله عز وجل التي يجريها على خلقه ليست كلها ملائمة للخلق .بمعنى أن منها ما يوافق رغبات الخلق ومنها مالا يوافقهم .

فالمرض مثلاً لا يلائم الإنسان ، فكل إنسان يحب أن يكون صحيحاً معافى ، وكذلك الفقر لا يلائم الإنسان ، فالإنسان يحب أن يكون غنياً ، وكذلك الجهل لا يلائم الإنسان ، فالإنسان يحب أن يكون عالماً ، لكن أقدار الله عز وجل تتنوع

لحكمة يعلمها الله عز وجل ، منها ما يلائم الإنسان ويستريح له بمقتضى طبيعته ، ومنها مالا يكون كذلك ، فما هو حسن الخلق مع الله عز وجل نحو أقــدار الله ؟

حسن الخلق مع الله نحو أقداره :

أن ترضى بما قدّر الله لك ، وأن تطمئن إليه وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى ما قدَّره إلا لحكمة عظيمة وغاية محمودة يستحق عليها الحمد والشكر.

وعلى هذا فإن حسن الخلق مع الله نحو أقداره هـــو أن يرضـــى الإنســـان ويستسلم ويطمئن ، ولهذا امتدح الله الصابرين ، فقال تعالى O ; < = >
? @ A B C D E F G H N البقرة: ١٥٥ - ١٥٦

حسن الخلق في معاملة الخلق :

أولاً : أن تكون معاملة الخلق بعضهم لبعض قائمة على الكلمة الطيبة . قال تعالى O لِلنَّاسِ حُسْنًا N البقرة: ٨٣ .

فإذا كان لابد من الكلام فليكن القول حسناً جميلاً فهذا هو الأصل في التخاطـــب بين الناس ، وهذه وصية الله تعالى لعباده ، قال تعالى O P Q R S T U W
X Y Z \ ] ^ _ ` a b N الإسراء: ٥٣ .

وقال تعـــالى O Z [\ ] ^ ` a b c d e f g h i
j k l m n o p q r s t u v w x N فصلت: ٣٤ - ٣٥

فالكلمة الطيبة الحسنة تحيل العدو إلى صديق حميم بإذن الله ، وتقلب الضغائن التي في القلوب إلى محبة ومودة وولاء ، وتقطع على شياطين الإنس والجـــن وشـــاياهم ووساوسهم وسعيهم في الأرض بالفساد .

ثم إنَّ الكلمة الطيبة صدقة ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال : (الكلمة الطيبة صدقة) [1] .

---

[1] البخاري (2848) .

ثم إن الكلمة الطيبة تصعد إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتقبل بـــإذن الله تعالى .

قال تعالى O ﴿ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ N فاطر: ١٠

فالكلمة الطيبة سبب عظيم من أسباب تأليف القلوب ، ودفع الشـــرور ، وتدل دائماً على حسن خُلق قائلها .

فكم من شر دفع بسبب كلمة طيبة .

وكم من مشكلة قد حُلَّت بسبب كلمة طيبة .

وكم من بلية قد دفعت بسبب كلمة طيبة .

وكم من مشاحنات وعداوات قد رفعت بسبب كلمة طيبة.

وفي المقابل كم من فتنة قد اشتعلت.

وكم من جرائم قد ارتكبت ونيران قد استعرت من جراء كلمة خبيثة .

وصدق الله تعالى إذ يقول O Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l N فصلت: ٣٤

فإذا قذفك شخص بمسبة فقابله بعفو وصفح وإحسان ، قال تعالى [3 4 5 6 7 9 : ; Z آل عمران: ١٣٤ . وقال رســـول الله r : (من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه أتى الله به على رؤوس الخلائـــق يوم القيامة يخيره من الحور العين ما شاء) [1] .

ثانياً : من حسن الخلق مع الخلق :

طلاقة الوجه وانبساطه عند الخطاب :

كما قال لقمان لولده O ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ N لقمان: ١٨ .

[1] صحيح : أبو داود (4168) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (6518).

وكما في صحيح مسلم أن النبي r قال (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق [1]) [2]

وكما يقول جرير البجلي " ما رآني النبي r إلا تبسم في وجهي " [3].

ولقد ذم الله تعالى المستكبر ثاني عطفه بقوله تعـــالى O > < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O Q R S T V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e N الحج: ٨ – ١٠ .

معنى (ثاني عطفه) أي لاوي عنقه تكبراً ، ونحوه قوله تعالى O وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ N لقمان: ١٨ أي لا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبراً .

ثالثاً : ومن حسن الخلق أيضاً مع الخلق : عدم تزكية النفس أمام الناس ، ولا تمـــنن بمعروفك عليهم إلا إذا دعت الضرورة والحاجة لذلك.

قال تعالى O © تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ N النجم: ٣٢ .

قال تعالى O وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ N المدثر: ٦ .

قال تعالى O © تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي ´ µ ¶ ¸ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ N النساء: ٤٩.

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي معمر t قال : " قام رجل يثني على أمـــير من الأمراء فجعل المقداد يحثى عليه التراب ، وقال أمرنا رسول الله r أن نحثي في وجوه المداحين التراب [4] " ، ولكن إذا دعت الحاجة لمثل ذلك كانـــت التزكيـــة بقدر الحاجة .

---

[1] الطلق : المنبسط المبتهل .

[2] مسلم (4867) .

[3] البخاري (5745) ، مسلم (4628) .

[4] مسلم (5433) .

قال يوسف عليه السلام O J K L M N يوسف: ٥٥ فحقاً إنه حفيظ على الأموال في سنوات المجاعة والشدة ، عليم بتصريف الأمور بإذن الله .

ولقد قال النبي r للأنصار " ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفـــرقين فألقاكم الله بي ، وعالةً فأغناكم الله بي " [1] .

رابعاً : ومن حسن الخلق مع الخلق : أن تنهى عن خلق وتأتي مثله :

فهذا عار عليك عظيم ، عار عليك أن تأمر الناس بأمر ولا تفعلـــه ، عـــار عليك أن تنهى الناس عن شيء وتقع فيه ، فإنك إن فعلت كنت مجالاً للســـخرية ، ومحطاً لازدراء من حولك بك ثم إنك تجلب لنفسك سخط الرب عز وجل .

قال تعـــالى O k l m n o p q r s t u v w x y z { | } N الصف: ٢ – ٣ .

وقال شعيب لقومه O وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ N هود: ٨٨ .

وقال تعالى O t u v w x N البقرة: ٤٤

وكما في صحيح البخاري من حديث أسامة بن زيد t أن النبي r قال " يجـــاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار ، فيدور كما يدور الحمـــار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون ، أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنـــا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عـــن المنكر وآتيه " [2]

وأقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم

---

[1] البخاري (4084) ، مسلم (1822) .

[2] البخاري (3110) ، مسلم (5416) .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

لابد أن نعلم أن أحسن الخلق أخلاقاً ، وأكمل الناس أخلاقا هو الـــنبي r الذي زكاه ربه إجمالاً وتفصيلاً .

فأما إجمالاً ، قال تعالى O k l m n o N القلم: ٤ .

وأما عن تزكيته r تفصيلاً فقال تعالى عن عقله O% & ' ( ) * N النجم: ٢.

وأما عن لسانه ونطقه O+ , - . / N النجم: ٣ .

ثم قال تعالى O0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 N النجم: ٤ – ٥ .

وعن مكانته وقرب مترلته من ربه ، فقال سبحانه وتعـــالى OBC D E F G H I J K N النجم: ٨ – ٩ .

وأما عن بصره فقال تعالى Opq r s t u N النجم: ١٧ .

وأما عن تزكية بعثته r قال تعالى O ` a b c d e N الأنبياء: ١٠٧ .

وأما عن الحكمة من بعثته r قوله تعالى O. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C N الجمعة: ٢ .

وكما في صحيح مسلم أن هشام بن حكيم سأل أم المؤمنين عائشة - رضـــي الله عنها - عن خلق النبي r فقالت " كان خلقه القرآن " ، فقال : لقد همـــت أن أقوم ولا أسأل شيئاً .

فهو r أكمل الناس خلقاً في جميع محاسن الأخلاق وجميع الخصال والأفعال .

لذلك قال تعــالى O (* + , - . 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = > ? A B C D E G H I J K N آل عمران: ١٥٩.

وقال تعالى N o n m l k O القلم: ٤.

لذلك نجد أن النبي r قال : " إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخلاقاً " ، وفي لفظ مسلم " إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً " [1]

وكما في صحيح البخاري من حديث أنس t قال " لم يكن رســول الله r فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً [2] ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريــرة t قال : قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال " إني لم أبعث لعاناً ، وإنما بعثـــتُ رحمة " [3] ، وكما في صحيح مسلم من حديث أنس t قال كان رسول الله r من أحسن الناس خلقا ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله r فخرجت حتى أمر على صبيان ، وهم يلعبــون في السوق ، فإذا برسول الله r بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحكُ فقال : يا أُنَيْسُ أذهبتَ حيثُ أَمَرْتُكَ ؟

قال أنس : أنا أذهب يا رسول الله .

ثم قال أنس : والله لقد خدمته تِسْعَ سنينَ ما عَلِمتُهُ قال لشيءٍ صَنَعْتُهُ لم فَعَلت كَذَا وكَذَا ؟ ولا عاب عليَّ شيئا قط ، والله ما قال لي أفٍّ قط " [4]

فهذا هو النبي r صاحب الخلق الرفيع الذي علم الدنيا حقيقـــة الخلـــق والأدب والرحمة والشفقة والتواضع .

---

[1] البخاري (3387) ، مسلم (4388).

[2] البخاري (5706).

[3] مسلم (4810).

[4] مسلم (4373).

فكـــان r يحب المداعبة حتى مع الأطفال ، كما في الصحيحين أنـــه r كان يـــداعب أخـــا أنس بن مالك وهو أبو عمير ، وكان يقول له " يا أبا عمير ما فعل النغير " [1] .

و " النغير " هو طائر صغير مثل العصفور ، هلك هذا النغير ، فحزن عليـــه هـــذا الصبي واغتم فكان النبي r ينبوع الرحمة والحنان فيقول له " يا أبا عمير ما فعـــل النغير ".

وكذلك من حسن خلقه r ورحمته بالخلق أن أعرابياً كما في الصـــحيحين جاء وبال في المسجد ، فزجره الناس ونهروه بشدة ، فنهاهم النبي r ، فلما قضى بوله ، أمر النبي r بذنوب من ماء فأريق على البول ، ثم دعا الأعرابي فقال له : إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر ، إنما هي للصـــلاة وقـــراءة القرآن [2] .

والشاهد هنا كمال خلق النبي ، وهذا ظاهر جداً في هذه القصة لأنه r لم يوبخ هذا الأعرابي ، ولم يأمر بضربه ، بل إنه تركه حتى قضى بوله ، ثم أعلمـــه أن المساجد لا تصلح لما فعل ، إنما هي للصلاة والذكر وقراءة القرآن .

وأيضاً من حسن خلقه r حتى مع المشركين ، كما في مسند أحمد وغـــيره من حديث أبي هريرة t أن رجلاً شتم أبا بكر ، والـــنبي r جـــالس يتعجـــب ويتبسم، فلما أكثر ردَّ عليه بعض قوله ، فغضب النبي r وقام ، فلحقه أبو بكـــر وقال يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس ، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت!!

---

[1] البخاري (5858) ، مسلم (4098).

[2] البخاري (217) ، مسلم (454) .

فقال النبي r يا أبا بكر : كان معك ملك يرد عليه ، فلما رددت عليه وقع الشيطان (أي حضر) يا أبا بكر : ثلاث كلهن حق : ما من عبد ظلـــم بمظلمـــة ، فيغضى ، أي : يعفو عنها لله عز وجل ، إلا أعزَّ الله بها نصره ، وما فتح رجل باب عطية ، أي : باب صدقة يعطيها لغيره يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة أي : يسأل الناس المال يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة " [1]

فالشاهد من الحديث أن النبي r كان يحب العفو والحلم وهذا كان خلقه r .

ومن تواضعه r كما في مسند أحمد بإسناد صحيح من حديث أنس بـــن مالك t قال : " ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله r ، وكانوا إذا رَأَوْهُ لم يقوموا له ، لما يعلمون من كراهيته لذلك [2] .

ولذلك يقول r " من سره أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار " [3]

فهذا قبس من خلق النبي r فلو ظللت أتكلم عن أخلاق النبي r وكـــرم النبي وشجاعة النبي لكنت في حاجة إلى وقت طويل ، ولكن حاولت أن أجمل هذا الموضوع في هذه الجمعة. ولقد صدق القائل إذ يقوم عن صاحب الخلق :

يا من له الأخلاق ما تهوى العـــلا ... منـــها ومـــا يتعشـــق الكـــبراء
لو لم يقم دينـــا لقامـــت وحـــدها ... دينـــا يضـــيء بنـــوره الآنـــاء
زانتك في الخلـــق العظـــيم شمائـــل ... يغـــري بهـــن ويولـــع الكرمـــاء
وإذا سخوت بلغت بالجواد المـــدى ... وفعلـــت مـــالا تفعـــل الكرمـــاء
وإذا عفـــوت فقـــادراً ومقـــدراً ... لا يســـتهين بعفـــوك الجهـــلاء
وإذا رحمـــت فأنـــت أمٌ أو أب ... هـــذان في الـــدنيا همـــا الرحمـــاء

---

[1] صحيح : الآداب للبيهقي (129) ، أحمد (9433) ، وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة .
[2] صحيح : الترمذي (2749) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (2754) .
[3] صحيح : الترمذي (2750) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (2755) .

وإذا غضبت فإنمـــا هــــي غضــبةٌ في الحـــق لا ضـــغنٌ ولا بغضـــاء
وإذا رضـــيت فـــذاك في مرضـــاته ورضـــا الكـــثير تحلـــم وريـــاء
وإذا خطبـــت فللمنـــابر هـــزةٌ تعـــرو النـــدى وللقلـــوب بكـــاء
وإذا قضيت فـــلا ارتيـــاب كأنمـــا جاء الخصوم من الســـماء قضـــاء

اللهم أدِّبنا بأدب القرآن ، وأدب النبي العدنان ، وأدب الصحابة الكرام.

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وعافنا واعفُ عنَّا.

اللهم اشف أمراضنا ، وارحم أمواتنا ، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأعلي بفضلك كلمتي الحق والدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقم الصلاة .

الخطبة العشرون : الطريق إلى حب الله عز وجل

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

(! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ?) [النساء:1]

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَـــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله : ما المحبة ؟ .... المحبة لا توصف ، وإنما يعلم حقيقتها من ذاقهـــا ، وشعر بحلاوتها ، فأنس بقرب ربه ، فصفى قلبه ، وزكت نفسه .

وقال عنها ابن القيم (رحمه الله) .... تلك هي الغاية التي رفع لهـــا المخلصـــون رؤوسهم ، وهي المترلة التي فيها تنافس المتنافسون ، وإليها شخص العاملون ، وإلى عملها شمر السابقون ، وعليها تفانى المحبون ، وبروح نسميها تروح العابدون ، فهي قوت القلوب ، وغذاء الأرواح وقرة العيون ، وهي الحياة التي من حرمها فهـــو في

جملة الأموات ، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشة كله هموم وآلام .

لذلك كان النبي r كما في سنن الترمذي من حديث معاذ بن جبل يقول " وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك " [1].

قد يسال سائل .... لماذا نحب ربنا ؟؟

نحب ربنا .. لكي نكون في الجنة مع نبينا r .

ففي الصحيحين من حديث أنس t أن أعرابياً قال لرسول الله r متى الساعة ؟ فقال النبي r " ما أعددت لها ؟ قال : حب الله ورسوله ، فقال النبي r " أنت مع من أحببت " [2]

وفي رواية لمسلم أنَّ رجلاً استكان ثم قال : يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله ، فقال النبي r فأنت مع من أحببت "

نحب ربنا .. حتى نذوق حلاوة الإيمان ، كما في الصحيحين من حديث أنس t أن النبي r قال " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء ما لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " [3].

إخوة الإيمان : ما الوسائل التي تعين الإنسان على حب الله عز وجل :

أولاً : الدعاء : بأن تقف بقلب منكسر صادق بين يدي الله تعالى ، تسأله أن يرزقك حبه فإنك لن تستطيع أن يكون لك قلبٌ محبٌّ لله إلا إذا أذن الله في ذلك

---

[1] صحيح : الترمذي (3306) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (3235).

[2] البخاري (3506) ، مسلم (4882).

[3] البخاري (16) ، مسلم (85).

قال تعالى O N O P Q R N الكهف: ١٧ ، وقال النبي r فيما يرويه عـــن رب " يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم " [1] .

ثانياً : معرفة الله جل وعلا : بأن تتعرف على الله عز وجل كما عرفك هو علـــى نفسه في كتابة أو ما صح من كلام نبيه r إذ إنه من المستحيل أن تحـــب مـــن لا تعرفه ، فمن عرف الله حق معرفته أحب الله لا محالة .

والسبيل إلى هذه المعرفة :

- تدبر آيات الله عز وجل في القرآن الكريم ، وأن تستشعر معانيها ، كالذي يقرأ كتاباً فيتفهم منه مراد صاحبه ، وعلى العبد أن يربط خواتيم الآيـــات بمعانيها ، ومطالعة التفسير .

قال تعالى O R S T U V W X Y Z [\ N يونس: ٥٧

وقال تعالى O t u v w x y z { N الإسراء: ٨٢

وقال تعالى O B C D E F G H I J K N ص: ٢٩

وقال تعالى O a b c d e f g h N محمد: ٢٤

- التفكر في نعم الله عليك وآياته في الكون من حولك ، وتتفكر فيها تفكـــير المعترف بنعمة وليه عليه .

قال تعالى O قُلۡ ´ µ ¶ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ N سبأ: ٤٦

ثالثاً : دوام الذكر والاستغفار : فلعل الحائل بينك وبين رقة القلب ومحبة الله هـــو ظلمة تراكم الخطايا ، فتحول هذه الظلمة بين قلبك وبين هذا الرزق من نور المحبة ، لذلك فإن الاستغفار يبدد ظلمات هذه الذنوب ، ويجعل القلـــب وعـــاءً طـــاهراً

[1] مسلم (478)

مستحقا لهذا الرزق ، قال تعالى O فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ! " #

$ % N نوح: ١٠ – ١١

رابعاً : معرفة العبد بأن القلب كالوعاء : لا يمتلئ بشيء وهو مملوء بغيره .

وفي هذا قال ابنُ القيم عن شواهد المحبة :

أ- أن يكون كلك بالمحبوب مشغولا : ومعنى هذا أن انشغال القلب بمحبة غير الله من مال أو جاه أو زوج أو ولد . كل ذلك يتعارض مع صفاء القلـــب وانشغاله بمحبوبه الأعلى .

ب- سقوط كل محبة من القلب : سوى محبة حبيبك ، قال تعـــالى O ! " #

$ % & ' ( ) * + , - . / 0

1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < =

> N المجادلة: ٢٢

أما إذا كانت المحبة للشيء أو الخلق ليست مشغلة عن حب الله وطاعتـــه ، ولا تدفع المعصية أو تقصير في طاعة ، فلا بأس بها ، وإنما هي رزق طيـــب من الله عز وجل ، وعلى العبد إذا التمس اشتداد هذه المحبة وزيادتها ، فهو اختبار من الله عز وجل في هذا الرزق ، فلينتبه لئلا يحب أحداً كمحبة الله .

قال تعـــالى O M N O P Q R S T U V W Y Z

[\ ] N البقرة: ١٦٥

والسبيل لتمحيص ذلك أن يؤثر محاب الله ورضا الله على محاب محبوبه من الدنيا إذا تعارضا . أما إذا كانت المحبة لله وفي الله فهي محمودة ولها أفضالها ، إذ إنها مستمدة من حب المرء لله قال تعـــالى O l m n o p q r

s t u v w x y z { | N الزخرف: ٦٧ - ٦٨

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال " إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي . اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " [1].

ج- أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا يبقى منك شيء : والحاصل أن يعلم المرء أنه ملك حبيبه ، فإذا أمره أجاب ، وإذا نهاه انتهى حتى ولو تعارض ذلك مع هواه ، ويكون ذلك بأن يوقن العبد بأن محبوبه الأعلى أعلم بنفسه منه ، وأرحم بعبده من رحمة الوالدة الحنون بولدها ، فيتمثل حينئذ لربه مطيعاً فتتنزل عليه الرحمة والبركة من السماء . وفي هذا الشأن قال تعالى :O p

q r s t u v w y z { | N البقرة: ٢٠٧ .

والشاهد من الآية أن العبد إذا وهب نفسه لله وباعها ، ابتغاء رضوانه كان الله به رءوفاً رحيماً فأعزه واجتباه ، كما قال تعالى O إِنَّ ٱللَّهَ © مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ Nالتوبة: ١١١ .

وأخيراً : أن تجالس المحبين الصادقين ، وتلتقط أطيب ثمرات كلامهم – كما نصح أهل العلم – وعدم الكلام إلا إذا ترجحت المصلحة ، وعلمت أن في هذا الكلام مزيداً ومنفعة لغيرك فإن ذلك أحرى للعبد خشية أن يتكلم بكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يستوجب بها النار والعياذ بالله كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال " إن العبد ليتكلم بالكلمة ، ما يتبين ما فيها ، يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب" [2].

---

[1] مسلم (4761).

[2] البخاري (6122) ، مسلم (5414).

إخوة الإيمان : ما الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل ؟

أولاً : الاتباع : قال تعـــالى O< ? @ A B C D E N آل عمـران: ٣١ ،

وعلى ذلك يتضح أن سبيل محبة الله للعبد تنال باقتفاء أثر نبيه r واتبـــاع هديـــه الشريف ، وسنته المطهرة ، والعمل بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين .

وقد حذرنا ربنا سبحانه وتعالى من مخالفة أمر حبيبه r فقال O] ^ _ ` a b c d e f g h i N النور: ٦٣ .

وقد حذرنا نبينا محمد r من ذلك ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله r " من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد " [1].

وقد ذم أيضا اتباع غير سبيله ، كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخـــدري أن النبي r قال " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لـــو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم " قلنا يا رسول الله ! آ اليهود والنصارى ؟ قال : " فمن ؟ " [2].

ثانياً : التوبة والتطهر : قـــال تعـــالى Oإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾N البقرة: ٢٢٢ تاب العبد أي عاد ورجع وأناب ، وتاب الله عليه أي عاد عليـــه ســـبحانه بالمغفرة .

كما في صحيح مسلم من حديث أنس t أن النبي r قال " لله أشد فرحا بتوبة عبده ، حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه . فأيس منها ، فأتى شجرة ، فاضطجع في ظلها ، قد أيـــس

---

[1] البخاري (2571) ، مسلم (3328).

[2] البخاري (3287) ، مسلم (4929) .

من راحلته ، فبينا هو كذلك إذا هو بها ، قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم ! أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح " [1].

وكما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري t أن النبي r قال " كان من قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم أي حكما فقال : قيسوا ما بين الأرض فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة " [2] .

وكما في صحيح مسلم من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما - أن النبي r قال " يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة " " وفي رواية سبعين مرة " [3] .

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري t أن النبي r قال "إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها " [4].

---

[1] مسلم (5039).

[2] البخاري (3301) ، مسلم (5074).

[3] مسلم (4978).

[4] مسلم (5061).

وكما في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - أن النبي r قال : أما بعد : يا عائشة : فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فـإن كنـت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب ، تاب الله عليه " [1].

فيا أيها المحب : إن التوبة من أعظم المنح التي يمنحها الله تعالى للعبد ، بل هي أطيب رزق يرزقك الله به ، فادع الله مخلصاً أن يوفقك إلى التوبة ، فإذا زلـت قـدمك ووقعت في ذنب أو خطيئة وأنت مدرك ذلك لا محالة ، فعد إلى ربـك وتـب إلى مولاك الذي يفرح بتوبتك ، وأتبع هذه السيئة بحسنة تمحها ، بل وستبدل إن شاء الله تعالى سيئاتك حسنات إذا كنت تائباً مخلصاً.

يقول ابن القيم (رحمه الله) " ويحك لا تحقر نفسك ، فالتائب حبيـب ، والمنكسر صحيح ، اعترافك بالخطأ نفس الإصابة ، إقرارك بالإفلاس عين الغـنى ، تنكيس رأسك بالندم هو الرفعة.

واحذر أخي الحبيب : من قطاع الطريق أن يقنطوك من رحمة أرحم الراحمين بك ، وأنه لن يتوب عليك ، فعليك بحسن الظن بالله مع حسن العمل ، ولا يمل الله حتى تملوا، فلا تمل من الاستغفار والتوبة .

كما في الحديث الذي رواه الحاكم من حديث عقبة بن عـامر الجهـني أن رجلاً أتى النبي r فقال : يا رسول الله أحدنا يذنب ، قال : " يكتب عليه " قال : ثم يستغفر منه ويتوب قال : يغفر له ويتاب عليه " قال : فيعود فيـذنب " قـال : "يكتب عليه " ثم يستغفر منه ويتوب . قال : يغفر له ويتاب عليه ، ولا يمـل الله حتى تملوا " [2] .

---

[1] البخاري (2539) ، مسلم (5081).

[2] الحاكم في المستدرك (7726)

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة t عن النبي r فيما يحكى عن ربه عز وجل قال : أذنب عبد ذنبا . فقال : اللهم ! اغفر لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب . فقال : أي رب ! اغفر لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنباً . فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : أي رب ! اغفر لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً . فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب . اعمل ما شئت فقد غفرت لك " [1].

التطهر : ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري t أن النبي r قال: " الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبايع نفسه ، فمعتقها أو موبقها " [2].

وكما في الصحيحين أن النبي r قال لبلال عند صلاة الفجر : "يا بلال ! حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعتُ دفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة " . قال : ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي : أني لا أتطهرُ طُهُوراً تاماً ، في ساعة ليل أو نهار ، إلا صليتُ بذلك الطُّهُور ، ما كُتِبَ لي أن أُصَلِّي.

---

(1) البخاري (7091) ومسلم (5060)

(2) مسلم (354)

ثالثاً : العدل : قال تعالى O] \ [^ N سورة المائدة ، آية 42.

وكما في صحيح مسلم من حديث زهير t أن النبي r قال : " إن المقسطين ، عند الله ، على منابر من نور . عن يمين الرحمن عز وجل . وكلتا يديه يمين ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا "[1] .

وكما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال " إنما الإمام جنة ، يقاتل من ورائه ، ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل ، كان له بذلك أجر ، وإن يأمر بغيره ، كان عليه منه "[2].

وكما في صحيح البخاري من حديث بن مسعود t أن النبي r قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً ، فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها "[3].

وعلى هذا يتبين ما في العدل من كبير فضل ، ولكن كيف يكون العبد من المقسطين ؟

بالدعاء تسأله تعالى بقلب صادق أن يؤتيك هذا الفضل .

باستحضار موقف السؤال بين يدي الله تعالى .

باستشعار محبة الله عز وجل للعبد المقسط .

بإبعاد أي شعور بالمحبة أو البغض وقت القضاء لئلا يحمله شعوره على الظلم ، وفي هذا المعنى قال تعالى O x y z { | } ~ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ´ µ ¶ ﴿٨﴾ N المائدة: ٨.

---

[1] مسلم (3494).

[2] مسلم (3517).

[3] البخاري (73).

هذا ومن الأمور الهامة اللازمة كي يكون العبد من المقسطين ، هو عدم قبول الهدايا من أحد طرفي النزاع أثناء الحكم والقضاء .

رابعاً : الصبر : وهو التجلد وحسن الاحتمال ، وأيضاً هو حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي وحبس الجوارح عن المعاصي ، وللصبر مرارة يحتملها المؤمن .

وعلى هذا ، فقد يتبادر إلى الأذهان سؤال ! ألا وهو كيف يكون العبد من الصابرين إذا نزل به البلاء ؟ وكيف يثبت أمام هذه الفتن والمحن ؟

والجواب على ذلك والله المستعان : يصبر العبد ويثبت أمام الفتن والمحن بالوسائل التالية :

الدعاء : فاسأل الله العظيم أن يرزقك الصبر والثبات على دينه .

قال تعالى O وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ Nالنحل: ١٢٧.

وانتبه : لا تسأل ربك الصبر إلا إذا تحقق وقوع البلاء ، لأنك لو سألته الصبر وأنت معافى فإنك بذلك تتمنى البلاء وهو أمر مذموم ، لأنه من الأولى أن تسأل الله العافية في الدنيا والآخرة ، قال النبي r " لا تتمنوا لقاء العدو ، و إذا لقيتموهم فاصبروا "[1] وورد أيضاً في سنن الترمذي أنه r سمع رجلاً يسأل الله أن يرزقه الصبر فقال : قد سألت البلاء فسل الله العافية "[2] .

- استحضار عظيم الأجر المترتب على الصبر ، واستشعار محبة الله للعبد الصابر .
- اليقين بالقدر وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك .
- العلم بأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا .

---

[1] البخاري (2825).

[2] ضعيف : الترمذي (3532) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي (3527).

فعن ابن عباس أن النبي r قال : احفظ الله يحفظك .... "

خامساً : التوكل على الله : هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل ، قال تعالى HGO I J K N آل عمران: ١٥٩.

ولقد ورد في الصحيحين من حديث عمران بن حصين t أن النبي r قال : " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا : من هم يا رسول الله ، فقال r " هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون " [1]

سادسا : الإحسان : O 9 : ; N المائدة : آية 93

أحسن : فعل ما هو حسن ، وأحسن الشيء : أجاد صنعه .

وكما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة t قال : جاء رجل يتقاضى رسول الله r بعيراً فقال r " أعطوه سناً فوقَ سِنِّهِ ، خيْرُكُمْ أحْسَنُكُم قَضَاءً " [2].

وكما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي r قال : " من ابتلي من البنات من شيء ، فأحسن إليهن كن له سترا من النار " [3] .

وكما في صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس t قال : سنتان حفظتهما عن رسول الله r " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته ".

سابعاً : التقوى : قال تعالى Os t u v N سورة التوبة ، آية رقم : ٤.

معنى التقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بالحرص على الطاعات واجتناب المحارم، قال تعالى O l m n o p q r s t u v wN البقرة: ٢١.

---

[1] البخاري (6117).

[2] مسلم (3090).

[3] البخاري (1363) ، مسلم (4870).

وكما في صحيح البخاري من حديث عدي بن حاتم t أن النبي r قال : " اتقوا النار ولو بشق تمرة " [1] .

وكما في صحيح مسلم من حديث جابر أن النبي r قال : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماؤهم واستحلوا محارمهم " [2] .

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري t إن النبي r قال : " إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء " [3] .

وكما في صحيح مسلم أن النبي r قال : " اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى " [4].

ثامناً : المقاتل في سبيل الله : قال تعالى O~ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ © ﴿٤﴾ N سورة الصف ، آية رقم : ٤.

وفي معنى القتال في سبيل الله ورد عن رسول الله r عدة أحاديث منها :

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري قال : سئل النبي r عن الرجل يقاتل شجاعةً ، ويقاتل حميةً ، ويقاتل رياءً ، أي ذلك في سبيل الله ، فقال r : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " [5] .

---

[1] البخاري (1362).

[2] مسلم (4781) .

[3] مسلم (5032).

[4] مسلم (5005) .

[5] البخاري (7042).

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي r قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحق الإسلام وحسابه على الله "[1] .

وقد ذم النبي r من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو ، فعن أبي هريرة t أن النبي r قال : " من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق "[2] .

وكما في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري t قال : قيل يا رسول الله أي الناس أفضل فقال r : " مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله "[3] .

ويمكنك إدراك هذه المترلة بعدة أمور منها :

- أن تسأل الله الشهادة في سبيله بصدق ، كما في صحيح مسلم من حديث سهل بن حنيف t أن النبي r قال : " من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه "[4] .

وكما في صحيح مسلم من حديث جابر t قال :كنا مع النبي r في غزاة فقال : " إن في المدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض "[5] .

وفي رواية لمسلم " إلا شاركوكم في الأجر ".

إذا وقع الغزو ، فاستشعر أخي محبة الله للمقاتلين في سبيله ، وقم لتنصر حبيبك .

---

[1] البخاري (25) ، مسلم (57) .

[2] صحيح : شعب الإيمان للبيهقي (4047).

[3] البخاري (2652).

[4] مسلم (3623).

[5] مسلم (3625).

قال تعالى O J K L M N الحج: ٤٠ وقال تعالى O يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن © ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ N سورة محمد : آية ٧ .

فإذا لقيت العدو فاستحضر عظيم الأجر المترتب .

قال تعـــالى O d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ © بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ µ N آل عمران: ١٦٩ – ١٧١.

واحذر أيها المحب أن تتمنى لقاء العدو .

كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال : " لا تتمنـــوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموهم فاصبروا " [1]

وفي رواية لمسلم أنه r قال : " أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وأسالوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " .

- وأخيراً فإذا لقيت العدو فاستعن عليهم بربهم ومليكهم .

كما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفي t قال : دعـــا رسول الله r على الأحزاب فقال : " اللهم مترل الكتاب سريع الحســـاب اهـــزم الأحزاب وزلزلهم " [2].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

[1] البخاري (2825) ، مسلم (3362).

[2] البخاري (2796) ، مسلم (4967).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

أخي الحبيب : هل تعلم أن الله يحب كلاماً معيناً :

فكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " [1] .

وكما في صحيح مسلم من حديث سمرة بن جندب t أن النبي r قال : " أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت " [2] .

هل تعلم أن الله يحب صفاتاً معينة ؟

فكما في صحيح مسلم أن النبي r قال لأشج بن عبد القيس " إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم [3] ، والأناة " [4].

وكما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : " دخل رهط من اليهود على النبي r فقالوا : السام عليكم . قالت عائشة : وعليكم السام واللعنة فقال r : " مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفعة في الأمر كله . فقلت : يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ، فقال r : " قد قلت : وعليكم " [5] .

---

(1) البخاري (6052) ، مسلم (4967).

(2) مسلم (4079).

(3) الحلم : العقل اللبيب ، الأناة : التثبيت وعدم العجلة .

(4) مسلم (49) .

(5) البخاري (5685) ، مسلم (4122) .

وكما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود t أن النبي r قال : " لا يـدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، فقال r " إن الله جميل يحب الجمال ، والكبرُ بَطَرُ الحقِّ وغمْطُ النَّاسِ ".

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال : " لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحد ، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر"[1] .

وكما في سنن أبي داود بإسناد حسن من حديث يعلي أنه r رأى رجلاً يغتسل بالبَراز (2) ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : " إن الله عز وجل حليم حيي ستير ، يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر " [3] .

هل تعلم أن الله يحب أقواماً معينة ؟

كما في صحيح مسلم من حديث عبادة بن الصامت t أن النبي r قال : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " [4] .

وكما في الصحيحين من حديث البراء t أنه r قال : " الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله " [5] .

[1] البخاري (6056) ، مسلم (4942).
[2] البَراز بفتح الباء : اسم للفضاء الواسع.
[3] صحيح : أبو داود (3515).
[4] البخاري (6152).
[5] البخاري (3595) ، مسلم (135).

وكما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال : فيما يرويه عن رب العزة " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، و ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، و ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فـــإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، و بصره الذي يبصر به ، و يده التي يبطش بها ، و رجله التي يمشي بها ، و إن سألني لأعطينه ، و لئن استعاذني لأعيذنه " [1].

وكما في سنن الترمذي من حديث أسامة بن زيد t ان النبي r قال في الحســـن والحسين " هذان ابنا ابنتي ، اللهم إني أحبهما ، فأحبهما ، وأحب من يحبهما " [2].

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي هريــرة t أن الــنبي r قـــال " أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى . فأرصد الله له ، على مدرجته ، ملكاً . فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّهَا ؟ قال : لا . غير أني أحببته في الله عز وجل . قال : فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه .

وكما في سنن الترمذي من حديث أنس t أن النبي r قال : " إن عظم الجزاء مع عظمة البلاء وأن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط " [3].

هل تعلم أن الله يحب أقواماً اتصفوا بصفات معينة ؟

فكما في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص t أن النبي r قال : " إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي " [4] .

---

[1] البخاري (6147).

[2] صحيح : الترمذي (3785) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي .

[3] صحيح : الترمذي (2378) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (285)

[4] مسلم (5378).

وكما في موطأ مالك بإسناد رجاله ثقات من حديث يحيى بن سعيد أنه سمع ابا المنكدر يقول : أحب الله عبداً سمحاً إن باع سمحاً إن ابتاع ، سمحاً إن قضى سمحا إن اقتضى ".

أحبتي في الله : ما هي أمارات محبة الله للعبد ؟

هذه الأمارات بمثابة التسلية للقلوب أثناء الطريق ، فإن المرء إذا سار قاصداً قرية ما ، ثم بدت له أضواؤها فإنه يستأنس بذلك ، ويستبشر بقرب ما يسعى إليه ، وكذلك على درب المحبة يكون استشعار العبد لهذه الأمارات بمثابة الأنوار التي بها يستدفئ ويستبشر بقرب حصول المراد ، ومن هذه الأمارات :

من أمارات هذه المحبة : أن تجد في قلوب عباد الله المؤمنين حباً لك :

والدليل قوله تعالى O ! " # $ % & ' ( ) * N

مريم: ٩٦.

نقل بن كثير عن بن عباس – رضي الله عنهما - قال : ودا : أي حباً ، وعن سعيد بن جبير قال : يحبهم ويحببهم إلى عباده المؤمنين .

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال : " إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض "[1].

ولكن لا يلتبس عليك أيها المحب نوع المحبين ، فتكون مخالطاً لأقوام ليسوا من أهل الفضل والصلاح فنظن أنك غير محبوب ، بل عليك بمخالطة أهل الفضل والبر والصلاح والتقوى.

[1] البخاري (5700) ، مسلم (4879).

ومن الأمارات أيضاً : أن تجد من جوارحك انقياداً واستسلاماً تاماً لأوامر المحبوب : فلا يستقر سمعك إلا لما يرضي الله سماعه ، ولا يطيب بصرك إلا برؤية ما يحب الله أن يراه ، ولا تحرك يدك إلا وأنت موقن أن ما ستجلبه بها مباح ويرضي الله ، ولا تخطو رجلك خطوة تسعى بها إلا إلى مرضاة الله ، فهذه منحة من الله عــز وجــل عظيمة وأمارة مشرقة تبشر بنور محبة الله لحديث الولي ..." من عادي لي وليا ...." ومن الأمارات أيضاً تأييد الله عز وجل للعبد ونصرته له وولايته ، وإجابته إذا سأله ، وإجارته إذا استجار .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، ووحد صفوفنا ، وانصر إسلامنا ، واشف أمراضنا ، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأعلي بفضلك كلمتي الحق والدين.

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين والعراق وفي كل مكان.

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وعافنا واعف عنا ، وارفع مقتك وغضبك عنا.

اللهم ولِّ أمورنا خيارنا ، ولا تولِّ أمورنا شرارنا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقم الصلاة .

الخطبة الحادية والعشرون : الجمعة وآدابها

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

[4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z آل عمران: ١٠٢

[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? Z النساء: ١

[u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ Z الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد :

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله :

ابتداء فالجمعة إنما أطلق عليها جمعة لاجتماع المسلمين فيهـــا ، وذلـــك في صلاة الجمعة التي هي عيد من أعياد المسلمين .

ولقد منَّ الله سبحانه وتعالى على أمة محمد **r** بهذا اليوم الذي هو أفضــــل أيام الأسبوع ، وهو خير يوم طلعت عليه الشمس كما في الحديث الذي أخرجـــه مسلم من حديث أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله **r** : " **إنَّ من أفضل أيامكم**

يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي " .

فقالوا : يا رسول الله ، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ - يعني وقد بليتَ – قال : **" إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم "** [1] .

وهذا اليوم الذي هو يوم الجمعة كان قد فرض على من كان قبلنا من اليهود والنصارى ، فأضلهم الله عنه ، واختارت اليهود يوم السبت ، والنصارى يوم الأحد ، وسبقناهم نحن فكان لنا – ولله الحمد – يوم الجمعة . ولهذا السبق أثره الطيب ، فنحن السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل سائر الخلق .

ففي الحديث عن رسول الله r : **" نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم ، فاختلفوا فيه فهدانا الله ، فالناس لنا فيه تبع : اليهود غدا ، والنصارى بعد غد "** [2].

وأخرج مسلم في " صحيحه " من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله r : **" أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، المقضِيُّ لهم قبل الخلائق "** [3] .

وفي رواية : **" المقضِيُّ بينهم "**.

---

[1] صحيح : ابن خزيمة (1628) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2212).

[2] البخاري (876) ، ومسلم (855) .

[3] مسلم (856)

فضل صلاة الجمعة

ولقد مَنَّ الله عز وجل علينا بصلاة الجمعة في هذا اليوم الـتي تكفـر بهـا الذنوب وتمحى بها الخطايا ، وترفع بها الدرجات – بإذن الله .

أخرج مسلم في " صحيحه " من حديث أبي هريرة t قال : قال رسـول الله r : " **الصلاة الخمس وفي رواية : الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعـة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر " وفي رواية عند مسلم أيضا : " مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** " [1] .

ومن إكرام هذا اليوم وبيان عظيم شأنه أن الله عز وجل أكمل فيه للمؤمنين دينهم وأتم عليهم نعمته كما قال ربنا سبحانه وتعالى – وكان ذلك يوم الجمعـة :

[K L M N O P Q R S T U Zالمائدة: ٣.

ففي " الصحيحين " من حديث عمر بن الخطاب t : " أن رجـلاً مـن اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : أيُّ آيةٍ ؟ قال : [K L M N O P Q R S T U Zالمائدة: ٣ [2].

قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي r وهو قائم بعرفة يوم جمعة " .

هذا وقد قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعـالى : [ ) (Z البروج: ٣ أن المشهود يوم الجمعة ، فإن كان ذلك كذلك ، فهذا القسم مـن الله تبارك وتعالى بالشاهد والمشهود تكريماً لهذا اليوم وتعظيماً له .

---

[1] مسلم (2333) ، وما بعده عند مسلم أيضاً .

[2] البخاري (45) ،ومسلم (3017).

أعمال يوم الجمعة وليلتها

أما عن أعمال هذا اليوم وليلته وما يتعلق بذلك من فقهٍ فأقول – وبالله التوفيق :

ابتداءً فلا ينبغي أن تخص ليلة الجمعة من بين الليالي بقيام ولا يومها بصيام ، وذلك لما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة r عن النبي r قال : " **لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم** " [1].

فعلى ذلك ما يفعله البعض من الاجتماع لقيام الليل ليلة الجمعة ليس على سنة رسول الله r ، بل قد نهى النبي r عن هذا التخصيص .

ما يُقرأُ في فجر يوم الجمعة

هذا وتشرع قراءة سورتي السجدة والإنسان في صلاة الفجر من يوم الجمعة، سورة السجدة بعد الفاتحة في الركعة الأولى ، وسورة الإنسان بعد الفاتحة في الركعة الثانية .

فقد أخرج البخاري ومسلم [2] من حديث أبي هريرة t : " أن النبي r كان يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر بـ] ! " # Z السجدة ، و] هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ Z الإنسان: ١ .

وإن لم يكن بالمقدور قراءة السورتين المذكورتين وقرأ الشخص بأي شيء من القرآن بعد الفاتحة أجزأ ذلك عنه ، وذلك لقوله تعالى :] > ? @ A B Z

---

(1) مسلم (1144)

(2) البخاري (891) ،ومسلم (879).

ولقول النبي r : " **إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ بما تيســر معــك مــن القرآن"** (1) .

هذا ويستحب إذا قرأ سورة السجدة أن يسجد فيها .

وقد نقل بعض العلماء الاتفاق على مشروعية السجود عند قراءة الآية الــتي فيهــا السجدة من سورة السجدة خارج الصلاة ، ألا وهي :] S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a Z السجدة: ١٥

واختلفوا فيما إذا قرأها داخل الصلاة هل يسجد فيها أم لا .

وقد ورد في ذلك حديثان فيهما ضعف ، ولكن عموماً فالسجود – سجود التلاوة – فعل حسن فمن فعله أثيب ، ومن تركه فلا شيء عليه ، كما ورد عــن أمير المؤمنين عمر r ، فقد ورد عنه أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل ، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد ، وسجد الناس ، حتى إذا كانت الجمعة القابلــة قرأ بها ، حتى إذا جاء السجدة قال : " يا أيها الناس إنا نمر بالسجود ، فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه " . ولم يسجد عمر t (2) .

قال البخاري : وزاد نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : " إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء " .

الصلاة على النبي r يوم الجمعة

ويستحب الإكثار من الصلاة على النبي r يوم الجمعة ، لما ورد عن رسول الله r أنه قال : " : **إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ...** " فذكر الحديث ، وفيه: " **فأكثروا عَلَيَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عَلَيَّ** " ... الحديث (3)

---

(1) البخاري (793) ، مسلم (397) .

(2) البخاري (1077) .

(3) صحيح : أحمد (8/4) وأبو داود (184/2) وغيرهما .

ثم إن الأحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي r كثيرة معلومة ، كقوله r : " **مَنْ صَلَّى علَيَّ وَاحدةً صَلَّى اللهُ عليهِ عَشْراً** " [1] ، ولقوله r : "**مَا مِنْ أحدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ ، إلاَّ ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرُدَّ عليه السلامَ** " [2].

فضلاً عن قوله تعالى :] B C D E F G I J K L M N O P Z الأحزاب: ٥٦.

أمور تُفعل بين يدي صلاة الجمعة

هل يُستحب للرجل أن يجامع أهله يوم الجمعة ؟

فأقول – وبالله التوفيق - : قد ذهب العلماء إلى أنه يستحب للشخص – وهو في بيته – أن يجامع أهله ، وذلك للحديث الذي فيه : " **من اغتسل يوم الجمعة وغسل ، ثم ابتكر وغدا إلى المسجد ، ثم جلس قريباً من الإمام حتى يُنْصِتَ ، كَانَ لهُ بِكُلِّ خُطوَةٍ خَطَهَا عَمَلُ سَنةٍ صِيَامُهَا وقِيَامُهَا** " [3]

وقد صحح بعض العلماء هذا الحديث واستنكر بعضهم متنه للأجر العظيم جداً المذكور في الحديث ، والمعلوم في سائر الأحاديث أن الخطوة ترفع درجة أو تحط خطيئة .

---

[1] مسلم (مع النووي 127/4) .

[2] إسناده حسن : أبو داود (534/2) .

[3] صحيح : أحمد (8/4) ، عبد الرزاق (5570) ، الترمذي (496) ، أبو داود (345) ، النسائي (95/3) وغيرهم .

استحباب الغسل يوم الجمعة :

ويستحب الغسل أيضا للجمعة [1] وقد ذهب بعض العلمـــاء إلى وجوبـــه مستدلين بحديث أبي سعيد الخدري t أن رسول الله r قـــال : " **غســـل يـــوم الجمعة واجب على كل محتلم** " [2] ، وبحديث عبد الله بن عمر ي الله عنـــهما أن رسول الله r : " **إذا جاء أحجكم الجمعة فليغتسل**" [3] .

وبحديث أبي هريرة t عن النبي r قال : " **حق لله على كل مســـلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغتسل رأسه وجسده** " [4] .

ويقول عمر لعثمان رضي الله عنهما : " **والوضوء ، وقد علمت أن رسول الله r يأمر بالغسل** " [5]

بينما ذهب فريق من أهل العلم – وهو الجمهور – إلى أن غسل الجمعـــة مستحب ، واستدلوا بما أخرجه مسلم [6] في " صحيحه " من حديث أبي هريرة r قال : قال رسول الله r " **من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاســـتمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام** " .

واستدلوا أيضاً بحديث في سنده مقال فقال : " **من توضأ يوم الجمعة فبـــها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل** " [7] .

---

(1) أما إذا كان قد أجنب فمعلوم بداهة أن الغسل فرض عليه .

(2) البخاري (895) ، مسلم (580 – 581).

(3) البخاري (مع الفتح 356/2) .

(4) مسلم (ص 285).

(5) البخاري (878) ، مسلم (845) .

(6) مسلم (ص588) .

(7) وله عدة طرق ، ولا يخلو طريق منها من مقال .

واستدلوا أيضا بقوله الله تعـــالى : G H I J K [! "
$ % & ' ( ) Z ..... الآيـــة ، ولم يـــأمر فيهـــا بالغسل.

واستدلوا كذلك بحديث عائشة (1) رضي الله عنها قالت : " كان النـــاس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالي ، فيأتون في الغبار ، يصيبهم الغبار والعرق ، فيخرج منهم العرق ، فأتى رسول الله r إنسان منهم وهو عندي فقال النبي r : " لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا " وفي رواية : " لو اغتسلتم " .

ومن أجنب يوم الجمعة لا يلزم بغسلين ، غسل للجمعة ، وغسل للجنابة ، بل يكفيه ويجزئه غسل واحد من الجنابة وعن الجمعة [2] . وهـــذا قـــول جمـــاهير العلماء.

ومن نقض وضوؤه بعد الغسل فلا يلزم بغسل جديد ، ولكن يجزيه الوضوء .

ومن نقض وضوؤه بعد الغسل فلا بغسل جديد ، ولكن يجزيه الوضوء .

ومن مس ذكره بعد الغسل ألزم بالوضوء ثانية ، لقول النبي r : " من مس ذكره فليتوضأ " [3] .

ولا يجب الغسل على من لم يحضر الجمعة ، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء[4].

---

[1] البخاري (902) ، مسلم (847) .

[2] قال ابن المنذر (4 / 43 9 قال أكثر من تحفظ عنه من أهل العلم أن المغتسل للجنابة والجمعة غسلا واحدا يجزيا .
، وقال مالك في " المدونة " : لا بأس أن يغتسل غسلاً واحداً للجنابة والجنابة ينويها جميعا (1 / 146).

[3] له اسناد يحسن ، وفيه بعض الاختلاف ، وانظر تخريجاته فـــي أبـــي داود (181) ، الترمـــذي (82) ، النســـائي (163)، ابن ماجة (479) .

4 قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (417/2 9 في شرح حديث : " إذا أراد أن يأتي الجمعة فليغتسل " : واستدل من مفهوم الحديث على أن الغسل لا يشرع لمن لم يحضر الجمعة ... وبه قال الجمهور .

فعليه فهناك فئام من الناس لا تجب عليه الجمعة كالنساء والصبيان والمسافرين والمرضى ، فمن ثم فليس عليهم غسل عند الأكثرين ، لكن إن حضروها استحب لهم الاغتسال لها ، والله أعلم .

وكما هو معلوم فإن غسل الجمعة إنما هو لصلاة الجمعة ، وذلك للحديث : **" كان الناس مهنة أنفسهم ، وكانوا إذا راحوا إلى الجمعة راحوا في هيئتهم فقيل لهم : " لو اغتسلتم "** [1] **وفي رواية : " لو تطهرتم " .**

بداية الغسل يوم الجمعة :

ومن المعلوم أن اليوم يبدء من الفجر ، فعليه فغسل يوم الجمعة بدايته من الفجر ، وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم ، ومن خرج منه ريح بعد أن اغتسل ولبس ثيابه ، أو قضى حاجته فلا يلزم بإعادة الغسل مرة ثانية ، بل يجزئه الوضوء ، وهذا رأي الجمهور .

وهذه أمور تستحب أيضا بعد الغسل :

التطيب :

وذلك لحديث سلمان t الذي أخرجه البخاري (2) في " صحيحه " ، ففيه : أن النبي r قال : **" لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى " .**

---

[1] وقد تقدم هذا قريباً .

[2] البخاري (883).

ومن المعلوم أن النبي r كان طيب الرائحة – صلوات ربي وسلامه عليه – وقد تقدم أن من أسباب الأمر بالغسل أن الناس كانوا يأتون المسجد ولهم روائح – أي غير طيبة – فقيل لهم : " **لو اغتسلتم** ؟" .

وذلك فيما يبدو – والله أعلم لإزالة الروائح الكريهة .

النهي عن كريه الروائح :

وقد كان النبي r ينهي من أكل ثوما أو بصلا أن يشهد الصلاة معهم ، وكان يقول : " **إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم** " .

أخرج البخاري ومسلم (1) " في صحيحيهما " من حديث جابر t أن النبي r قال : " **من أكل من هذه الشجرة – يريد الثوم – فلا يغشانا في مساجدنا** " قلت : ما يعني به ؟ قال : ما أراه يعني إلا نيئه . وفي رواية : " **وليقعد في بيته** " .

وعند البخاري أيضا أن النبي r أتى بقدر فيه خضرات من بقول ، فوجد لها ريحا ، فسأل ، فأخبر بما فيها من البقول ، فقال : " **قربوها** " – إلى بعض أصحابه كان معه – فلما رآه كره أكلها ، قال : " **كل ، فإني أناجي من لا تناجي** " [2].

وفي " الصحيحين " [3] عن ابن عمر t أن رسول الله r : " **من أكل من هذه الشجرة – يعني الثوم – فلا يقربن مسجدنا** ".

وفي " صحيح مسلم " من حديث عمر t أنه خطب يوم الجمعة قال : " ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثين : هذا البصل والثوم ، لقد

---

(1) البخاري (854) ، مسلم (564).

(2) البخاري (855) ، مسلم (564).

(3) البخاري (853) ، مسلم (561).

رأيت رسول الله r إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به ، فـأخرج إلى البقيع فمن أكلهما فَلْيُمِتْهُمَا طبخاً " .

ويقترب من أكلة الثوم البصل في تأذي الملائكة منهم ، من هم أصـحاب أعمال الذات روائح كريهة كالذي يعمل في بيع السمك مثلا ويأتي إلى المسـجد ولثيابه رائحة كريهة ، فمثله ينبغي أن يخصص لصلاته ثوبا غير ثوب مهنته .

وكذا هؤلاء الذين يتعاطون الدخان ، ويتناولون السيجار ، ألا فليعلموا أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم .

استحباب السواك للجمعة وغيرها :

وذلك للعمومات الواردة في فضل السواك كحديث : " **لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك عند كل صلاة** " [1].

وقد كان النبي r يحافظ على السواك ويداوم عليه ، فقـد " سـئلت [2] عائشة بأي شيء كان يبدأ النبي r إذا دخل بيته ؟ قالت : بالسواك " .

وفي " الصحيحين " من حديث حذيفة t قال : " كان النبي r إذا قـام من الليل يشوص فاه " [3] .

ولقد قال النبي r : " **أكثرت عليكم في السواك**[4] ".

[1] البخاري (877) ، مسلم (252).

[2] مسلم (253).

[3] البخاري (889) ، مسلم (255) .

[4] البخاري (888).

وكذلك فقد ورد في التسوك والاستنان حديث يخص الجمعة :

ففي " صحيح البخاري " من حديث أبي سعيد الخدري t قال : أشــــهد على رسول الله r قال : " **الغسل يوم الجمعة واجب على كــــل محـــتلم ، وأن يستن، وأن يمس طيبا إن وجد**"[1] . والاستنان إنما يكون بالسواك .

وإن لم يوجد السواك ووجد معجون الأسنان لتنظيف الفم ، فذلك حسن أيضا [2] وبالله تعالى التوفيق .

التجمل والتزين ولبس أحسن الثياب :

ويستحب لمن سيشهد الجمعة أن يتجمل ويتزين ويلبس أحســـن الثيـــاب وذلك لقوله تعالى] ! " # $ % & ' (Z فالآيــــة بعمومهـــا تشهد لذلك ، وإن كان لها سبب نزول خاص ، فالعبرة بعموم الألفاظ .

ثم إن هذا كان أمراً معروفاً عند الصحابة زمن النبي r ،ففي"الصحيحين"[3] من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما - رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال : يا رسول الله ، لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك ، فقال رسول الله r : " **إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة** " ثم جاءت رسول الله r منها حلل فأعطى عمر ابن الخطاب t منها حلة .

فقال عمر : يا رسول الله كسوتنيها ، وقد قلت في حلة عطارد ما قلـــت . قال : رسول الله r : " **إني لم أكسكها لتلبسها** " فكساها عمر بن الخطـــاب t أخاً له بمكة مشركاً .

---

[1] البخاري (880).

[2] ومن هنا نلفت النظر إلى أمر ألا وهو الاعتناء بنظافة الفم والأسنان ، فكم من امرأة تنفر من قبلة زوجها لها بسبب عدم طيب رائحة الفم ، وكم من زوج ينفر من زوجته لهذا السبب ، فهذه أمور ينبغي أن تراعى وتلحظ ، والموفق من وفقه الله.

[3] البخاري (886) ، مسلم (2068).

وفي الحديث الآخر [1] : من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله r : " **من اغتسل يوم الجمعة ، ولبس من أحسن ثيابه ، ومس من أطيب أهله ، ثم أتى الجمعة فلم يتخط أعناق الناس ، ثم صلى ما كتب الله له ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يفرغ من صلاته كانت كفارته لما بينهما وبين جمعته التي قبلها** ".

ويقول أبو هريرة : وزيادة ثلاثة أيام .

وفي حديث عبد الله بن سلام [2] أنه سمع رسول الله r يقول على المنبر يوم الجمعة : " **ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته** " .

استحباب التبكير بالذهاب إلى المسجد لشهود الجمعة :

ويستحب التبكير بالذهاب إلى المسجد لشهود الجمعة ، وذلك لقوله تعالى :

] ? @ Z البقرة: ١٤٨ ولقوله تعالى :] وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ © ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ Z الواقعة: ١٠ – ١١ .

ولقول النبي r [3] : " **من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر** " .

---

[1] صحيح لشواهده : أبو داود (343) ، وغيره .
[2] صحيح : أبو داود (1078).
[3] البخاري (881) ، مسلم (850).

وأخرج أبو داود [1] من حديث سمرة بن جندب t قال : قال رسول الله r : " **احضروا الذكر وادنوا من الإمام ، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها**" . وفي هذا الباب حديث : "**من اغتسل يوم الجمعة وغسل**". وقد تقدم .

ولا يجوز لمن أتى الجمعة أن يتخطى رقاب الجالسين ، ولا أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما ، وذلك لحديث عبد الله بن بسر t قال : جاء رجل يتخطى رقاب الناس ، فقال رسول الله r : " **اجلس فقد آذيت** " [2] ، وفي الحديث : "**ثم راح فلم يفرق بين اثنين ..** "[3] فذكر الفضيلة في ذلك .

ولا يقيمن الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه :

وذلك لقول النبي r : " **لا يقيمن أحدكم أخاه ثم يجلس في مجلسه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا** " [4].

وفي " صحيح مسلم " من حديث جابر t قال : قال رسول الله r : "**لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ، ثم ليخالف إلى مقعده فيقعد فيه ، ولكن يقول: أفسحوا** " .

---

[1] صحيح : أبو داود (1108).

[2] صحيح : أبو ادود (1118) ، وفي النهاية عن تخطي رقاب الناس يوم الجمعة جملة أحاديث تصح بلا شك نظرها في " سنن أبي داود " (343) ، (347) ، وفي غير موطن .

[3] صحيح : وقد تقدم من حديث سلمان t مرفوعا .

[4] البخاري (6270) من حديث عمر t عن النبي r أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ، ولكن تفسحوا وتوسعوا ، وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه .

وفي رواية عند البخاري أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (6269) عن النبي r قال : **لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه** " .

وفي ثالثة البخاري (911) من طريق ابن جريج : سمعت نافعا يقول : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : " نهى النبي r أن يقيم الرجل من مقعده ويجلس فيه " قلت لنافع : الجمعة ؟ قال : الجمعة وغيرها .

وغذا جلس الرجل في المسجد ، ثم عرض له عارض يستغرق زمنا يسيرا فذهب إليه ثم رجع فهو أحق بمجلسه ، لكن إن كان الزمن يطول فليست هناك أحقية له في هذا المجلس ، أما عن حجز الأماكن بالسجاجيد ونحوها فهؤلاء الذين يرسلون الخدم والأتباع والولدان كي يحجزون لهم أماكن في المساجد بالسجاجيد ، ونحوها ويتأخرون هم عن الحضور صنيعهم غير سديد ، وفعلهم غير رشيد [1] .

والمرء في الصلاة ما انتظر الصلاة :

وليعلم المبكر إلى الصلاة أن له عظيم الأجر ، وأنه في صلاة ، قد قال النبي r **" وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه "** [2] وفي رواية : **" لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة وتقول الملائكة : اللهم أغفر له ، اللهم ارحمه ، حتى ينصرف أو يحدث .. "** [3] .

والقريب من الإمام [4] والدنو منه فيه فضل لما ورد في الأحاديث التي تقدم ذكرها .

أما المرأة فإذا أرادت الذهاب إلى الجمعة فلا تتطيب ، وذلك لقول النبي r : **" إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تطيب تلك الليلة "** [5] .

---

[1] سئل شيخ الإسلام ابن تيمية كما في " مجموع الفتاوي " (216/24) عن فرش السجادة في الروضة الشريفة هل يجوز أم لا ؟

فأجاب : ليس لأحد أن يفرش شيئا ويختص به مع غيبته ويمنع به غيره ، هذا غصب لتلك البقعة ومنع المسلمين مما أمر الله تعالى به من الصلاة ، والسنة أن يتقدم الرجل بنفسه ، وأما من يتقدم بسجادة فهو ظالم ينهى عنه ، ويجب رفع تلك السجاجيد ، ويمكن الناس من مكانها .

[2] البخاري (477) ، مسلم (649).

[3] عند مسلم في المصدر المشار إليه .

[4] وقد تقدم ذلك في حديث : " من بكر وابتكر وغسل واغتسل " .

[5] مسلم (443) .

وفي رواية : " **إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً** " [1] ، وفي رواية : " **أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة** " [2] رابعة : " أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية " [3] .

وأيضا فإذا خرج زوجها معها في الطريق فليتطيب هناك في المسجد حتى لا يلفت الناس إلى زوجته وهي سائرة معه في الطريق .

أما عن آداب السير إلى الجمعة

فيستحب – كما سلف الذهاب مبكرا – ورأى بعض أهل العلم استحباب المشي وعدم الركوب لحديث أوس بن أوس ، ففيه : " **ومشي ولم يركب ...** "[4] وقد تقدم .

ويكره الإسراع في المسير :

وذلك لقول النبي r : " **إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، وأتوها تمشون عليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا** " .

أما عن السعي المأمور به في قوله تعالى :] ! " # $ % & ' ( ) * + , - Z الجمعة: ٩ فيختلف عن السعي المنهي عنه في قول النبي r : " فلا تأتوها تسعون " ، فالسعي في الآية الكريمة معناه المضي والذهاب ، أما السعي في الحديث ، فالمراد به الجري أو المشي السريع والله أعلم .

---

[1] مسلم (443).

[2] مسلم (طرفي حديث 443).

[3] أحمد (4 / 414) وأبو داود (4173) وغيرهما .

[4] أبو داود (345) ، الترمذي (496) ، النسائي (3 / 95).

وإذا بلغ المصلي المسجد فليعلم أن الملائكة في صحفها الداخل أولا بأول ، وقد تقدم ذلك في حديث : " **من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة** " .

فإذا دخل فليركع ركعتين قبل أن يجلس ، لقول الـــنبي r : " **إذا دخـــل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين** " [1] .

وحديث جابر أيضا في " الصحيحين " [2] ، وفيه : كان لي على الـــنبي r دين فقضاني وزادني ، ودخلت عليه المسجد فقال لي : " **صَلِّ ركعتين** " .

وعن مسلم [3] أيضا من حديث جابر t قال : " **جاء سليك الغطفـــاني يوم الجمعة ، ورسول الله r قاعد على المنبر ، فقعد سليك قبل أن يصلي فقال له النبي r : " أركعت ركعتين ؟ " ، قال : لا . قال : " قم فاركعهما** " .

وقد استثنى بعض العلماء يوم الجمعة من كراهية الصلاة عند الزوال فيـــه ، وذلك لحديث أبي هريرة t عن النبي r قال : " **من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ..**"[4] الحديث .

ويكره التحلق في المسجد قبل صلاة الجمعة :

لما ورد عن رسول الله r أنه نهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة [5] .

ويستحب للشخص أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة :

فقد أخرج الدارمي وغيره بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري t قال : "**من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق**" [6] .

---

[1] البخاري (444) ، مسلم (714) .

[2] البخاري (930) ، مسلم (715) .

[3] مسلم (875) .

[4] مسلم (857) .

[5] إسناده حسن : ابو داود (1079).

[6] الدارمي (2 / 454) وقد روي هذا الخبر مرفوعا إلى رسول الله r ، ولا يصح مرفوعاً والموقوف أصـــح ، لكـــن للموقوف حكم المرفوع ، والله أعلم .

الأذان يوم الجمعة

وليعلم أن الأذان على عهد رسول الله r كان أذانين فقـــط ، أولهمـــا إذا صعد الإمام المنبر ، والثاني هو الإقامة – أعني إقامة الصلاة .

وأدخل عثمان t أذاناً ثالثاً على الزوراء قبل وقت الجمعة بزمن ليعلم أهل السوق باقتراب الوقت ، وذلك كما روى البخاري من طريق السائب ابن يزيد [1] قال : " إن الاذان يوم الجمعة كان أوله حين جلس الإمام يوم الجمعة على المنبر في عهد رسول اللعه r وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلما كان في خلافة عثمان بن عفان t ، وكثروا ، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث ، فأذن بـــه علـــى الزوراءِ فثبت الأمر على ذلك " .

أما ما يحدثه الناس الآن من الاذان قبل صعود الإمام بخمس دقائق ، ثم أذان آخر عند صعود الإمام ، ثم الإقامة بعد ذلك عند انتهاء الخطيب ، فهذا – أعـــني الأذان قبل صعود الإمام بخمس دقائق – ليس هو على سنة رســـول الله r ، ولا على سنة أمير المؤمنين عثمان t .

وليست للجمعة هنالك سنة قبلية :

والأمر مطلق لمن أتى المسجد ، فليصل منذ دخوله مـــا كتـــب الله لـــه أن يصلي، لكن إذا صعد الخطيب وأذن المؤذن فليست هناك سنة قبلية للجمعـــة ، و لم يرد ذلك عن النبي r .

فإذا صعد الإمام المنبر سلم على الناس ، ثم أذن المؤذن ، فإذا أذن المـــؤذن للجمعة توقفت الأعمال وتوقف البيع والشراء ، بل ويحرم البيع والشراء من الأذان إلى أن تنقضي الصلاة .

---

[1] البخاري (916).

لقول الله عز وجل :] ! " # $ % & ' ( ) (
* + , - . / 1 2 3 4 5 6 7 Z الجمعة: ٩ .
فليترك إذن البيع ، وكذا الشراء .

وتعلمون أن قول الله تبارك وتعـالى :] H I J K L M N
O P R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ Z الجمعة: ١١
سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم [1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : " بينما نحن نصلي مع النبي r إذ أقبلت عير تحمل طعاما ، فـالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي r إلا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآيـة :] H I
J K L M N O P Zالجمعة: ١١ .

وأخرج الطبري [2] بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنـهما قائم على المنبر وينفضون إليها ، فـأنزل الله :] H I J K L M N
O P Zالجمعة: ١١ .

ويستحب للخطيب وللمستمعين أن يرددوا الاذان مع المؤذن ، لعموم قول النبي r : " **إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن** " [3] .

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنـه سمع النبي r يقول : " **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علـي ، فإنه من صلى علي صلاةً صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسـيلة ،**

---

[1] البخاري (936) ، مسلم (863).
[2] الطبري أثر (34145).
[3] أخرجه البخاري (611) ، مسلم (383) .

فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة " [1].

ثم يبدأ الخطيب خطبته حامداً الله عز وجل مثنيا عليه ، شاهدا إلا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ثم يبدأ خطبته ويستحب له رفع الصوت فيها.

فقد كان النبي r يرفع صوته في خطبة صوته في خطبة الجمعة كأنه منذر جيش يقول : " **صبحكم ومساكم** " .

ويستحب أن يقصر الخطبة بما لا يخل بها ، وأن يطيل الصلاة.

ويستحب له في خطبته أن يذكر الناس بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وأفعاله وسننه في خلقه ، وكذا يذكرهم بنبيهم محمد r وسنته ويرغبهم في أعمال الخير والبر ، وما أوجبه الله عليهم ، وينفرهم من الشر والمكروه والمحرم ، ويكره له أن يذكر أشخاصا بأسمائهم على سبيل الذم والانتقاص والطعن ، إلا إذا كان من سيذكرهم أئمة ضلال يقتدى بهم وبأفعالهم ن ولن تحدث من وراء ذكرهم فتن.

ويشرع للخطيب أن يعلم الناس أحكام دينهم وفقه عبادتهم ، وصحيح معتقداتهم، وغير ذلك مما يحتاجون من أمر دينهم ودنياهم ، إذا كان ثم أمر نافع لهم فيها بما لا يخل بمقصود الخطبة ، وبما لا يخرجنا ولا يصرفنا عن ذكر الله عز وجل ، فلقد قال تعالى :] ! " # $ % & ' ( ) * + , - Z الجمعة: ٩ ولم يقل : فاسعوا إلى ذكر فلان وفلان .

---

[1] مسلم (384).

الإنصات للخطبة

ويلزم مستمع الخطبة بالإنصات ، وذلك لقول النبي r : " **إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت** " [(1)]

وقد وردت في الحديث زيادة وهي : " **ومن لغا فلا جمعة له** " لكن هذه الزيادة الأخيرة لا تثبت عن رسول الله r .

لكن يستثنى من الكلام الممنوع الصلاة على النبي r عند ذكره ، وكذلك تشميت العاطس إذا عطس ، وكذا رد السلام إذا سلم عليك مسلم [(2)] ، وكذا مخاطبة الخطيب إذا أخطأ أو سؤاله – عند الضرورة – عما أشكل – أو تنبيه على أمر مهم وخطب عظيم كسؤاله الاستقساء مثلا ، وكذا التأمين على دعائه إذا دعا.

وإذا كان المرء لا يصل إليه صوت الخطيب ولا يسمعه جاز له أن يذكر الله في نفسه ، ولكن لا يكلم الآدميين ، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

ويستحب للخطيب أن يدعو ف خطبته لأهل الإسلام ، وبما يحتاجون إليه ، وذلك لأن الجمعة فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء ، قال رسول الله r " **في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه** " [(3)] .

وقد اختلف العلماء في تديدها ، لكن ثم قول أنها بين أن يصعد الخطيب على المنبر إلى تنقضي الصلاة [(4)] ، وقول آخر أنها تلتمس آخر ساعة بعد العصر [(5)].

---

(1) البخاري (934) ، مسلم (851).

(2) وذلك لأن هناك أمراً بالصلاة على النبي r عند ذكره ، وأمراً بتشميت العاطس إذا حمد الله عز وجل ، وأمراً برد السلام .

(3) البخاري (مع الفتح 199/11) ، مسلم (مع النووي 139/6) .

(4) مسلم (النووي 140/6) ، وهو حديث معل ، أنظر علته في (الفتح 2 / 422) .

(5) صحيح : أبو داود (636/1) .

ومما يدل على مشروعية الدعاء ، بل على استحبابه :

ما ورد من حديث عمارة بن رؤيبة [1] t قال : " رأى بن مروان على المنبر رافعا يديه فقال : قبح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله r ما يزيد على أن يقول بيده هكذا – وأشار بإصبعه المسبحة " .

وقد دعا النبي r على المنبر وهو يستسقى للناس [2] ، ثم إن الدعاء عمل بر، وقد قال بمشروعيته في هذا الموطن أكثر أهل العلم فضلا عن الأدلة المذكورة .

وقد ورد في الباب حديث ضعيف جداً من حديث سمرة بن جندب t : أن النبي r كان يستغفر في كل جمعة .

ومع ضعفه الشديد إلا أن أكثر أهل العلم على العمل به .

أما عن المأمومين وتأمينهم :

فيشرع لهم التأمين ، وقد استدل لذلك بقول موسى عليه السلام :] رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ Z يونس: ٨٨.

قال تعالى :] " # $ Z يونس: ٨٩.

قال بعض العلماء : فدل ذلك على أن هارون أمن على دعاءِ موسى عليهما السلام ، ومن ثم قال تعالى :] " # $ Z يونس: ٨٩.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم

---

[1] مسلم (874).

[2] انظر ذلك فيما أخرجه البخاري حديث (933) ، مسلم حديث (897) ، ففيه أن رسول الله r كان قائماً يخطب ، فجاءه أعرابي فقال : يا رسول الله : هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، قال : فرفع رسول الله r يديه ثم قال : : " اللهم أغثنا .... " الحديث .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على الهادي البشير المصطفى ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فقد سمعتم بعض المباحث المتعلقة بالجمعة ، وهذا مزيد للوارد في هذا الصدد.

فأقول – وبالله التوفيق :

إن الجمعة تنعقد بما تنعقد به الجماعة من أعداد المصلين ، فلا أعلم دليلاً على عدد معين تنعقد به الجمعة ، فشأنها إذن شأن الجماعة – والله أعلم – ولكن كلما كثر عدد المجتمعين كان أفضل .

أما الاستدلال بسبب نزول قوله تعالى :] H I J K L M N O P Z ، وفيه أقبلت عيرٌ تحمل طعاماً ، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي r إلا اثنا عشر رجلاً ، فنزلت الآية :] H I J K L M N Z [1] ، فليس في هذا الخبر الإلزام بعدد معين لانعقاد الجمعة ، ولكن بيان الحال التي حدثت فقط ، والله أعلم .

أما عن القراءة في الجمعة :

فالقراءة فيها جهراً ، ويسن أن يقرأ فيها بسورة الأعلى والغاشية ، وذلك لحديث النعمان بن بشير t قال : " كان رسول الله r يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ :] o p q r s Z و] 4 5 6 7 8 Z [2] .

---

[1] تقدم تخريجه قريباً .

[2] مسلم (878).

الأعلى في الركعة الأولى – بعد الفاتحة – والغاشية في الركعة الثانية .

وكذلك يُسن أن يقرأ أحياناً أُخر بسورة الجمعة والمنافقون ، وذلك لما صح عند مسلم[1] من حديث أبي هريرة t عن النبي r أنه قرأ في الأولى بالجمعة ، وفي الثانية بالمنافقون ، وإن قرأ آخر أجزائه ، لقوله تعالى] > ? @ A B Z ، ولقول النبي r : **" اقرأ بفاتحة الكتاب ثن اقرأ ما تيسر معك من القرآن " .**

من فاته شيء من صلاة الجمعة :

والذي يدرك الصلاة متأخراً عن تكبيرة الإحرام ، فقد قال بعض أهل العلم في شأنه أنه يقضي ما فاته فقط ، لقول النبي r : **" فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا "** [2] **.**

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن من أدرك ركعة من الجمعة فليقض ركعة أخرى بعد تسليم الإمام ، ومن لم يدرك إلا الجلوس بعد الركعة الثانية فليأت بأربع ركعات ، وهذا منقول عن ابن مسعود t .

قال ابن مسعود [3] t : " من أدرك الركعة فقد أدرك الجمعة ، ومن لم يدرك الجمعة فليصل أربعاً " .

وقال ابن عمر [4] رضي الله عنهما : **" إذا أدرك الرجل يوم الجمعة ركعة صلى إليها أخرى ، وإن وجدهم جلوسا صلى أربعاً " .**

---

[1] مسلم (877).

[2] البخاري (635).

[3] صحيح : عبد الرزاق (7745) ، ابن أبي شيبة (المصنف 821/2).

[4] صحيح : عبد الرزاق (1745) ، ابن أبي شيبة (821/2) .

ومن فاته صلاة الجمعة صلى الظهر أربعاً :

قال ابن المنذر [1] : " أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن من فاتته الجمعة يصلي أربعاً " .

أما عن النافلة بعد الجمعة :

فإذا أراد الشخص أن يصليها فليتحول عن مكانه أو يتكلم ، وذلك لما أخرجه مسلم " عن نافع بن جبير أرسله إلى السائب ابن أخت نمر يسأله عن شيء رآه منه معاوية في الصلاة فقال : نعم صليت معه الجمعة في المقصورة ، فلما سلم الإمام ، قمت في مقامي فصليت ، فلما دخل أرسل إلي ، فقال : لا تعد لما فعلت إذا صليت الجمعة ، فلا تصلها بصلاة حتى تكلم أو تخرج ، فإن رسول الله r أمرنا بذلك أن لا توصل صلاة بصلاة حتى نتكلم أو نخرج [2]

أما عن عدد ركعات النافلة بعد الجمعة :

فإن شاء المصلي صلى ركعتين ، فقد صح عن ابن عمر " أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ، ثم قال : كان رسول الله r يصنع ذلك" [3].

وإن شاء صلى أربعا ، فعند مسلم في " صحيحه " من حديث أبي هريرة t قال : قال رسول الله r : " إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً " [4].

وإن شاء صلى في المسجد ، وإن شاء صلى في البيت .

---

[1] ابن المنذر في كتابه " الأوسط " (4 / 107).
[2] مسلم (883) .
[3] مسلم (882) ، البخاري (937) .
[4] مسلم (881) .

وصلاة النافلة في البيت أفضل ، لعموم قول النبي r : " **أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة** " [1] .

أما التفصيل الذي حاصله : أن المصلي إذا صلى في البيت صلى ركعتين ، وإذا صلى في المسجد صلى أربعا ، فبعد بحث فيه ألفيته من صنيع ابن عمر ليس عن رسول الله r صريحاً ، إنما فهم البعض ذلك فحسب ، والله تعالى أعلم .

وإذا وافق يوم الجمعة يوم العيد ، أجزأ الاجتماع في واحد منهما ، أما الإمام فيشهد الصلاتين :

أخرج أبو داود [2] من طريق الأعمش عن عطاء بن أبي رباح قال : " صلى بنا ابن أبي الزبير في يوم عيد في يوم جمعة أول النهار ، ثم رحنا إلى الجمعة ، فلم يخرج إلينا فصلينا وحدانا ، وكان ابن عباس بالطائف فلما قدم ذكرنا ذلك له فقال: أصاب السنة ".

وأخرج أيضا [3] من طريق ابن جريج عن عطاء قال : " اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير فقال : عيدان اجتمعا في يوم واحد فجمعهما جميعاً ، فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر ".

وماذا بعد الجمعة ؟

هذا ، وإذا قضى المصلي صلاته جاز له الانتشار في الأرض لقوله تعالى

[8 9 : ; < = > ? @ A Z الجمعة: ١٠ .

---

[1] البخاري (731) ، مسلم (781).

[2] صحيح : أبو داود (1071).

[3] صحيح : أبو داود (1072).

وهذا الأمر بالانتشار ليس أمر إيجاب وإلزام ، بل أمر إباحة ، وذلـــك لأن النبي r قد قال : " **وتصلي – يعني عليه – الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فه ، وتقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يحدث فيه** "[1] .

هذا ، ومما يلفت النظر إليه ، أن الله عز وجل أمر بذكره كثيرا بعد انقضاء الصلاة ، حتى لا ينفك الشخص عن ذكر الله عز وجل ، قـــال تعـــالى :] 8

9 : ; < = > ? @ A B C D E

F Z الجمعة: ١٠ .

وليكثر الشخص من الدعاء ، فكما تقدم ففي الجمعة ساعة يستحاب فيها الدعاء.

وليكثر من الصلاة والسلام على النبي محمد r .

اللهم فقهنا في ديننا .

اللهم آتنا الحكمة وعلمنا الكتاب .

اللهم آتنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه ، وارنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل .

اللهم اختم لنا بخير ، وأجعل مآلنا إلى خير ، واحشرنا مع من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقم الصلاة .

[1] البخاري (477) ، ومسلم (649)

الخطبة الثانية والعشرون

وقفات مع الإسراء والمعراج

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

! 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

3 4 5 6 7 8 ا: ; < = > ?) [النساء:1]

) u v w x y z { | } ~ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ

ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَـــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان :

مرت اثنتا عشرة سنة على بعثة النبي r لدعوة أهل مكة إلى الإسلام لكنَّ جهاد هذه الدعوة الذي حمله محمد r عرضه لعواصف عاتية من الإيذاء والبغضاء والافتراء ، وكان آخر العهد بمشاق الدعوة طرد ثقيف للنبي r وإيـــذاؤهم لـــه ثم

دخوله إلى البلد الحرام في جوار مشرك ، إن هوانه ذلك على الناس جعله يجـــأر إلى رب الناس شاكياً راجياً .

فمن تسلية الله له ، ومن نعمائه عليه أن يهيء له رحلة سماوية ، وليشعر أنه بعين الله منذ قام يوحده ويعبده ، وَيُعلِّم البشر توحيده وعبادته ، وعلم r من هذه الرحلة أن حظه من رضوان الله جزيل .

وفي تلك الظروف الحرجة التي مر بها r ومع أمل جديد بدأ يلوح من قبل يثرب وقع حادث الإسراء والمعراج ، حيث أسري برسول الله r مـــن المســـجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق ، حيث صلى بالأنبياء هناك ، ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء فتدرج بها حتى رفع إلى سدرة المنتهى ، ثم عرج به إلى الجبار Y فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى .

أيها المسلمون .....

الإسراء والمعراج يقعان قريباً من منتصف فترة الرسالة التي مكثـــت ثلاثـــة وعشرين عاما ، وبذلك كانت هذه الرحلة علاجاً مسح متاعب الماضي ووضـــع بذور النجاح للمستقبل ، فكان لرؤية طرف من آيات الله الكـــبرى في ملكـــوت السماوات والأرض أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين وتصغير جموعهم ومعرفـــة عقباهم في قلب محمد r وصحابته .

لم يكن الإسراء مجرد حادثة من الخوارق أجراها الله U لنبيه لتكون دلـــيلاً على صدق دعوته ، ولم يكن نوعاً من المعجزات التي يؤتى بها الإمام الحجة علـــى المعارضين ،فإن القرآن الكريم وحده كاف في ذلك ، وإنما كان للإسراء برسول الله r بالإضافة إلى ما سبق معان ، غابت عن أفهام كثير من الناس فلم يـــدركوها ، وخفيت على أذهانهم فمروا بها فلم يتدبروها .

ومع كون الإسراء والمعراج مظهراً من مظاهر تشريف رسول الله r بالمثول بين يدي الله تعالى ، وتحقيقاً لكل معاني التكريم والإجلال الـتي أهـدرها أهـل الطائف، و لم يرعوا لها حرمة عند استقباله ، مع كل هذا فإن الإسراء يشتمل على عدد آخر من المعاني والوقفات يجمل بنا أن نتذكرها عند ورود هـذا الحـدث أو مرور زمانه علينا .

فمن معاني الإسراء أننا نرى فيه كرامة الله U لهذه الأمة ، فقـد ظلـت النبوات دهوراً طوالاً وهي وقف على بني إسرائيل ، وظل بيت المقـدس مهـبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض ، والوطن المحجب إلى شعب الله المختار ، فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء ، حلت بهم لعنـة الله وتقـرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ، ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد r انتقالاً بالقيادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة ، ومن بلد إلى بلد ، ومن ذرية إسرائيل إلى ذريـة إسماعيل ، وهذا هو سـبب بغـض اليهـود :] = < > ? @ A

B C D E F G H I J K L M N O P | R

S T U Z البقرة: ٩٠ .

لكنَّ إرادة الله مضت وحملت الأمة الجديدة رسالتها ، وورث النبي العـربي تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وقام يكافح لنشرها ، وّجَمْـعِ النـاس عليها ، فكان الإسراء والمعراج من وصل الحاضر بالماضي ، وإدماج الكل في حقيقة واحدة ، فاعتبر المسجد الأقصى ثالثَ الحرمين ، ومسرى رسول الله r فيكون هذا الإسراء دلالة للإيمان الذي درج قديماً في رحابه .

وجمع الله فيه في تلك الليلة المرسلين السابقين مع صاحب الرسالة الخاتمـة ، والنبوات يصدق بعضها بعضا ، ويمهد السابق منها للاحق ، وبذلك أخذ الله الميثاق

w v u t s r q p o n m l k [

قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ } | { z y x

أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ Z آل عمران: ٨١

وفي السنة الصحيحة أن رسول الله صلى بالأنبياء ركعتين في المسجد الأقصى ، فكانت هذه الإمامة إقراراً مُبيناً بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه ، أخذت تمامها إلى يد محمد r بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين.

ومن معاني الإسراء والمعراج نرى :

أهمية سلامة الفطرة في الإسلام ففي ليلة الإسراء تأكدت صفة هذا الدين الأولى وهي أنه دين الفطرة ، ففي الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام : " ثم أُتِيتُ بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من ماء ، فسمعت قائلا يقول – حين عُرِضْتُ عليه – إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته، وإن أخذ اللبن هدي وهديت أمته " قال : " فأخذت اللبن ، فشربت منه ، فقال لي جبريل : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك"[(1)]

إن سلامة الفطرة لب الإسلام ، ويستحيل أن تفتح أبواب السماء لرجل فاسد السريرة ، عليل القلب ، إن الفطرة الرديئة كالعين الحمئة ، لا تسيل إلا قَذَراً وسواداً ، وربما أخفي هذا السواد الكريه وراء ألوان زاهية ومظاهر مزوقة ، بيد أن ما ينطلي على الناس لا يخدع به رب الناس .

والناس الآن كلما تقدم بهم الزمان ومادياته أمعنوا في التكلف والمصانعة ، وقيدوا أنفسهم بعبادات وتقاليدَ قاسية ، أليست البدع التي توارثها الناس في بعض

---

(1) البخاري (3887) ، مسلم (164).

العبادات ، بما فيها من تكلف وتعب ومشقة ، هي انتكاس لحقيقة هذا الدين وجوهره ، وأكثر هذه التكلفات حُجُبٌ تَطْمِسُ وَهَجَ الفطرة وتعكر نقاوتها وطلاقتها ؟!

أيها المسلمون ....

ومن معاني الإسراء والمعراج وأحداثه أن الصلوات الخمس شرعت فيه ، شرعها الله لتكون معراجاً يرقى بالناس كلما تدلت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا.

إن الصلوات التي شرعها الله هي غير الصلوات التي يؤديها بعض الناس اليوم ، فالصلاة التي فرضت باختصار صلة بين العبد وربه ، تقوى إيمانه ، وتدعم يقينه ، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر ، يؤديها بقلب خاشع لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ، فهل يَا تُرَى صلاتنا اليوم كذلك ؟!

نسأل الله أن يعفو عنا وأن يهدينا صراطه المستقيم .....

إن علامة صدق الصلاة أنها تعصم صاحبها من الدنايا ، فإن لم تكن الصلاة كذلك فهي صلاة ناقصة ، والصلاة بوضوئها المتكرر طهور وطهارة ، وكفارة للذنوب، وزيادة في الحسنات فهي تؤدى خمس صلوات .

عن حذيفة بن اليمان ، قال : قال رسول الله r : " فتنة الرجل في أهله وماله وولده ونفسه وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " [1].

إن أصحاب القلوب الميتة لا تجديهم الصلاةُ فَتيِلاً ، ولن يزالوا كذلك حتى تحيا قلوبهم أو يطمس الران عليها .

---

[1] البخاري (525) ، مسلم (144).

من معاني هذا الحدث العظيم أننا نرى فيه عموم رسالة الإسلام لجميع أمم الأرض ، فحين وصوله عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس كان في استقباله – كما ذكرنا – الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، لم يكن استقبالاً لمجرد الاحتفاء ، وإنما كان للإقرار بنبوته وسبقه عليهم في المكانة والقدر ، وتوضيحاً لمعنى عموم رسالته ، وكانت إمامته دعوة صريحة لأممهم بطاعته والائتمام به .

إن صلاته إلى بيت المقدس ثم تحوله إلى الكعبة في مكة ليوحي بأنه النبي الذي يجب أن يدين له أهل القبلتين ويؤمن برسالته كُلُّ العالمين ، فليست دعوةٌ محليةٌ أو إقليميةٌ ، وما كانت رحلته إلا إثباتاً لذلك .

أيها الإخوة ...

ومن معاني الإسراء والمعراج أن في الإسراء إشارة واضحة إلى أن الدولة الإسلامية ليس لها حدود تنتهي عندها ، ولا معالم يجب ألا تتخطاها ، وإنما يجب أن تكون الأرضُ كُلُّهَا دولةً للإسلام ، فرسول الله ﷺ ولد في مكة ، ودعا في مكة والطائف، وأسرى به إلى بيت المقدس ، وهاجر إلى المدينة ، وهاجر أصحابه إلى الحبشة ، فالأرض لله يورثها عباده المؤمنين .

وقد عَرِفَ محمدٌ ﷺ في رحلته هذه أن رسالته ستنساح في الأرض وتَتَوطَّنُ الأوديةَ الخصبة في النيل والفرات ، وتنتزعُ هذه البقاعَ من مجوسيةِ الفرسِ وتثليثِ الرومِ ، بل وسيكونُ أهل هذه البقاع حملةً للإسلامِ جيلاً في أعقاب جِيلٍ .

إخوة الإيمان ...

هذا هو حدث الإسراء والمعراج الذي حدث كُلَّهُ في ليلة واحدة ، ولما كانت صبيحة هذه الليلة المشهورة حدث رسولُ الله ﷺ بما تمَّ له وما شهد من آيات ربه الكبرى ، فقال الناس : هذا والله الأمر البين ، والله إن العير لِتَطْرِدَ شهراً

من مكة إلى الشام مدبرةً وشهراً مقبلةً ، أفيذهبُ ذلك محمدٌ في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟!

فأراد المشركون استغلال هذا الخبر في تضعيف نبوته r وتوهين صــحابته لكنهم واجهوا قلوباً قوية صادقة من أمثال أبي بكر t الذي ذهب الناس إليــه ، فقالوا : هل لك يا ابا بكر في صاحبك ؟! يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيتَ المقدس وصلى فيه ورجع على مكة ! فقال لهم أبو بكر : إنكم لتكذبون عليه ، فقــالوا : بلى ، ها هو ذلك المسجد يحدث الناس به ، فقال t بإيمان الصادق المؤمن : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يُعْجِبكُم من ذلك ؟! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار ، فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم أقبل إلى رسول الله r فقال : يا نبي الله أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ، قال : " نعم " ، قال : يا نبي الله ، فصفه لي فإني قد جئته يقول عليه الصلاة والسلام : " فَرَفِع لي حتى نظرت إليه " فجعــل رســول الله r يصفه لأبي بكر والناس ، وأبو بكر يقول : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى إذا انتهى قال رسول الله r لأبي بكر : " وأنت يا أبا بكرٍ الصديق " ، فيومئذٍ سماه الصديق .

هذا هو حدث الإسراء والمعراج الذي وقع في السنة الثانية عشرة ، وقيل في ربيع الأول ، وقيل في رجب ، وقيل في ذي القعدة ، لكننا حين نتذكر هذا الحدث يجب أن تستوقفنا فيه عِبرَهُ والمغازي مِنْ ورائه .

G H I J K [! " # $ % & ' ( )

* + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 Z الإسراء: ١

إخوة الإيمان :

إن من الحوادث العظيمة التي وقعت في الإسلام ، حادثة الإسراء والمعراج ، التي وقعت قبل الهجرة النبوية بعام واحد ، وذلك بعد اشتداد أذية قريش وتكذيبها للنبي r ، وموت أم المؤمنين خدجة ، فكانت تطميناً للنبي r ، وربطاً لقلبه ، ولإعلامه أنه خاتم النبيين ، وإمام المرسلين .

ولقد وقع الإسراء والمعراج في ليلة واحدة ، بالجسد والروح معاً ، حيث جاء جبريل عليه السلام ، فشق صدر النبي r واستخراج قلبه وغسله في إناء من ذهب وملأه إيماناً وحكمة ، ثم لأم صدره مرة أخرى ، ثم ركب نبينا r البراق وهو دابة دون البغل وفوق الحمار الأبيض ، فأسرى به إلى البيت المقدس ، حيث التقى بالأنبياء ووصفهم لنا ، وصلى بهم هنالك ركعتين ، ثم عرج به إلى السماء السابعة ، مروراً بالسماوات الست ، حيث التقى مرة أخرى بالأنبياء آدم ويوسف وإدريس وعيسى ويحيى بن زكريا وهارون وموسى وإبراهيم عليهم السلام .

ووصف لنا النبي r ما رآه من آيات الله الكبرى ، فقد رأى البيت المعمور ، وهو بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى قيام الساعة، وما يعلم جنود ربك إلا هو .

ورأى سدرة المنتهى ، التي ثَمرُها مثل الجرار ، وورقُها مثل آذان الفيلةِ ، ووصف لنا أنهار الجنة وبخاصةٍ الكوثر ، الذي حافتاه قِبَابُ اللؤلؤِ المجوفِ ، وطينُهُ المِسْكُ .

وأتى النبي r بإناء فيه خمر ، وآخر من لبن وآخر من عسل ، فأخذ اللبن ، فقال له جبريل : هي الفطرة ، ولو أخذت الخمر لغوت أمتك .

ورأى نبينا r أصنافاً من الناس يعذبون ، فمن ذلك رؤيته لأناس لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوهم وصدورهم لأنهم كانوا يغتابون الناس في الدنيا ويقعون في أعراضهم ، وكم منا – عباد الله – يقع في تلك الكبيرة ؟

ورأى النبي r أقواما تُقْرضُ شفاهم وألسنتهم بمقاريض من نار ، فسأل عنهم ، فقيل له هم خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون ، وهم – عباد الله – لم يعذبوا لأنهم كانوا يعظون الناس ، حاشا وكلا ، إنما عذابهم لتركهم المعروف وإتيانهم المنكر ، ثم إن نبينا r كلَّمَهُ الله تعالى ، بدون واسطة ، ففرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، وشرعت في السماء لتكون الصلاة معراجاً ترقى بالناس كلما تدنت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا ، وأكثر الناس اليوم لا يصلون الصلوات التي شرعها الله ، فصلاتهم لا حياة فيها ولا روح ، إنما هي مجرد حركات جوفاء ، لأن علامة صدق الصلاة أن تعصم صاحبها من الوقوع في الخطايا ، وأن تُخْجِلَهُ من الاستمرار والبقاء عليها إن هو أَلَمَّ بشيءٍ منها ، وإن لم ترفع الصلاة صاحبها إلى هذه الدرجة ، فهي صلاة كاذبة .

ولقد نصح نبي الله موسى عليه السلام نبينا r أن يراجع ربه في أمر الخمسين صلاة ، ولأن أمة محمد r أضعف أجساداً وقلوباً وأبصاراً وأسماعاً ، ففعل النبي r بمشورة موسى عليه السلام فخفف الله عنه عشر صلوات ، ثم أشار عليه نبي الله موسى أن يراجع ربه تارةً أخرى ، فخفف الله تعالى عشر صلوات أخرى ، ثم أخرى حتى بلغتْ خمسَ صلواتٍ في اليوم والليلة ، بخمسين صلاة في الأجر ، فالحمد لله تعالى أن خفف عنا ، وأثبت لنا أجر الخمسين ، وويل لمن خففت عنهم الصلوات إلى خمس ولم يأتوا بها كاملة في أوقاتها وكما أمر الله بها في المساجد .

إخوة الإيمان :

إن واقعة الإسراء والمعراج حادثة عظيمة جاء ذكرها في كتاب الله في سورة الإسراء وسورة النجم ، وفي سنة النبي r ، فيها من العبر والآيات الكبرى ، ما يزيد في إيمان العبد ، ويعظم مكانة النبي r في نفسه .

ولكن من الناس من يستغل هذه المناسبة العظيمة لأغراض دنيئة ، فأهل البدع والخرافيون يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب ، والاحتفال بالمولد أو بلبلة الإسراء والمعراج بدعة منكرة ، وضلالة ، لأن النبي المجتبي والحبيب المصطفى r لم يحتفل بها هو ولا أصحابه من بعده ولا التابعون ، فلم يبق للمحتفل إلا أن يَدَّعِي أنه أعلمُ من النبي r وأصحابه ، أو يُقرَّ بأن ما جاء به من بدعة .

والعجيب أن بعض الدول تحتفل رسميا بهذه البدع كبديل فعال لإسلام أهل السنة والجماعة ، حيث يخدرون مشاعر العامة بالأعياد الصوفية ، ويصرفونهم بها عن تطبيق الشريعة وتحكيمها .

و لم يثبت تحديد شهر الإسراء والمعراج فضلاً عن تحديد يومها بأنه السابع والعشرون.

فاتقوا الله عباد الله وذروا البدع كلَّها ، وحاربوها وحاربوا أهلها ، وعظموا أمر الصلاة التي عظمها الله تعالى ، حيث فرضها الله تعالى في السماء السابعة لمكانتها وأهميتها ، وألقاها إلى نبيه r بدون واسطة .

حافظوا على الصلاة وتعاهدوا أبناءكم في أدائها ، فكثير منهم لا يصلون ، ولا خير في دين لا صلاة فيه ، نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم .

أيها الناس :

اتقوا الله تعالى وأشكروه على ما أنعم به عليكم من النعم الكـــبرى والآلاء الجسيمة العظمى ، فإن نعم الله علينا سابغة وآلاءه متوالية متتابعة .

لقد جعلنا الله خير أمة أخرجت للعالمين ، وفضل نبينا على سائر الأنبياء والمرسلين ، واختصه بخصائصَ لم ينلها أحد من البشر ولن يصل إليها أحد ممن تقدم أو تـــأخر

] ! " # $ % & ' ( ) * + ,

- . . / 0 1 3 4 5 6 7 Z الإسراء: ١ .

فمن خصائصه العظيمة r ذلك المعراج الذي فضله الله به قبل أن يهـــاجر من مكة .

فبينما هو نائم في الحجر في الكعبة أتاه آت فشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه ، ثم استخرج قلبه فملأه حكمة وإيماناً ، تهيئةً لما سيقوم به ، ثم أتـــى بدابـــة بيضاء دون البغل وفوق الحمار يقال لها : البراق ، يضع خطوة عند منتهى طرفه ، فركبه r وبصحبته جبريل الأمين حتى وصل بيت المقدس ، فنزل هناك وصلى ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : من معك ؟ قال محمد ، قيل : وقد ارسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح له فوجد فيها آدم ، فقال جبريل : هذا أبوك آدم ، فسلَّم عليـــه فردَّ عليه السلام ، وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، وإذا على يمـــين آدم أرواحُ السعداء وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته ، فإذا نظر إلى اليمين سُـــرَّ وضحك وإذا نظر قبل شماله بكى .

ثم عَرَجَ به جبريل إلى السماء الثانية ، فاستفتح ، فوجد فيها يحيى وعيسى – عليهما الصلاة والسلام – وهما ابنا الخالة ، كل واحد منهما ابن خالـــة الآخـــر ،

فقال جبريل : هذان يحيى وعيسى فسلِّم عليهما ، فسلَّم عليهما فردا السلام ، وقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم عَرَج به جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح فوجد فيها يوسف – عليه الصلاة والسلام – فقال جبريل : هذا يوسف فسلِّم عليه ، فسلَّم عليه فرد السلام ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم عَرَج به جبريل إلى السماء الرابعة ، فاستفتح ، فوجد فيها إدريس فقال جبريل : هذا إدريس فسلِّم عليه ، فسلَّم عليه فرد السلام ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم عرج به جبريل إلى السماء الخامسة ، فاستفتح ، فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسى عليه السلام ، فقال جبريل : هذا هارون فسلِّم عليه ، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم عَرَج إلى السماء السادسة ، فاستفتح ، فوجد فيها موسى فقال جبريل : هذا موسى فسلِّم عليه ، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزه بكى موسى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، فكان بكاء موسى حزنا على ما فات أمته من الفضائل ، لا حسداً لأمة محمد r .

ثم عرج به جبريل إلى السماء السابعة ، فاستفتح ، فوجد فيها إبراهيم خليل الرحمن r ، فقال جبريل : هذا أبوك إبراهيم فسلِّم عليه ، فسلَّم عليه فردَّ السلام ، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

وإنما طاف جبريل برسول الله r على هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله .

وكان إبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون ويصلون ثم يخرجون ولا يعودون ، وفي اليوم الثاني يأتي غيرهم من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله .

ثم رُفِع النبي r إلى سدرة المنتهى ، فغشيها من أمر الله من البهاء والحسن ما غشيها حتى لا يستطيع أحد أن يصفها من حسنها] j k l m n o p q r s t u Z النجم: ١٦ - ١٧ .

ثم فرَضَ الله عليه الصلاة ، خمسين صلاةً كل يوم وليلة ، فرضي بذلك وسلَّم ، ثم نزل فلما مر بموسى قال : ما فرض ربك على أمتك ، قال : " خمسين صلاة كل يوم : فقال : إن أمتك لا تطيق ذلك ، وقد جربَّت الناس ، فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك ، فرجع النبي r ، وما زال يراجع ربه U حتى استقرت الفريضة على خمس صلوات [1] .

فعاد r إلى بيت المقدس وصلَّى بالأنبياء ، ولكنه قبل عودته ونزوله r أُدخِلَ الجنة ورآها ، ورأى النار وبعض من يُعذَّب فيها ، ورأى مالكا خازن النار ، وقُدِّم للنبي في ليلته تلك أنواع من الشراب فاختار r اللبن .

ومن العجيب أن النبي r رأى – وهو في أثناء الإسراء من مكة إلى بيت المقدس – رأى موسى عليه السلام يصلي في قبره ، ورآه في السماء السادسة كما مر معنا ، وبالطبع أنه كان خلف النبي r في وقت الصلاة ، وهذه الأمور نؤمن بها ، لأنها وردت عن الصادق المصدوق r ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ... سبحان من بيده ملكوت كل شيء ... سبحان من يقول للشيء كن فيكون .

---

[1] متفق عليه : البخاري (349) ، مسلم (164)

وفي الصباح ، أخْبِرَ النبي r بالخبر ، فكان ذلك امتحاناً للناس في مكـــة ، فكان منهم إلا أن كذبوا وضحكوا وصفقوا ، فأزدادوا في الطغيان والتكذيب ، بل إنه ارتد بعض المسلمين عن دينهم حينما سمعوا بالقصة .

وقد سألت قريش النبي r عن وصف البيت المقدس ، فرفعه الله له ، فجعل ينظر إليه وينعته لهم ، فَبهُتُوا وقالوا : أما الوصف فقد أصاب [R S T U V W X YZ [\ Z النجم: ١١ - ١٢

هذه – أيها الإخوة – قصة الإسراء والمعراج باختصار كما جاءت في كتب السنة ، فإن بعض الناس يخلط بين الإسراء والمعراج وبين الرؤيا التي رآها الـــنبي r في المنام والتي جاءت في كتب السنة والتي رأى فيها ربه في المنام ، أو الرؤيا الـــتي فيها أوصاف لبعض المعذبين في النار وأوصاف للجنة وما فيهـــا مـــن الـــدرجات والمنازل التي أعدها الله لعباده المؤمنين .

والنبي r حينما سئل : هل رأيت ربك ليلة المعراج ؟ قال r : " نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ ؟! " أي أنه لم ير إلا نورا ، فكيف يراه ، وقد ثبت في الأحاديث أن حجاب الله النور .

والأشد من ذلك ما أُلِّفَ من تأليفٍ موضوعةٍ وأحاديث مكذوبة على النبي r عن قصة الإسراء والمعراج يتداولها بعض الناس ولا يعرفون الغث منـــها مـــن السمين ، والأولى بهم الرجوع إلى كتب السنة الصحيحة وقراءة القصة الصـــحيحة منها ، وترك ما دون ذلك ، فمن حدث بحديث كذب على النبي r فهـــو أحَـــدُ الكاذبين .

أسأل الله العلي العظيم أن يغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين ؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

لقد كرم الله نبيه محمداً r بهذه الآية الكبرى الإسراء والمعراج التي كفر بها المشركون ، وارتد بسببها المسلمين الذين أسلموا حديثاً ولم يتحملوا سماع هذه المعجزة التي كانت فيها عبرةٌ وتمحيصٌ ، وكان فيها هدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين ...

فحينما عاد النبي r وأصبح في المسجد الحرام جلس واجماً ساكناً فجاءه أبو جهل عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فقال : ما بك يا ابن أخي ؟! فأخبره النبي r بالأمر ، فقال له : لو جمعت لك قريش تخبرهم ؟! قال " نعم " فجمعهم فأخبرهم النبي r فأخذوا في الضحك والتصفيق فازدادوا كفراً وضلالاً – والعياذ بالله – وارتد ضعفاء النفوس ، أما الصديق فقال : إني أصدقه بخبر السماء ، ألا أصدقه في الإسراء .... فآمن من آمن على يقين من ربه ، وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه .

إخوة الإيمان :

إن النبي r لم يكن ليخفي خبر الإسراء والمعراج الذي تم في جزء من ليلة حتى ولو كان في ذلك ارتدادُ بعض المسلمين ، ولأن هذا من الذكر الذي هو مكلف ببيانه ، قال تعالى] V W X Y Z [\ ] ^ _ `

a b c d e f g h i j k l m n o Z الحاقة: ٤٤ ــ ٤٨.

فلا يستطيع النبي r أن يقول شيئاً على الله ولا أن يمنع شيئاً فرضه الله وحاشاه – بأبي هو وأمي – أن يفعل ذلك r :] + , - . / 0 1 2 3 4 5 Z النجم: ٣ – ٤.

ولكن - أيها الأخوة - لم يرد في السير ولا في السنة أن النبي r أمر بإحياء ليلة الإسراء والمعراج بذكر معين أو بصلاة أو بصيام يوم مُعَيَّنٍ لأجل الإسراء والمعراج كما أحدثه كثير من الناس في الأيام الأخيرة مثل الصلاة التي تُسمَّى صلاةُ الرغائب بصفة مخصوصة وذكرٍ معينٍ في أول خميس من رجب ، أو في صيام أيام منه ، أو الاحتفال في ليلة معينة كليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، على اعتبار أنها ليلة الإسراء والمعراج ، وقراءة القصة التي فيها زيادات وأكاذيب لم تثبت عن النبي r والتي يتداولها بعض الناس ، والأدعية المخصوصة التي تقال في تلك الليلة ، كلها ظُلمات بعضُها فوق بعض .

قال العلماء : إن هذه الأعمال التي تقام في رجب أمور غير مشروعة باتفاق أئمة الإسلام ، ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهلٌ مبتدعٌ .

قال الحافظ ابن حجر في كتابه (تبين العجب بما ورد في فضل رجب) : ولم يرد في فضل شهر رجب ، ولا في صيامه ، ولا في صيام شيء معين منه ، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديثٌ صحيحٌ يصلح للحجة .

أحبتي في الله :

لقد سجلت كتب السير وكتب السنة بل القرآن العظيم هذه الآية العظيمة، ولم يسجل لها تاريخ معين ، ولم يعرف في أي يوم ولا أي شهر ولا أي عام تم الإسراء والمعراج ، ولم يرد في السنة تخصيص يوم أو ليلة للاحتفال بها ... فهل كان النبي r جاهلاً بفضلها ؟! أعوذ بالله من ذلك .

أما السؤال الثاني : فهل كان النبي r يعلم فضل هذه الليلة ولكنه كتم هذا الأمر ولم يخبر الأمة به ؟ أعوذ بالله أن نقول على الرسول r هذا القول .

إن عدم ذكر تاريخ ليلة الإسراء والمعراج ، وعدم إخبار النبي r الصحابة عنه ، وعدم معرفة الصحابة بذلك التاريخ يدل دلالة واضحة على أنه كان يمر ذلك اليوم كغيره من الأيام والليالي ...

إذاً لماذا يفعل الناس الآن هذه البدع والمحدثات ؟ أهم أهدى سبيلا ؟! كلا والله ثم كلا ..

ألا يعلمون هؤلاء الذين يفعلون هذه البدع أنهم يتهمون النبي r بالتقصير وعدم أداء الأمانة وتبليغ الأمة ؟

ألا يعلم هؤلاء أنهم يكذبون بالقرآن بإحداث هذه البدع حينما قال U

[K L M N O P Q R S T U Z المائدة: ٣

فكأنهم يقولون إن الدين لم يكتمل وبقي فيه بقية وهي هذه الاحتفالات والاجتماعات أو التقرب إلى الله بما لم يشرعه ولم يبلغنا به النبي r .

إن العبرة من هذه الآية وهذه المعجزة ثابتة بالقرآن والسنة ، ولو كان في الاحتفال بها في ليلة مخصوصة قربة إلى الله لقال النبي r ذلك مثل ما قال للأنصار حينما رآهم يحتفلون بيومين ، فقال لهم : " لقد أبدلكم الله خيراً منها يومي الفطر والأضحى " (1) ، ولم يقل : وليلة الإسراء ، ولو كان هناك ذكر أو عبادة معينة في يوم أو ليلة الإسراء والمعراج لقال النبي r ذلك ، وحَضَّ عليه مثل ما حض على قيام ليلة القدر ، أو العشر الأواخر من رمضان ، أو العشر الأول من شهر ذي

(1) رواه النسائي (1556)

الحجة ، أو صيام الأيام البيض ، أو صيام الاثنين والخميس ، أو غير ذلك مما هـــو مسجل في كتب السنة النبوية .

فلماذا هذه البدع ؟ لماذا هذه المحدثات ؟ فما تركه النبي r مـــع وجـــود المقتضى والداعي له ، من السنة تركه ، وعلينا باتباع النبي r فيما فعله أو أمر به ، وعلينا اتباعه r فيما تركه أو نهى عنه .

وكما قررنا في مناسبات كثيرة ، القاعدة المعروفة أن العبادات توقيفية ، أي أنها لا تُعملُ ولا تُشرَعُ ، لا بدليل صحيح صريح ، والأصل في العبادات المنع حتى يثبت الدليل مشروعيتها ، فما وَسِعَ النبيَّ r وصحابته - رضي الله عنهم أجمعين - يَسَعُنا ، وعلينا بالتمسك بالهدي النبوي والاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وأن نترك ما أحدثه الناس من احتفالات وصلوات وعبادات بدعية ، حـــتى ننـــال الفوز في الدنيا والآخرة ..

اللهم وفقنا لما تحب وترضى ، واجعلنا من عبادك الصالحين.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، ووحد صفوفنا ، وانصر إسلامنا ، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأعلي بفضلك كلمتي الحق والدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقم الصلاة.

الخطبة الثالثة والعشرون : مـــــن وحـــــــي الهجـــرة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

[النساء:1] (? > = < ; : 8 7 6 5 4 3

لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ~ } | { z y x w v u)

ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَـــرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون ..

أيها المرابطون في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ..

أيها الصامدون في رحاب المسجد الأقصى تفدونه بالمهج والأرواح ..

رَغْمَ كَيدِ المُحَاصِرِينَ لهذا المسجد وَرَغْمَ إجراءاتهم التعسفية للحيلولة بـــين عباد الله وبيوت الله .

مر بالمسلمين خلال الأسبوع الماضي ذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، الـــتي جعل منها الفاروق عمر مبدأً للتاريخ الهجري للأمة الإسلامية ، لما لهذه المناسبة من أَثَرٍ وَاضِحٍ في مجرى الأحداث ومسار الدعوة الإسلامية ، لما لهذه المناسبة من أثـــر واضح في مَجْرَى الأحداث ومسار الدعوة الإسلامية ، فهل اســـتوعب المحتفـــون دروس الهجرة ، ووقفوا على أهدافها ومراميها ، وحققوا التأسي بصاحبها – عليه الصلاة والسلام ؟! هل أخذوا منها ما يعينهم على إصلاح أحوالهم ، وتغيير واقعهم ، وتحسين أوضاعهم ؟!

هذه الأوضاع والأحوال التي نفذ من خلالها أعداءُ الأمة ، لبسط الســـيطرة على ديار المسلمين ، وفرض ثقافة المحتل على شعوبهم تحت شعارات تحرير الشعوب ، ورعاية حقوق الإنسان ، ونشر العدالة السياسية والاجتماعية بين هذه الشـــعوب المقهورة – وَكَأَنَّ قَهْرَ الاحتلال يَقِلُّ عن قهر السلطان والاستبداد – إلى غير ذلك من الدعاوي العريضة التي تستهدف المسلمين .

ولعل ما تُرَوِّجُ له أمريكا بِمَا يُسَمَّى (مشروع الشـــرق الأوســـط الكـــبير للإصلاح) يأتي ضمن هذه الحملة ، لبث المزيد من السيطرة والنفـــوذ الأجـــنبي ، وتعزيز الوجود الاستعماري ، والذي انتشرت جيوشه المحتلة في أقطار كثيرة من دنيا العروبة والإسلام ، لتنفيذ سياسات المحتلين ، والتمكين للغزو الثقافي الذي يستهدف عقيدة الأمة، وفكرها ، ومقومات نهضتها .

إخوة الإيمان : لو تمثلت أمتكم روح الهجرة وتضحياتها لما وصلت إلى هذا الحد من استهانة الأمم بها ، فروح الهجرة تعني اليقين الجازم بأن الله ينصر دينـــه ، ويؤيـــد رسوله [u v w x y Z التوبة: ٤٠ ولذلك عاد من كان يطارد رسول الله r في الصباح ، عاد حارساً في المساء ، بعد أن رأى بأم عينيـــه أن الله

يمنع رسوله. ولكنه عاد حارساً له في المساء ، بعد أن رأى بأم عينيـــه أن الله يمنـــع رسوله . ولكنه عاد بجائزة عظيمة ، إنها سواري كسرى ، عاد بسواري كسرى ، ليتسلمها سراقة بن مالك في عهد الفاروق عمر ، يوم وصل المسلمون إلى مـــدائن كسرى ، وبادت دولةُ الأكاسرةِ .

إنها الثقةُ بالله ، واليقينُ بنصره ، حيث لا يتوجه المرء إلا لله ، فلا ضـــعيفَ مـــع الله ، ولا قَـــوِيَّ بســـواه ،] وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ Z المائدة: ٥٦ .

إخوة الإيمان : إننا نقرا في كتاب الله العزيز قوله تعالى] 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z غافر: ٥١ ، ومن يتابع مراحل الدعوة الإسلامية يرى المسلمين في مكة وقد تعرضوا لكل أصناف البلاء والاضطهاد مـــن قبل كفار مكة ، ولم يسلم من أذى المشركين رسول الله r ، فصبر هو وأصحابه ، وتحمل الأذى ، وتسامت هممهم فوق كل بلاء في سبيل الله ، ونصـــرة دينـــه ، والثبات على الإيمان ، حتى ضاق المشركون بهم ذَرْعاً ، وراحوا يبطشون بأصحاب النبي r ، وَيُخَطِّطُونَ لِقَتلِ النَّبِـــيِّ نَفْســـه :] ` a b c d e f g h i j k l m o p q r Z الأنفال: ٣٠ .

فَأَذِنَ النبيَّ – عليه الصلاة والسلام – لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنـــورة حيـــث دار الهجـــرة] ﯦ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ Z الحشر: ٩ . إن المهاجرين في هذه الأيام غرباء في ديار الإسلام .

أيها المسلمون ....

وبالمهاجرين والأنصار قامت دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة ، علـــى أسس الإيمان ، والمؤاخاة ، وتربية المسجد الذي بناه النبي – عليه الصلاة والسلام – أول ما نزل المدينة ، هذا يؤكد على دور المسجد في إعداد الأجيال الربانية وحملـــة الدعوة الإسلامية .

وقد نظم نبينا – عليه الصلاة والسلام _ أول ما نزل المدينة ، هذا يؤكـــد على دور المسجد في إعداد الأجيال الربانية وحملة الدعوة الإسلامية .

وقد نظم نبينا – عليه الصلاة والسلام – حياة مجتمـــع المدينـــة في وثيقـــة دستورية تحفظ حقوق المسلمين وغير المسلمين في سماحة وعدالة لم تعرفها أحـــدث القوانين الوضعية ، ولم تقترب منها ، وكيف لا ، والرسول r يشرع من وحـــي ربه ، والبشر يشرعون من هوى أنفسهم ، وينحرفون مع مصالحهم ؟!

أيها المسلمون ...

وَلَمْ يَمْضْ طويل وَقْتٍ حتى عاد المهاجرون ، الذين تركوا الأوطان والأهل والأموال في سبيل الله ، نصرةً لدينه واتباعاً لرسوله ، عادوا براية الحق التي هاجروا تحت لوائها فاتحين منتصرين ، لِيَعْلَوُ نِدَاءُ التوحيد فوق البيت الحرام ، وتنتهي عبادة الأوثان والأصنام ، وإذا بمكة ومن حولها من جزيرة العرب تُذْعِنُ لراية الهجـــرة ، راية الحق ، ويُهْدِي اللهُ – جل في علاه – نَصرَهُ لرسوله والذين آمنـــوا في الحيـــاة الـــدنيا] - . / 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : ; (= > ? @ A Z الأنفال: ١٠ فَهَلاً حقق المسلمون في هذه الأيام ، وهـــم يعيشون ذكرى الهجرة النبوية ، وصف الإيمان الذي ينصر الله أهله ، كمـــا نصـــر

الصحابة الكرام بقيادة النبي – عليه الصلاة والسلام – ومن سار على نهجـه مــن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ؟!

لقد علمتنا الهجرة الشريفة أن الثقة واليقين بالله يقودان إلى نصره الموعـود لعباده المؤمنين ، وصدق الله العظيم :] } | { ~ ٱلْمُؤْمِنِينَ Z الروم:٤٧.

جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله r : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " [1] .

يا أبناء ديار الإسراء والمعراج ....

ومن الممارسات الظالمة : ما تفوه به نائب وزير الدفاع الإسرائيلي بوصـفه الفلسطينيين والعرب بأنهم يعانون من خلل في صفاتهم الوراثية ، يدفعهم هذا الخلل إلى قتل الآخرين ...

إن اقل ما توصف به هذه التفوهات بالعنصرية ، والاعتداء على حكمة الله في خلقه وتكريمه لبني الإنسان .

وقريب من هذه التفوهات ، وفي نفس السياق ما تفوه به أحد الحاخـامين اليهود بوصفه للدين الإسلامي بأنه دين متخلف ، ودعا إلى فصل المواطنين العرب عن الإسرائيليين ، لعدم إمكانية التعايش بين الإسرائيليين والعرب في الدولة العبرية ، على حَدِّ قَوْلِهِ وَزَعْمِهِ .

إن هذه التفوهات ، والتي سبقتها تفوهات كثيرة بوصف العرب بالصراصير أو الأفاعي أو الذئاب تدل بوضوح على العقلية السوداوية تجاه الدين الإســلامي ، والعنصرية البغيضة ضد المواطنين العرب من أبناء فلسطين المحتلة .

[1] البخاري (10) ، مسلم (40) .

لقد أقر الدين الإسلامي يهود المدينة على دينهم ، وَحَفِـــظَ حقـــوقهم في الوثيقة التي وضعها النبي r لتنظيم حياة مجتمع المدينة في ظل دولة الإســـلام الأولى ...

وَعَاشَ غَيْرُ المسلمين على امتداد التاريخ الإسلامي في ظل دولـــة الإســـلام يتمتعون بكامل حقوقهم الدينية والمدنية ، ولكنها عدالة الإسلام وسماحة المؤمنين .

إنه الإسلام _ أيها الناس – الذي كَفَلَ كرامة الإنسان دون النظر إلى دينه وجنسه ، فلا عِزَّة للمسلمين بغير الإسلام ، ولا سعادة للبشرية المنكوبة بعيداً عـــن سلطانه وأحكامه .

قصة الهجرة

عباد الله ...

ها هي الأيام تنقضي ، والأعوام تنصرم ، والأعمار تنقص ، والأجل يقترب ، فبالأمس القريب كنا نستقبل عاماً جديداً ، واليوم نودعه ، قدمنا فيه ما قدمنا من الأعمال والأقوال ، وامتلأت الصحائف بما كتبه الكرام الكاتبون .

وها نحن اليوم ، بخروج عام ودخول عام نتذكر ، والذكرى تنفع المؤمنين ، هذه الحادثة العظيمة التي جرى عليها التاريخ الهجري ، ألا وهي هجرة المصـــطفى r وخروجه من بلد الله الحرام إلى طَيْبَة الطَّيِّبة ، وذلك الانتقال الذي غير مجـــرى التاريخ ، وحول شأن العالم من شأن إلى شأن ... وما أدراك مـــا ذاك التحـــول ؟ ...سُمُوٌّ بَعْدَ انْحِطَاطٍ ، ورِفْعَةٌ بعد هُبُوطٍ ، وعزةُ بعد ذُلٍّ ، عزاً أَعَزَّ الله بـــه أمـــة الإسلام ، وذلاً أذل الله به أمة الكفر والإلحاد .

ونحن اليوم ، ونحن نعيش وضعاً لا نُحسَدُ عليه ، بحاجة إلى الوقوف مع هذه المناسبة وأمثالها ، لنستلهم الدروس والعبر من هذه المناسبة ، ونستفيد منها في حياتنا

العملية التطبيقية دروساً تعود بنا إلى عِزٍّ سابقٍ ومجدٍ دارسٍ ، قد فقدناه في حاضرنا ، وتخبطنا كثيراً نبحثُ عنه وهو بين أيدينا وأمامَ أعيننا .

أيها الموحدون ....

لقد غَفَلَتِ الأمةُ غَفْلَةً عظيمةً عندما توجهت إلى كُلِّ حَـــدَبٍ وَصَـــوْبٍ ، تبحث عن العزة والمجد والرفعة والسؤدد ، وأبعدت ، تبحث عن ذلك كله في غير نبعها الرباني الصافي ، ومنهلها النبوي الأصيل : القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد نبهنا – عليه الصلاة والسلام – وبين لنا أننا إن تمسكنا بهذين الأصلين الكـــريمين العظيمين فلن نضل أبدا ، فقال r : " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمســـكتم بهما : كتاب الله وسنتي "[1]

وَلَمَّ وَلَّتْ هذه الأمة وجهها قبل المشرق والمغرب إلا قَّلةً قليلةً مـــا زالـــت متمسكة بالكتاب والسنة – ولله الحمد – تقول بها وتدعو إليهما ، أقولُ لَمَّا وَلّـــى أولئك وجوههم قبل المشرق والمغرب تاهوا ، وضلوا ، واستضعفوا ، وذلوا .

ونحن اليوم وقوفاً منا على وصية رسول الله r بالتمسك بالكتاب والسنة ، نقف وقفة تأمل مع حادثة الهجرة ، لنستفيد منها عبراً وعظات ، لعل الله أن ينفـــع بها هذه الأمة ، ويرفع بها هذه الذلة .

عباد الله ...

لقد مكث r يدعو أهل مكة إلى التوحيد ثلاث عشرة سنة ، يدعوهم إليها ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، فما استجاب من القوم إلا القليل حتى حاول الخـــروج بدعوته ، وخرج – عليه الصلاة والسلام – فعلاً إلى الطائف ، في محاولـــة لنشـــر الدعوة ، لكن أهل الطائف خَذَلُوهُ ، وردوه ، ولم يقبلوا منه ، بل ســـلطوا عليـــه

---

[1] صحيح : مالك (1395) .

سفهاءهم يرمونه – عليه الصلاة والسلام – بالحجارة حتى أَدْمَوْا قَدَمَيْهِ الشريفين ، فعاد إلى مكة حزيناً مُنْكَسِرَ البالِ ، ثم جاء الأمرُ بعد بالهجرة إلى طَيْبَـــةَ الطَّيِّبَـــةِ ، وأخذ معه رفيقه وصاحبه أبا بكر الصديق – رضي الله عنه وأرضاه – وكان أبـــو بكر قد استعد لذلك ، ولَمَّا عَلِمَ بأن الرسول سيأخذه معه في رحلة الهجرة بكى t من شدة الفرح حتى تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " ما كنت أعرف أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبي يبكي عندما أخبره رسول الله r بأنه سيكون رفيقه في هجرته " .

وخرج الرفيقان واختبئا في الغار ثلاثة أيام حتى يهدأ الطلب والبحث عنهما ، وكانت قريش تحاول منع الرسول r من الهجرة ، ولكن كان أمر الله مفعولاً .

وخرج الكفار يبحثون عن الرجلين ، وَحَاوَلْوا وبَحَثُوا وجَدُّوا ، حتى وقفوا على رأس الغار الذي يختبئُ فيه الرسولُ r وأبو بكر حتى خاف أبو بكـــر t ، ولكنه كان يخاف على رسول الله ، لا على نفسه حتى قال : " والله ، يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدمه لرآنا " فيقول الرسول r لأبي بكر : " يا أبا بكر ، لا تحزن ، إن الله معنا ، يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " [1] ، ثم يعود الكفار أدراجهم ، ويضعوا جائزة عظيمة لمن يأتي برسول الله r حيا أو ميتا .

ويخرج الناس يبحثون ، وبالفعل ، يلحق به سراقة بن مالك ، ويقترب منه ، لكن قوائم فرسه تسيخ في الرمال ، ثم يحاول مرة أخرى ، ثم يحاول مرةً ثالثةً فـــلا يستطيع الوصول إليه .

[1] البخاري (3653) ، مسلم (2381) .

يقول سراقةُ t : " فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنِّي " أي محفوظ بحفـــظ الله ، لا يستطيع الوصول إليه ، ثُمَ يَعِدُهُ رسول الله r بسواري كسرى إن هو عاد وكـــتم الأمر .

ويعود سراقة ، ويكمل الرسول مسيرته إلى طيبة ، ويصل هناك ، ليستقبله المسلمون بحفاوة وترحيب وفرح وحب ، وليؤسس r دولة الإسلام ، ويعـــز الله دينه ، ويعلي كلمته ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون .

هذه – أيها المؤمنون – هي قصة تلك الرحلة العظيمة ، رحلـــة الهجـــرة ، رحلة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، رحلة خروج الداعية من بلـــده إلى أرض الله الواسعة ، ليمارس شعائر دينه ، وينشر دعوته على الناس فَيَعُمَّ الخـــير ، رحلةِ المفارقةِ لقومِ السوءِ الذين لا ينشرون الخير ولا يُعِيْنونَ عَلَيْهِ .

أيها الموحدون ....

ومن قصة الهجرة نستفيدُ دروساً كثيرة ، وعبراً عظيمة ، نَذْكُرُ بَعْضَـــهَا ، ونسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع .

أوَّلُها : أن المسلم مأمور بعبادة الله ، وأداءِ ما عليه مما افترضه الله عليه ، فلو فُرِضَ أَنَّهُ مُنِعَ مِنْ ذلك في مكانٍ ما وجب عليه الخروجَ مِنْهُ إلى أرض الله الواسعة ، ليعبد ربه ، ولا حجة في البقاء في بلاد لا يستطيع أن يعبد الله فيها ، ولو كانـــت بلده الذي ولد فيه ، ولو كان أهله في هذه البلاد ، والله U يقول في كتابه الكريم مُبَيِّناً أَنَّ هؤلاء قد فَرَّطُوا : [P Q R S T U V W X Z

[\ ] ^ _ ` a b c d e f g i j k

m n o Z النساء: ٩٧ .

واستثنى الله U الذين لا يستطيعون الخروج ، من النساء والأطفال ، فقال:

p[q r s t u v w x y z { |

} ~ ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا © Z النساء: ٩٨ - ٩٩ .

وها هو رسول الله يخرج من بلده مكة ، وهو يحبها وهي أحب الـــبلاد إلى الله ، فعن عبد الله بن عدي بن حمراء t ، قال : " رأيت رسول الله r واقفـــاً على الحزورة ، فقال : " والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت "[1]

ثاني هذه الدروس : ثقة المؤمن بالله عند الشدائد ، فلقد وقف الكفار عنـــد الغار الذي كان فيه الرسول r يختبئ فيه مع أبي بكر t ، ومع ذلك لم يتزعـــزع ثقة رسول الله r في ربه ، وأنه سيحميه من أعدائه وسينصره عليهم .

في ذلك الموقف الذي خاف فيه الصديق t ، بقي رسول الله r رابـــط الجَأْشِ واثقاً بربه ، إنه اليقين الذي نحتاجه اليوم لنجتاز الكثير من المصاعب والمحـــن التي نمر بها ، ويظنُّ الكثيرُ مِنَّا أَلا أَمَلَ في الخلاص منها .

ثالثها : حفظ الله لرسوله ، ونصرته لدينه ، وإعلاء كلمته في محاولة الكفار قتله ومنع الدين من الانتشار .

لقد حاول أعداء الإسلام ، كما ترون منذ بدء دعوة هذا الـــدين ، مَنْعَـــهُ وَحَرْبَهُ ، بل حاولوا قتل الداعية الأول محمد r ، ولكن أراد الله شيئاً وأراد أعداؤه شيئاً ، وتمت مشيئة الله والكافرون كارهون ، وهذا ما يحدث اليوم ويتكـــرر مـــع المسلمين ، حيث يحاول أعداء هذا الدين القضاء على الإسلام ، وقتل المســـلمين أو

[1] صحيح : الترمذي (3925) ، وقال : حسن غريب صحيح

إخراجهم من دينهم ، ويبذلون الجهود وينفقون الأموال ولكن كما قال تعـــالى :

[Q R S T U V W Zالأنفال: ٣٦ .

رابعها : حُبُّ أبي بكر للرسول r فقد ورد في روايات الهجرة أن أبا بكر الصديق t كان يمشي تارةً أمام الرسول r وتارةً خلفه ، وتارةً عن يمينه وتـــارةً عن شماله ، كل ذلك خوفاً من أن يأتيه مكروه ، سواء من أمامه أو من خلفه ، أو عن يمينه أو عن شماله ، يفديه بنفسه ، رضي الله عنه وأرضاه ، وهكذا كان بقيـــة أصحاب رسول الله r ، كانوا يفدونه بأموالهم وأبنائهم وأنفسهم .

ولكنَّ الحبَّ الأعظمَ الذي كان الصحابة يمارسونه هو : متابعته r فيمـــا يأمرهم به ، والمبادرة إلى طاعته ، وعدم تقديم أَيِّ أمر على أمره r مهما كان هذا الأمر ، وتلك هي المحبة الحقيقية ، يقول تعالى آمراً نَبِيَّهُ أن يقول لأصحابه :] > ? @ A B C D E F G H Zآل عمران: ٣١ فمن ادعـــى المحبة فليثبت هذه الدعوى بدليلها ، وَإلا فَالكُلُّ يَدَّعِي محبةَ رسولِ الله r .

الهجرة وصناعة الأمل

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أن يكون أولئك النَّفَرُ الستةُ بدايةُ مرحلةٍ جديدةٍ مـــن العـــزِّ والتمكين ، والبذرةُ الأولى لشجرة باسقة ظلت تؤتي أكلها كل حين – بإذن ربها؟!

ومَنْ كَانَ يَخْطُرُ بباله أن تشهد تلك الليلةُ من ليالي اَلموْسِمِ ورسولُ الله r وصاحبه أبو بكرٍ يطوفان بمنى حتى إذا سَمِعَا صوتَ رجالٍ يتكلمون مالا إلـــيهم ، فقالا وقالوا ، وتحدثا وسمعوا ، وبينا فأصغوا فانشرحت القلوب ، ولانت الأفئدة ، ونطقت الألسنة بالشهادتين ، وإذا بأولئك النفر من شباب يثرب يطلقون الشـــرارة الأولى من نار الإسلام العظيمة التي أحرقت الباطل فتركته هشيماً تذروه الريـــاح ،

مِنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ تِلْكَ الليلةَ كَانَتْ تَشْهَدُ كتابةَ الســـطورِ الأولى لملحمـــةِ المجـــدِ والعِزَّةِ؟!

يا سبحانَ الله ... إن نصر الله يأتي للمؤمن من حيث لا يحتسبُ ولا يُقَدِّرُ ، لقد طاف رسول الله r بمجتمعات القبائل ، وَقَصَدَ الرؤساءَ ، وَتَوجَّهَ بالدعوة إلى الوجهاء ، وسار إلى الطائف ، فَعَلَ ذلك كُلَّهُ عَشْرَ سَنَوَاتٍ وهو يرجو أَنْ يَجدَ عِنْدَ أصحاب الجاه والمنعة نصرةً وتأييداً ، كان يقول r في كل موسم : " مَنْ يُؤْوِينِي ؟ مَنْ يَنْصُرُنِي ، حتى أُبَلِّغَ رسالةَ ربي؟" ، وَمَعَ كُلِّ هذا لَمْ يَجِدْ مَنْ يؤويه ولا ينصره ، بل لقد كان الرجل من أهل اليمن أو من مصر يخرج إلى مكة فيأتيه قومه فيقولون له : احْذَرْ غُلامَ قُرَيْشٍ ، لا يَفْتِنَكَ .

لَمْ تَأْتِ النصرةُ والحمايةُ والتمكينُ من تلك القبائل العظيمـــة ذات المـــال والسلاح، وإنما جاءت من ستة نفرٍ جاؤوا على ضعفٍ وَقِلَّةٍ .

إنها التقادير يوم يَأْذَنُ اللهُ بالفرجِ مِنْ عِنْدِهِ ، ويأتي النصرُ من قلب المحنـــة ، والنور من كبد الظلماء ، والله تعالى هو المؤيد والناصر ، والبشر عـــاجزون أمـــام موعود الله .

سِتَّةُ نَفَرٍ من أهل يثرب كُلُّهُمْ من الخزرج دعاهم رسول الله r إلى الإسلام ، ولم يكن يتوقع منهم نصرةً وإنما أراد دعوهم فآمنوا وأســـلموا ... ثم تتابعـــت الأحداث على نسق عجيب ، قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما – وكـــان أحد النفر الستة :- " حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ، وَيُقْرِئُهُ القرآنَ ، فينقلبُ إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لَمْ تَبْـــقَ مِنْ دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يُظْهِرُونَ الإسلام ، ثم ائتمروا جميعـــا فقلنا : حتى متى نتركُ رسولَ الله يَطُوفُ وَيُطْرَدُ في جبالِ مكةَ وَيَخَافُ ؟ فَرَحَلَ إليه مِنَّا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه الموسم ، فواعدناه العَقَبَةَ ، فاجتمعنا عندها مـــن

رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا : يا رسول الله عَلامَ نُبَايِعكَ ؟ قـال : " علـى السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسـر ، وعلـى الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم ، وعلـى أن تنصروني فتمنعوني إذا قَدِمْت عليكم مما تمنعون منه نسائكم وأبنائكم وأزواجكم ، ولكم الجنة " (1) ، قال أرأيتم ؟! يُعْرِضُ الكبراءُ والزعماءُ ، ويسـتكبرُ المـلأُ ، وَتَتَأَلَّبُ القبائلُ ، وَتَتَآمَرُ الوفودُ ، وَتَسدُّ الأبواب ... ثم تكونُ بدايةُ الخَلاص بعـد ذلك كُلِّه في ستةِ نَفَرٍ لا حول لهم ولا قوة .

فَهَلْ يُدْرِكُ هذا المعنى المتعلقون بأذيال المادية الصارخة والنافضون أيديهم من قدرة الله وعظمته ؟

وَهَلْ يُدْرِكُ هذا المعنى الغارقونَ في تشاؤمهمُ اليائسونَ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبٍ لهـذه الأمةِ المنكوبةِ المغلوبةِ على أمرها ؟

إنَّ اللهَ لَيَضَعُ نَصْرَهُ حَيْثُ شاءَ ، وَبِيَدِ مَنْ شَاءَ ، وعلينا أَنْ نَعْمَلَ علـى أن نحمل دعوتنا إلى العالمين ، أَلا نحتقر أحداً ولا نستكبر على أحدٍ ، وعلينا أن نواصل سيرنا مهما يُظْلِمُ الليلُ وتشتدُّ الأحزانُ ، فمن يدري ، لَعَلَّ الله يصنعُ لنا في حَلَكَاتِ ليلنا الدَّاجِي خُيُوطَ فَجْرٍ وَاعَدٍ ؟ وَمَنْ يدري ، لَعَّلَ آلامَنَا هـذه مَخَـاضُ العـزة والتمكين ؟

عباد الله ....

ونحن على أبواب عام هجري جديد يقبل مُحَمَّلاً بما فيه ، وعلى أعقـاب عام هجري مُوَدِّع يمضي بما استودعناه ، نقف متذكرين هجرة المصطفى r ، إنها ذكرى الاعتبار والاتعاظ ، لا ذكرى الاحتفال والابتداع ... إنها وقفةٌ نسـتقرئ

(1) حسن : أحمد (14653) ، ورجاله ثقات ما عدا يحيى بن سليم الطائفي ، وهو صدوق سيء الحفظ .

فيها فصلاً من فصول الحياة خطَّةُ رسولُ الله r وَصَحْبُهُ ... إنها رجعةٌ إلى العقل في زمنٍ طَاشَتْ فيه العقول ، ووقفة مع الروح في زمن أسكرت الأرواح فيـــه ماديـــة صخابة جرافة .

إن من أعظم دروس الهجرة وأجل عبراتها (صناعة الأمـــل) ، نعـــم ، إن الهجرة تعلم المؤمنين فن صناعة الأمل ، الأمل في موعود الله ، الأمل في نصر الله ، الأمل في مستقبل مشرق للمسلمين ، الأمل في الفرج بعد الشدة ، والعزة بعد الذلة ، والنصر بعد الهزيمة .

لقد رأيتم كيف صنع ستة نفر من يثرب أمل النصر والتمكين ، وها هـــو رسول الله r يصنع الأمل مرة أخرى حين عزمت قريش على قتله .

قال ابن إسحاق : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه ، متى نام ، فيثبون عليه .

وعلى أن كل حساب مادي يقطع بهلاك رسول الله r ، كيف لا وهو في الدار والقوم محيطون بها إحاطةَ السُّوَارِ بِالمِعْصَم ، مع ذلك صـــنع رســـول الله r الأمل ، وأوكل أمره إلى ربه ، وخرج يتلو قوله تعـــالى :] i j k l m n o p q r s t u Z يس: ٩ ، خـــرج الأســـير المحصورُ يَذُرُّ الترابَ على الرؤوس المستكبرة التي أرادت قتله ، وكان هذا التـــراب المذرورُ رمزَ الفشل والَخيْبَةِ اللذين لَزِمَا المشركين فيما استقبلوا من أمرهم ، فانظر كيف انبلجَ فجرُ الأَمَلُ من قَلْبِ ظُلْمَةٍ سَوْدَاء .

ويمضي رسولُ الله r في طريقه يَحُثُّ الخُطَى حتى انتهى وَصَاحِبُهُ إلى جَبَلِ ثَوْرٍ ، وهو جبل شامخ وعر الطريق صعب المرتقى ، فخفيت قدما رســـول الله r وهو يرتقيه فحمله أبو بكر وبلغ به غار ثور ومكثا هناك ثلاثة أيام .

وَمَرَّةً أخرى يُصْنَعُ الأَمَلُ في قلب المحنة ، وتتغشى القلوبَ سكينةٌ من الله في أَتُونِ القلق والتوجس والخوف ، يَصِلُ الُمطَارِدُونَ إلى باب الغار ، ويسمع الرجلان وَقْعَ أقدامهم ، وَيَهْمِسُ أبو بكرٍ : " يا رسول الله لو أن بعضهم طَأْطَأَ بَصَرَهُ لَرَآنا " ، فيقول r : " يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟! [1] .

وكان ما كان ، ورجع المشركون بعد أن لم يكن بينهم وبين مطلــوبهم إلا خطواتٌ ، فانظر ... مرةً أخرى كيف تنقشع عتمةُ الليل عن صباحٍ جميل ، وكيف تتغشى عنايةُ الله عبادَهُ المؤمنين] إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ Z الحج: ٣٨ .

وإذا العنايةُ لاحظْتَكَ عُيُونُهَا   نَمْ ، فَالَحوَادِثُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

يسير الصاحبان حتى إذا كانا في طريق الساحل لحق بهما سراقة بن مالــك طامعاً في جائزة قريش مؤملاً أن ينال منهما ما عجزت عنه قريش كلها ، فطفــق يشتد حتى دنا منهما وسمع قراءة رسول الله r ، ومرةً ثالثة ، وهذا الفارس علــى وشك أن يَقْبِضَ عليهما ليقودهما أسيرين إلى قريش تُذِيقَهُمَا النَّكَالَ ، مــرةً ثالثــة يصنعُ الأملُ ، ولا يلتفتُ رسولُ الله r إلى سراقةَ ولا يبالي به وكأن شيئاً لم يكن ، يقول له أبو بكر : " يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا " ، فيقول لــه مقالتــه الأولى:] لَا © إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا Z التوبة: ٤٠ .

لقد اصطنع الأمل في الله ونصره فنصره الله ، وساخت قدما فرس سراقة ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبارٌ ساطعٌ في السماء كالدخان ، فأدرك ســراقة أنهم ممنوعون منه ، ومرة ثالثةً جاء النصر للرسول r من حيث لا يحتسب ، وعاد سراقة يقول لكل من قابله في طريقه ذاك : ارجع ، فقد كفيتكم ماههنا ، فكــان أول النهار جاهداً عليهما ، وآخره حارساً لهما .

---

[1] البخاري (3653) ، مسلم (2381)

ويبلغ أهل المدينة خبر هجرة الرسول r ، الرجل الذي قدم لهـــم الحيـــاة وصنع لهم الأمل ، الرجل الذي أنقذهم من أن يكونوا حطباً لجهنم ، يبلغهم الخـــبر فيخرجون كل غداة لاستقباله حتى تردهم الظهيرة ، كيف لا ، وقد اقتربت اللحظة التي كانوا يحصون لها الأيام ويعدون الساعات ؟!

قال الزبير : " فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظاره فلما آووا إلى بيـــوتهم أوفى رجلٌ من يهود أُطُماً من آطامهم لينظر إليه فبصر برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأصحابَهُ مُبْيَضِّينَ يَزُولُ بهم السرابُ ، فلم يملك اليهودي أن قال بـــأعلى صوته: يا معشر العرب هذا صاحبكم الذي تنتظرون .... فســـار المســـلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله r بظاهر الَحرَّةِ " ، تلقوه بقلوب تفيض سعادةً وفرحاً ، وتأمل مظاهرَ الفرحةِ الغامرةِ :

قال أنس : " شهدت يوم دخل النبي r المدينة ، فلم أر يوماً أحسن منـــه ولا أضوأ منه "[1].

قال أبو بكر : " ومضى رسول الله r حتى قدم المدينة ، وخرج الناس حتى دخلنا في الطريق وصاح النساء والخدام والغلمان : جاء رسول الله ، الله أكبر ، جاء محمد ، جاء رسول الله "[2].

قال أنس : " لما قدم رسول الله r المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحا بذلك ، لعبوا بحرابهم " [3] .

---

[1] صحيح : أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (1016).

[2] صحيح : الحاكم (4224).

[3] صحيح : أبو داود (4298) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (4923) .

وصدق من قال :

أقبل فتلك ديار يثرب تُقْبِــُـل ... يكفيك من أشواقها ما تحمل

القومُ مُذْ فارقتَ مكَّةَ أَعْيـــنٌ ... تَأبىَ الكَرَى وجوانحٌ تتململُ

يتطلعون إلى الفِجَاجِ وقَوْلُهُمْ ... أَفَمَا يُطَالِعُنَـــا النبيُّ المُرْسَلُ

رَقَّتْ نَضَارَتُهَا وطاب أريجها ... وَتَدَفَّقَتْ أنفاسُهَـــا تَتَسَلْسَلُ

فكأنما في كُـــلِّ دارٍ روضـــةً ... وكأنمـــا في كُلِّ مَغْنىً بُلْبُلُ

وهكذا – أيها الإخوة الكرام – تُعَلِّمُنَا الهجرةُ في كل فصل مـــن فصـــولها كيف نصنع الأمل ، ونترقب ولادة النور من رحم الظلمة ، وخروج الخير من قلب الشر ، وانبثاق الفرج من كبد الأزمات .

وأقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

عباد الله ....

ما أحوجنا – ونحن في هذا الزمن ، زمن الهزائم والانكسارات والجراحات – إلى تعلم فن صناعة الأمل .

فمن يدري ؟! ربما كانت هذه المصائب باباً إلى خيرٍ مجهول ، وَرُبَّ مِحْنَةٍ في طَيِّهَا مِنْحَةٌ ، أوليس قد قـــال الله :]) (* + , - . Z البقرة: ٢١٦ .

لقد ضاقت مكة برسول الله ومكرت به فجعل نصره وتمكينـــه في المدينـــة وأوجفت قبائل العرب على أبي بكر مرتدة ، وظن الظانون أن الإسلام زائل لا محالة ، فإذا به يمتد مِنْ بُعْدٍ ، ليعم أرجاء الأرض .

وهاجت الفتن في الأمة بعد عثمان ، حتى قيل لا قرار لها ، ثم عادت الميـــاه إلى مجراها .

وأطبق التتار على أمة الإسلام حتى أبادوا حاضرتَها ، بغدادَ سُرَّةَ الـــدنيا ، وقتلوا في بغداد وحدها مليوني مسلم ، وقيل : ذهبت ريح الإسلام ، فكســـر الله أعداءه في عين جالوت وعاد للأمة مجدها ..

وتمالأ الصليبيون وجيشوا جيوشهم وخاضت خيولهم في دماء المسلمين إلى ركبها ، حتى إذا استيأس ضعيف الإيمان نَهَدَ صلاحُ الدين فَرَجَحَتِ الكِفَّةُ الطائشةُ وطاشتِ الراجحةُ ، وابتسمَ بيتُ المقدسِ من جديد ...

وقويت شوكة الرافضة حتى سيطر البُويَهِيُّونَ على بغدادَ والفاطميونَ علـــى مصرَ وكتبتْ مَسَبَّةُ الصحابةِ على المحاريب ، ثم انقشعتِ الغُمَّةُ واسْتَطْلَقَ وَجْهُ السُّنَّةُ ضَاحِكاً .

وهكذا ، يَعْقُبُ الفَرَجُ الشدةَ ، وَيَتْبَعُ الهزيمةَ النصرُ ، وَيُؤَذِّنُ الفَجْرُ علـــى أذيالِ لَيْلٍ مَهْزُوم ... فَلِمَ اليَأْسُ والقُنُوطُ ؟!

اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي   قَدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالبَلَجِ

إن اليأس والقنوط ليسا من خلق المسلم ، قال سبحانه :]) (*

+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 Z يوسف: ٨٧ .

قال ابن مسعود t : " أكبرُ الكبائرِ الإشراكُ بالله ، والأمنُ من مكر الله ، والقنوطُ من رحمة الله ، واليأسُ من روح الله " .

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ وضاق لما به الصدرُ الرحيبُ
ولم تر لانكشاف الضُّرِّ وَجْهًــا وَلاَ أَغْنَـــى بِحِيلَتِــهِ الأريبُ
أَتَاكَ عَلَـــى قُنُــوطٍ مِنْكَ غَــوثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المُسْتَجِيــبُ
وَكُـــلُ الحادِثـَــاتِ وإِنْ تَنَاهَــتْ فَموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

فيا أيها الغيورون على أمة الإسلام .....

يا من احترقت قلوبهم لآلامها ...

نِعِمَّا هَذَا الأَلَمُ ! وما أصدقه على إيمانكم وحبكم لدينكم ! ولكن لا يبلغن بكم اليأس مبلغه ، فإن الذي أهلك فرعونَ وعاداً وثمودَ وأصحابَ الأيكةِ ، والذي رد التتار ودحر الصليبين قادر على أن يمزق شمل الروس ، ويبدد غطرسة الصهيونية ، ويحطم أصنام الوثنية المعاصرة .

أنت ... يا من ابتلاك الله في رزقك أو صحتك أو ولدك ...

أنت ... يا من جهدك الفقر ، وانتهكتك العلل وأخذ المــوت أحبابــك ، وعدت في أعين الناس كالدرهم الزائف ، لا يقبله أحد ...

أنت ... يا من أصبحت في مزاولة الدنيا كعاصر الحجر يريد أن يشرب منه ، ويا من سدت في وجهك منافذ الرزق وأبواب الحلال ...

أنت هل نسيت رحمة الله وفضله ؟

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين

وأعلي بفضلك كلمتي الحق والدين

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين والعراق وسوريا وف كل مكان

اللهم ارفع عن بلدنا الغلاء والوباء والفتن والمحن والزلازل والبلايا .....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقم الصلاة .

الخطبة الرابعة والعشرون
ورقة عمل على عتبة رمضان

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4)

[آل عمران: 102].

! 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !)

[النساء:1] (? > = < ; : ! 8 7 6 5 4 3

(u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

فأحبتي في الله :(ورقة عمل على عتبة رمضان)

هذا هو عنوان لقائى مع حضراتكم فى هذا اليوم العظيم الميمون المبارك

إخوة الإيمان : ها هي الأيام تجرى وتجر ورائها الأيام ، وها هي الشهور تجرى وتجر ورائها الشهور ، وها هي السنون تجرى وتجر ورائها السنين ، وها هو شهر رمضان شهرالصيام والقيام والقرآن قد أهل علينا بوجهه الكريم ، يحمل معه نفحة من نفحات الله عز وجل ، فمن لهذه النفحات ، ومن لهذه البركات فى شهر الرحمات

فى الشهر الذى يتترل فيه رب الارض والسموات ؟ فيا من طالت غيبته عنـــا قـــد قربت أيام المصالحة يامن دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة ، فاللـــهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، اللهم اجعله هلال خير ورشـــد ، اللهم اجعله شهر انتصارات وتمكين لهذه الأمة يارب العالمين .

إخوة الإيمان : كلنا يعلم أن لرمضان شأناً عظيماً في قلوب المؤمنين الموحدين بـــالله عزوجل لما له من ثواب عظيم وأجر كبير ، فربنا عز وجل قد علم بتقصير العباد فى سائر الشهور فمن عليهم بهذا الشهر رحمة منه بالعباد ، فلماذا إذاً التكبر والعناد ؟ وعلى ماذا تتكبر أيها الانسان وسوف تأكلك الديدان ؟ وعلى مـــاذا تطغـــى وفى التراب ستلقى ؟ وعلى ماذا التسويف والغفلة وأنت تعلم أن الموت يـــأتى بغتـــة ؟

[n o p q ﮊ Z آل عمران: ١٨٥

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

للأسف الشديد إن الناظر إلى واقع المسلمين فى شهر الصيام والقيام والقرآن يرى أموراً يندى لها الجبين ، يرى أن كثيراً من أبناء هذه الأمة أصبح شغله الشاغل فى شهر الصيام والقيام والقرآن هو التعرف علـــى أحـــوال الفنـــانين والفنانـــات والساقطين والساقطات والراقصين والراقصات الأحياء منهم والأموات هذا شـــغله الشاغل فى شهر رمضان فى شهر الصيام والقيام والقرآن ، وهو يعلم أن سلف هذه الأمة كانوا يدعون الله جل وعلا ستة أشهر أن يبلغهم رمضان لأنهم يعلمون فضل هذا الشهر ويعلمون أن فيه ليلة هي خير من ألف شهر ، العبادة فيها تقدر بعبـــادة ثلاثة وثمانين عاماً ، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِم نسأل الله العافية .أيضاً فى هذا الشهر الكريم العظيم تفتح أبواب الجنة ، وأبواب الرحمة وتغلق أبواب النيران ، كمـــا في صحيح البخاري من حديث أبى هريرة t أن النبي r قال : (إذا جـــاء رمضـــان

فتحت أبواب الجنه) [1] وفى رواية مسلم (فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبــواب جهنم وسلسلت الشياطين) [2] وفى رواية (وصــفدت الشــياطين) أي قيــدت بالسلاسل فطوبى لمن أجاب فأصاب ، وويل لمن طرد عن الباب وما دُعى نســأل الله العافية. ولقد ورد في سنن الترمذي أن الحبيب النبى r قال : (إذا كــان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ، ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار فلــم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادى منادى يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة) [3] أسأل الله عز وجل أن يعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار إنه ولى ذلك والقادر عليه.

قال عياض (رحمه الله) معلقا على هذا الحديث يقول :(يحتمل أنه علــى ظــاهره : وحقيقته أن ذلك كله علامة على دخول الملائكة هذا الشهر وتعظيم حرمته ، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين ، وأن الشياطين يقِّلُ إغوائهم فيصيرون كالمصــفدين . ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عــن المعاصى الآيلة بأصحابها الى النار. وأما تصفيد الشياطين عبارة عن إعجازهم عــن الإغواء وتزين الشهوات).

فهذا الشهر الكريم العظيم يشبهه العلماء بالمدرسة يقولون :هــو مدرســة ربانية رحمانية تفتح أبوابها شهراً كاملاً ليتدرب فيه العباد على طاعة رب العبــاد ، والإمساك عن معاصيه .

أحبتي في الله : ورقة العمل التي أريد أن أذكر نفسى وحضراتكم بها ونحــن علــى أعتاب شهر الصيام والقيام والقرآن .

---

[1] البخاري (1808).
[2] مسلم (1859).
[3] صحيح : الترمذي (605) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (682).

أولاً : التوبـــة

فالتوبة هي من أعظم المنح التى يمنحها الله تعالى للعبد ، بل هي أطيـــب رزق يرزقك الله به والتوبة : هي الرجوع من الذنوب ، والتحول من المعصية إلى الطاعـــة، يقال (تاب العبد) أي : عاد ورجع وأناب ، تاب الله عليه ، أي : عاد عليه سبحانه بالمغفرة فإن كنت آكلاً لأموال الناس بالباطل ، أو آكلاً لأموال اليتـــامى ظلمـــاً ، أو آكلاً للربا أو مطففاً للمكيال والميزان ، أو مدخناً ، أو واقعاً في معصية من المعاصـــي ، فتب إلى ربك ، وعد إلى سيدك ومولاك الذي سيفرح بتوبتك وأوبتك وهـــو الغـــني عنك وعن العالمين ، هو الذي لا تنفعه الطاعة ، ولا تضره المعصية.

يا من تعصى عُد إلى ربك ، واتق النار ، اتق السـعير ، إن أمامـك أهـوالاً وصعاباً ، إن أمامك نعيماً وعذاباً ، إن أمامك ثعابين وحيّات وأموراً هـــائلات ، والله الذي لا إله غيره لن تنفعك الضحكات ، لن تنفعك الأغاني والمسلسلات والأمـــور التافهات ، لن ينفعك الإخوان والأصحاب ، لن ينفعك الأهل والأولاد ، لن تنفعـــك الأموال ، يا صاحب الأموال ، لن تنفعك إلا الحسنات والأعمال الصالحات .

أخي الحبيب: أول نقطة فى ورقة العمل أن تصطلح مع الله وأن تعود إليه جل في علاه.

ثانيـاً : الصيــام

والصيام لغةً : الإمساك والكف والامتناع كما قال الله تعالى حكايةً عن مريم عليها السـلام :] , - . . / 0 1 2 3 4 Z مريم: ٢٦ ، وأمـا شرعاً فهو : إمساك مخصوص فى زمن مخصوص بشرائط مخصوصـة ، أو إمسـاك المكلف بالنية عن الطعام والشراب والشهوة وجميع المفطرات من طلـوع الفجـر الصادق إلى غروب الشمس ، إذن لا يكفى أن تصوم عن الطعام والشراب بل لابد أن تصوم عيناك ويداك ورجلاك ، لابد أن تصوم هذه الألسنة التى تعودت علـى

الكذب والغيبة والنميمة ، قال r لمعاذ كما في سنن الترمذي (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) [1] .

جئت يا رمضان لتقول للألسنة صومي عن الكذب والغيبة والنميمة

جئت يا رمضان لتقول للبطون صومي عن أكل الحرام .

جئت يا رمضان لتقول للأرجل صومي عن المشي إلى الحرام.

جئت يا رمضان لتقول للعيون صومي عن النظر إلى الحرام .

قال بعض السلف : أهون الصيام ترك الطعام والشراب ، أهون شيء أن تترك الطعام والشراب يوماً أو يومين أو شهراً أو شهرين ولكن من الصعوبة بمكان أن تمسك لسانك عن الكذب والغيبة والنميمة لذا قال جابر t : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك سكينة ووقار ، ولاتجعل يوم صومك وفطرك سواء.

وكان السلف رحمهم الله تعالى إذا صاموا جلسوا فى المساجد وقالوا نحفظ صومنا ولا نغتاب أحد لأن النبى r قال : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) [2].

هل صوم رمضان واجب أم مستحب ؟

الجواب : صوم رمضان واجب بالكتاب والسنة والإجماع .أما الكتاب فلقد تعالى

[3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >

? @ A Z البقرة: ١٨٣ كتب عليكم أي : فرض عليكم كما فرض على الذين من قبلكم ، لماذا يا رب ؟ لعلكم تتقون .أى أن الصيام سبب من أسباب

(1) صحيح : الترمذي (2607) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (2616).
(2) البخاري (1813).

حصول تقوى الله جل وعلا ، أسال الله أن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى إنه ولى ذلك والقادر عليه. وقـــال تعـــالى أيضـــاً :] h i j k l m n o p q r s u v w x y { | } ~ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ © ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ ´ µ ¶ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ Z البقرة: ١٨٥ فهذا هو دليل الوجوب (u v w x y) أي فليصم نهاره.

وأما السنة : فقد ورد في الصحيحين ابن عمر - رضي الله عنها - قـــال سمعـــت رسول الله r (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقـــام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) [1] فذكر رسول الله r منها الصوم .

وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على وجوب صوم رمضان .

أما مرتبته فهو أحد أركان الاسلام ، ومن أنكر فرضيته كان كافراً مرتـــداً عـــن الاسلام لذا أُحذر هؤلاء الذين يفطرون ويشربون فى رمضان بغير عذر شـــرعى ، لقد روى ابن حبان وابن خزيمة رحمهما الله تعالى في صحيحيهما من حـــديث أبي أمامة الباهلى t قال سمعت رسول الله r يقول : (بينما أنا نائم أتـــاني رجـــلان فأخذا بضَبْعي ، فأتيا بي جبلاً وعراً ، فقالا لي : اصعد ، فقلت : إني لا أطيقـــه . فقالا : إنا سنسهله لك ، فصعدت ، حتى إذا كنت في سواء الجبل ، إذا بأصـــوات شديدة ، قلت : ما هذه الأصوات ؟ قالوا : هذا عِواءُ أهل النار ، ثم انطلـــق بي ،

(1) البخاري (8) ، مسلم (46).

فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم [1] ، مشققةً أشداقهم ، تسيل أشداقهم دماً . قال : قلت : من هؤلاء ؟ قالا: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم). أي : قبل أن يصير الإفطار حلالاً لهم ببلوغ الليل [2] .

لقد وردت عدة أحاديث في فضل الصيام على وجه العموم وصوم رمضان على وجه الخصوص منها ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبي سعيد الخدرى t أن النبي r قال : (لا يصوم عبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا) [3] وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي r قال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال فيُشَفَّعان) [4] . وفي الصحيحين عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله r : قال الله عز وجل : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشرابه من أجلي ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لَخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما ؛ إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه) وفي رواية للبخاري [5] : (يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، والصيام لي وأنا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها) وفي رواية لمسلم [6] : (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة

---

[1] والعرقوب : الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق ، والأشداق : جوانب الفم ، فأ خذا بضبعى أى : فأ خذا بوسط ذراعى.

[2] صحيح : ابن خزيمة (1888) ، ابن حبان (907) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2393).

[3] البخاري (2705) ، مسلم (2020).

[4] صحيح : أحمد (6454) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (3882).

[5] البخاري (1804).

[6] مسلم (2013).

ضعف ، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي ، وللصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك). فاختص الله الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال لشرفه عنده ، ولأنه سر بين العبد وربه لا يطلع عليه إلا الله.

والصوم سبب في سعادة الدارين : فعند فطره يفرح بما أنعم الله عليه من القيام بهذه العبادة وإتمامها ، وبما أباح الله له من الطعام والشراب الذي كان ممنوعاً منه حال صيامه ، وعند لقاء الله يفرح حين يجد جزاء صومه كاملاً في وقت هو أحوج ما يكون إليه ، وإن رائحة فم الصائم أطيب وأزكى وأفضل عند الله من ريح المسك ، لأنها ناشئة عن عبادة الله ، وكل ما نشأ عن عبادته وطاعته فهو محبوب عنده سبحانه وتعالى ، يُعوض عنه صاحبه ما هو خير منه وأفضل وأطيب ، والخلوف بفتح الخاء المعجمة وضم اللام هو تغير رائحة الفم من الصوم.

ومن فضل الصوم أيضاً أن هناك باباً يسمى الريان يدخل منه الصائمون فقط لا أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق عليهم ، كما ورد عن سهل بن سعد **t** أن النبي **r** قال : (إن في الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) [1] ، ومن فضل الصيام أيضاً أنه وقاية للعبد من الفواحش والآثام التي توررده الموارد ، وتطرح به في النار كما فى حديث جابر **t** أن النبي **r** قال : (الصيام جنة) يستجن بها العبد من النار ، والجنة :بضم الجيم هو ما يجنك أي : يسترك ويقيك مما تخاف. ومعنى الحديث إن الصوم يستر صاحبه ويحفظه من الوقوع في المعاصي.

وأيضاً من بركة الصيام أنه يحسن أخلاقنا كما أمرنا نبينا عليه الصلاة والسلام كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة **t** قال : قال رسول الله

---

[1] البخاري (1806) ، مسلم (2019).

r : قال الله عز وجل : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سـابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لـخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه) الرفث : بفتح الراء والفاء يطلق ويراد به الجماع، ويطلق ويراد به الفحش، ويطلق ويراد به خطاب الرجل والمرأة فيما يتعلق بالجماع ،وفي هذا نهى صريح من النبي r أنه لا يجوز للمرء أن يجامع زوجته التي أحلها الله له في نهار رمضان كما أمر الله تعالى في كتابه قائلاً : [! " # $ % & ' Z البقرة: ١٨٧ لأن الصيام إمساك بالنهار عن شهوة البطن وشهوة الفرج فلا يجوز للمرء نكاح زوجته التي أحلها الله له ، فما بالكم بمن يفعلون العادة السرية التي تسمى شرعا (بالاستمناء) أسال الله عز وجل أن يتوب علـى عصـاة المسلمين ، وأيضاً أمر النبي r إذا سابك أحد أو آذاك أو فعل شيء يغضبك فتذكر أنك صائم ، وقال النبي r للصائم أن يقول إني صائم تذكيراً لنفسه ولمن آذاه فهذه الأخلاق تأتي من الصيام وهى الحلم ، والصبر ، والإحسان ، والجود ، والعفـو ، وهذا يدل على فضل الصيام على وجه العموم .أما فضله على وجه الخصوص فهو أن الله عز وجل اختص هذا الشهر على سائر الشهور بوجوب الصيام لمكانته عند الله ولنزول القرآن فيه ، كمـا قـال تعـالى : [h i j k l m n o p q r s u v w x y { | } ~ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ ©

ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ ´ µ ¶
تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ Z البقرة: ١٨٥ .

اعلم أخي الحبيب : أنك جعت لتشبع عند الله ، ولتدخل من باب الريان ، يوم يفتح باب الريان من الجنة فلا يدخل إلا الصائمون ، فإذ دخلوا أغلق عليهم ، وظمأت لتشرب من الكوثر من حوض محمد بن عبد الله r يوم يقف يسقي العباد ومعه سبعون ألف ملك حول حوضه المورود ، طوله شهر ، عرضه شهر ، عدد آنيته عدد نجوم السماء ، ماؤه أحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأبيض من اللبن ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ، نسأل الله من فضله ، أن يسقنا من يد حبيبنا محمد r شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.

فحاول أن تكون من الشاربين الذين تركوا الشراب في الدنيا .

حاول أن تكون من الذين يدخلون من باب الريان.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب حتى عصي ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما فلا تُصَيِّرهُ أيضا شهر عصيان
واتل القرآن وسبح فيه مجتهدًا فإنه شهر تسبيح وقرآن

ثالثاً : القرآن

اعلم أخي الحبيب : أن القرآن الكريم يحب رمضان ، ورمضان يحب القرآن الكريم، فهما صديقان حبيبان ، قال تعالى :] h i j k l m
n o p q r s u v w x y {
| } ~ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ © ٱلْيُسْرَ وَلَا
يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ ´ µ ¶

تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ Z البقرة: ١٨٥ وقال الله تعالى :] ! " # $ %
& Z القدر: ١ وقال تعالى أيضا :] & ') ( ) * Z الدخان: ٣ قال ابـــن عباس t وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العـــزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين ســـنة علـــى رسول الله r . وقد ورد فى فضل هذه الليلة ماقد ثبـــت فـــي الصحيحين عـــن أبي هريرة t أن رسول الله r قال : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ، وقوله تعالى :] : ; > = Z القدر: ٤

قال مجاهد : سلام هي من كل أمر أى هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى.

فقد شرف الله هذه الليلة لتزول القرآن فيها جملة واحدة للسماء الدنيا وهـــى تساوى عبادة ثلاثة وثمانين عاماً ، فمكانة القرآن عظيمة ، شرف الله بها هذا الشهر ، وهذه الليلة.

فيا أخي : احرص كل الحرص على الإكثار من الختم في هذا الشهر الكريم المبارك فله ثواب عظيم ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل قراءة القرآن منها ، عن أبي أمامة t قال : سمعت رسول r يقول : (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يـــوم القيامـــة شفيعاً لأصحابه) [1]. فهو يشفع لقارئه يوم القيامة ، ياله من أجر عظيم، فلا تضيع حفظه وقرائته ، وكما ورد في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري t قال: قـــال رسول r : (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثـــل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) [2] ، وعن ابن عباس t

[1] مسلم (1378).
[2] البخاري (5117) ، مسلم (1369).

قال: قال رسول الله r : (إن الذي ليس في جوفه شئ من القــرآن كالبيــت الخرب) [1] ، فثواب القرآن عظيم لاتضيعه فقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله r : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حــرف ، وميم حرف) [2]. فاغتنم هذا الشهر المبارك فى قرائته وختمه أكثر من مرة فى صلاة التراويح ، وفي قراءتك مع نفسك خارج الصلاة أكثر من ختمة كما كان يفعــل السلف الصالح رحمهم الله ، كما روى البخاري في صحيحه من حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ t ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله r أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَــانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُــولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَــةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ. فهذا هو الشاهد أن النبى r خير السلف كان يدارس القرآن مع جبريل ، وذلك كل ليلة فما بالكم بالنبى r مع نفسه من قراءة للقرآن ، وكان عثمان بن عفان t يختم القرآن كل ليلة من رمضان ، وكان الإمام الشافعي في - رمضان يختم القرآن ستين مرة ، أي يختمه مرتين يومياً ، وكان الإمام أحمــد يغلق - الكُتب ويقول هذا شهر القرآن ،وكان الامام مالك بن أنس لا يفــتي ولا يدرس في رمضان ويقول هذا شهر القرآن ، احتضر أحد السلف فجلــس أبنــاءه يبكون فقال لهم: لا تبكوا فوالله لقد كنت أختم في رمضان في هذا المسجد عنــد كل سارية عشر مرات ..وكان في المسجد 4 ساريات .. أي : ختم أربعين مــرة في رمضان.. فأكثروا فيه إخواني رحمكم الله من قراءته وتدبر معانيه والعمل بــه ، أسال الله عز وجل أن يجعلنا من أهل القرآن وخاصته.

[1] ضعيف : الترمذي (2914) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي (2913).
[2] البخاري (6).

رابعاً : الصدقــة

قال الله تعالى :] w x y z { | } ~ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ Z الليل: ٥ - ٧ وكما ذكرنا أن النبى r كان أجود الناس وكان أجود مــا يكــون فى رمضان كما ورد فى حديث ابْنِ عَبَّاسٍ t ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ r (أَجْــوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُــولُ اللهِ r أَجْــوَدُ بِــالْخَيْرِ مِــنَ الــرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)[1]. فالصدقة منزلة عظيمة تتاجر بها مع الله عزوجل لتنال رضاه سبحانه ، فكان السلف - رضي الله عنهم - يتسابقون إليها ، روى زيد بن أسلم عن أبيــه قال (سمعت عمر بن الخطاب t يقول : أمرنا رسول الله r أن نتصدق ووافــق ذلك مال عندي، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال : فجئت بنصــف مالي، فقال لي رسول الله r : ما أبقيت لأهلك ، قال: فقلت مثله، وأتى - أبــو بكر t بكل ما عنده فقال رسول الله r : ما أبقيت لهم؟ قال: أبقيت لهــم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيءٍ أبداً) [2] . فهاهم يتســابقون إلى الصــدقة والتجارة الرابحة مع الله فهم يعلمون علم اليقين أنه ما نقص مال من صدقة كمــا أخبر خير المرسلين محمد r فعن عبد الرحمن بن عوف ، أن رسول الله r قال : (ثلاث - والذي نفسي بيده إن كنت لحالفا عليهن - : لا ينقصن مال من صدقة ؛ فتصدقوا ، ولا يعفو عبد عن مظلمة [يبتغي بها وجه الله] إلا زاده الله بها عــزاً يوم القيامة ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر). فأكثروا فيه من الجود والكرم ، واعلموا أن الخلف من الله سبحانه الكريم الجواد فجُد بمــا عنــدك يجود الله عليك فخزائنه ملئ لا تنفذ وكما ورد فى الحديث القدســى عــن أبي ذرٍّ

---

[1] البخاري (6).
[2] صحيح : أبو داود (1442) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (1678).

الغفاري -رضيَ اللهُ عنه-، عن النَّبي r فيما يَرويه عن ربِّه -تبارك وتَعالى- أنه قال (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إلاَ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بالليْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَه)[1]. فالشاهد (مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ) وهل إذا وضعت المخيط فى البحر كم يحمل من القطرات حتى ينقص البحر؟ لا شيء ، فإذن ملك لا ينفذ ولا يفنى فهو متعلق بكماله سبحانه ، وقد أخبر الصادق المصدوق r أن المنفق تدعو له الملائكة بالخلف وهم جند الله ومستجابى الدعوة كما ورد فى الصحيح عن أبي هريرة t أن النبي r قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً)[2] .

---

(1) مسلم (4780).

(2) البخاري (1385) ، (1740).

في الناس صائم لا يجد كسرة خبز ، ولا حنفة تمر ، ولا مذقة لبن.
في الناس صائم لا يجد بيتاً يؤويه ، ولا مركباً يحمله ، ولا صاحباً يواسيه .
في الناس صائم لا يجد ما يفطر به ، أو يتسحر عليه .

والنبي r قال : (من فطر صائماً كان له مثل أجره دون أن ينقص من أجر الصائم شيئاً) [1].

الله أعطـــاك فابـــذل مـــن عطيته   فالـــمال عارية والعمر رحال
المال كالماء إن تحبس سواقيه يأسن   وإن يُجـــرَ يعذب منه سلسال

فكن كريماً في هذا الشهر الكريم أخى الحبيب ، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا مـــن أهل الجود والكرم والإحسان.

خامساً :الحفاظ على الصلوات الخمس في جماعة

أحبتي في الله : أعجب غاية العجب لرجل يصوم ولا يصلي ، ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، فلن أقول لك حافظ على الصلاة لأنه أمر واجب عليك لا يحـــق لأى امرئ مسلم التقصير فيه ، ولأن رسول الله r ماتركها أبداً حتى وهو في غاية مرضه ، كما قَالَ الأَسْوَدُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّـــهُ عَنْهَـــا ، فَـــذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلاَةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا قَالَتْ (لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ r مَرَضَهُ الَّـــذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَأُذِّنَ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ أَبَـــا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَـــهُ فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ : إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى ، فَوَجَدَ النَّبِيُّ r مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً ، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَـــأَ إِلَيْـــهِ النَّبِـــيُّ r أَنْ

[1] صحيح : أحمد (16731) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6193).

مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ قِيلَ لِلأَعْمَشِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ r يُصَـــلِّي، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاَتِهِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ بِرَأْسِهِ نَعَمْ) [1] .

وَزَادَ أَبُو مُعَاوِيَةَ جَلَسَ عَنْ يَسَارِأَبِي بَكْرفَكَانَ أَبُوبَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا ، والشـــاهد مـــن الحديث أن النبى r ما تركها أبداً ، وأنه كان يصلى كثيراً ، ويكثر من السنن أيضاً عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ r إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاهُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ : أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) [2] لمكانة الصلاة عند الله ورفعتها فقد وردت فى معراجه r وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تدل على وجوب الصلاة ، منها قول الله تعالى [k l Z البقرة: ٤٣ ، وورد عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَـــالَ رَسُولُ اللَّهِ r : (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّـــهُ وَأَنَّ مُحَمَّـــدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ) [3].

فالصلاة أيضاً واجبة بالكتاب والسنة والإجماع .لكن الذي أردت أن أنبـــه عليه هو الحفاظ عليها فى جماعة ، لعلو الأجر ولحث الرسول r بـــذلك ، ففـــي صحيح البخارى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُـــولَ اللَّـــهِ r قَالَ: (صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً) [4] ، وفى صـــحيح البخاري أيضا عن أبى هُرَيْرَةَ t يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r : (صَلاةُ الرَّجُـــلِ فِـــي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا وَذَلِكَ أَنَّـــهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلا الصَّلاةُ لَمْ يَخْـــطُ خَطْوَةً إِلا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَـــةُ

---

[1] البخاري (644) ، مسلم (663).
[2] البخاري (4560) ، مسلم (5153).
[3] البخاري (8) ، مسلم (46).
[4] البخاري (627).

تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ) [1] وبيَّن أيضاً r أن الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في البيت ، وأنه هَمَّ أن يحرق البيوت على من يصلون فيها الفرض لمكانة صلاة الجماعة فى المسجد ، لكنه r لم يفعل واكتفى بالزجر بالقول لا بالفعل للبيان من شدة الأمر ومكانته ، كما في صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ t قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r وَسَلَّمَ : (إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ) [2] فلا تضيع الثواب العظيم فى الجماعة بالصلاة فى البيت ، فالعمر قصير فاغتنم ما يرفعك في الدرجات ، لتكون مع نبيك محمد r ، جاهد نفسك بالمحافظة على الصلاة فى جماعة جعلنا الله وإياك من أهل الصلاة والصيام والقرآن والقيام .

ويلحق بالفرائض النوافل عن أهل الفضل والتقى ، قال r : (ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً ، غير فريضة ، إلا بني الله لــه بيتاً في الجنة) [3]

وهما : ركعتان قبل الصبح ، وأربع ركعات قبل الظهر ، وركعتان بعد الظهر ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء .

---

[1] البخاري (629).
[2] البخاري (637) ، مسلم (1076).
[3] مسلم (1235).

سادساً : صلاة التراويح

أخي الحبيب :

لا تضيع صلاة التراويح ، وأفضل عددٍ لصلاة التراويح هي إحدى عشرة ركعة ، لحديث عائشة – رضي الله عنها – قالت : (ما كان رسول الله r يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً ، فلا تَسَلْ عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً ، فلا تَسَلْ عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً)(1) ، وأما الزيادة عن ذلك فلها أصل لحديث ابن عباس – رضي الله عنهما – (كانت صلاة النبي r ثلاث عشرة ركعة) يعني : بالليل (2) .

وورد عن السلف - رحمهم الله تعالى - أنه كانوا يصلون التراويح ثلاثاً وعشرين ركعة. فالعبرة إذن بطول القيام وليس بعدد الركعات ، والله أعلم.

بمعنى إذا صلى شخص إحدى عشرة ركعة في عشر دقائق ، وصلى آخر أربع ركعات في ساعة بطمأنينة ؛ فالعبرة بزمن القيام واستدلوا لذلك بقوله تعالى:

[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2

3 4 5 Z المزمل: ١ – ٤ ، وحديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – لما سئل النبي r عن صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى) (3)

أيضاً أوصي نفسي وإياك أخي الحبيب بعد الانصراف من صلاة التراويح حتى ينتهي إمامك من الصلاة ليكتب الله لك قيام ليلة كاملة ، كما ورد عند ابن حبان وغيره من حديث أبي ذر t قال : قال رسول الله r : (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) (4)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

---

(1) البخاري (1108) .
(2) البخاري (1099).
(3) البخاري (960).
(4) صحيح : ابن حبان (2587) ، الدارمي (1776) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (1615).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى r ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، أما بعد :

سابعـاً : الدعاء

أحبتي في الله : الدعاء عبادة كالصلاة والصيام والحج .

فكما أن المصلي يثاب على صلاته.

والمتصدق يثاب على صدقته .

والصائم يثاب على صيامه.

والحاج يثاب على حجه.

فكذلك الداعي يثاب على دعائه ، كلما رفع الداعي يديه إلى السماء قائلاً يا رب فهو في عبادة ، قال r : (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ قـول الله تعـالى :

[- . / 0 1 Z غافر: ٦٠

واعلم أخي الحبيب : أن دعوة الصائم مستجابة ، كما ورد في سنن ابـن ماجـة بإسناد حسن من حديث أبي هريرة t ، قال : قال رسول الله r : (ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلـوم يرفعهـا الله دون الغمام يوم القيامة ويفتح لها أبواب السماء)[1].

اللهم تقبل صيامنا ، وركوعنا ، وسجودنا.

اللهم أعنا على طاعتك في هذه الأيام ، اللهم بلغنا ليلة القدر هذا العام وأعواماً عديدة ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقم الصلاة.

---

(1) حسن : الترمذي (3606) .

الخطبة الخامسة والعشرون : خطبة عيد الفطر

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هـــادي لـــه ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله **.**

[4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z آل عمران: ١٠٢

[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0

1 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? Z النساء: ١

[u v w x y z { | } ~ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ Z الأحزاب: ٧٠ – ٧١ .

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

توديع رمضان :

يا شهرَ رمضانَ غيرَ مودَّع ودَّعناكض **...** غير مُقْلٍ فارقناكَ **...**

كان نهارُك صدقةً وصياماً **...** وليلُك تلاوةً وقياما **...**

فعليك منا تحيةٌ وسلامٌ **..**

أَترَاك تعودُ بعدَها علينا **...**

أو يُدرِكُنا المنونُ فلا تئولُ إلينا **...**

أيها المسلمون ...

إنكم في يوم تبسمت لكم في الدنيا أرضُها وسماؤُها ، شمسُها وضياؤُها **...** هذا يومُ يفطرُ المسلمون ، هذا يومُ يَفْرَحُ المؤمنونَ **..**

هذا يومُ تُكْمِلُوا العدةَ وَتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون **..**

إخوة الإيمان ...

هذا يوم عيدكم قد وفاكم في صباح مبارك فهذا اليوم يوم تجتمع فيه العباد يهنئون بعضهم بعضا **.**

ولقد أراد الشارع الحكيم أن يكون يوماً من أيام الفرح والسرور ، حتى أنه رسم معالمه ومعالم الفرحة فيه ، وبث فيه من معناً روحياً واجتماعياً سامياً ، يربط الغني بالفقير ، والكبير بالصغير ، والحاكم بالمحكوم ، والإمام بالمأموم **.**

فالعيد عباد الله شعيرة من شعائر الإسلام فعلينا أن نعظم هذه الشعيرة ، كما قال تعالى] 8 9 : ; < = > ? @ A Z الحج: ٣٢

وكما في الحديث الذي رواه أحمد وغيره من حديث أنس **t** أن النبي **r** قال " قدمت المدينة ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ، وأن الله تعـــالى قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم النحر " (1)

إخوة الإيمان : لقد قال الله تعـــالى في كتابـــه الكـــريم] 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A Z البقرة: ١٨٣

فهل تأثرنا بعد رمضان كما كان العهد بنا في رمضان ؟

---

(1) صحيح : أحمد (13236) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (438)

ينبغي علينا – عباد الله – أن نحمد الله سبحانه وتعالى ، إذ يسر لنا صـــيام رمضان فإن النبي r قال : " من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم مـــن ذنبه ، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " [1]

والخسارة كل الخسارة ، بل الخيبة كل الخيبة والندامة ، لمن أفطر رمضـــان بغير عذر ، ولمن ضيع صيامه على الفواحش والمنكرات ، والأفلام والمسلسلات ؟

ولذلك تيسيراً من الله تعالى لنا جعل زكاة الفطر طهرةً لنا .

فاتقوا الله عباد الله ، واهتموا في العيد بتحقيق وحدتكم المجيدة ، ولا تكونوا قـــد أتيتم إلى هذا المصلى إلا وأن تكونوا أخرجتم زكاة فطركم لمســـتحقيها لتنشـــروا السرور والفرح بيوم العيد ، وأن تعفوهم عن ذل السؤال في هذا اليوم السعيد فالنبي r كان لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم النحر حتى يذبح "

بر الوالدين :

قال تعالى :] g h i j k l n o Z النساء: ٣٦

وقال تعالى :] F G H I J Z لقمان: ١٤ .

وقال تعالى] g h i j k l m n Z الإسراء: ٢٣

عن ابن مسعود ، قال : سألت النبي r : أي العمل أحب إلى الله تعـــالى ؟ قال : " الصلاة على وقتها " ، قلت : ثم أي ؟ قال : " بر الوالدين " قلت : ثم أي ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " [2]

فبر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله ، خاصة في هذا اليوم المبارك ..

[1] البخاري (38) ، مسلم (759) .

[2] البخاري (527) ، مسلم (85)

وبر الوالدين بالمال ، وبر الوالدين بالطاعة في المعروف ، وبـــر الوالـــدين بالكلمة الطيبة ، وبر الوالدين بالاحترام والتقدير ، وبالود ، والنصح والإرشـــاد ، والدعاء لهما بالتوفيق والهداية ...

هذا في الحياة ، أما برهما بعد موتهما فبالدعاء لهما ، والاســـتغفار لهمـــا ، والتصدق عليهما ، وبزيارة قبريهما .

صلة الأرحام :

قال تعالى :] ; < = > ? @A B Z الرعد: ٢١

قال تعالى :] N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` Z محمد: ٢٢ - ٢٣

وعن أبي هريرة t أن النبي r قال : " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** " [1] .

وعنه أيضا مرفوعاً : " إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فـــرغ منـــهم قامـــت الرحم، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى فذلك لك " ، ثم قال رسول الله r : " اقرءوا إن شئتم:] N O P Q Z محمد: ٢٢ [2] .

فالواجب على المسلم صلة رحمه ، خاصة في هذا اليوم المبارك ...

صلة الرحم بالمال ، والزيارة ، والمودة ، وقضاء الحوائج ..

---

[1] البخاري (6138)

[2] البخاري (4830) ، مسلم (2554)

ولكن لينتبه المسلم ، كي لا يقع في المحرم أثناء صلة الرحم وزيارة الأقارب ، فلا تصافح ابنة عمك ، ولا ابنة خالك ، وما شابههما من الأجنبيات ...

صلة الرحم توسع الرزق ، وتطيل العمر :

فقد ثبت في الصحيحين ، عن أنس t أن رسول الله r قال : " من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه " [1]

التذكير بصدقة الفطر :

لقد شرع الله تبارك وتعالى صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفــث ، وطعمة للمسكين ، فأغنوا المساكين في هذا اليوم عن المسألة .

ففي الصحيحين عن ابن عمر t قال : " فرض رسول الله r زكاة الفطر : صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج النـــاس إلى الصــلاة " [2] ، وأوصيكم باليتامى خيراً .

التزاور والتحاب :

يستحب للمسلمين أن يتزاوروا ، وأن يتحابوا ، وأن يتآلفوا في هذا اليوم المبارك ..

المسلم الذي بينه وبين أخيه شحناء ليعد إلى رشده ويتقي ربه ، ويصــالح أخاه ، فقد صح عن رسول الله r أن الجنة تفتح أبوابها يوم الاثنين ويوم الخميس :

---

[1] البخاري (5986) ، مسلم (2557)

[2] البخاري (1503) ، مسلم (984)

فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء [(1)] **، فيقال : أنظروا** [(2)] **هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا "** [(3)] .

التذكير برد المظالم :

أيها المسلمون ... أيها الموحدون ...

من كانت لأخيه عنده مظلمة فليردها إليه قبل أن يأتي يوم لا بيع فيـــه ولا خلال، قبل أن يأتي يوم لا شفيع فيه ولا حميم ...

قبل أن نقف أمام المحكمة الإلهية ، المحكمة العادلة ...

محكمة قاضيها هو الله ، وشهودها جوارحك ، وحكمها هـــو العـــدل ، وأمرها هو الفصل ، وفائزها في الجنة ، وخاسرها في النار ...

قال تعـــالى] يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ' ( ) * , - . /

0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = >

? @ A B C D E F G H I J K M

N O P Q R S U V W X Y Z Z غافر: ١٦ – ٢٠

وقال **r** : " **من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين** " [(4)]

وقال **r** : " **إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته " ، ثم قــرأ :**] [

^ _ ` a b c d f g h i j Z هود: ١٠٢ .

[(1)] شحناء : عداوة

[(2)] أنظروا : أخروا

[(3)] مسلم (2565) ، أبو داود (4916) ، الترمذي (2023) وقال : حسن صحيح ، ابن ماجة (1740) ، أحمد (2 / 268 ، 329 ، 389 ، 400)

[(4)] البخاري (2453) ، مسلم (1612) .

يا من ظلمت جارك ، فاغتصبت أرضه **...**

يا من ظلمت عاملك ، فأكلت أجره **....**

يا من ظلمت والدك ، فنقصته حقه **....**

يا من ظلمت مسلماً ، فشهدت زوراً ضده **...**

يا من ظلمت زوجتك ، فقصرت في حقها **...**

يا من ظلمت نفسك ، فعن المعاصي لم تردعها **...**

قد آن لك أن تتوب قبل أن يدركك الموت ، فتتقطع نفسك حســـرات ، ويتفطر قلبك ندماً **.**

قال تعالى] s t u v w x y z { | } ~ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ © ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ Z الزمر: ٥٣

موعظة شاملة :

عباد الله **...**

إن الإسلام يأمر بالإخلاص ، وينهى عن الرياء **...**

ويأمر بالاتباع ، وينهى عن الابتداع **..**

ويأمر بالبر ، وينهى عن العقوق **...**

ويأمر بالصلة ، وينهى عن القطيعة **...**

يأمر بالعدل ، وينهى عن الظلم **...**

يأمر بالصدق ، وينهى عن الكذب **..**

يأمر بالنصح ، وينهى عن الغش **...**

يأمر بالأمانة ، وينهى عن الخيانة **..**

يأمر بحب الخير للمسلمين ، وينهى عن الغل والحقد والبغضاء والعداوة **..**

فافعلوا ما أمركم الله به ، وانتهوا عما نهاكم عنه ..

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبل منا الصيام والقيام وقراءة القرآن وصالح الأعمال .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، ووحد صفوفنا ، وأنصر إسلامنا ، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا .

اللهم اشف أمراضنا ، وارحم أمواتنا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكل عام وأنتم بخير .

الخطبة السادسة والعشرون : خطبة عيد الأضحى

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

[4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z آل عمران: ١٠٢

[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0

1 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? Z النساء: ١

[u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ Z الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ r ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ

إخوة الإيمان : هذا يوم عيدكم قد وافاكم في صباح مبارك ، فهذا اليوم يوم تجتمع فيه العباد يهنئون بعضهم بعضا .

ولقد أراد الشارع الحكيم أن يكون يوماً من أيام الفرح والسرور ، حتى أنه رسم معالمه ومعالم الفرحة فيه ، وبث فيه معنىً روحياً واجتماعياً سامياً ، يربط الغني بالفقير، والكبير بالصغير ، والحاكم بالمحكوم ، والإمام بالمأموم .

فالعيد عباد الله هو شعيرة من شعائر الإسلام فعلينا أن نعظم هذه الشعيرة .

كما قال جل وعـــلا [8 9 : ; < = > ? @ A Z

الحج: ٣٢

وكما في الحديث الذي رواه أحمد وغيره من حديث أنس t أن النبي r قال : **" قدمت المدينة ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ، وإن الله تعالى قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم النحر "** [1]

إخوة الإيمان : إن هذا اليوم يوم التضحية والفداء ، الذي ابتلى الله فيه خليله إبراهيم ، حيث أراه في المنام أن يذبح ولده إسماعيل ، فأطاع الوالد والولد أمر الرب الجليل ، فأخذ الوالد السكين ، وتله للجبين ، وأجرى السكين على عنق إسماعيل عليه السلام فلم تؤثر فيه ، وحالت قدرة الله بينها وبين ما صنعت لأجله، وضجت الملائكة ، وأدرك الله إبراهيم برحمته ، وفدى ولده إسماعيل بكبش عظيم فذبحه تحقيقاً للرؤيا وتلبيةً للأمر، وجُعل هذا الفداء سنةً متبعةً في شريعة محمد عليه وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والتسليم .

وقد سجل الله عز وجل هذه القصة فقال سبحانه] وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ â شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ç ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N Z الصافات: ٩٩ - ١١١

يذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه ، سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً ، فبشره الله بغلام حليم ، وهو إسماعيل عليه السلام ، لأنه أول

[1] صحيح : أحمد (13236) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (438) .

من ولد على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل ، وهذا مالا خلاف فيه بين أهل الملل .

وقد وصف الله عز وجل إسماعيل بالحلم ، والحلم هو رزانة في العقل ، ورجاحة في الرأي ، وغزارة في العلم ، وسعة في الصدر ، وهو ضد الجهل بكل معانيه ، كالسفه ، وفساد الرأي ، وعدم إدراك العواقب ، والغضب بغير حق ، والتطاول على الناس ... الخ .

لقد وصف الله إبراهيم بالحلم كما وصف ابنه إسماعيل فقال تعالى] L M N O P Q Z هود: ٧٥ ، وهذا يعني أن هذا الغلام هو على صورة أبيه إبراهيم في كمال عقله ، وسلامة إدراكه ، فلا عجب أن يكون عند حسن ظن أبيه به ، فهذا الشبل من ذاك الأسد ، فقد بادله علماً بعلم ، وحلماً بحلم ، وصبراً بصبر، ورضاً برضا .

فقال مسترحماً ومستحثاً ومستسلما] يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ â شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ç Z الصافات: ١٠٢ فما أروع عاطفة البنوة حين تلتقي مع عاطفة الأبوة على أمر قد جمع بينهما على هدف واحد هو التفاني في مرضاة ربهما تبارك وتعالى .

إخوة الإيمان : إن سرور الوالد بولده عندئذ قد أنساه وطأة الحادث وألم المصاب مما جعله يقدم على تنفيذ الأمر بهمة عالية وعزم صادق ، غير مبال بما وراء ذلك من بشاعة المنظر ولوعة الفراق .

ويستفاد من هذه القصة عباد الله أن المؤمن الحق لا يدخر وسعاً في طاعة ربه وطلب مرضاته ، حتى لو كان يترتب على ذلك الجود بالنفس والولد ، لعلمه أن نفسه وولده ملك لله ، ولله ما أعطى وله ما أخذ ، وأنه من لوازم الإيمان أن

يؤثر المؤمن حب الله على حب من سواه ، بحيث لا يكون في قلبه ما يشغله عـــن ذكره ويعوقه عن طاعته .

فها هو الخليل إبراهيم عليه السلام يبرهن على صدق يقينه ، وسلامة قلبه ، وتفريغه من جميع الشواغل بالإقبال على ذبح ولده بسكينة وطمأنينة وطيب نفس .

وكذلك ولده إسماعيل لم يكن بالمعوق لأبيه عن تنفيذ أمر ربه ، بل كـــان نعم العون له ، ونعم البار به ، ونعم المستجيب لأمر ربـــه ، الراضـــي بقضـــائه ، والصابر على بلائه ، فهما لنا أسوة حسنة على مر العصور .

ومن هذه القصة عباد الله نعلم أن الله عز وجل أرحم على الولد من أبيه ، بل هو أرحم به من نفسه ، وأنه جل شأنه لا يحب لعباده إلا الخير ، ولا يريـــد أن يكلفهم مالا طاقة لهم به ، وإذا اختبرهم بشيء فإنما يريد أن يمحص قلوبهم لذكره ، لكي لا تكون مشغولة بغيره .

وهذا عباد الله يعد نموذجا فريدا في التضحية والفداء والطاعة والانقياد لله تعـــالى لم نعهده مثله في الأولين والآخرين .

فاضـــت بـــالعبرة عينـــاه ... وأظمـــاه الحلـــم وأشـــقاه
شـــيخ تتمـــزق مهجتـــه ... تتنـــدى بالـــدمع لحـــاه
ينتـــزع الخطـــوة مهمومـــاً ... والكـــون يناشـــد مســـراه
وغـــلام جـــاء علـــى كـــبر ... يتعقـــب في الســـير أبـــاه
والحـــيرة تثقـــل كاهلـــه ... وتبعثـــر في الـــدرب خطـــاه
ويهـــم الشـــيخ لغايتـــه ... ويشـــد الابـــن بيمنـــاه
بلـــغ في الســـعي نهايتـــه ... والشـــيخ يكابـــد بلـــواه
لكـــن الرؤيـــا لـــنبي ... صـــدق وقـــرار يرضـــاه

والمشـــهد يبلـــغ ذروتـــه   وأشـــد الأمـــر وأقصـــاه
إذ تمـــرق كلمـــات عـــذلا   ويقـــص الوالـــد رؤيـــاه
وأمرت بذبحك يـــا ولـــدي   فـــانظر في الأمـــر وعقبـــاه
ويجيب العبـــد بـــلا فـــزع   افعـــل مـــا تـــأمر أبتـــاه
لم أعصـــي لإلهـــي أمـــراً   مـــن يعـــص يومـــا مـــولاه
واســـتل الوالـــد ســـكيناً   واستســـلم ابنـــه لـــرداه
ألقـــاه برفـــق لجـــبين   كـــي لا تتلقـــى عينـــاه
أرأيـــتم قلبـــاً أبويـــاً   يتقبـــل أمـــراً يأبـــاه
أرأيـــتم ابنـــاً يتلقـــى   أمـــراً بالـــذبح ويرضـــاه
وتهـــز الكـــون ضـــراعات   ودعـــــاء يقبلـــــه الله
تتوســـل للمـــلأ الأعلـــى   أرض وســـمـــاء وميـــاه
ويقـــول الحـــق ورحمتـــه   ســـبقت في فضـــل عطايـــاه
صـــدقت الرؤيـــا لا تحـــزن   يـــا إبـــراهيم فـــديناه

إخوة الإيمان : إن اجتماع المسلمين في ظاهرة إيمانية رائعة ليست لأحد من النـــاس غير المسلمين ، ألا وهو اجتماع الحجيج في هذا اليوم ، هذا الاجتماع شـــظاة في حلوق أعداء الإسلام.

تقول دائرة المعارف البريطانية :

" يؤدى الحج كل سنة مليونان من الأفراد ، وتؤدى هذه العبادة دور قـــوة توحيدية في الإسلام بأنها تجلب لها أتباعاً من مختلف الجنسيات ليجتمعـــوا معـــاً في احتفال ديني "

ويقول أحد النصارى عن مدى جدوى التبشير في البلاد الإسلامية :

" سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي مـــا دام للإسلام هذه الدعائم القرآن ، اجتماع الجمعة الأسبوعي ، ومؤتمر الحج السنوي.

فإن هذا الحقد الكفري من اليهود والنصارى حقد قديم حديث هو حقـــد دفين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال جل وعلا] ! " # $ % & ' ( ) Z البقرة: ١٢٠

إخوة الإيمان : إن الأمة الإسلامية الآن تعيش في أحط مرحلة وصلت إليها الأمـــة من قبل ، وهذا يدل على تقصير الأمة في جنب الله تعالى ، وبعد الأمة عن كتـــاب الله وسنة رسول الله r فبيضاتنا استبيحت ، مقدساتنا دنست ، دمـــاء المســـلمين أريقت .

قال جـــل وعـــلا] فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا Z طه: ١٢٣ - ١٢٤ .

فالضنك الذي تعيشه الأمة الآن أكبر دليل على بعد الأمة عن شرع الله جل وعلا .

إخوة الإيمان : إن اليهود الآن يسومون الأمة سوء العذاب ، فـــأمس في البوســـنة واليوم في أفغانستان والشيشان وفلسطين ، ولا نعلم غداً أين ؟.

فنحن اليوم عباد الله نضحي بالأنعام وهم يضحون بأبناء الأمة من شـــيوخ وأطفال ونساء على مرآى ومسمع من العالم الخائن ، فهؤلاء المجرمون لا يوجد في قلوبهم رحمة ، أصبحت دماء المسلمين عندهم رخيصة .

كما في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره من حديث ثوبان t أن الـــنبي r قال : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال

قائل : : أومن قلة نحن يومئذٍ " فقال بل أنتم يومئذٍ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت "

إخوة الإيمان : لقد شرع الله عز وجل الأضحية بقوله جل وعلا " فصل لربك وانحر " وكان (صلى الله عليه وسلم) لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ويوم النحر لا يطعم حتى يرجع .

فالأضحية عباد الله سنة مؤكدة ، يكره تركها مع القدرة عليها ولا تكون إلا من الإبل أو البقر أو الغنم لقوله تعالى] R S T U V W X Y Z Z الحج: ٣٤

ومن شروط الأضحية السلامة من العيوب ، والدليل على ذلك ما ورد في سنن الدارمي وغيره من حديث البراء عازب t أن النبي r قال " أربعة لا تجزئ في الأضاحي ، العوراء البين عورها ، والمريض البين مرضها ، والعرجاء البين عرجها أي : عندها عرج ،[1] والعجفاء التي لا تنقى أي : الهزيلة التي لا مخ لهزالها " .

إخوة الإيمان : ويبدأ وقت الذبح من بعد صلاة العيد ، لما ورد في الصحيحين من حديث البراء بن عازب t أن النبي r قال : " من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه [2]، ومن ذبح بعد الصلاة فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين ، ومن يحسن الذبح عليه أن يذبح أضحيته بيده ، ويقول بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عن فلان ويسمي نفسه أو من أوصاه ، فإن رسول الله r ذبح كبشاً وقال بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عني وعن من لم يضح من أمتي ، ومن كان لا يحسن الذبح

---

(1) صحيح : أحمد (18322) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (886) .

(2) البخاري (925) ، مسلم (3716) .

فليشهده ويحضره ، ووقت الذبح عباد الله أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام التشريق لما ثبت عن النبي r أنه قال " كل أيام التشريق ذبح " [1] .

إخوة الإيمان : ويسن للمضحي أن يأكل من أضحيته ، ويهدي الأقارب والجيران ويتصدق منها على الفقراء قال تعالى] © مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ Z الحج: ٣٦ وكان بعض السلف يحب أن يجعلها أثلاثاً ، فيجعل ثلاثاً لنفسه ، وثلثاً هدية ، وثلثاً للفقراء ولا يعطي الجازر من لحمها شيئاً كأجر .

إخوة الإيمان : ليست التضحية مجرد دم يراق ، وإنما التضحية أن تقصد بعملك وجه الله دون نفسك وهواك ، قال تعالى] ¶ ¸ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ Z الحج: ٣٧ ، وقد ندب الإسلام إلى أن نهدي من الأضحية الأصدقاء ، ونصل الرحم والفقراء ، ولنحقق المودة والتراحم في هذا اليوم العظيم .

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[1] صحيح : الدارقطني (4183) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (4537) .